الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم التاريخ

الأسرة المقّرية بتلمسان

من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م

-دورها وأثرها-

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة:
بكوش فافة

إشراف الأستاذ:
د. بن داود نصر الدين

أعضاء لجنة المناقشة

د. بوشقيف محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	رئيسا
د. بن داود نصر الدين	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د.ة. مطهري فاطمة	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة تلمسان	عضوا
أ.د. مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	م.ج النعامة	عضوا
أ.د. لعباسي محمد	أستاذ التعليم العالي	وهران 01	عضوا
أ.د. بن واز مصطفى	أستاذ التعليم العالي	بشار	عضوا

الموسم الجامعي: 1438- 1439هـ/2017- 2018 م

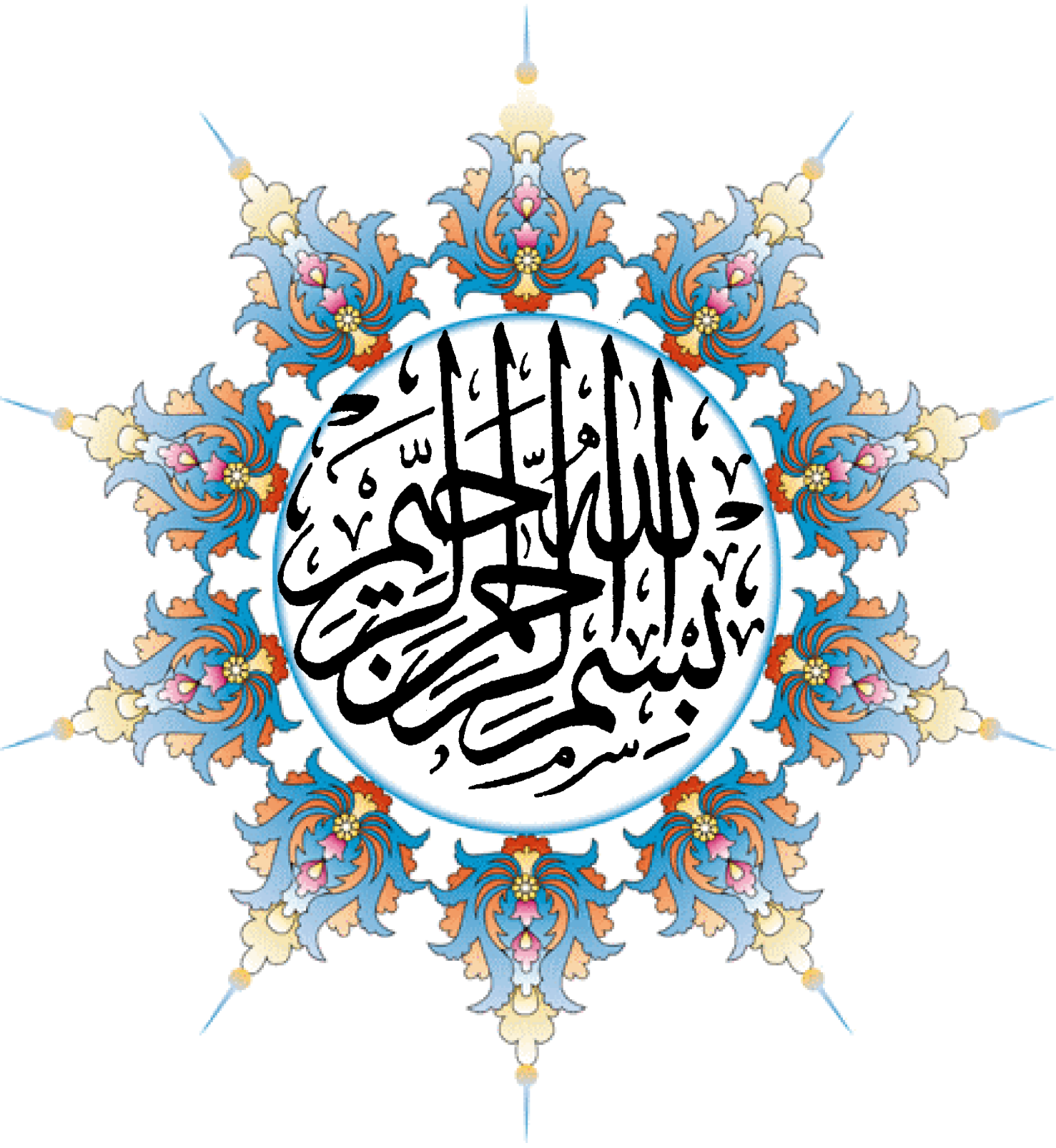
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسمِ اللهِ الرّحمَانِ الرّحِيم :

(قُلْ هَلْ يَستَوِي الذِينَ يعلمون والذين لا يعلمون إنَّما يتذكَّرُ أولوا الألباب)

الآية **09** من سورة الزمر

قال النبي صلى الله عليه وسلم: « وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » صحيح مسلم،

جاء عن "**ابن حمادوش**" قوله: « **بيت مروءة لا تنكر، وحضرة حسب و نسب، وهي من نار على علم أظهر...**» **رحلة بن ابن حمادوش، ص239.**

جاء عن أبو عبد الله محمد المقّري":

نحن إن تسأل بناس معشر أهل ماء فجرته الهمـــــم

عرب من بيضهم أرزاقـهم ومن السمر الطـــوال الخيم

عرضت أحسابهم أرواحهم دون نيل العرض وهي الكرم

أورثـــونا المجد حتى أنّنا نرتضي الموت ولا نزدحـم

ما لنا في الناس من ذنب سو ى أننا نلوي، إذا ما اقتحموا (الاحاطة، ج2، ص213).

الإهداء

❖ الشكر لله تعالى أولا، ثم إلى التي حملتني وهنا على وهن **أمّي**، وإلى الذي علّمني ودفعني قدما نحو النجاح **أبي**، فشكرا لهما امتثالا لقوله تعالى: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ سورة لقمان الآية (14)، وعلى ما حبياني من عطف وحرص وكما ربياني صغيرة، أقدم لهما ثمرة من ثمار غرسهما وأدعوا الله عزّ وجلّ أن يمدّ في عمريهما.

❖ وإلى **جدّتي** التي ما بخلت علي يوما بدعائها أطال الله في عمرهما.

❖ إلى شقيقي الفاضل **نور الدين** الذي ما برح يشجعني على إتمام دراستي، وساهم معي بجهده ووقته مما خفف عني العبء الكثير، وإلى زوجي **جيلالي صوار** الذي شدّ على يدي وأعانني على أمري وكان لي خير سند ودعم.

❖وإلى أخواتي فاطمة الزهراء، سلافة، رميساء جمعنا الله في سرور على رضوانه في الدّنيا والآخرة.

❖إلى قرّة عيني وفلذة كبدي **محمد سراج الدين** و**أمجد رياض** حفظهما الله ورعاهما وبارك لي فيهما.

❖إلى كل أفراد عائلة **بكوش**، وعائلة **كِبِير** وعائلة **صوار**.

فافة بكوش.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي تتم به خير الأعمال، الحمد لله على ما أنعم ووفق لإنهاء هذا البحث، أشكره سبحانه على جزيل نعمته وعظيم امتنانه.

وحيث لا يشكر الله من لا يشكر الناس، فإني أتوجه بجزيل شكري وعظيم امتناني لأستاذي الدكتور **بن داود نصر الدين** الذي رعى هذا المنجز فكرةً ومشروعاً، وما بخل عليّ بنوع مساعدة قط، وفتح لي آفاق العلم والمعرفة، حيث أنّه لم يدّخر وسعا في سبيل خروج هذا البحث إلى النور، وأبداً أبقى شاكرةً لفضله وحافظةً له.

وكم أودّ أن تسعفني الكلمات للتعبير عن امتناني لأعضاء لجنة المناقشة على صبرهم ورحابة صدورهم وسعة حلمهم في قراءة هذا العمل وتثمينه.

وأتقدم بعظيم التقدير والامتنان إلى الأساتذة: أ.د. مبخوت بودواية، وأ.د. بلعربي خالد، وأ.د. بن دوبة شريف الدّين، ود. نبيل شريخي، والأستاذة قدوري منصورية والأستاذة سميرة نميش والأستاذة عثماني سعدية، لما أبدوه لي من عون، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وشكر خاص إلى زملائي في العمل وإلى كل أساتذة قسم التاريخ، وأشكر أسرى الذاكرة من الإخوة والأخوات والأصدقاء الذين ساندوني من قريب أو بعيد كلّ باسمه وذِكراه.

فافة بكوش.

قائمة المختصرات الواردة في البحث:

ص : صفحة.

ص ص : صفحتين متتابعتين.

ص– ص : ما بين الصفحتين.

ع : عدد.

مج : مجلد.

ج : جزء.

ط : طبعة.

ت : توفي أو المتوفي.

ب. ط : بدون طبعة.

ب. ت : بدون تاريخ.

ب.م : بدون مكان.

(...): حذف لفظة، جملة أو أكثر من القول المستشهد به.

هـ: هجري.

م: الميلادي.

تح: تحقيق.

تر: ترجمة.

تق: تقديم.

/: ما يوافق.

مقدّمة

من المواضيع الفكرية التي تستوقف الباحث في تاريخ المغرب الإسلامي موضوع الأسر العلمية، هذه الأخيرة التي تضرب بجذورها التاريخية في الإسلام، وترتبط بما أطلق عليه القرآن الكريم أمة الصلاح التي جعلها الله أمة واحدة ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾ (**سورة المؤمنون الآية 52**)، وبما عرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم من قوله: "**العلماء ورثة الأنبياء...وَرَّثُوا العلم**" (أخرجه أبي داود في سننه، باب فضل العلم).

وبناء على ذلك فإنّ الاهتمام بالبحث في مجال الأسر العلمية بالمغرب الاسلامي عامة وتلمسان خاصة هو من صميم البحث العلمي، باعتبارها الرحم الذي خرج منه العالم، والحضن الذي ترعرع فيه أخذا واستفادة، حتى أصبح مؤهلا للعطاء والإفادة، كما يدخل الاهتمام بتاريخ الأسر العلمية بتلمسان في إطار الاحتفاء بتراثها العلمي، إذ تعتبر الأسر العلمية من أبرز ملامح تاريخها الحضاري خلال الفترة الوسيطة، إذ كانت بدايتها مع المرابطين والموحدين ثم تطورت خلال العهد الزياني، فكانت هذه الأسر العلمية طرفا فاعلا في ذلك التطور الذي شهدته مدينة تلمسان في ميادين شتّى لاسيما العلمية منها، أين برزت أسر جليلة القدر أسهمت بحظ وافر في بناء مجدها الفكري وكيانها الحضاري، واشتركت بقدر كبير في بناء تقاليد علمية راسخة بها، وذلك بما خلّفته ورائها من تراث علمي، وبما أنجبته من أعلام برزوا في مختلف الميادين.

وقد تنبّه المؤرخون والباحثون للظاهرة، وخصّوها بمؤلفات وكتابات جادة، وقد نهجوا في التأريخ لها نهجين، إما العناية ببيوتات العلم الأندلسية بالمغرب الأوسط، وإما العناية ببيوتات العلماء بتلمسان، أما تخصيص دراسات مستقلة لأسرة واحدة من أسر تلمسان، فلم نقف على أي دراسة أكاديمية سوى دراسة "**نصر الدين بن داود**" الذي كتب عن أسرة المرازقة، أو بعض المقالات أو ما شارك به الباحثون بمداخلاتهم في الملتقيات الوطنية الأربعة المنظمة من قبل المتحف العمومي للفن والتاريخ لمدينة تلمسان بالتنسيق مع قسم التاريخ جامعة تلمسان حول البيوتات العلمية بتلمسان الزيانية، والتي خصت بيت المقّري والمرازقة والعقباني وبيت الشريف.

ولهذا كلّه ارتأينا القيام بدراسة تاريخية تخص إحدى هذه الأسر العلمية بتلمسان، فكان عنوان الموضوع موسوما بـ " **الأسرة المقّرية بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م – دورها وأثرها –**".

وتكمن **أهمية الموضوع** في كونه يؤرخ لإحدى الأسر العلمية بتلمسان بنوع من التفصيل وهي الأسرة **المقّرية**، ومحاولة إزالة العَتَمَة عن دورها وأثرها على كافة المستويات، لاسيما دورها في

إثراء الحركة العلمية، فهي تطلعنا على اسهاماتها في ميادين معرفية شتّى، خاصة ما خلّفته من تراث فكري يخصّ مختلف أنواع العلوم العقلية والنقلية، وذلك انطلاقا من تسليط الضوء على علمائها وإسهاماتهم الحضارية والتعمق في دراسة أدوارهم، فبالرغم من الدور الذي قام به علمائها بتلمسان، إلاّ أنّه لم يحظ البعض منهم بدراسات مستقلة، أو بالأحرى لم تف بحقهم الكتابات من البحث والدراسة ولم تنصفهم، على غرار البعض الآخر منهم الذين أمكن الوقوف على دورهم وأثارهم، وبذلك يأخذ البحث شرعيته كإضافة في إماطة اللثام عن هؤلاء العلماء من الأسرة والكشف عن جهودهم وإسهاماتهم في البناء الحضاري لتلمسان قصد إعادة الاعتبار لمنزلتهم العلمية التي لا تقل شأنا عن غيرهم من علماء تلمسان وذلك حسب ما توفر لنا من مادة علمية.

وبناء على ذلك تكون هذه الدراسة قد أبانت أنّ مساهمة الأسرة **المقّرية** بتلمسان كان نتيجة لتظافر جهود كل علمائها، الأمر الذي جعلها تحافظ على وجودها فترة لا يستهان بها من تاريخ تلمسان.

إلى جانب ذلك، فإن موضوع الدراسة يضعنا أمام حقيقة لا يمكن انكارها، وهي أنّ أدوار علماء الأسرة المقرية لم يقتصر على حاضرة تلمسان فحسب، وإنّما سُجّلَ لهم دور بالغ في إرساء دعائم النهضة الحضارية ببعض حواضر المغرب الإسلامي، وذلك من خلال رحلاتهم العلمية إليها، ومن ثمّ كان لهم الدور في التواصل العلمي فيما بين هذه الحواضر، فمعظم علماء هذه الأسرة جابوا أقطار العالم الإسلامي عامة وبلاد المغرب على وجه الخصوص.

وقد كان اختيارنا للموضوع مبنيا على عدة عوامل يمكن إجمالها فيما يلي:

- الأهمية البالغة التي أصبحت تكتسيها دراسة ظاهرة البيوتات العلمية والتعريف بها في مختلف الجوانب، حيث يسعى دارسوها إلى الكشف عن أدوارها البارزة والفعالة في مختلف النواحي لاسيما العلمية منها والدينية، كما أنّ الدراسات التاريخية أصبحت لا تستغني عن مثل هذه المواضيع، مما دفعني إلى البحث في تاريخ أشهر الأسر العلمية التي برزت بتلمسان خاصة وبلاد المغرب عموما في عهد صراع سياسي، ولعل الأسرة **المقّرية** إحدى أشهر هاته الأسر التي لازالت تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة.
- قلة الدراسات المتعلقة بهذه الأسرة العلمية، إذ أنّها لم تنل حظها من الدراسة والبحث رغم مكانة علمائها العلمية، لاسيما إذا ما قورن الأمر مع أسرة المرازقة وأعلامهما الذين نالوا عناية الدارسين والباحثين.

- محاولة إبراز دور ومساهمة الأسرة **المقّرية** في إثراء الحياة الفكرية بتلمسان والمغرب، وذلك من خلال إبراز جهود أفرادها المشهورين بالعلم والمعرفة في نشر العلم وخدمة الثقافة الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي عامة وتلمسان على وجه الخصوص، فضلا عن دورهم في تنشيط الحياة العامة بالمنطقة من خلال الوظائف الهامة التي شغلوها، كالقضاء والفتوى والتدريس وغيرها، ولما كان موضوع الماجستير يتعلق بأحد أعلام الأسرة وهو "**أبو عبد الله محمد المقّري** (ت759هـ/1358م) ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي"، فقد جاءت فكرة توسيع البحث نحو أسرته ودورها.
- لا نستثني في ذلك محاولة إظهار مدى تأثير الأوضاع السياسية على الحركة العلمية بتلمسان على عهد بني زيان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م.
- إلى جانب هذا كان وراء اختياري للموضوع قناعات وميول شخصية وهي رغبتي في المساهمة في كتابة تاريخ المغرب في العصر الوسيط وأن يكون هذا العمل إضافة معرفية للمكتبة.

وتتمحور **الإشكالية** التي نطرحها ضمن هذه الدراسة حول إبراز دور **الأسرة المقّرية** وأثرها بحاضرة تلمسان وحتى الحواضر العلمية الأخرى بالمغرب الإسلامي، ومدى مساهمة علمائها في البناء الحضاري لتلمسان الزيانية، من خلال التعرف على جوانب من حياة علمائها ونشاطهم العلمي ومؤلفاتهم، والوظائف التي تقلّدوها.

وقد كان **المنهج المتّبع** في هذا البحث المنهج التاريخي، حيث اعتمدت على جمع المادة العلمية مما تيّسر لي الوصول إليه من مصادر ومراجع ذات صلة مباشرة وغير مباشرة في تتبع تاريخ ودور الأسرة المقّرية وحياة علمائها بصفة خاصة، ثم حاولت استخدام مقومات البحث العلمي التاريخي من نقد ظاهري وباطني ثم تفكيك لاعادة البناء والتركيب في تصور عقلي منطقي سليم ومقبول لمعرفة دور علماء الأسرة المقّرية بتلمسان وآثارهم.

وللإجابة عن اشكالية البحث **هيكل العمل** في مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة وعدد من الملاحق، أما **التمهيد** فقد اشتمل على المفاهيم الأساسية للدراسة، بحيث تم فيه تحديد معالم تلمسان الطبيعية وأهميتها الجغرافية وأثر ذلك على تطورها التاريخي باعتبارها الحيز المكاني للدراسة، وأشرنا في ثنايا ذلك إلى الإطار الزمني للدراسة على أساس أنّه سيأخذ حقّه من الدراسة في الباب الأول، فضلا على أنني حددت فيه المفهوم اللغوي والاصطلاحي للبيوتات والأسر العلمية، كون مصطلح البيوتات والأسرة متلازمان، كلّها تصّب في مفهوم واحد.

أما **الباب الأول** فتناولت فيه التعريف بالأسرة المقّرية وأعلامها بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، ولتوضيح ذلك أفردته بثلاثة فصول تناولت في كل فصل جملة من النقاط، فكان من الضروري أن يشتمل **الفصل الأول** على الظروف العامة بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م كبيئة تاريخية وفكرية نشأت بها الأسرة **المقّرية**، وقد ارتكز على ثلاثة أسس: الظروف السياسية التي مرت بها تلمسان كعاصمة للدولة الزيانية، ومظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتلمسان في نفس الفترة، وعلى جوانب من واقع الحركة العلمية بحاضرة تلمسان مع التركيز على عوامل ازدهار الحركة العلمية بها والمؤسسات العلمية ونتائج ذلك، وهذا كلّه حتى نتمكن من حصر بعض الأسباب التي ساهمت في ظهور الأسرة **المقّرية**، والتي أثرت وأسهمت في تكوين علمائها وانتقالهم وتقلدهم للوظائف وغيرها.

أما **الفصل الثاني** فخصصته للتعريف بالأسرة **المقّرية** وظروف استقرارها بتلمسان، فحاولنا أن نقف على أصل هذا البيت ثم ضبط تسميته، كما تناولنا فيه نسب الأسرة القرشي، وبيّنا في ذلك اعتزاز الأسرة بهذا النسب، ثم ظروف انتقال الأسرة من مقّرة إلى تلمسان، وعرجنا من خلال ذلك على مسكن الأسرة بتلمسان.

وفي **الفصل الثالث** تطرقنا إلى أهم العوامل التي ساهمت في ظهور بيت المقّري وبروزه كأسرة فاعلة على الساحة التلمسانية، كما أشرنا إلى أعلامه، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى تبيان المكانة العلمية لهؤلاء الأعلام.

أما **الباب الثاني** فجاء موسوما بـ علماء الأسرة المقّرية وإسهماتهم بتلمسان والحواضر الإسلامية من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، حيث أفرد بفصوله الثلاثة للكشف عن دور علماء الأسرة **المقّرية** وأثارهم بتلمسان وحتى غيرها من الحواضر من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، فخصص **الفصل الأول** منه إلى معرفة اسهاماتهم في انتاج المعرفة وانتقالها، إذ تركز البحث في ثلاث نقاط أساسية، فالنقطة الأولى منه خصصت لدورهم في الحركة العلمية التعليمية، ولتوضيح ذلك أشرنا إلى إفادتهم للعلم، ثم منحهم الاجازات العلمية، وأضفنا إلى ذلك مكتبة الأسرة **المقّرية** التي توارثها الأبناء عن الآباء، ثم أشرنا إلى نتاجهم الفكري في مختلف حقول المعرفة، وقد بدأنا فيه بإبداء بعض الملاحظات حول تباين اسهامات علماء الأسرة في التأليف من جهة، ومن جهة أخرى تباين دورهم في التأليف حسب فنون العلم، وفي الأخير نوهنا بجهودهم في خدمة المذهب المالكي، فتطرقنا في ذلك إلى نزعتهم الاجتهادية وجهودهم في التقعيد الفقهي وإن

انحصر ذلك في شخص واحد وهو "**أبو عبد الله محمد المقّري**"، نظرا لندرة المادة العلمية التي توضح جهود غيره من علماء الأسرة، لكن لم يمنع ذلك من أن يكون لهم دور في المناقشات والمناظرات العلمية التي ميزت النشاط العلمي لتلمسان بصفة خاصة والأقطار الإسلامية عموما.

أما **الفصل الثاني** فقد خصص لدور علماء الأسرة **المقّرية** في الوظائف السياسية والخطط الدينية، فحاولنا أن نقف من خلاله على علاقة علماء الأسرة **المقّرية** بالسلطة الزمنية، ثم على أبرز الوظائف السياسة التي تولّوها، وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ هذه الوظائف خصّت بـ "**أبي عبد الله محمد المقّري**" الذي كان له حضور في الجانب الدبلوماسي في البلاط المريني، وذلك من خلال أدائه لبيعة السلطان "**أبو عنان**"، وإيفاده في الرسائل للأمور المهمة، وفي الأخير تم التركيز على المواقف السياسية لعلماء الأسرة **المقّرية**.

وبعد ذلك حاولنا الكشف عن دور علماء الأسرة في الخطط الدينية، التي توزعت بين خطة القضاء والفتوى ومكانتهم فيها، فضلا عن دورهم في الخطابة، ولم نستثني في ذلك عرض نماذج من أقضيتهم وفتاويهم.

وارتكز **الفصل الثالث** والأخير حول الدور الاجتماعي والاقتصادي لعلماء الأسرة **المقّرية**، فأفردنا المحور الأول منه للبحث في دورهم الاجتماعي، فتضمن مكانة علماء الأسرة **المقّرية** الاجتماعية، كما تم عرض فيه مختلف الخدمات التي قدّموها لمجتمعهم، ثم تلي ذلك جهودهم في إصلاح أوضاع مجتمعهم الذي انتشرت فيه بعض البدع والفساد الأخلاقي.

أما المحور الثاني فخصص لدورهم الاقتصادي وذلك من خلال الشركة التجارية المقّرية، وتركز هو الآخر في مجموعة من المحاور، من ذكر للعوامل المساعدة على قيام الشركة المقّرية والرحلة التجارية، ثم الطرق والمراكز التجارية للشركة المقّرية، كما شمل أثر الشركة المقّرية على الحياة الاقتصادية بتلمسان وعلى الأسرة نفسها، وفي الأخير نوهنا بنهاية الشركة.

وختمنا البحث بخاتمة تضمّنت أهم النتائج المتوصل إليها، ثم أتبعناها بملاحق متنوعة مما يخدم البحث.

- **دراسة مصادر ومراجع البحث:**

موضوع بحث كهذا لا يتوفر على مصادر تاريخية خاصة، لكن مادته العلمية وجدت متفرقة في عدد من المصادر والمراجع، يمكن تصنيفها على النحو التالي:

- **كتب التراجم والطبقات:**

- كتاب "**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** "لأبي عبد الله محمد المليتي التلمساني المعروف بابن مريم (كان حيا سنة 1025هـ/1616م)، يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في البحث، والذي ترجم فيه لحوالي 182 عالم سواء من أهل تلمسان أو ممن جاء إليها واستقر بها، فكانت الاستفادة منه كونه ترجم لبعض علماء الأسرة **المقّرية**، وفي ذلك كانت الإشارة للأسرة **المقّرية**، فقد ترجم لـ "**أبي عبد الله محمد المقّري**" فذكر شيوخه وتلاميذه ورحلاته العلمية ومؤلفاته، كما ترجم لـ "**أبي عثمان سعيد المقّري**" كونه أحد شيوخه الذين أخذ عنهم.

- كتاب "**درة الحجال في أسماء الرجال** " لابن القاضي (ت1025هـ/1616م) وقد ترجم فيه لرجال من الأعيان من القرن 7هـ/13م إلى أوائل القرن 11هـ/17م، ورغم قصر التراجم فيه إلا أنّ فائدته كبيرة لاسيما عند تعرضه لترجمة بعض أعلام الأسرة **المقّرية** "**أبو عبد الله محمد المقّري**" و"**أبو عثمان سعيد المقّري**" وهو أحد شيوخه، بالإضافة إلى ذلك استفدنا من كتابه "**جذوة الاقتباس فيمن حلّ من الأعلام بفاس**"، فبالإضافة إلى تناوله لترجمة أفراد الأسرة المقّرية، فقد أفادنا في ضبط تسمية مدينة مقّرة والمقّري، ناهيك عن تقديمه لنا معطيات مهمة أمكنتنا من الاستشهاد بها في مكانة الأسرة العلمية والاجتماعية.

- كتاب "**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**" لأبي العباس أحمد المعروف ببابا التنبكتي (ت1036هـ/1627م) وقد ضّم هذا الكتاب هو الآخر تراجم لعلماء وفقهاء المالكية في المغرب والأندلس والمشرق، وتكمن أهمية هذا المصدر في تعرضه لترجمة أحد أفراد الأسرة "**أبو عبد الله محمد المقّري**" وشيوخه من المشرق وحواضر المغرب الإسلامي، إضافة إلى تلامذته.

- كتاب "**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب** "لأبي العباس أحمد ابن محمد المقّري التلمساني (ت1041هـ/1631م) وهو عبارة عن موسوعة تراجم لأدباء وفقهاء المغرب والأندلس، وهو من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في البحث، حيث تكمن أهميته في كون مؤلفه هو أحد أفراد الأسرة، وبالتالي أمدّنا بمعلومات هامة حول أسرته تتعلق بإثبات نسبها وتسميتها، وكذلك أفادنا بنص مهم يتضمن معلومات هامة عن اشتغال أسرته بالتجارة، بالإضافة إلى الترجمة الوافية لجدّه "**أبي عبد الله محمد المقّري**"، كما لخص لنا رحلته العلمية فتعرض في ذلك لشيوخه من بلاد المشرق والمغرب، ناهيك عن المعلومات التي قدّمها لنا عن العم

"**أبي سعيد عثمان المقّري**" كونه أحد شيوخه، أين أفادنا بالعلوم التي نبغ فيها ودرّسها، وبالتالي يعتبر أهم مصدر بالنسبة للدراسة.

- **كتب الرحلات:**

- كتاب" **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**"وهو جزء من أجزاء الكتاب المعروف بـ"**المسالك والممالك**" لأبي عبيد بن عبد العزيز البكري (ت487هـ/1094م) وقد اعتمدنا عليه في وصف بعض المدن المغربية، لاسيما منها التي تتعلق بالأسرة **المقّرية**.

- كتاب "**فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**" لابن الحاج النميري (ت بعد774هـ/1372م): وهو عبارة عن رحلة قام بتدوينها لما شغل منصب كاتب سرّ للسلطان "**أبي عنان**" بأمر منه، وذلك عندما توجه في حركة لتأديب بعض القبائل العربية الخارجة عن طاعته، وقد دوّن فيها "**النميري**" كل ما يتعلق بتلك الرحلة، وعالج فيها بالإضافة إلى ما جاء فيها من أخبار سياسية مواضيع تاريخية وأدبية متعددة، وقد استفاد هذا البحث من هذه الرحلة في ذكره لتلمسان ووصفه لمدينة مقّرة، فأمدّنا بمعلومات تاريخية هامة عنها، خاصة خلال القرن (08هـ/14م) ولو أنّ إشارته هذه جاءت بنوع من الاختصار.

- "**رحلة ابن بطوطة**" المسماة "**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**" لمحمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن بطوطة (ت779هـ/1377م)، هذه الرحلة التي سجل فيها صاحبها مشاهداته أثناء رحلته الطويلة عبر عدد كبير من البلدان في المغرب والمشرق خلال القرن (08هـ/14م)، وقد أفادتنا رحلته في الإشارة إلى الأمور المتعلقة بالرحلة التجارية للشركة المقّرية عبر الصحراء وتنظيمها والأخطار التي يتعرض لها التجار وغيرها من الأمور.

- كتاب "**التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**" لعبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ/1406م) وهو عبارة عن سيرة ذاتية كتبها لنفسه وعرّف فيه بشيوخه، ومن ثمّ كانت الاستفادة منه، حيث ترجم لشيخه "**أبي عبد الله محمد المقّري**"، فكانت الاستفادة منه خاصة عند تعرضه لرحلة شيخه إلى بلاد المشرق والأندلس وفاس والوظائف التي تقلّدها هناك، فكان من أهم مصادر البحث، كون مادته صادرة عن عالم كان شاهدا على جملة من أحداث عصره، وهي وإن كانت لا تخلوا من الإيجاز في بعض الأحيان، فقد قدمت معلومات متنوعة عن دور شيخه في المجال السياسي خاصة وعلاقته بالسلطان المريني "**أبي عنان**".

- "**رحلة القلصادي**" لأبي الحسن القلصادي (ت891هـ/1486م): والمسماة بـ"**تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب**"، فقد كانت هذه الرحلة في طلب العلم من الأندلس إلى تلمسان فتونس، ثم بعض مدن المشرق الإسلامي، وعلى ما يمكن أن يلتمح من هذه الرحلة أنّه استقر بتلمسان وحدها أكثر من ثمان سنين ينهل من علومها على يد علمائها البارزين، وبذلك كانت استفادتنا منه في الباب الأول من الدراسة، حيث تكمن أهميته في كونه أهم مصدر صور لنّا الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن (09هـ/15م).

- "**رحلة المقّري إلى المغرب والمشرق**" لأبي العباس أحمد ابن محمد المقّري التلمساني (ت1041هـ/1631م)، وهو من المؤلفات الأخيرة لأبي العباس أحمد المقّري.

وزيادة على ذلك فقد اعتمدنا على بعض الكتب الجغرافية في تحديد بعض المواقع التي وردت في الدراسة أو وصف بعض المدن، ومنها كتاب "**معجم البلدان**" لياقوت الحموي(ت626هـ/1228م)، وكتاب "**الجغرافيا**" لابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م)، وكتاب "**وصف إفريقيا**" للحسن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي(ت957 هـ/1552م) وغيرها.

- **كتب النوازل**: تعتبر النوازل من الوثائق الهامة التي تساعد على كتابة تاريخ المغرب الإسلامي، فهي تزخر بإشارات هامة حول العديد من القضايا، على تنوع مظاهرها سواء ما ارتبط بالتشريع أو الأحكام أو ما اتصل بأغلب مظاهر الحياة اليومية من أعراف وانقياد وذهنية وانفاذ، ومن بين كتب النوازل التي اعتمدنا عليها نذكر:

- كتاب "**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والمغرب**" لأحمد بن يحي الونشريسي (ت914هـ/1509م): يتضمن هذا الكتاب مجموعة ضخمة من فتاوى واجتهادات الفقهاء طوال ثمانية قرون لمجال جغرافي أوسع، وهو كتاب أثبت فيه صاحبه أسماء المفتيين، ونصوص الأسئلة إلا في حالات قليلة، كما أنّه عرض نصوص النوازل كما هي دون تصرف في تحرير الألفاظ والمصطلحات العامية، وهذا ما جعل هذا الكتاب يكتسي أهمية بالغة في التأريخ الحضاري للمغرب الإسلامي، نظرا لتنوع قضاياه ومسائله، وموضوعات النوازل المطروحة فيه، وأجوبة العلماء والفقهاء من مختلف أقطار المغرب والأندلس التي أوردها صاحبه فيه، وقد شكّل هذا الكتاب أهم مصدر استفادت منه الدراسة في كل أطوارها، لاسيما وأنّه جمع لنا فتاوى

الجدّ الإمام "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في قضايا مختلفة، بالإضافة إلى بعض مباحثاته وأراءه العلمية.

- **كتب البرامج والمشيخات:**

وهي مصادر ذات قيمة علمية كبيرة إذ تكمن قيمتها في إعطائنا صورة واضحة عن نشاط التعليم للأساتذة و المشايخ وطرق التدريس وأهم الكتب المتداولة، وبناء على ذلك اعتمدنا على كتاب من هذا النوع وهو كتاب "**برنامج المجاري** "لأبي عبد الله المجاري الأندلسي (ت862هـ/1458م) وقد عرض فيه شيوخه حسب الحواضر الإسلامية وشيوخ شيوخه، ومنهم "**أبو عبد الله محمد المقّري**" من علماء الأسرة المقّرية، فأفادنا في معرفة العلوم والكتب التي كانت محور حلقات دروسه وإجازاته.

- **كتب التاريخ العام** :

- كتاب "**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**" لعلي ابن أبي زرع الفاسي(ت726هـ/1325م)، والذي تعرض فيه للصراع الزياني المريني، وقد تطرق في سياق ذلك إلى بعض الجوانب الحضارية لمدينة تلمسان.

- كتاب "**الإحاطة في أخبار غرناطة** "للسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ/1374م)، ويعدّ من أهم المؤلفات التي اعتمدنا عليها في الدراسة، فقد ترجم فيه لشيوخ وعلماء غرناطة وجميع الذين وفدوا عليها في مختلف مراحل تاريخها، وبما أن "**ابن الخطيب**" هو أحد تلاميذ "**أبي عبد الله محمد المقّري** " أحد أفراد الأسرة **المقّرية**، فقد أفرد له ترجمة واسعة، وأشار في ذلك لأسرته، وتكمن أهميته أيضا في الإشارة إلى الوظائف التي تقلّدها "**أبو عبد الله محمد المقّري**" كسفارته إلى غرناطة، وتدريسه بمدرستها الشهيرة، ناهيك عن توليه منصب القضاء، أين حضر بعض مجالسه للقضاء بفاس، وبالتالي يعد مصدرا أساسيا في التعريف بـ "**أبي عبد الله محمد المقّري**" وبعلاقته بالسلطة المرينية، من خلال تطرقه إلى العزل من الوظائف وإلى رسالة الشفاعة له التي بعثها سلطان بني الأحمر إلى "**أبي عنان المريني**" سنة (757هـ/1356م)، كما أنّه قيد عنه أثناء إقامته بغرناطة جزءا من محتوى رحلته "نظم اللآلي في سلوك الأمالي"، فضلا عن ذلك فقد استفدنا أيضا من كتابيه "**كناسة الدكان** " و"**اللمحة البدرية**".

-كتاب "**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**" ليحي ابن خلدون (ت780هـ/1379م) وهو في جزأين، فاعتمدنا على الجزء الأول منه والذي يعدّ من أهم المصادر التي رصدت لنا الحياة الثقافية للدولة الزيانية خلال القرن الثامن الهجري فاستفدنا منه في استقراء البيئة الفكرية التي نشأ فيها أفراد الأسرة المقّرية، ك "**أبي عبد الله محمد المقّري**" و"**أبي الحسن المقّري**"، وتحسن الإشارة هنا إلى أنّه المصدر الوحيد الذي أشار إلى هذا الأخير وترجم له، ومما زاد من أهميته أنّه كان معاصر له، لكن في المقابل ما يؤخذ عليه هو الاقتضاب الشديد في ترجمته له، وإغفاله لتاريخ وفاته، كما أننا استفدنا منه في انجاز تراجم للعديد من العلماء.

-كتاب"**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**"لعبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ/1406م)، الذي يعدّ من أمهات المصادر التي تناولت الأوضاع الساسية والعسكرية ومختلف الجوانب الحضارية للدول والمجتمعات والقبائل، فكانت الاستفادة من أجزائه خاصة الجزء السادس والسابع، وذلك في رصد الأوضاع السياسية التي ميزت تلمسان، بالإضافة إلى إشاراته إلى مدينة مقّرة، كون صاحبه خبير بمنطقة المغرب الإسلامي.

كما تعد "**المقدمة** " لكتاب العبر من المصادر الهامة لهذه الدراسة لكونها تضمنت الجانب الثقافي والعلمي في العالم الإسلامي عامة، إذ تعرض فيها "**ابن خلدون**" لمختلف العلوم ومناهجها العلوم وتطورها بالمنطقة، بالإضافة إلى إعطائه صورة عن الوظائف السياسية والخطط الدينية.

-كتاب "**تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** "لمؤلفه أبي عبد الله الزركشي (ت864هـ/1498م) وهو يحتوي على معلومات قيّمة عن دولة الموحدين والحفصين، وكانت استفادتنا من القسم الثاني الخاص بالدولة الحفصية الذي ضّم تطورها السياسي وعرّج من خلاله على علاقاتها مع الدول المجاورة كالدولة الزيانية والمرينية، فاعتمدنا عليه في انجاز الفصل الأول الخاص بالأوضاع العامة بتلمسان وأثرها على بيت المقّري.

- كتاب "**نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ/1494م)، وهذا الكتاب هو الباب السابع من القسم الأول من كتاب "**نظم الدر والعقيان**" وكانت الاستفادة منه في تتبع التطورات السياسية للدولة الزيانية وأيضا فيما يخص عناية سلاطينها بالعلم والعلماء.

ولا نستثني في هذا العرض بعض الكتب مثل "**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**" لمحمد بن محمد مخلوف المالكي الذي انتهى من تأليفه سنة (1350هـ/1930م) وقد ترجم فيه لحوالي 1849 عالم من علماء المالكية من جميع الأقاليم والبلدان الإسلامية، وكتاب "**معجم أعلام الجزائر** "لعادل نويهض، الذي ساهم في تسهيل عملية البحث إذ جاء بتراجم مختصرة مع ذكر مصادرها ومراجعها في الهامش، الأمر الذي كان له أهمية كبيرة، كما أفادنا في ذكره لشخصية جديدة للأسرة المقّرية أغفلتها المصادر التاريخية وهو "**شهاب الدين أحمد المقّري**"، وكتاب "**الأعلام** "للزركلي وكتاب "**معجم المؤلفين**" لرضا كحالة وغيرها.

- **الدراسات الحديثة:**

تكملة لما أوردته المصادر، فقد استعنّا بمجموعة من المراجع والدراسات الحديثة والتي ساهمت في كتابة الموضوع من زوايا مختلفة ومن أهمها كتاب "**أبو عبد الله محمد المقّري التلمساني** "للأستاذ عبد الهادي أبو الأجفان، وكتاب "**المقري وكتابه نفح الطيب**" لمحمد بن عبد الكريم، وكتاب "**أسر العلماء بتلمسان ومساهمتها في حضارة بني زيان**" لنصر الدين بن داود الذي تعرض فيه لأشهر الأسر العلمية بتلمسان منها الأسرة **المقّرية**، وكتاب "**أعلام الفكر والثقافة بالجزائر المحروسة**" ليحي بوعزيز الذي تناول فيه تاريخ أشهر العلماء الذين أنجبهم المغرب الأوسط، وقد ترجم فيه لثلاثة أعلام من الأسرة المقّرية، وكتابات الأستاذ عبد الحميد حاجيات منها: "**التاريخ السياسي لدولة بني زيان**"وهو جزء من كتاب "**الجزائر في التاريخ في العهد الإسلامي**" وكتاب "**أبي حمو موسى الزياني حياته وأثاره**" وكتاب "**تلمسان في العهد الزياني**" لعبد العزيز فيلالي وكتاب"**الغرب الإسلامي خلال القرنين (7–8هـ)** "لأحمد عزاوي، وكتاب "**فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية**" لصابرة خطيف، وكتاب "**مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط**" لمحمد القبلي"، وكتاب "**العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13–16م)** للطيفة بشاري وغيرها من المراجع ذات الأهمية.

كما اعتمدت على بعض الرسائل الجامعية ذات الصلة بالموضوع، والتي تم الاستفادة منها على مستوى البحث في مختلف الأدوار التي قام بها علماء الأسرة **المقّرية**، كما أنّها زودتنا ببعض آليات الخاصة بالبحث في هذا المجال على مستوى المنهج والرؤية، ونذكر منها أطروحة "نصر

الدين بن داود" "**بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م**"، وأطروحة رفيق خليفي "**البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن9هـ**)، وأطروحة أمحمد بوشريط "**ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي (300هـ – 460هـ/919هـ–1067م)**، وأطروحة سليمان ولد خسال "**جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633هـ/922م**"، ورسالة ماجستير لنبيل شريخي "**دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14و15م)**"، ورسالة سعاد رباح "**منهج الإمام المقّري في الفتوى من خلال المعيار المعرب للونشريسي**"، ومذكرة ماجستير لبكوش فافة " **أبو عبد الله محمد المقّري(ت759هـ) ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي**"، إضافة إلى بعض المقالات، وغيرها من المصادر والمراجع على اختلاف درجة استغلالها، وعلى كلّ هي مثبتة في فهرس ببلوغرافية هذا البحث.

ولا أنفي وجود بعض الصعوبات التي تواجه أي باحث في كتابة تاريخ المغرب الإسلامي، والتي أثرت بشكل واضح على مسار الدراسة، منها عدم توفر المادة العلمية المتخصصة بشكل كبير، مما صعبّ علينا الإلمام بتراجم كل أفراد الأسرة وأسمائهم وفترات حياتهم ونشاطهم، بالإضافة إلى أنّ ما توفر لدينا حول بعض أفراد الأسرة كان عبارة عن تراجم قصيرة مما صعّب علينا تقصّي أخبارهم، مثلا الجدّ الأول للأسرة "**عبد الرحمن المقّري**" كلّ ما جاء عنه أنّه كان "**رجل صلاح وعبادة، من مريدي الشيخ الصوفي أبي مدين**"، كما صعّب علينا ذلك الوصول إلى كثير من أثار علماء **الأسرة المقّرية**.

فضلا عن ذلك أهملت المصادر التاريخية الجانب الوظيفي لهم ومنهجهم في العمل خاصة بالنسبة لـ "**أبي سعيد عثمان المقّري**"، فبالرغم من أنّ "**ابن مريم**" صاحب "**البستان**" كان أحد تلامذته إلاّ أنّه لم يعطينا معلومات وافية عن شيخه، فقد كان بإمكانه مدّنا بكل ما يتعلق بتفاصيل حياته، لاسيما منها العلمية والوظيفية، والأمر نفسه بالنسبة لـ "**أحمد ابن القاضي**" الذي كان تلميذا لـ "**أبي سعيد عثمان المقّري**"، إلا أنّ ترجمته له جاءت جدّ مقتضبة، لولا إشارة "**أبو العباس أحمد المقّري**" لما جاء من مدح وثناء في عمّه "**سعيد المقّري**" عن "**ابن القاضي**"، وذلك من خلال بعض الأبيات الشعرية التي جاءت في ثنايا كتبه: "**أزهار الرياض**" و"**روضة الآس**" و"**نفح الطيب**".

ناهيك على أنّ جلّ المصادر التي بين أيدينا قد أهملت شخصية "**أبو الحسن على المقّري**"، باستثناء ما جاء في "**بغية الرواد**" لـ "**يحي ابن خلدون**" الذي ترجم له، وبالرغم من أنّ هذه الترجمة جاءت مقتضبة جدً، إلاّ أنّها دلّت على مكانته العلمية ومكانة أسرته.

وفي الأخير واعترافا لأهل الفضل بفضلهم، لا يفوتني أن أوّجه خالص شكري وصادق امتناني إلى أستاذي المشرف الدكتور **بن داود نصر الدين** الذي وافق على هذا الموضوع وعلى الإشراف عليه، وعلى ملاحظاته القيمة وإرشاداته السديدة وتوجيهاته التي أفادني بها، فكان له أعمق الأثر وأطيبه في إعداد هذا العمل، فله مني كل الشُّكر وخالص عبارات الثناء والامتنان والاحترام، ونسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء، كما أتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة التي شرفتني بمناقشتها لهذا البحث.

سعيدة يوم: الاثنين 10 صفر 1439هـ/ 30 أكتوبر 2017م

والله ولّي التوفيق.

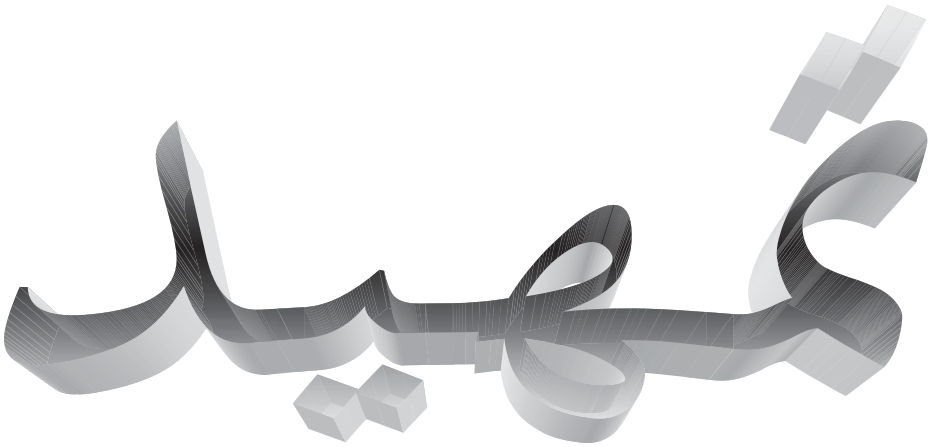

المفاهيم الأساسية للدراسة

أولا: معالم تلمسان الطبيعية وأهميتها الجغرافية .

ثانيا:البيوتات والأسر العلمية :المصطلح والدلالة .

لاشك أنّ لمدينة تلمسان تاريخ حافل بالأحداث السياسية والعسكرية والثقافية، يشكل في مجمله رصيدا حضاريا لا ينضب، فقد اضطلعت بدور مهم في بلاد المغرب عموما منذ الفتح الإسلامي للمنطقة، إذ كانت بالنسبة للمغرب الأوسط في تلك الفترة المبكرة من الإسلام كالقيروان بالنسبة لإفريقية، ومما لاشك فيه أنّ هذا راجع إلى الموقع الجغرافي الهام الذي تتميز به.

وعلى اعتبار أنّها جزء لا يتجزأ من المغرب الإسلامي، وقاعدة المغرب الأوسط لأكثر من ثلاثة قرون، فإن تحديد معالمها الطبيعية وأهميتها الجغرافية يعد من أشدّ الضروريات وأكثرها لزوما خلال الفترة الوسيطة، ذلك أنّ دراسة البيئة الجغرافية لأي قطر من الأقطار ضرورية لفهم تاريخيه من جهة، ولأنها تؤثر تأثيرا عظيما على تطوره الحضاري، ولهذا كله ارتأينا أن نتطرق في دراستنا هذه إلى معالم تلمسان الجغرافية الطبيعية وذلك من خلال تحديد موقع تلمسان وتبين أهميته الجغرافية من خلال الجغرافيين والمؤرخين المسلمين، ثم أثر ذلك على تطورها التاريخي خلال العصر الوسيط، وهذا باعتبارها المجال الجغرافي للدراسة.

أولا: معالم تلمسان الطبيعية وأهميتها الجغرافية:

1. الموقع الجغرافي لتلمسان:

تقع تلمسان في الشمال الغربي من المغرب الأوسط، تحت سفوح الجبال، في مكان مائل نحو الغرب، حيث حدّد الجغرافيون والمؤرخون المسلمون موقع المدينة فلكيا في الإقليم الرابع من الأقاليم الفلكية السبع وهو أكثر الأقاليم اعتدالا في المناخ وأكثرها وفرة في المياه والنبات والحيوان[1]، فهي تقع على خط طول 30, 01° غرب خط غرينتش، وخط عرض 34,53° شمال خط الاستواء[2].

---

[1] أبو عبد الله الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1422هـ/ 2002م، ص534، عبد الرحمن ابن خلدون، **المقدمة**، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2005، ص53، يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج1، تح عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 2007، ص84.

[2] نصر الدين بن داود، **أسر العلماء بتلمسان ومساهمتها في حضارة بني زيان**، النشر الجديد الجامعي، تلمسان، 2016م، ص27، خالد بلعربي، **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55هـ-633هـ/675م-1235م)**، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، قسنطينة، 2011م، ص24، نصر الدين بن داود، **بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2009 2010م، ص2.

أما جغرافيا فكان يحد مملكة تلمسان في عهد بني زيان من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب المفاوز الفاصلة بين المغرب وبلاد السودان[1]، ومن الغرب يفصلها عن مملكة فاس واد "زا" ونهر ملوية[2] الذي ينحدر قرب مدينة "**أون**"[3]، ومن الشرق يفصلها عن بلاد افريقية الوادي الكبير أو ما يعرف اليوم بواد الصومام[4]، وتجدر الإشارة هنا أنّ هذين الحدين لم يكونا ثابتين، إذ كانا بين مد وجزر حسب ما تمليه الظروف السياسية[5].

تمتد مملكة تلمسان على مسافة تقدر بـ 580 ميل أي بنحو 928 كلم من الشرق إلى الغرب، لكنها تضيق من الشمال إلى الجنوب إذ لا تتعدى 25 ميل أي نحو 40 كلم في بعض النقط من البحر الأبيض المتوسط إلى تخوم الصحراء[6]، وهي ترتفع عن سطح البحر حوالي 830م[7]، أين تشرف من الناحية الشمالية على سهول خصبة تعرف بسهول "**الحناية**" التي تمتد حتى واد تافنة وتتصل بسهول لالة مغنية[8]، وتحيط بها الجبال من الغرب والجنوب، هذه الأخيرة التي

---

[1] أبو العباس القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج5، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، (ب ت)، ص149، حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تح محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص7، لخضر عبدلي، **التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 2007، ص48.

[2] ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح عادل بن سعد، ج7، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت- لبنان، 2016، ص202 ، القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص149، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص7، مرمول كربخال، **إفريقيا**، ج2، تر محمد حجي وآخرون، دار المعارف، الرباط، المغرب، 1988- 1989، ص291، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص48.

[3] مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص291، أبو العباس الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح جعفر الناصري، ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدّار البيضاء، 1997، ص76.

[4] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص7، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص48.

[5] حول الظروف السياسية لتلمسان، **ينظر**: الفصل الأول من الباب الأول من الدراسة، ص25.

[6] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص8- 9، مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص ص291 . 292، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص49.

[7] لخضر عبدلي، المرجع نفسه، ص48، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص25، محمد بلغراد، **تلمسان**، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع 26، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1975، ص297، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص2.

[8] عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص87، محمد بلغراد، المرجع السابق، ص297، نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص10.

- Dhina(A), **Le royaume Abdel ouadide a l'époque d'Abou Hamou Moussa 1ér et d'Abou Tachfin 1ér**, o.p.u, Alger, 1985, p 31.

تعد بمثابة خزان طبيعي تتوزع منها المياه بواسطة ينابيعها وأوديتها التي تمتد على بضعة أميال من المدينة، كما أنّها تزيد من قوة مناعتها، فهي تعتبر بمثابة حصون طبيعية قوية تحميها من الغزاة[1].

2.أهمية موقع تلمسان من خلال الكتابات الجغرافية والتاريخية:

بيّن الرحالة والجغرافيون والمؤرخون أهمية موقع تلمسان وأثره على تطورها التاريخي، فهي عند "**اليعقوبي**"(ت278هـ/891م) تلك: "**المدينة العظمى المشهورة بالمغرب** "[2]، وعند "**ابن حوقل**"(ت367هـ/977م) هي: "**مدينة أزلية، لها أنهار جارية...وزرعها سقي وغلاتها عظيمة ومزارعها كثيرة**"[3].

أما "**البكري**" (ت487هـ/1094م) الذي زار المدينة خلال القرن (05هـ/11م)، فقد فّصل في وصفه لتلمسان وموقعها ونشاطها التاريخي والثقافي والسياسي، حيث جاء عنه: "**هي مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز...فهي قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد وأشجار. ..وهي دار مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الآفاق**"[4].

---

[1] القلقشندي، المرجع السابق، ج5، ص151، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص88، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص25 خالد بلعربي، المرجع السابق، ص25، نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص10.

-Marcais(G), **Tlemcen ville d'art et histoire**, 2éme congrés de la foundation des sociétés savants de l'Afrique du nord, publié par soin de la société historique Algérienne,tom1, Alger, 1936, p 21- 22, p 32.

[2] أحمد بن واضح اليعقوبي، **البلدان** ، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص196.

[3] أبو القاسم ابن حوقل، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992، ص ص88-89.

[4] أبو عبيد الله البكري، **كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، نشر البارون دوس لان، المكتبة الأمريكية والشرقية، باريس، 1965، ص76، أبو عبيد الله البكري، **المسالك والممالك**، دراسة وتح زينب الهكاري، تق أحمد عزاوي، مطبعة RABAT NET MAROC, الرباط، 2012، ص172.

فقد جعل "**البكري**" من تلمسان قاعدة المغرب الأوسط كونها منشأ الإمارات الزناتية، كإمارة مغراوة[1]، وإمارة بني يفرن[2]، ممن كان لهم سلطة وسطوة على القبائل والمناطق المجاورة، كما يظهر من خلال قوله: "**هي دار مملكة زناتة، وموسطة قبائل البربر**" أنّ توظيفه لهذا المصطلح قائم على معيار قبلي، باعتبار زناتة[3] أكبر قبيلة بربرية في المغرب من حيث العدد وموقعها الجغرافي، إذ أنّها تتمركز وسط قبائل البربر الأخرى.

ويظهر من خلال وصف "**الإدريسي**" (ت 560هـ/1165م) لمدينة "تلمسان" بعد أن زارها خلال القرن(06هـ/ 12م)، والذي قال عنها: "**مدينة تلمسان قفل بلاد المغرب، وهي رصيف للداخل والخارج منها**"[4]، أنّها تمثل ما يطلق عليه الجغرافيون حلقة وصل بين أجزاء المغرب الإسلامي وبما وراءها من البلاد، فهي تربط بين إفريقية وما وراءها بالمغرب الأقصى وما وراءه، مما جعلها جسرا ومعبرا زاد من أهميتها، إذ مكنّها من التحكم بالممر البري بين الداخل والخارج، وكان من أثر ذلك كله أن أصبحت "تلمسان" من أهم مدن المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط.

بيد أنّ الجغرافي الأندلسي "**الزهري**" (ت556هـ/1160م) فقد جعل من "**تلمسان**" من أهم المدن الداخلية للمغرب الأقصى[5]، فلاشك أنّه في ذلك يعبر عن حالة المغرب السياسية السائدة خلال القرن (06هـ/12م) في ظل الحكم الموحدي الذي امتد من طرابلس حتى المحيط[1].

---

[1] **مغراوة**: يمتد موطنها من تلمسان غربا إلى شلف شرقا، ظهرت منها امارة بني خزر ثم امارة زيري بن عطية وأولاده في القرن 4هـ/10م، ظلت تتميز بالطابع البدوي وقلة النفوذ والقوة مما جعلها تتعرض لضربات بني عبد الواد من حين لآخر، وعلى الرغم من ضعفها وقلة عددها إلا أنّها ظلت تناصب العداء لبني عبد الواد كلّما أتاحت الفرصة لذلك، **ينظر**: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ص90.

[2] **بني يفرن**: تعني في لغة البربر "القار"، وهم من الطبقة الأولى من قبيلة زناتة، إخوة مغراوة، كانت مواطنهم في عهد بني عبد الواد بنواحي تلمسان وتيهرت، تذبذبوا في موقفهم مع بني زيان بين مؤيدين لهم ومعارضين حسب حالة الضعف والقوة، عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص13.

[3] **زناتة**: قبيلة مغربية تتكون من عدة بطون يذكرها "ابن خلدون" بشعوب زناتة، تتواجد أكثر بطونها بالمغرب الأوسط حتى سمي باسمهم "وطن زناتة"، مواطنها من واد ملوية غربا إلى واد شلف والزاب شرقا، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى تيهرت جنوبا، قسمها "ابن خلدون" إلى طبقتين: الطبقة الأولى تتكون من جراوة، بني يفرن، مغراوة، بني ومانو وبني يلومي، أما الطبقة الثانية فتتكون من بنو عبد الواد وبني مرين وبني توجين، **ينظر**: عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ج7، ص3-7، الاصطخري، **المسالك والممالك**، تح محمد جابر عبد العالي ومحمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، 1961، ص36.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ص250.

[5] أبو عبد الله الزهري، **كتاب الجغرافية**، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، (ب ت)، ص ص107، 112.

أما "**صاحب الاستبصار**" من القرن (06هـ/12م)، الذي يظهر أنّه اعتمد كثيرا على وصف "**البكري**" مع بعض الإضافات الخفيفة، فقد جعل من تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، حيث قال: "**مدينة تلمسان مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة أزلية تنبئ أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة وهي في سفح الجبل أكثر شجره الجوز**"[2].

وجاء عن "**ابن سعيد المغربي**" (ت673هـ/1286م)، أنّ تلمسان تقع في الجزء الأول مع مراكش وفاس والمغرب، وذكر أنّ الأندلسيون شبّهوها بمدن الأندلس لمياهها وبساتينها وكثرة صنائعها[3].

ومن الأوصاف التي تبرز أهمية موقع "تلمسان" ما جاء عن "**أبي الفداء**"(ت 732هـ/1331م) من مؤرخي وجغرافي المشرق الإسلامي، في قوله: "**مدينة مشهورة مسورة في سفح جبل...ماؤها مجلوب من غير على ستة أميال منها، وفي خارجها أنهار وأشجار، ويستدير النهر بقبليها وشرقيها، وتدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب في البحر، وبقعتها شريفة كثيرة المرافق، وهي قاعدة مملكة ولها حصون كثيرة وفرض عديدة أشهرها هنين يقابل ألمرية من الأندلس**"[4]، فهي فإلى جانب ما تحتوي عليه من مصادر المياه والأراضي الخصبة، تتوفر على طرق حيوية نحو موانئ هنين[5] الذي يقابل موانئ الأندلس، الأمر الذي زاد من أهميتها وجعلها تفتح أبوابها لتجارة أوربا.

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1927م، ص183، سمية مزدور، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588 – 927هـ/1192 – 1520م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسم التاريخ والآثار، قسنطينة، 2008-2009م، ص26.

[2] مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق عبد الحميد سعد زغلول، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص135.

[3] ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تح إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1982، ص140.

[4] إسماعيل أبو الفدا، **تقويم البلدان**، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840، ص136.

[5] **هنين**: مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة، لا يفصل بينها وبين تلمسان إلا أربعة عشر ميلا أي حوالي 16 كلم، تطل على البحر الأبيض المتوسط غرب مدينة وهران، شكلت ميناء هام للدولة الزيانية، حيث كانت تأتي لهذا الميناء سنويا سفن تجارية من البندقية واسبانيا وفرنسا، تحقق أرباحا كثيرة مع تجار تلمسان، أما حاليا فلم يبق منه إلا بعض الأطلال وبنيت مكانه مدينة صغيرة تحمل اسم هنين أيضا، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص15.

أما "**الحميري**" خلال (القرن 08هـ/ 14م)، فقد تناول هو الآخر موقعها وخاصيتها الجغرافية بين مختلف المسالك والدروب، وتابع تطورها التاريخي منذ عهد الأدارسة إلى عهد بني زيان، كما أكّدّ على أهميتها وقِدمها فقال: "**تلمسان قاعدة المغرب الأوسط.... مدينة عظيمة قديمة...كانت دار مملكة زناتة وغيرهم من البربر وهي كثيرة الخصب والرخاء**"[1].

هذا، وقد بسط الحديث عن مملكة تلمسان "**الحسن الوزان**"(ت بعد 957هـ/1550م) خلال القرن (10هـ/16م)، فتناول حدودها وامتدادها نحو الساحل والمدن المجاورة لها، وخصائص موقعها، كما عرض تطورها العمراني، والأحداث التاريخية التي عرفتها كمملكة مستقلة تحت سلطة بني عبد الواد[2].

يتضح جليا من خلال وصف الجغرافيين والمؤرخين لتلمسان، أنّ الموقع الجغرافي الذي تتميز به المدينة قد زاد من أهميتها، فتوفرها على السهول الخصبة في الشمال، وما تحتويه من مسطحات مائية مختلفة، من أودية وينابيع تنحدر من الجبال المحيطة بها، لاسيما من السلسلة الجنوبية التي تعتبر خزانا طبيعيا للمياه من جهة، وحصنا طبيعيا قويا ضد الغزاة من جهة أخرى، قد جعل هذا كله من أرضها بساتين خضراء وحقول تتوفر على فواكه وخضر ومحاصيل زراعية متنوعة، ولعل هذا ما جعل "**ابن خلدون**" يصفها بقوله: "**مدينة عريقة في التمدن، لدنة الهواء، عذبة الماء، كريمة المنبت، اقتعدت بسفح جبل ورنيد عروسا فوق منحة، والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين، تطل على فحص للفلح**"[3].

كما يظهر مما سبق أنّها كانت تتمتع بموقع استراتيجي هام في الفترة الوسيطة، فهي تقع عند ملتقى الطريقين التجاريين الهامين ببلاد المغرب، الأول الذي يربط بين الشرق والغرب فيمر بواد شلف إلى تلمسان ومنها إلى فاس، والثاني يربط بين الشمال والجنوب، إذ يمر عبر الصحراء إلى بلاد السودان، ليس هذا فحسب، بل كانت لها أيضا طرقا حيوية تربطها بالساحل، أين كانت موانئها قريبة من موانئ الأندلس، مما جعلها تفتح أبوابها لتجارة أوربا من جهة وتجارة المغرب والمشرق من جهة ثانية، الأمر الذي أدى بدوره إلى انتعاش التجارة بها وازدهار اقتصادها.

---

[1] عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص135.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص07- 25.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص85- 86.

3.أثر موقعها الجغرافي على تطورها التاريخي:

يذهب أغلب المؤرخين إلى القول أنّ مدينة تلمسان قديمة النشأة، حيث عرفت الاستقرار البشري منذ ألاف السنين[1]، حسب ما أوضحته النصوص التاريخية والأبحاث الأثرية التي أجريت عليها من قبل بعض الباحثين لاسيما الغربيين[2]، وبناء على ذلك فإنها عرفت بعدة أسماء التي يبدوا أنّها ارتبطت في غالب الأحيان بالموقع الجغرافي للمدينة، منها اسم أجادير وبوماريا وتاجرارت وتلمسان.

وما تجدر الإشارة إليه أنّه لا يوجد ما يؤكد أي هذه الأسماء أكثر قدما، إلاّ أنّه تشير بعض النصوص التاريخية إلى قدم نشأة وأزلية اسم "**أجادير**"[3]، بحيث تعود حسبهم إلى عهد النبي "**موسى عليه السلام**"[4]، أي الألف الثانية قبل الميلاد، بيد أنّ "**عبد الرحمن ابن خلدون**" استبعد الأمر، بناء على أنّ "**موسى عليه السلام**" لم يفارق المشرق ولم يصل إلى المنطقة[5]، ويؤكد أنّ تأسيسها كان على يد "بني يفرن" سكان المنطقة بحيث يقول وهو يتحدث عن أجادير: "**اختطّها بنو يفرن بما كانت في مواطنهم...ولم نقف لها على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق بأنّ أبا المهاجر الذي ولي إفريقية بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثانية توغل في ديار المغرب، ووصل إلى تلمسان، وبه سميت عيون المهاجر قريبا منها**"[6]، وتعني "**أجادير**" حسب اللهجة المحلية الحصن أو الصخرة المنيعة وهي مشتقة من أغادير، أي جدار المدينة

---

[1] أثبت الدراسات الأثرية أنّ منطقة تلمسان عمّرها الإنسان المعتدل المعروف باسم الأطلس في فترة تعود إلى ستمائة ألف سنة بالضبط بموقعي أوزيدان وبحيرة قرار، كما عرفت حضارة حجرية تمثلت في فؤوس يدوية بدائية وفؤوس صغيرة، نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص02.

[2] Barges(L.I), **Tlemcen ancienne capital de royaume de ce nom** sa topographie, son histoire, Ernest Laroux, paris, 1859, p7.
-Marcais (G), op.cit, p844.

[3] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، دار صادر للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1995، ص44، مجهول، الاستبصار، ص176، ابن خلدون، العبر، ج7، ص79، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص91.

[4] يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص91، أحمد المقّري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تح إحسان عباس، ج3، دار صادر، بيروت، 1968، ص47، زكرياء القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، 1969، نقلا عن إسماعيل العربي، **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص136، وفوزي مصمودي، **تلمسان بعيون عربية**، ط1، دار سبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص31.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص79.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص79.

الحصن[1]، وتعني عند البعض الآخر الجرف أو الهضبة[2]، وتعني أيضا المخزن أو الحصن الذي تخزن به الحبوب تحسبا لأيام الشدة والحرب[3]، كما تعني بالعربية "**جدار قديم**"، فهي مدينة محصنة ذات جدار قديم[4].

أما مدينة «**بوماريا**» فهو الاسم الذي أطلقه الرومان على مدينة تلمسان وهذا لكثرة الحدائق ووجود المياه، فهي تعني "البساتين والحدائق"[5]، حيث أقام الرومان "**بوماريا**" لتكون حصنا ومركزا لهم لحماية قوافلهم التجارية وتأمين السكن للحماية العسكرية[6]، ولّما كان الاستعمار الروماني مبني على سياسة الاستيطان والفلاحة، فقد تطورت "**بوماريا**" في ظل السلطة العسكرية الرومانية إلى مدينة وذلك بنمو عمرانها وازدياد عدد سكانها[7]، لكن من الواضح أنّه تم تخريب عمران المدينة من طرف الوندال الذين دخلوها خلال القرن الخامس الميلادي، مما أضعف من نشاطها ودورها الذي اضطلعت به في العهد الروماني.

أما فيما يخص اسم "**تلمسان**" بكسرتين فسكون، وهو الاسم الأكثر ذكرا في المصادر التاريخية والجغرافية، فقد جاء في كتاب "**البلدان**" "**لليعقوبي**"(ت278هـ/891م): "**المدينة المشهورة بالغرب التي يقال لها تلمسان وعليها سور حجارة ... وبها خلق عظيم وقصور ومنزل مشيدة**"[8]، فاسم "**تلمسان**" هو اسم زناتي مركب من كلمتين "تلم" أي "تجمع" و"سان" بمعنى "اثنان"، وهذا حسب ما جاء عن" **عبد الرحمن ابن خلدون**" و"**يحي ابن خلدون**"، فهي عند

---

[1] نصر الدين بن داود، أسر العلماء، ص28، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص3.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص93، خالد بلعربي، تلمسان من الفتح الإسلامي، ص35.

[3] لطيفة بشاري، **العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16م)**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م، ص27، لطيفة بشاري، **التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987، ص17.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص92، محمد الطمار، **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص12، نصر الدين بن داود، أسر العلماء، ص28.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص89، محمد بلغراد، المرجع السابق، ص299، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص4.

[6] خالد بلعربي، المرجع السابق، ص37.

[7] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص90، محمد الطمار، المرجع السابق، ص15.

[8] اليعقوبي، المصدر السابق، ص196.

هذا الأخير تعني أنّها تجمع بين التل والصحراء بناء على تفسير شيخه "**أبي عبد الله الآبلي**"[1] الذي كان متضلعا في لغة زناتة وحافظا للسانهم[2]، بينما يرى "**عبد الرحمن ابن خلدون**" أنّها تجمع بين البر والبحر[3]، وهناك من ينطقها بالنون عوض اللام أي "**تنمسان**"[4] كما جاء عن "**ابن حوقل**" في كتابه "**صورة الأرض**" قوله:" **ومنها تنمسان مرحلة لطيفة وهي مدينة أزلية**"[5]، في حين يذكر "**أبو العباس أحمد المقّري**" أنها تنطق "تلمشان"، وهي مركبة من "تلم" ومعناه "لها" و"شان" أي لها "شأن"[6].

وجاءت كلمة "**تلمسان**" بصيغة " **تلمسين**" عند "**ابن خرداذبة**" (ت300هـ/913م) في كتابه "**المسالك والممالك**"، حيث يقول: "**وفي بدن ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رحمة الله عليهم، تلمسين، ومن تاهرت إليها خمسة وعشرين يوما**"[7]، بحيث يذهب بعض المؤرخين أن كلمة "**تِلْمَسْت**" وجمعها "**تِلْمَسِين**"، وكلمة "**تَلْمَسْت**" وجمعها "**تِلْمِسان**"[8]، ومعناهما واحد ويعني الأرض التي يكثر بها الماء[9].

من الواضح أنّ اسم "**أكادير**" و"**تلمسان**" البربرين واسم "**بوماريا**" الروماني، هي أسماء ارتبطت بالموقع الجغرافي الذي تتميز به المدينة بين السهول والبحر في الشمال والصحراء في الجنوب، والهضاب والجبال في الشرق والغرب، وتوفرها على الأنهار وعيون الماء، فمن دون شك هي أسماء متقاربة من حيث المعنى، "**فبوماريا**" كما سبق الإشارة تعني البساتين والحدائق، و"**أغادير**" تعني الينابيع، و"**تلمسان**" تعني التل والبحر أو التل والصحراء، والمكان الذي يكثر فيه

---

[1] **الآبلي**: هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، إمام جامع لمختلف الفنون المعقولة والمنقولة، ينظر: ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأول، ص126.

[2] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص85.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص79.

[4] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص44.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

[6] المقّري، نفح الطيب، ج3، ص 34، ج9، ص 24.

[7] عبد الله ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، مطبعة بريل، ليدن، 1889، ص88، اسماعيل العربي، المدن المغربية، ص134.

[8] عبد الرحمن ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وأخبارها**، تح محمد الحجيري، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996، ص345، عبد الرحمن ابن الحكم، **فتوح افريقية والأندلس**، تح وتق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص95.

[9] ابن الحكم، فتوح مصر وأخبارها، المرجع السابق، ص345، محمد الطمار، المرجع السابق، ص13، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص39، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص9.

الماء، ومهما يكن من أمر فقد احتفظت المدينة باسم "**تلمسان**" إلى يومنا هذا، في حين اختفى اسم "**بوماريا**"، وبقي اسم "**أغادير**" لإحدى أحياء مدينة "**تلمسان**".

انطلاقا من مختلف الإشارات الجغرافية التي سبق الإشارة إليها، يظهر بما لا يدعو للشك أنّ لموقع تلمسان أثر في توجيه تاريخها خلال العصر الوسيط، حيث شاركت في مختلف الأحداث السياسية والتاريخية والحضارية للمنطقة في الفترة، فقد ظهرت شخصية تلمسان بصورة واضحة بعد أن دخلت دائرة الإسلام مع" **أبي المهاجر دينار**"(55هـ – 62هـ) في حدود سنة (59هـ/679م)، خلال حملته العسكرية على المغربين الأوسط والأقصى[1]، ثم مع "**عقبة بن نافع**"[2] (62هـ–64هـ) التي توجه منها –بهدف استكمال الفتح الإسلامي– إلى المغرب الأقصى والوصول إلى مشارف المحيط[3] وأصبحت تحتل مكانة هامة في عهد "**موسى بن نصير**"[4] الذي جعل منها مركزا لولاية المغرب الأوسط[5]، واتخذ منها "**طارق بن زياد**"[6] مقرا ثانيا له، فصارت عاصمة للإقليم الغربي لبلاد المغرب الإسلامي[7].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص79، عبد العزيز لعرج، **تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية**، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3- 4)، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، أفريل – ماي 2011، ص 23.

[2] **عقبة بن نافع**: ابن قيس بن عامر بن أمية بن الحارث بن فهد، ولد قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلّم بسنة، دخل المغرب فاتحا لعدد من مدنه، وكانت له خلافات شديدة مع زعيم البربر كسيلة، هذا الأخير الذي فتك به وبمن معه بقرب مدينة تهوذة، **ينظر**: أبو العرب محمد القيرواني، **طبقات علماء افريقية وتونس**، تح وتق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، الجزائر، 1985م، ص80.

[3] موسى لقبال، **الجزائر في التاريخ**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص21 –23، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص59.

[4] **موسى بن نصير**: بن عبد الرحمن بن زيد اللخمي، أصله من واد القرى بالحجاز، نشأ في دمشق، نفح الطيب، ج1، ص230، الناصري، المرجع السابق، ج1، ص95.

[5] شمس الدين أحمد ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج5، تح احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (ب ت)، ص141، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 64- 65.

[6] **طارق بن زياد**: ولد سنة 50هـ/670م، بربري من قبيلة نفزة، ولي على طنجة سنة 89هـ/708م بعد فتحها من قبل موسى بن نصير، تولى قيادة جيش هذا الأخير سنة 92هـ/711م ففتح الأندلس وعددا من مدنه، خير الدين الزركلي، **قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء عند العرب والمتعربين والمستشرقين**، ج3، دار الملايين، ط5، بيروت، 1970، ص313.

[7] خالد بلعربي، المرجع السابق، ص61، عبد العزيز فيلالي، **تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية**، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3–4)، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، أفريل – ماي 2011، ص8.

ثم ظهرت أهمية تلمسان بصورة أوضح خلال القرن الثاني الهجري/الثامن ميلادي، حين ظهرت ثورات الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي[1]، أين أصبحت مدينة "تلمسان" مقرا أساسيا للخوارج الصفرية في المغرب الأوسط، فغدت عاصمة لإمارة مستقلة عن الدولة الأموية بقيادة "**أبي قرة المغيلي التلمساني اليفرني**"[2] سنة (148هـ/765م)[3]، ثم عن الدولة العباسية في بغداد بقيادة "**محمد بن خزر المغراوي الزناتي**" سنة (170هـ/786م)[4].

ونظرا لأهمية تلمسان الاقتصادية والاستراتيجية باعتبارها محطة على طريق الصحراء وخاصة سجلماسة، فكانت محل أنظار الأدارسة الذين تمكنوا من إخضاعها لنفوذهم بداية من سنة (174هـ/789م)[5]، فأخذت تلمسان منذ هذا التاريخ تتحول إلى مركز حضاري إسلامي مستقر.

شكلت تلمسان أحد المدن الهامة بالمغرب الأوسط، باعتبارها معبرا أساسيا إلى المغرب الأقصى[6]، ولقوة تأثيرها على القبائل المحيطة، الأمر الذي جعل منها أحد المراكز المستهدفة في الصراع الذي كان بين الفاطمين في إفريقية وبين الأمويين في الأندلس[7]، واستمر الصراع من أجل السيطرة عليها بين زيري إفريقية مع بني عمومتهم الحمادين ضد المرابطين، وتبادلت الدولتان

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص71، محمود اسماعيل، **الخوارج في المغرب الإسلامي**، دار العودة – مكتبة مدبولي، بيروت – القاهرة، 1976، ص ص47 – 48.

[2] **أبو قرة اليفرني**: هو زعيم الصفرية ورئيس مغيلة وبني يفرن بالمغرب الأوسط، بايعه الصفرية بالخلافة في نواحي تلمسان سنة (148هـ/765م)، **ينظر**: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص 225- 226، بن عميرة لطيفة، المرجع السابق، ص22.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص14، ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص21، الناصري، الاستقصاء، ج1، ص185، محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص59، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص19، عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص95.

[4] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص169، لسان الدين ابن الخطيب، **أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تح مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، ق 3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص153، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص **ص**19 – 20.

[5] لخضر عبدلي، المرجع نفسه، ص20، خالد بلعربي، تلمسان من الفتح، ص82.

[6] عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص23.

[7] خالد بلعربي، تلمسان من الفتح حتى قيام الدولة الزيانية، ص100 – 102، ص105، ص113، ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ج3، ص62 – 68، عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص23.

النصر والهزيمة حتى تمكن "**يوسف بن تاشفين**" من ضمها إلى حكمه سنة (473هـ/1079م)[1]، فمن دون شك يعود اهتمام المرابطين بتلمسان ورغبتهم في السيطرة عليها إلى كونها حاجز فاصل بين المغرب الأقصى ومملكة بني حماد، وباعتبارها مركزا لغرب المغرب الأوسط، ووقوعها على الطرق التجارية، ثم رغبتهم في تسخير موارد إقليمها الخصب والاستفادة من خيراته لصالحهم[2].

وما تجدر الإشارة إليه أنّ تلمسان في ظل الحكم المرابطي اكتست أهمية بالغة، حيث استفادت من خدمات المرابطين، بتشيد مدينة جديدة محاذية لمدينة "أكادير" أطلقوا عليها اسم "**تاجرارت**"، وجعلوا منها أحد مراكز ولايتهم، كما أقاموا بها المؤسسات الإدارية وشيدوا بها المسجد الأعظم، فكان لهذا التأسيس نقلة نوعية لترقية مدينة تلمسان إلى مصاف الحواضر الإسلامية، إذ غدت مركز إشعاع علمي وثقافي يستقطب العلماء وطلاب العلم من كل حدب وصوب.

ولاشك أنّ موقع تلمسان وحيويتها دفع بالموحدين للسيطرة عليها، بهدف الحفاظ على سلطة الدولة الموحدية[3] في المنطقة لاستكمال فتح أقطار المغرب الإسلامي كله، إذ تمكنوا من الاستيلاء عليها بقيادة "**عبد المؤمن بن علي**"[4] سنة(538هـ/1144م)، فأولوها أهمية كبيرة، وحصنوها تحصينات شديدة وأعادوا تعميرها، وأقاموا بها الصروح والقصور[5]، فهيأ لها ذلك المناخ

---

[1] ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج1، نشر كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1963، ص253، ابن خلدون، العبر، ج6، ص200، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص114، محمد الطمار، المرجع السابق، ص42، 45 – 46.

[2] محمد الطمار، المرجع نفسه، ص42، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص138– 139.

[3] **الدولة الموحدية**: هي أول دولة استطاعت أن توحد بلاد المغرب والأندلس وأن تجمع بين السلطة السياسية والزعامة الروحية نشأت سنة (524هـ/1229م)، اتخذت من مراكش عاصمة لها، قاومت النصارى وتصدت لزحفهم المتكرر في الأندلس، كما واجهت النزاعات الداخلية إلى إن سقطت نهائياً على يد بني مرين سنة (668هـ/1269م) **ينظر**: ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص183، عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2006، ص136، الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح وتع محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص7، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ج4، 1963، ص231.

[4] **عبد المؤمن بن علي**: ولد بتاجرا وهي بلدة صغيرة في صميم الجبال في منتصف الطريق بين هنين وندرومة، لازم ابن تومرت وأخذ عنه العلم إلى أن بايعه مع بقية المجموعة من طلبته عام (515هـ/1121م)، **ينظر**: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص139، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص203– 204، الزركشي، المصدر السابق، ص ص13– 14.

[5] ابن خلدون، العبر، ج6، ص245، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص123، لخضر عبدلي، ص24، عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص98، محمد الطمار، المرجع السابق، ص73.

الملائم أن تتبوأ مركزا إقليميا هاما له وزنه السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي، تضاهي في ذلك المراكز العلمية الإسلامية الكبرى كالقيروان وفاس وقرطبة.

وإذا كان خط التطور الفعلي بدأ مع المرابطين، ليبلغ مستوى عاليا من الازدهار في العهد الموحدي، فأنّ الوثبة الكبرى "لتلمسان" كانت في ظل الدولة الزيانية(633-962هـ/1233-1554م) التي قامت على أنقاض دولة الموحدين المنهارة، أين غدت لها قوة التوجيه في مجريات الأحداث بعد أن بايعت قبائل بني عبد الواد "**يغمراسن بن زيان**"[1] وشدّوا أزره، فهيّأ لهم حكومة قوية عزيزة الجانب استمرت زهاء ثلاثة قرون، اكتسب خلالها المجتمع الزياني ثقافة واسعة ورقيا حضاريا، أخرجته من طور البداوة إلى طور الحضارة، فأعطى بمختلف عناصره الحية للحياة الاجتماعية ومظاهرها وللحركة الفكرية والنهضة العمرانية أهمية كبيرة[2].

من الواضح أنّ تلمسان أصبحت بمكان عظيم في العهد الزياني، بفضل الدور الذي قام به الزيانيون في شهرة المدينة وتطويرها في مختلف مناحي الحياة، إضافة إلى طبيعة المنطقة التي تجمع بين منبعين حضاريين، إذ تزدوج فيها المؤثرات الحضارية الأوربية في الشمال والمؤثرات الإفريقية في الجنوب، مما هيأ لها أن تتحول من مركز حضاري ثانوي إلى عاصمة دولة بالمغرب الإسلامي، إلى جانب عواصمه الأربع، تونس وفاس وغرناطة.

فازدادت أهميتها وتعاظم شأنها، واتسع عمرانها، واستنبتت أرضها عددا من العلماء والمفكرين في شتى فنون المعرفة ومجالات العلم، ونزل بها فطاحل العلماء من المشرق والمغرب والأندلس، مقيمين أو عابرين، وفي كل ذلك كانوا مشاركين في بناء الصرح العلمي لها ومساهمين في إعلاء شأنها[3].

-Marcais (G), op.cit, p 36.

[1] **يغمراسن بن زيان**: ينتمي يغمراسن بن زيان إلى قبيلة بني عبد الواد من زناتة، ولد سنة (603هـ/1206م)، كان من أشد بني عبد الواد بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة وجلالة وأعرفهم بمصالح قبيله وأقواهم كاهلا على حمل الملك، وأكثرهم اضطلاعا بالتدبير والرياسة، مما جعله يطمح نحو دولة مستقلة عن نفوذ الموحدين، بعدما بويع له بالملك في الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة سنة(633هـ/1236م)، أبدى شجاعة في مواجهة بني مرين وبني حفص، المرتوفي سنة (681هـ/1284م)، عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص83، يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص207، التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، تح محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص128.

-Barges (Ij), **complément de l'histoire de Beni Zeyan-rois de Tlemcen**, Ernest Lanoux librairie, Paris, 1887, P21.

[2] خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص38- 39، عبد العزيز فيلالي، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ص9.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص81، عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص24.

وفي ظل ذلك الرقي الحضاري ولاسيما الازدهار العلمي الذي حظيت به تلمسان بداية مع المرابطين والموحدين، ثم مع بني زيان كان بروز ظاهرة بيوت العلماء، حيث كثر بها عدد البيوتات والأسر العلمية، خاصة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، أين كان لها الدور البالغ في تنشيط الحركة العلمية بها، ومشاركتها في الحياة السياسية، لاعتماد الدولة على علماء هذه البيوتات في الجهاز الإداري، فهم الحجاب والوزاراء والكتاب وغيرهم، فضلا عن الوظائف العلمية والدينية كالقضاء والتدريس وغيرها[1].

وقبل الخوض في ثنايا الدراسة حريّ بنا أن نتطرق إلى مفهوم البيت والأسرة و المقصود بهما؟

ثانيا: البيوتات والأسر العلمية: المصطلح والدلالة:

لاشك أنّ أي مصطلح يعبر عن ظاهرة تاريخية ما إلاّ وله مرادفات في اللّغة وتأويلات عديدة، يستوجب الإلمام بها ومعرفتها، حتى يسهل علينا فهم هذه الظاهرة وتتبع مسارها التاريخي، لأنّ اللغة والتاريخ كما هو معلوم علمان متلازمان.

فقد تعددت التسميات والمصطلحات التي أطلقت على لفظ الأسرة[2]، وإن كانت كلها تصب في مفهوم واحد، يدل على أنّها مرتبطة بالتطور الحضاري الذي شهدته مختلف الدول والحضارات على مرّ الأزمان، إذ في كثير من الأحيان ما كانت البيوتات والأسر تتحول إلى ملك وسلطان، لاسيما في المجتمعات القبلية، أين كانت قوة القبيلة تنبع من قوة الأسرة المُكَّونَة لها[3]، وذلك إذا تجاوز أحد هذه البيوتات ذروة المجد والسؤدد وأصبح هو السلطة ذاتها، فمنشأ كل قبيلة هو بيت

---

[1] **ينظر**: حول ذلك، عبد الجليل قريان، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011، ص ص88 – 94.

[2] عرفها علماء الاجتماع بعدة تعاريف منها تعريف "وستر ماك" الذي نقله "إحسان محمد حسن"، فيقول: "أنّها تجمع طبيعي بين أشخاص انتظمتهم روابط الدم فألفوا وحدة مادية ومعنوية تعتبر من أصغر الوحدات الاجتماعية التي يعرفها المجتمع الإنساني"، في حين عرفها "حسان محمد حسن": "أنّها عبارة عن منظمة اجتماعية تتكون من أفراد يرتبطون ببعضهم بروابط اجتماعية وأخلاقية ودموية"، عبد المالك بكاي، **الأسرة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7ـ 10هـ/13ـ 16م**، مجلة العلوم الاجتماعية، ع17، جامعة سطيف، سبتمبر 2013، ص65.

[3] ممكن أن يصل البيت إلى قمة السلطة مرورا بتشكيله للقبيلة، كما هو الشأن مع قبيلة قريش والدولة النبوية ودولة الخلفاء الراشدين، **ينظر**: في ذلك خليل عبد الكريم، **قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية**، دار الانتشار العربي – سيناء للنشر، ط2، بيروت – القاهرة، 1997، ص402، كما يمكن أن يصل البيت إلى السلطة مباشرة متجاوزا في ذلك القبيلة، رفيق خليفي، **البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن 9هـ**، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2008، ص16.

نبيه[1]، يبدأ بشخصية واحدة ذات تأثير واسع ومكانة مرموقة ورّثها في عقبه المتناسل، مثل ما هو الشأن مع البيت الأغلبي والرستمي والحمادي والموحدي والحفصي والزياني في بلاد المغرب لإسلامي[2].

ومهما يكن من أمر، فإننا نجد عدد من العلماء يستعمل مصطلح "البيوتات" في مصنفاتهم[3]، كما نسجل على صعيد آخر استعمالهم مصطلح "الدار" للدلالة على الأسر المتفندة[4]، ومن مرادفات مصطلح الأسرة والبيوتات أيضا "أهل"، حيث ورد في قوله تعالى: ﴿**وَاجعَل لي وَزيرًا مِن أَهلي**﴾[5] بمعنى "واجعل لي عونا من أهل بيتي"، كما أننا نلمس استعمال هذا المصطلح عند "**يحي ابن خلدون**" الذي جاء عنه في وصف بيت "**بني عبد العزيز**" قوله: "**وكل أهل هذا البيت حتى الآن أهل علم ووجاهة وعدالة وفضل**"[6].

ونجد أيضا مصطلح "آل" بمعنى البيوت الكبيرة[7]، الذي استعمله بعض العلماء، أما في الأبحاث المشرقية الحديثة فتعرف "الأسرة" "بالعوائل" ومفردها "عائلة"[8]، في حين نجد الباحثين المغاربة

---

[1] رفيق خليفي، المرجع نفسه، ص23، فوزية لزغم، **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925- 1246هـ/ 1520- 1830م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص16.

[2] **ينظر**: **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، تر زكي محمد حسن وآخرين، دار الرائد العربي، بيروت، 1980، ص543، رفيق خليفي، المرجع السابق، ص17.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص108- 111، عبد الكبير الكتاني، **زهرة الآس في بيوتات أهل فاس**، تح علي بن المنتصر الكتاني، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، المغرب، 2002، ص45، عبد الرحمن ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**، تح وتع محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص53، ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، تح شوقي ضيف، ج1، دار المعرف، مصر، 1964، ص277، 381، 315، ابن الخطيب، أعلام الأعلام، ص34، عبد السلام شقور، **من بيوتات سبتة في القرن 8**، مجلة دعوة الحق، ع 286، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، 1991، ص86.

[4] أبو عبد الله محمد ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية**، دراسة وتح سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2008، ص149، عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص65، فوزية لزغم، المرجع السابق، ص21.

[5] سورة طه، الآية 29.

[6] يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص123.

[7] فوزية لزغم، المرجع السابق، ص12.

[8] رفيق خليفي، المرجع السابق، ص14.

يستعملون مصطلح الأسرة والبيوتات بالتوازي[1]، ولما كان مصطلح الأسرة والبيوتات متلازمان، ارتأينا التعريف بالبيوتات، فما هو معنى البيوتات والأسرة؟

1. التعريف اللغوي:

"البيوتات" أو "أبياوات" في اللغة هي جمع بيوت وأبيات، ومفرده بيت[2]، فإذا قيل أنّ هذا الشخص أو ذاك من أهل البيوتات، نقصد به أنّه من بيت كريم[3]، وقد ورد في "**القاموس المحيط**" لفظ "البيت" على أنّه السكن الذي يأوي إليه الإنسان، سواء أكان من الشَّعْر أو غيره، وورد "البيت" في معنى آخر أنّه عيال الرجل[4]، وقد يحمل مدلولا آخر أيضا على أنّ المقصود "بالبيت" هو المرأة، فإذا قيل لأي شخص هل لك بيت؟ فالقصد هنا بالبيت هو المرأة[5].

ومصطلح "البيوتات" يغلب استعماله على بيوت الشرف[6]، حيث يجمع اللغويين على أنّ معنى "البيت" هو الشرف، فقد جاء عن "**ابن منظور**": "أنّ البيوتات جمع بيوت ومفرده بيت، فيقال: "بيت العرب أي شرفها"، "والبيت من بيوتات العرب الذي يضم شرف القبيلة كآل حصن الفزارين وآل الجدّين الشيبانين وآل عبد المدان الحارثيين، وهي أعلى بيوتات العرب عزة وسؤدد"، "ويقال بيت تميم في بني حنظلة أي شرفها، وتقول العرب فلان بيت قومه أي شريفهم[7].

---

[1] عبد السلام بن المختار شقور، **البيوتات الأندلسية: بحث في المكونات والضوابط والنتائج**، ضمن أعمال: الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط1، الرياض، 1996، ص249، مجموعة البحث في الأدب العربي السوسي، **الأسر العلمية في سوس**، تنسيق المهدي السعيدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، ، الدار البيضاء، 2003، ص20 وما بعدها.

[2] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق العربية، ط4، مصر، 2004، ص78.

[3] أبو القاسم الزمخشري، **أساس البلاغة**، تح عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ص34.

[4] الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ضبط يوسف البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص137.

[5] الزمخشري، المصدر السابق، ص34.

[6] المعجم الوسيط، ص78.

[7] محمد ابن منظور، **لسان العرب**، تح عبد الله الكبير وآخرون، ج1، دار المعارف، القاهرة، ص393.

وقال "**المطرزي**": "البيوتات جمع بيوت، جمع بيت وتختص بالأشراف"[1]، ويذهب أيضا "**الفيروز أبادي**" إلى أنّ البيت يرد في معنى الشرف والشريف"[2].

2. التعريف الاصطلاحي:

إنّ الأسرة العلمية كمصطلح واضح الدلالة لم يرد ذكره في المصادر التاريخية فيما نعلم، حيث نسجل في هذا الصدد استعمال مصطلح البيوتات العلمية المرادف لها.

ولمّا كانت "**مقدمة ابن خلدون**" مصدر تاريخي مهم، نظّر فيها للاجتماع والعمران والحضارة والعلوم على حد سواء، فقد بيّن فيها وبصورة واضحة معنى "البيت" مفرد "البيوتات"، فقال: "**معنى البيت أن يَعُدَّ الرجل في آبائه أشرافا مذكورين، تكون لهم بولادتهم إياه والانتساب إليهم تَجِلَّة في أهل جلدته، لما وقر في نفوسهم من تَجِلَّة سلفه وشرفهم بخلالهم**"[3]، ثم يضيف قائلا: "**وقد يكون للبيت شرف أول بالعصبية والخلال**"، من الواضح أنّ معنى البيت عند "**ابن خلدون**" يعني الشرف، وهو يرى بأنّ هذا الأخير مرتبط ارتباطا وثيقا بالحسب والعصبية في القبيلة التي منها البيت[4].

وجاء عن الإمام النسابة "**ابن هشام الكتاني**" في معنى "البيت" قوله: "**المراد به بيت المجد والتعظيم و بيت المجد والتعظيم يكون في القبائل بالعلم والولاية والثروة والجود والشجاعة، ونحو ذلك...**"[5]، وقد ذكرت البيوت عند "**هشام بن عبد الملك بن مروان**" فقال: "**البيت هو ما كانت له سابقة ولاحقة وعماد حال ومساك دهر، فإن كان كذلك فهو بيت**"[6].

---

[1] ناصر الدين المطرزي، **المغرب في ترتيب المعرب**، تح محمود ماخور وعبد الحميد مختار، ج1، مكتبة أسامة بن زيد، ط1، حلب، 1979، ص95.

[2] الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص137.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص108.

[4] رفيق خليفي، المرجع السابق، ص14.

[5] الكتاني، المصدر السابق، ج1، ص45.

[6] الكتاني، المصدر نفسه، ج1، ص45.

فالمراد بالسابقة[1] هنا ما سلف من شرف الآباء، وباللاحقة[2] ما لحق الأبناء من شرف الآباء، وبعماد[3] الحال الثروة، والمقصود بمساك الدهر الجاه[4].

هذا، وقد أستعمل مصطلح "البيت" في العديد من المصادر للدلالة على الأسر الكبيرة التي برزت في عدة مجالات، منها ما جاء عن "**ابن حيان**" بشأن بيت "**بني خلدون**": "**بيت بني خلدون إلى الآن في اشبيلية نهاية في النباهة، ولم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية**"[5]، وما جاء أيضا عن "**الحجوي**" بشأن بيت "**أبو عبد الله الشريف**" بقوله: "**بيتهم بيت علم خصت تراجمهم بالتآليف**"[6]، وقال "**الحفناوي**" أيضا: "**وبيته مجتمع العلماء والصلحاء**"[7]، وجاء عن "**يحي ابن خلدون**" بشأن بيت "**أبي عبد الله التميمي**": "**من بيت علم ورئاسة**"[8].

كما تردد ذكر مصطلح "البيت" في القرآن الكريم في عدة مواضع[9]، كان المراد منه الشرف والسؤدد، منها قوله تعالى: ﴿**قالوا أَتَعجَبينَ مِن أَمرِ اللَّـهِ رَحمَتُ اللَّـهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيكُم أَهلَ البَيتِ إِنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ**﴾[10].

وورد في القرآن الكريم أيضا مرادف لمصطلح "بيت" وهو كلمة "آل" وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّـهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن**

---

[1] تطلق السابقة على كل من كانت له سابقة في أمر من الأمور، أي أنّه سبق الناس إليها، الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص803، أمحمد بوشريط، **ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي (300هـ 460هـ/919م 1067م)**، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران، 2011- 2012، ص14.

[2] نقول لحقه لحْقاً ولِحَاقاً، أي أدركه، الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص829.

[3] العماد هي الأعمدة الرفيعة، ويقصد بها الشخص رفيع المنزلة بما يكتنزه من ثروة، الفيروز أبادي، المصدر نفسه، ص273.

[4] الفيروز أبادي، المصدر نفسه، ص858، محمد زين العابدين، **بيوتات العلم والحديث في الأندلس**، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2009، ص08.

[5] ابن خلدون، التعريف، ص5.

[6] محمد بن الحسن الحجوي، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، مطبعة إدارة المعارف، الرباط، 1340هـ/1345، ص232.

[7] أبو القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، تق محمد رءوف الفاسي الحسني، ج1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص116.

[8] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص132.

[9] سورة القصص، الآية 11، سورة الأحزاب، الآية 33، سورة الذاريات، الآية 36.

[10] سورة هود، الآية 73.

بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، فكلمة "آل" في الآية الكريمة يراد بها "البيوت الكبيرة"، وقال أهل التفسير أنّ الله تعالى يصطفي من عباده أصفياء ويختارهم، ويّمن عليهم بالفضائل العالية، فذكر هذه البيوت الكبار، وما احتوت عليه من كملة الرجال، الذين حازوا أوصاف الكمال، وأنّ الفضل والخير تسلسل في ذراريهم[2].

كما جاءت كلمة "آل" عن وفي خطاب وجهّه "**ابن الخطيب**" لـ "**يحي ابن خلدون**" وهو يصف بيت "**ابن خلدون**" جاء قوله:"...**إنّ البيان يا آل خلدون سكن مثواكم دار الخلود، وقدح زنداً غير صلود، واستأثر في محابركم السيالة وقضيب رماحكم الميادة والميالة...**"[3]

يتضح جليا، من خلال ما جاء في التعريفات السابقة، أنّ مصطلح "البيت" اصطبغ بصبغة الشرف والجاه والثروة، فالمراد بالبيوتات هنا الأسر التي نالت المجد والتعظيم بالعلم والولاية والثروة والجود والشجاعة وغيرها من الصفات[4]، وبالتالي فإنّ البيوتات العلمية هي تلك الأسر التي جمعت بين العلم والنفوذ والثروة، وهي عناصر لا يمكن أن يتجرد منها أي بيت من البيوتات، بينما اختصت الأسر العلمية بالعلم، وحتى وإن لم تخل من ثروة أو نفوذ فإن مكتسباتها تلك لم تبلغ بها إلى درجة الرياسة، والأسر العلمية يقصد بها تلك الأسر التي تسلسل فيها العلم مدة معتبرة من الزمن، وورّثه فيها الآباء والأجداد للأبناء والأحفاد، بحيث تعدد علماؤها وتسلسلوا[5].

وفي هذا الصدد يقوم "**ابن خلدون**" بتحديد عدد أعلام البيت، حتى نتمكن من تسميته "بيت" بالمعنى المتعارف عليه، إذ جاء في في قوله: " **أن كل شرف وحسب فعدمه سابق عليه شأن كل محدث، ثم إن نهايته في أربعة آباء**"[6] ، فهو يرى أنّ شرف البيت وحسبه يكون بعد أربعة آباء، ويقول في ذلك أيضا: "**واشتراط الأربعة في الأحساب إنما هو في الغالب، وإلا**

---

[1] سورة آل عمران، الآيات 33- 34.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، بيروت، 1998، ص105، فوزية لزغم، المرجع السابق، ص10.

[3] محمد عبد الله عنان، **لسان الدين بن الخطيب**، حياته وتراثه الفكري، القاهرة، مكتبة خانجي، 1968، ص 148، فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 14.

[4] الكتاني، زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، ج1، ص45.

[5] اليزيد الراضي، **السمات العلمية للأسر العلمية السوسية**، ضمن ندوة الأسر العلمية في سوس، إنجاز مجموعة البحث في الأدب العربي السوسي، تنسيق المهدي السعيدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2003، ص22 .

[6] ابن خلدون، المقدمة، ص 110.

فقد يدثر البيت من دون الأربعة ويتلاشى وينهدم"[1]، فهو يعتبر الأربعة هو الغالب في "البيت" حتى يبلغ الغاية من المجد والسؤدد، واستدل في ذلك على قول "**الرسول**" "صلى الله عليه وسلم" في المدح والثناء الذي وصف به "**يوسف**" "عليه السلام": " **إنّما الكريم ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ**"[2]، ففي نظره أنّه من دون الأربعة ينهدم البيت، كأن يتلاشى في العقب الثالث، وقد يصل مجده إلى العقب الخامس والسادس حيث يضيف إلى ما سبق قائلا: " **وقد يتصل أمرها إلى الخامس والسادس**"[3].

أما "**محمد المختار السوسي**" فقد بنى تعريفه للأسر العلمية في كتابه "**سوس العالمة**" على عنصريين اثنين أولهما: أن يتسلسل فيها العلم ويتوالى في ثلاثة أجيال على الأقل، أو جيلين إن تعدد فيها العلماء فتجاوزوا الأربعة[4]، والثاني: النجابة ويعني بها "المرور على الفنون المتداولة حتى يقدر الإنسان أن يعبر بقلمه أو بلسانه عما يختلج في ذهنه أتم قدرة وأما الفقيه فيعتبر فيه التوسط حتى يقدر مقدرة ما على استخراج النصوص من كتب الفقه المتداولة إن توقف عليها"[5]، وهذه الأسر تأخذ نسبتها من أشهر العلماء الذين يمثلونها أو تأخذ نسبتها من الأماكن التي تقطنها.

في حين اعتبر "**نصر الدين بن داود**" أنّ البيوتات التي أنجبت ثلاثة علماء فأكثر اشتهروا بإنتاجهم العلمي، وكانت لهم نشاطات مختلفة بارزة في شتى الميادين، فهي بيوتات كبرى[6]، أما تلك البيوتات التي كان إنجابها للعلماء محدودا ما بين عالمين أو ثلاثة، فكانت مساهمتهم وإنتاجهم العلمي دون البيوتات الكبرى فهي بيوتات صغرى[7].

وبناء على ما سبق يمكن القول أنّ كل أسرة تميزت باستنادها إلى النبوغ العلمي، وهذا التميز أعتبره أبناؤها تراثا تناقله الآباء والأجداد حفاظا على مكانتهم في خدمة الدين والعلم وفي القيام

---

[1] ابن خلدون، نفسه، والصفحة نفسها.

[2] محمد بن اسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، تح مصطفى البغا، ج3، دار ابن كثير، بيروت، 1987، ص1273، ابن خلدون، المصدر السابق، ص111.

[3] ابن خلدون، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[4] محمد المختار السوسي، **سوس العالمة**، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1984، ص121، محمد مختار السوسي، **رجالات العلم العربي في سوس من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر**، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع، ط1، طنجة، 1989، ص301.

[5] محمد مختار السوسي، المرجع نفسه، ص185.

[6] نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص56.

[7] نصر الدين بن داود، المرجع، نفسه، ص113.

بأدوار أخرى في المجتمع، توصف بأنّها أسرة علمية، وتلمسان واحدة من الحواضر العلمية التي برزت فيها بيوتات وأسر توارث أبناؤها العناية بالعلوم والمعارف، وارتقوا أرفع المناصب الاجتماعية، ولم تكن ظاهرة بروز أبناء الأسرة الواحدة خاصة بالمجال العلمي بل شمل مجالات أخرى كالتجارة والحكم والسلطة والتصوف والقضاء الخطابة والفتوى ووغيرها، منها أسرة "**العقبانين**" و"**المرازقة**"، ولعل أسرة "**المقّري**" واحدة من بين الأسر التي يمكن أن تنعت بالأسرة العلمية، هذا ما سوف نتطرق له من خلال دراستنا هذه. فلا يسعنا قبل أن نتحدث عن الأسرة **المقّرية** ودورها إلاّ أن نتعرف على الظروف العامة بتلمسان التي نشأت فيها الأسرة، وأثرت وتأثرت بها.

الباب الأوّل

التعريف بالأسرة المقرية بتلمسان

من القرن 07هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م

الفصل الأوّل

الظروف العامة بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م وأثرها على الأسرة المقّرية.

أولا: الأوضاع السياسية بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م.

ثانيا: الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م.

ثالثا: جوانب من الحركة الفكرية والعلمية بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م.

شكّل مستهل القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي، بداية استقرار الأسرة "**المقّرية**" بتلمسان، وقد شهد هذا القرن ببلاد المغرب الإسلامي عموما وبتلمسان على وجه الخصوص تحولات عميقة في شتى المجالات، السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

لذا فلا يسعنا قبل أن نتحدث عن الأسرة **المقّرية** بتلمسان، وعن دورها وأثرها، إلاّ أن نتعرف على الظروف العامة وعلى البيئة التي نشأت فيها هذه الأسرة، والتي تأثرت بها وأثرت فيها، لذا سنحاول في الفصل الأول من الباب الأول تناول الظروف العامة بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، إذ سوف نتطرق في ذلك إلى دراسة الأوضاع السياسية بتلمسان خلال الفترة، ثم نعرج على دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية، لننهي هذا الفصل بدراسة جوانب من الحركة العلمية والثقافية التي شهدتها تلمسان خلال الفترة.

أولا: الأوضاع السياسية بتلمسان من القرن7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م.

لعل أبرز ما ميز مطلع القرن7هـ/13م بمجال المغرب الإسلامي هو اضمحلال الدولة الموحدية وتراجع نفوذها بعد أن كانت تمثل قوة سياسية وعسكرية ضاربة في غرب البحر الأبيض المتوسط حتى نهاية القرن 6هـ/12م[1]، الأمر الذي كان له انعكاسات خطيرة ببلاد المغرب الإسلامي، وفتح الباب واسعا أمام تنافس حاد وتطاحن كبير بين الدويلات التي حلت محلها، حيث شهد المغرب نتيجة ذلك انقساما سياسيا جديدا[2]، تمثل في قيام الدولة الحفصية[3] بتونس سنة(625هـ/1227م)، والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان سنة(633هـ/1236)،

---

[1] تظافرت جملة من العوامل في ضعف الدولة الموحدية أهمها هزيمتها في معركة حصن العقاب سنة(609هـ/1212م) أمام النصارى في الأندلس، ثم ثورة بني غانية سنة(623هـ/1226م)وغيرها، **ينظر**: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص251، عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص238، الزركشي، المصدر السابق، ص235، ص240، عبد الحميد حاجيات، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي**، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص ص293- 299

[2] **ينظر**: الملحق رقم 01، ص317.

[3] **الدولة الحفصية**: نسبة إلى الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاني من قبيلة هنتاته إحدى بطون المصامدة، وهو من أصحاب المهدي بن تومرت العشرة، تأسست على يد أبي زكرياء يحي الأول واستمرت إلى غاية (943هـ/1536م)، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج5، ص231، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص243، ابن قنفذ القسنطيني، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تق وتح محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس(ب ت)، ص107 وما بعدها، ابن أبي دينار، **االمؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، دار المسيرة، لبنان، 1993، ص ص153-154.

والدولة النصرية[1] بالأندلس عاصمتها غرناطة سنة(623هـ/1231م)، والدولة المرينية[2] بالمغرب الأقصى سنة(668هـ/1295م)كانت عاصمتها فاس.

ومهما يكن من أمر، فالذي يهمنا هنا هو قيام الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، والذي يعتبر حدثا سياسيا بارزا أدى إلى تغير جذري في الحياة السياسية بالمنطقة، نظرا لانفراد بني زيان بحكم تلمسان وإنهاء الحكم الموحدي على هذا الجزء من المغرب الإسلامي.

1. قيام الدولة الزيانية: (التأسيس والتطور):

تعتبر سنة (633هـ/1236م) التاريخ الفعلي لتأسيس الدولة الزيانية على يد السلطان **يغمراسن بن زيان**" الذي اتخذ من تلمسان عاصمة له[3]، وسعى إلى تكوين دولة قوية، كان لها دور قيادي في بلاد المغرب الإسلامي من جهة، وتوجيه عرش زناتة من جهة ثانية[4]، أين تمكن من خلال الأحداث أن يبرز نفسه كرجل جدير بقيادة الدولة وتأمين حدودها التي كانت عرضة لهجمات بني مرين من الغرب وبني حفص من الشرق[5]، فكان أوّل ما قام به بعد أن اتخذ لنفسه جميع مظاهر الملك والسلطان، إخضاع سائر القبائل العربية لسلطته لتكون له ذرعا واقيًا وخطًا دفاعيًا أماميًا ضد خصومه بني مرين وبني حفص[6].

---

[1] **الدولة النصرية**: نسبة إلى الشيخ يوسف بن نصر، حكم بنو نصر الأندلس إلى غاية سقوط غرناطة(897هـ/1492م)، لسان الدين ابن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط3، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص42.

[2] **الدولة المرينية**: هم فخذ من قبيلة زناته البربرية وهم أبناء عمومة مع بني عبد الواد، تأسست دولتهم على يد يعقوب بن عبد الحق، ابن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تح عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1991، ص ص 19-29، مؤلف مجهول، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تح عبد الوهاب منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص20.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص83، يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص204.

-Barges (Ij), complément de l'histoire de Beni Zeyan-rois de Tlemcen, OP.cit, P21

-Bouali (S.A), **Les deux grandes siéges de Tlemcen**, E.N.A.L, Alger, 1984, p26.

[4] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص205، التنسي، نظم الدر، ص115.

[5] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص ص105-106، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص21، عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2009، ص102.

[6] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص205، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص16، خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص77، يحي بوعزيز، **المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية**، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع 26، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1975، ص14.

فضلا عن ذلك انتهج سياسة خاصة تتسم بالمرونة والولاء لأواخر الخلفاء الموحدين بمراكش[1]، وهذا حتى يأمن شرهم ويدّعم مركز حكمه، الأمر الذي أثار حفيظة بعض المنافسين ليغمراسن من الزناتين[2]، كما كان الأمر مقصد شك وريبة عند الحفصيين الذين اعتبروا هذا التقارب تهديدا لمصالحهم واستقرارهم في بلاد المغرب الإسلامي[3]، أين عزم الأمير الحفصي "**أبو زكرياء الأول**"[4] على محاربة "**يغمراسن**" وغزو تلمسان سنة(640هـ/1242م)[5]، إلا أنّ الأمر انتهى بينهما بعقد معاهدة صلح تنصّ على جلاء الحفصيين من تلمسان مقابل الولاء والتبعية لهم من جهة، وعداوة الموحدين وقطع الصلة بهم من جهة ثانية[6].

فلم تدم نتيجة ذلك أواصر الصداقة والمودة التي كانت تربط "**يغمراسن**" بالموحدين، الأمر الذي دفع بهم إلى التحرك في جيش كبير نحو تلمسان سنة (645هـ/1247م)، لتأديب "**يغمراسن**"، حيث دارت بينهما معركة حامية الوطيس سنة(646هـ/1248م)[7]، كان الانتصار فيها حليف "**يغمراسن**"، بينما مني الجيش الموحدي بهزيمة نكراء[8].

وبهذا الانتصار الذي حققه "**يغمراسن**" تمكّن من أن يمدّ رقعة دولته إلى واد ملوية غربا، ووصلت إلى أطراف بجاية شرقا، كما اتسع مجالها نحو الجنوب إلى أن بلغت الصحراء[9]، الأمر الذي شجّعه على أن يفكر في غزو مناطق أخرى من الجهة الغربية لسلطنته، ومزاحمة بني مرين في

---

[1] **مراكش**: مدينة عظيمة بالمغرب الأقصى، اختطها يوسف بن تاشفين في حدود سنة454هـ/1062م، وكانت عاصمة دولة الموحدين، ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج8، ص7.

[2] منها قبائل توجين وبعض أولاد منديل، ومغراوة، **ينظر**: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج7، ص 84.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه،ج7، ص 84، روبار برو نشفيك ، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م**، تعريب حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1988، ص60.

[4] **أبو زكرياء الأول**: يحي بن عبد الواحد موطد الدولة الحفصية بتونس، حكم من سنة (627هـ/ 1229م) إلى سنة (647هـ/1249م)، الزركشي، المصدر السابق، ص ص23 - 32.

[5] عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص86، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205.

[6] التنسي، المصدر السابق، ص119، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص104.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص86، التنسي، المصدر السابق، ص119.

[8] التنسي، المصدر نفسه، ص119، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص206، الزركشي، المصدر السابق، ص31.

[9] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص7، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص23، نصر الدين بن داود، أسر العلماء، ص51.

الاستيلاء على المغرب الأقصى، فكانت بينه وبين الجيش المريني عدّة مواجهات[1]، خرج منها "**يغمراسن**" جميعا منهزما، الأمر الذي جعله يراجع حساباته السياسية والعسكرية مع بني مرين، ويعمل على مسالمتهم حتى يضمن سلامة أراضيه من الجهة الغربية[2]، كما أوصى ابنه وولي عهده "**أبي سعيد عثمان الأول**"[3] قبل وفاته، وألحّ عليه بعدم التعرض لهم والعمل على إبرام المعاهدات السلمية معهم، وهذا لما يتميز به بنو مرين من كثرة العدد ووفرة المدد وقوة الشكيمة، وأوصاه أيضا بانتهاج سياسة تتجه نحو الاستيلاء على المناطق الشرقية[4].

من الواضح أنّ "**يغمراسن**" خلال فترة حكمه والتي امتدت نحو ثمانية وأربعين سنة، استطاع أن يضمن لدولته الاستقرار أطول فترة ممكنة، وأن يحافظ على كيانها واستقلالها ضد مطامع بني مرين تارة والحفصين تارة أخرى إلى حين وفاته، وذلك بفضل حزمه ومقدرته السياسية والعسكرية، كما أنّ انشغاله بالدفاع عن حوزة بلاده لم يمنعه من القيام بإنجازات عمرانية، من ذلك بناءه لمئذنتي "مسجد أجادير" و"الجامع الأعظم" لتجرارت، وتشيد القصر الجديد الذي سماه "**المشور**"[5] واتخذ منه مقرا رسميا لإقامته وممارسة نشاطه السياسي، فكان له الفضل في شهرة مدينة تلمسان، وتطويرها في مختلف مناحي الحياة، واكتسب بذلك المجتمع الزياني ثقافة واسعة ورقيا حضاريا، أخرجته من طور البداوة إلى طور الحضارة.

الظاهر أنّ وصية "**يغمراسن**" كانت محل اهتمام السلاطين من بعده، فقد نفذها ابنه "**أبو سعيد عثمان الأول**"(681هـ-703هـ/1283م-1304م)، الذي استهل حكمه بانتهاج سياسة

---

[1] منها معركة واد يسلي من أحواز "وجدة" سنة(647هـ/1249م) ، ومعركة وادي تلاغ سنة(666هـ/1267م) ، ومعركة وادي يسلي الثانية سنة(670هـ/1271م)، ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص90 -91، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص295، مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، ص83، 131،146، أحمد عزاوي، **محطات في تاريخ المغرب الوسيط (أعلام وأحداث)**، مطبعة الرباط نت، الرباط،1438هـ/2017، ص ص43-44.

-Bouali(S.A), Les deux grands siéges, p27.

-Brosselard –(ch**), Les inscriptions arabe de tlemcen**, in revue africaine, N° 17, Juin 1885, pp321 – 322.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص90، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج1، ص31.

[3] **أبو سعيد عثمان**: ولد سنة 703هـ/ 1304م، تولى الحكم بعد وفاة أبيه، حيث استمرت دولته 21 سنة، توفي سنة 639هـ/ 1241م، **ينظر**: يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص ص208- 210، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص63.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص96.

[5] **المشور**: بمعنى مكان التشاور، وهو المكان الذي يعقد فيه السلطان اجتماعه مع وزرائه وكتابه وضباطه لمناقشة شؤون الدولة، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص115.

مسالمة مع بني مرين، وتوطيد علاقاته مع بني حفص بتجديد البيعة والولاء لهم[1]، وبذلك يكون قد أبعد خطر الجارتين الشرقية والغربية وتهديداتهما، ليصرف بعدها وجهته نحو إخضاع القبائل التي خرجت عن ولائها للدولة الزيانية[2]، فاستطاع بذلك أن يمدّ نفوذ الدولة إلى كل الأراضي التي كانت تابعة لها في عهد "**يغمراسن**"[3]، وبالتالي أصبحت دولة بني زيان تجسد سياستها على كامل مناطق المغرب الأوسط.

لكن ما تحسن الإشارة إليه أنّ العلاقات السلمية التي كانت تربط بني زيان مع بني مرين لم تدم طويلا، إذ توالت حركات السلطان المريني "**يوسف أبو يعقوب**"[4] على تلمسان لتجسيد طموحاته في بسط نفوذه على كامل بلاد المغرب وافريقية[5]، فلاشك أنّ ذلك كان تهيئا للحصار الطويل الذي كان سنة (698هـ/1299م) واستمر حتى سنة (706هـ/1307م)، فدامت مدة هذا الحصار ثماني سنوات وثلاثة أشهر، ذاق خلاله أهل تلمسان الأمرين وعانوا من أخطار الحرب[6]، فهلك الكثير من سكانها، حيث بلغ عدد الموتى زهاء مائة ألف وعشرين ألف[7]، وحتى يضيّق السلطان "**يوسف بن يعقوب**" على مدينة تلمسان وأهلها قام ببناء مدينة جديدة أثناء الحصار

---

[1] لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص106 – 107، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج1، ص35، مختار حساني، **تاريخ الجزائر الوسيط**، ج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013، ص285، نصر الدين بن داود، أسر العلماء، ص54.

[2] **ينظر**: التنسي، المصدر السابق، ص129، عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص14-15، حاجيات، بودواية مبخوت، معروف بلحاج، **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، 2007، ص192.

[3] لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص107، عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ص ص192- 193، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 26، نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص55.

[4] **يوسف أبو يعقوب**: بويع في غرة صفر سنة(685هـ)، واستمر في الحكم إلى غاية مقتله في ذي القعدة من سنة(706هـ)، إذ استمرت دولته 21 سنة، اسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، ص ص30-31.

[5] ابن خلدون، العبر، ج7، ص98، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص15، محمد الشريف، **محاضرات ومباحث في تاريخ المغرب المريني وحضارته**، مطبعة الهداية، تطوان، (ب ت)، ص44.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص100، التنسي، المصدر السابق، ص130، أبو عبد الله محمد ابن الأزرق، **بدائع السلك في طبائع الملك**، تح محمد بن عبد الكريم، ج1، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، (ب ت)، ص376.

[7] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص211.

سماها "المنصورة"، فكانت له عاصمة سياسية وإدارية واقتصادية بديلة لتلمسان طوال فترة الحصار[1].

ومهما يكن من أمر، فإنّه بوفاة السلطان "**يوسف بن يعقوب**" سنة (706هـ/1307م)، انفك الحصار وانتهت المحنة التي دامت سنوات طوال[2]، فتولى عرش بني زيان السلطان "**أبو حمو موسى الأول**"[3] الذي استهل حكمه بانتهاج سياسة المهادنة والجنوح إلى السلم مع بني مرين بناء على ما جاء في وصية "**يغمراسن**"، وهذا بهدف تأمين الحدود الغربية والتفرغ للبناء والتشييد وبسط النفوذ على الأراضي التي فقدتها الدولة الزيانية خلال الحصار الطويل[4]، كما تمكن من الوصول إلى الأقاليم الشرقية الواقعة غرب البلاد الإفريقية[5]، فاستطاع أن يحافظ على حدود دولته، وأصبح بنو زيان في عهده لا يخضعون لهيمنة الجارتين الشرقية والغربية ويتمتعون بالاستقلال التام والكامل على أراضي المغرب الأوسط[6].

واعتمد بعده ابنه "**أبو تاشفين عبد الرحمن**"[7]، هو الآخر سياسة ترمي إلى التوسع نحو الشرق على حساب المملكة الحفصية[8]، الأمر الذي دفع بالحفصيين إلى الاستنجاد بسلطان فاس، وبموازاة ذلك تصاهرت الأسرتين الحفصية والمرينية[9]، فأصبح نتيجة ذلك "**أبو تاشفين**" يواجه خصمين متفقين على تنسيق جهودهما، الحفصين من الشرق وبني مرين من الغرب، وانتهى الأمر

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص27، محمد الشريف، المرجع السابق، ص45.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص 134، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو، ص16.

[3] **أبو حمو موسى الأول**: بن عثمان بن أبي سعيد بن يغمرا سن بن زيان، كان عضدا لأخيه "أبي زيان" في حربه وسلمه وخلفه بعد وفاته سنة (707هـ/1307م)، أخضع كثيرا من القبائل المجاورة له وصدّ المرنيين عن التقدم من جهة الغرب، ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص103، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص212-215.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص103، التنسي، المصدر السابق، ص 136- 137، عطا الله دهينه، رشيد بورويبة، موسى لقبال، عبد الحميد حاجيات، محمد بلقراد، **الجزائر في التاريخ**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص384، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص113.

[5] مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص286.

[6] لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص114، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص40- 41.

[7] **أبو تاشفين عبد الرحمن**: ابن حمو ابن أبي يحي يغمرا سن بن زيان، بويع سنة (718هـ/1318م)،كان مولعا بالبناء والتشييد، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص215-219.

[8] ابن خلدون، العبر، ج7، ص111، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص116، محمد الطمار، المرجع السابق، ص128.

[9] **ينظر**: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص114، التنسي، المصدر السابق، ص ص144-145، الزركشي، المصدر السابق، ص68.

بسقوط تلمسان بيد بني مرين عام(737هـ/1337م)، ومقتل "**أبو تاشفين**"[1]، وبهذا يكون قد اختفى رسم الدولة الزيانية وحلّ محلّهم بنو مرين في إدارة المغرب الأوسط مدة زمنية زادت عن اثني عشرة سنة، وهو الاختفاء الطويل في تاريخ بني زيان.

من الواضح أنّ حدس "**يغمراسن**" كان في موضعه عندما كان يخشى على سلطانه من بعده سطوة المرينين، فمهما تباينت تعليلات الحملات المرينية على تلمسان[2]، فإن هؤلاء كانوا يعتبرون أنفسهم ورثة الموحدين وأنّ انفصال تلمسان هو تمرد على السلطة المركزية في المغرب.

هذا ولّما كانت حركة السلطان المريني "**أبي الحسن**" صوب الدولة الحفصية عام(748هـ/1347م)[3]، استغل "**أبو سعيد الثاني**" رفقة أخيه "**أبي ثابت**" الفرصة لبعث دولته من جديد سنة (749هـ/1348م)[4]، واستطاعا إحياء الدولة الزيانية بعد طول خفاء دام نحو اثنا عشر سنة، فكانت الدولة الزيانية في هذه الفترة مستقلة عن أي نفوذ خارجي[5]، وتمكنوا من إعادة نفوذهم على ربوع المغرب الأوسط وأعادوا للدولة هيبتها ومجدها وقوتها، حيث دامت إمارتهم الفتية أربع سنوات[6].

---

[1] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص219، التنسي، المصدر السابق، ص146، الزركشي، المصدر السابق، ص ص72-73، أحمد عزاوي، محطات في تاريخ المغرب، ص50، محمد الشريف، المرجع السابق، ص51.

[2] هناك من يعلل تكرار الحصار المريني لتلمسان بدافع اقتصادي، لكونها أخذت أهمية الخط التجاري سجلماسة – تلمسان، بعد ظهور خط تجاري منافس يربط بين توات وتلمسان مباشرة، فقد احتدم الصراع بين الزيانيين والمرينين على سجلماسة نظرا لأهمية التجارة الصحراوية التي تعتبر سجلماسة أهم مراكز عبورها لذلك حاول الزيانيون الاستيلاء عليها مباشرة أو عن طريق حلفائهم من القبائل العربية المنتشرة عبر طريق تلمسان سجلماسة، فيما كان المرينيون يسعون للسيطرة عليها لتنشيط الخط التجاري سجلماسة – فاس، أحمد عزاوي، **قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدي والمريني**، دار ربانيت، ط1، الرباط، المغرب، 2010، ص ص151- 154.

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص ص82-83، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص ص169-170، محمد الشريف، المرجع السابق، ص52، محمد الطمار، **تاريخ الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص183.

[4] التنسي، المصدر السابق، ص149، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص131-132.

[5] عطا الله دهينه، المرجع السابق، ج3، ص399، أحمد عزاوي، **الغرب الإسلامي (خلال القرنين 7و8هـ) دراسة وتحليل لرسائله**، ج3، مطبعة الرباط- نيت، 2007م، ص ص30-34.

[6] التنسي، المصدر السابق، ص152، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 132، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص18.

لكن فيما يبدوا أنّ الوضع لم يبق مستقرا لأمراء بني زيان، فقد حاول السلطان "**أبو عنان المريني**"[1] استرجاع تلمسان من الزيانين قبل أن تستعيد الدولة الزيانية قوّتها ونفوذها، فاستطاع أن يقضي على إمارة "**أبي سعيد** "و"**أبو ثابت**" ودخل تلمسان سنة(753هـ/1352م)[2]، فاندثرت بهذا الدولة الزيانية للمرة الثانية، وعادت لسلطة بني مرين مدة سبع سنوات أي حتى سنة(760هـ/1358م)[3].

2. انبعاث الدولة الزيانية من جديد:

في الواقع الانقطاع الذي عرفته الدولة الزيانية على يد السلطان المريني "**أبي عنان فارس**" لم يكن سوى إغماء ظنّه المرينيون موتا حقيقيا، فقد واصل بنو زيان طريقهم وأحيوا الدولة من جديد على يد "**أبي حمو موسى الثاني**"[4]، الذي تمكن من استرجاع ملك بني زيان تحت سلطانه سنة (760هـ/1358م)[5] إلى غاية سنة (791هـ/1389م) قاطعا بذلك واحد وثلاثين سنة[6]، قضاها في البناء والتشييد وتنظيم شؤون دولته وإصلاحها وإعزاز جوانبها الثقافية والاجتماعية، وبسط نفوذه على باقي أنحاء المغرب الأوسط، ومحاربة المناوئين والخارجين عن سلطانه، والتّصدي للهجمات المتكررة من بني مرين[7] وبني حفص، كل هذا كان بهدف الحفاظ على وحدة تراب المغرب الأوسط تحت راية السلطة الزيانية، وتجدر الإشارة هنا أنّه ألّف كتابا في السياسة لولي عهده "**أبي تاشفين**"

---

[1] **أبو عنان**: فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، يكنى أبا عنان، بويع في تلمسان سنة (751هـ/1351م)، ومات مقتولا خنقا على يد وزيره عام (759هـ/1358م)، ابن الأحمر، روضة النسرين، ص37.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص127، عبد الحميد حاجيات ،أبو حمو موسى الزياني، ص31.

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص ص94-96، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص137، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص18.

[4] **أبو حمو موسى الثاني**: بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن بن زيان، ولد بالأندلس سنة (723هـ/1323-1324م)، نشأ بتلمسان، وانتقل إلى تونس أثناء الاحتلال المريني لتلمسان سنة(753هـ/1352م)، استرجع ملك بني زيان سنة (760هـ/1359م)، توفي في مواجهة مع ابنه "أبي تاشفين الثاني" سنة(791هـ/1389م)، مؤلف مجهول، **زهر البستان في دولة بني زيان**، عناية وتق محمد بن أحمد باغلي، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص4.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص128، التنسي، المصدر السابق، ص159، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص37، أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي، ج4، ص43.

[6] التنسي، المصدر السابق، ص181، لسان الدين ابن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تح أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ص301، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج1، ص ص55 – 56.

[7] **ينظر**: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص37، ص79، مجهول، زهر البستان، ص53، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص ص126- 130، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص149، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج1، ص56، نصر الدين بن داود، أسر العلماء، ص66.

في شكل نصائح لإرساء قواعد الحكم والحفاظ عليه بعنوان "**واسطة السلوك في سياسة الملوك**"[1].

لكن مما يظهر أن السلطان "**أبو حمو الثاني**"، رغم أنّه استطاع أن يعيد للدولة الزيانية مجدها وازدهارها وقوتها السياسية والعسكرية وأن يصمد أمام الخصوم والأعداء، فإنّه لم يتمكن من إخضاع ابنه وولي عهده "**أبو تاشفين**"[2] الذي كان يطمح إلى الاستقلال بالسلطة وحده، فكانت بينهما حرب ضروس، استنجد فيها "**أبي تاشفين**" ببني مرين الذين وجدوها فرصة سانحة للقضاء على "**أبي حمو الثاني**" ودولته، ودخل في مواجهة مع أبيه بدعم منهم انتهت بمعركة بينهما، دارت رحاها بجبل "ورنيد" جنوب تلمسان، قتل على إثرها "**أبي حمو موسى**" في غرة ذي الحجة سنة (791هـ/1389م)[3]، وبوفاته تكون قد انتهت فترة من أزهى فترات الدولة الزيانية كاملة الاستقلال.

3. التبعية للمرينين والحفصين:

تبدأ هذه المرحلة بتولي السلطان "**أبو تاشفين بن أبو حمو**" حكم العرش الزياني سنة(791هـ/1388م) إلى غاية وفاة السلطان "**أبي ثابت محمد المتوكل**" سنة(890هـ/1485م)، وفي هذه المرحلة التي امتدت قرن من الزمن، تعاقب على سدّة حكم الدولة الزيانية نحو أربعة عشر سلطانا، كان منهم من حكم أربعين يوما، ومنهم من حكم شهرين، ومن عزل عن السلطة ورجع إليها، ومرّت كل هذه المرحلة بين تناحر المتنافسين، سواء ذلك بين الدولتين المجاورتين للدولة شرقا وغربا، أو بين أبناء الأسرة المالكة نفسها[4].

ومهما يكن من أمر فإنه بتولي السلطان "**أبي تاشفين بن أبي حمو**" حكم العرش الزياني على إثر استنجاده ببني مرين، تأكدت بذلك تبعية الدولة الزيانية لملوك بني مرين[5].

بيد أنّ ضعف السلطة المركزية في تلمسان وولوجها في فخ التبعية، جعل من بني مرين يثيرون الضغائن والإحن بين أبناء أفراد الأسرة الزيانية، إذ صاروا يوّلون من يشاءون ويعزلون من يشاءون،

---

[1] التنسي، المصدر السابق، ص161، لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح محمد عبد الله عنان، ج3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م، ص287، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص58.

[2] ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص82.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص152، التنسي، المصدر السابق، ص181، أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي، ج4، ص48.

[4] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص192، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص60.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 152، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج1، ص 69.

إلى أن وصل إلى الحكم "**أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني**"، الذي كان أسيرا عند بني مرين، فبعدما أخرجوه من السجن وسيّروه في جيش لاحتلال تلمسان، استولى عليها في شهر رجب من سنة(814هـ/1411م) [1].

ويعد "**أبو مالك عبد الواحد**" من السلاطين المهمين بالنسبة لأواخر سلاطين الدولة الزيانية، فقد امتد حكمه نحو أربعة عشر سنة، استعادت فيها الدولة الزيانية مكانتها وقوتها، وتمكنت من بسط نفوذها شرقا وغربا، فقد أظهر "**أبو مالك**" من الشجاعة والقوة والحنكة السياسية ما جعله يسترد ما كان قد أخذه الحفصيون من الشرق، ولعله كان يعّز في نفسه ما قام به بنو مرين طوال السنوات السابقة، إذ جهّز جيشا سار به إلى عاصمة المرنيين فاس، فاستولى عليها ونصّب على عرشها واليا من قبله، فوضع بذلك حداً نهائيا للتدخل المريني في شؤون الدولة الزيانية[2]، إلاّ أنّه في الوقت الذي استطاع فيه أن يسدّ باب الخطر من الجهة الغربية، برز فيه الخطر من الجهة الشرقية على يد بني حفص، ناهيك عن ناقوس الخطر الأجنبي والمتمثل في البرتغاليين الذين حلّو بوهران بداية من سنة (818هـ/1415م) وإلى غاية سنة (841هـ/1473م)[3].

دخلت علاقات الدولة الزيانية مع الحفصيين في فترة تأزم استمرت حوالي نصف قرن من الزمن[4]، إذ تمكن السلطان الحفصي "**أبو فارس عبد العزيز**"(796هـ/1393م – 837هـ/1433م) من السيطرة على تلمسان سنة (827هـ/1424م)، مما اضطر "**أبو مالك عبد الواحد**" إلى الفرار بنفسه وذويه[5]، فنصبّ السلطان الحفصي على تلمسان الأمير "**محمد ابن تاشفين الثاني**" المعروف "**بابن الحمراء**"، وتوجّه بعدها نحو المغرب الأقصى لبسط نفوذه على فاس، فجاءته بيعة المرينين قبل أن يصل إليهم[6]، عندها عاد "**أبو فارس**" إلى العاصمة تونس لتلتحق به أيضا مبايعة

---

[1] التنسي، المصدر السابق، ص235، عبد الحميد حاجيات، المصدر السابق، ج1، ص72.

[2] التنسي، المصدر نفسه، ص240، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص172، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص61.

[3] عبد الرحمن الجيلالي، ج2، ص188، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص41.

[4] عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج1، ص73.

[5] التنسي، المصدر السابق، ص241، عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ج1، ص73، الزركشي، المصدر السابق، ص114-125، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص41.

[6] التنسي، المصدر السابق، ص246، أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج4، ص59.

صاحب غرناطة، فأصبح المغرب الإسلامي عندها بتمامه تحت سيطرة السلطان الحفصي "**أبي فارس عبد العزيز**"[1].

ومما لاشك فيه أن السلطان الحفصي كان يترقب بدهاء ما كان يجري بين سلاطين الدولة الزيانية والدولة المرينية من حروب منهكة، فبعد أن انتقل مركز القوة إلى الدولة الحفصية أصبحت تفعل ما كان يفعله بني مرين بأبناء الأسرة الزيانية، فكان أن تهافتوا عليها كلما رأوا فرصة تباعد بين الدولة الحفصية والسلطان الزياني التابع لها، كما يظهر أن التبعية للحفصين كانت تبعية استغلال ومصالح، تبدأ بمجرد أن تعين أحد أفراد الأسرة على الحكم مع الدعوة لها على المنابر، فكان إذا استحكم له الملك تنّكر للحفصين وخلع طاعته لهم، فيعيدون الكرّة عليه بتنصيب آخر وهكذا دواليك.

ولعل ما يوضح لنا جانبا من هذا ما قام به السلطان "**محمد بن تاشفين الثاني**" الذي سرعان ما أحس بقوته وتوطد سلطانه حتى خلع طاعته وقطع الخطبة للسلطان الحفصي[2]، هذا الأخير الذي تمكن من دخول تلمسان سنة(831هـ/1428م) وعيّن عليها حليفه "**أبا مالك عبد الواحد**" السلطان الزياني السابق، فتربع على العرش مرة ثانية[3]، إلا أنّ الصراع ظلّ مستمرا بينه وبين منافسه "**محمد بن تاشفين**"، الذي استطاع أن يدخل تلمسان سنة (833هـ/1429م) بعدما انتصر على عمّه وقتله، إلا أنّه لم يتمكن من المحافظة على عرشه، ذلك أن السلطان الحفصي "**أبا فارس**" أمر بالتحرك نحو تلمسان التي دخلها سنة (834هـ/1431م)[4]، فاعتقله ونصّب مكانه عمّه "**أبا العباس أحمد المعتصم**"، فبدأ عهده بإصلاح الإدارة وبناء الدولة، وتمكّن من إعادة الهيبة والمجد والقوة للدولة الزيانية، وخلع طاعة بني حفص، مغتنما في ذلك فرصة غزو النصارى لجزيرة جربة ووفاة "**أبي فارس**" سنة(837هـ/1434م)[5].

---

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص126، الناصري، المرجع السابق، ج2، ص147، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص137.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص ص241- 243، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص70.

[3] التنسي، المصدر نفسه، ص245.

[4] عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص432، مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص304.

[5] التنسي، المصدر السابق، ص 248- 249، الزركشي، المصدر السابق، ص 130، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج1، ص76، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص175، ، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص72.

وتجدر الإشارة هنا أن السلطان "**احمد المعتصم**" خلال فترة حكمه هذه، لم يسلم من المعارضة الداخلية من قبل أبناء العرش الزياني[1]، شأنه في ذلك شأن سائر ملوك تلمسان، وبالرغم من أنّه تمكن من صدّ كلّ الثورات ضد منافسيه من البيت الزياني، بيد أنّه لم يستطع أن يصمد أمام ثورة "**أبو عبد الله محمد المتوكل**"، الذي تمكن من دخول تلمسان سنة(866هـ/1461م) والقبض على السلطان "**أحمد المعتصم**" ثم نفيه إلى الأندلس[2]، فانتهى بذلك حكمه الذي دام 32سنة والذي تمكّن خلاله من إلغاء التبعية للحفصين والتخلص من هيمنتهم على العرش الزياني، كما حقق استقرارا نسبيا ساده رخاء اقتصادي وتطور علمي، فكان بذلك من بين أهم سلاطين بني زيان بعد السلطان "**يغمراسن**".

وما تحسن الإشارة إليه أنّه ما كادت تمر ستة أشهر على حكم "**أبي عبد الله محمد المتوكل على الله**"، حتى قرّر رفض طاعة الحفصين، لكنّه سرعان ما أعادها بعدما رأى أنّ لا طاقة له بمواجهة السلطان الحفصي الذي ألزمه بكتابة بيعة له، فاستمر في طاعته وولائه لبني حفص إلى أن توفي سنة(873هـ/1468م)[3]، وبوفاته انتهى عصر التبعية للحفصين والذي امتد نحو ستين سنة، ففي هذه الأثناء وصلت الدولة الزيانية إلى مرحلة الضعف والوهن، حيث أصبحت تواجه هجمات النصارى الذين أضحوا يغزون سواحلها وحتى سواحل المغرب الإسلامي كله[4]، فالتزمت كل دولة من الدول الثلاث الزيانية والحفصية والمرينية بالحفاظ على حدودها، فانتهى بذلك عصر التبعية للحفصين والمرينين ليأتي دور التدخل الأجنبي ثم التركي.

4. الهيمنة الأجنبية وسقوط الدولة الزيانية:

تبدأ هذه المرحلة من سنة(873هـ/1468م) زمن اعتلاء السلطان "**تاشفين بن المتوكل**" سدّة الحكم، والذي لم يدم حكمه سوى 40 يوما، وفي رواية أخرى أربعة أشهر، وتنتهي هذه المرحلة بخلع السلطان "**مولاي الحسن**" آخر سلاطين بني زيان من طرف الدولة التركية

---

[1] خرج عليه أخوه "أبو يحي" سنة (838هـ/1436م)، وفي سنة (841هـ/1439م) ثار عليه "أبو زيان محمد بن أبي ثابت"، واستول ابنه "ابو عبد الله محمد المتوكل" على متيجة والمدية وملیانة وتنس، وثار عليه أيضا الأمير "أحمد بن الناصر بن حمو الثاني" سنة (850هـ/1446م)، التنسي، المصدر السابق، ص249، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج1، ص76، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص72، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص176.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص 254- 257، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج1، ص77.

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص 158، عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص434.

[4] لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص179، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص75.

سنة(962هـ/1554م)، وقد دامت هذه المرحلة زهاء اثنتين وسبعين سنة، تعاقب على السلطة فيها ثلاثة عشر سلطانا، عانت فيها الدولة الزيانية الأمرين من الملوك المتنافسين والرؤساء الجائرين المتنازعين والنصارى من إسبان وبرتغال المغيرين[1].

فبعد خلع السلطان "**أبي تاشفين الثالث**" من طرف أخيه "**أبي عبد الله محمد الرابع**" المعروف "**بالثابتي**"، تولى هذا الأخير عرش بني زيان[2]، فاستمر في حكمه هذا نحو 37سنة، أظهر خلالها براعة كبيرة في تسيير شؤون الدولة وضبط أمورها، حيث تمكن من السيطرة على الأوضاع الداخلية، وبسط نفوذه على مختلف أقاليم المغرب الأوسط[3]، وقد ساعده في ذلك بنو حفص بعدما تمكن من كسب ودّهم، لاسيما في بداية عهده الذي اتّسم بالهجمات المتكررة على سواحل المغرب الإسلامي من طرف القوى الصليبية، وذلك بعد استيلاء الاسبان على غرناطة سنة (897هـ/1492م) آخر معاقل الإسلام في الأندلس[4]، حيث هاجم البرتغاليون المرسى الكبير ووهران سنة (906هـ/1501م)، لكن محاولتهم هذه باءت بالفشل، ثم تعرض الميناء نفسه سنة(910هـ/1505م) إلى هجوم الاسبان بدّعم ومشاركة الكنيسة، وهنا لم تستطع القوة الزيانية رد عادية الاسبان، فتمكنوا بذلك من احتلال المرسى الكبير سنة(911هـ/1506م)[5]، كما تمكنوا من توطيد أقدامهم في بعض أطراف المغرب الأوسط، فاحتلوا مدينة وهران سنة(915هـ/1509م)، ثم امتد نفوذهم إلى مدينة بجاية، أين استولوا عليها هي الأخرى سنة(915هـ/1510م)[6].

وبالتالي تقلّص نفوذ السلطة الزيانية التي لم تعد قادرة على مواجهة ورد عادية الاسبان، الأمر الذي دفع بأعيانها إلى الاستنجاد بالقائد العثماني "**بابا عروج**"، الذي سرعان ما لبّ

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص221.

[2] عثمان الكعاك، **موجز التاريخ العام للجزائر**، تق ومراجعة أبو القاسم سعد الله، محمد البشير شنيتي، ناصر الدين سعيدوني، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي،ط1، ص2003، ص238، عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج3، ص434، عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص179.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص74.

[4] عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج1، ص 85، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 74.
-Robert (M), **Les grandes dates de l'islam**, entreprise national de livre, Larousse paris, p 74.

[5] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج2، ص198، بن أشنهو عبد الحميد، **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، مطبعة الجيش الوطني الشعبي، الجزائر، 1972، ص48، أحمد توفيق المدني، **حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا(1492– 1792) وثائق ودراسات**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984م، ص96.

[6] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص110- 119، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص181.

النداء[1]، ودافع عن تلمسان بكّل بسالة وشجاعة إلى أن استشهد سنة (924هـ/1518م)[2]، وتمكن الأتراك من استعادتها في نفس السنة، لكن فيما يبدو أنّ ذلك لم يكن ليرضي بعض سلاطين بني زيان الذين استنجدوا بالإسبان، فلم يتوان هؤلاء عن تغذية الصراع بينهم على ما تبقى من عرش بني زيان، الذين استمروا في التبعية للإسبان ملتزمين في ذلك بدفع الإتاوة السنوية بانتظام إلى أن تولى عرشها السلطان "**أبو محمد عبد الله الثاني**" سنة(934هـ/1528م)، فحاول هذا الأخير إتباع سياسة الحياد اتجاه القوتين العثمانية والاسبانية لكنه لم يفلح في ذلك، فبادر إلى القائد العثماني "**خير الدين**" وضمن له الوفاء على دفع ضريبة سنوية وبيعة الخليفة العثماني "**سليمان القانوني**"، واستمر على عهده إلى أن توفي سنة (947هـ/1540م)[3].

وما ينبغي التنويه أنّه بعد وفاة السلطان "**أبي محمد عبد الله الثاني**" اتضح جلياً ضعف السلطة المركزية بتلمسان واضمحلال قوتها، نظرا للتدخل المزدوج العثماني والاسباني، فضلا عن الصراع المستمر بين أفراد الأسرة الزيانية، وظهور قوة ثالثة بمنطقة المغرب الإسلامي، تمثلت في الدولة السعدية بالمغرب الأقصى، فحاولت هي الأخرى التدخل في شؤون تلمسان واحتلالها، بيد أن البايلرباي "**حسن باشا قورصو**" تفطن لنوايا السعدين فأسرع علي رأس قوة عسكرية لمواجهة الجيش المغربي الذي ألحق به هزيمة نكراء وأرغمهم على الانسحاب إلى المغربي الأقصى[4]، أما بالنسبة لتلمسان فعين على عرشها السلطان "**الحسن بن عبد الله** " تحت إشراف العثمانيين وهذا سنة (957هـ/1550م)[5]، إلاّ أنّه لم يكن بيده من الأمر شيء، حيث لم تبق له هيبة تذكر عند الخاصة والعامة وأصبح وجوده كعدمه، الأمر الذي أغضب أهل تلمسان ووجهائها، فأعلنوا خلعه سنة (962هـ/1554م)، عندئذ لم يجد البايلرباي "**صالح رايس**" بداً من إلحاق تلمسان

---

[1] ابن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973، ص440، محمد دادة، **تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن 16م**، مجلة عصور الجديدة، مختبر تاريخ الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ع2، 2011، ص195.

[2] توفيق المدني، المرجع السابق، ص190، بن اشنهو عبد الحميد، المرجع السابق، ص76، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج1، ص87، نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص80، محمد داد، المرجع السابق، ص195.

[3] ابن سحنون الراشدي، المرجع السابق، ص 440، توفيق المدني، المرجع السابق، ص247، عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص223- 224، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج1، ص88، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص183.

[4] السلاوي، المرجع السابق، ج3،ص 12، محمد دادة، المرجع السابق، ص198.

[5] توفيق المدني، المرجع السابق، ص327، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج1، ص 90-91، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص186، عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 229، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص79.

وأحوازها بالحكومة المركزية بالجزائر، فأنهى بذلك حكم الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط التي عمرت أكثر من ثلاثة قرون[1].

ومهما يكن من أمر فإنّ مدينة تلمسان خلال العهد الزياني، كانت لها مكانتها السياسية بمنطقة المغرب الإسلامي، حيث شكّلت حلقة هامة في تاريخ المنطقة عامة وتاريخ المغرب الأوسط على وجه الخصوص، وهذا ما يتّضح من خلال الدور السياسي والحضاري الذي قام به سلاطينها، لاسيما خلال القرن الأول من عهدها، حيث عظم شأن الدولة واتسع مجالها وتطورت سياسيا ونمت عمرانيا.

فقد اهتم بنو زيان بفن العمارة والبناء والتشييد، بحيث حرص السلطان "**يغمراسن**" على تأسيس المنشآت العمرانية الدينية منها والمدنية[2]، ونحا منحاه ابنه "**عثمان**"، ثم حفيده "**أبو حمو موسى الأول**"، كما كان ابنه "**أبو تاشفين الأول**" مولعا بالعمران حتى صار عصره عصر ازدهار عمراني في تلمسان[3]، بلغ عدد دورها ومنازلها ستة عشر ألف دار[4].

وما تحسن الإشارة إليه أنّ فن البناء الأندلسي قد تسرب إلى تلمسان بما فيه من زخرفة وإبداع، فقد استخدم السلطان "**أبو تاشفين الأول**" في نهضته العمرانية إلى جانب اليد العاملة المحلية وأسرى النصارى، المهندسين والفنيين الأندلسيين[5].

ومن البنايات التي شيدها بنو زيان القصور مثل قصر المشور، ودار الملك والدار البيضاء ودار السرور، فضلا عن الأسوار المتينة الشاهقة التي أحيطت بها مدينة تلمسان، والتي بلغ عددها نحو سبعة أسوار[6]، كما شيدوا المباني الدينية كالمساجد، واهتموا ببناء المدارس التعليمية والفنادق والقيصارية والحمامات والأسواق[7] والخنادق والقناطر والجسور وغيرها[8]، فقد أشار "**ابن خلدون**" إلى ذلك التوسع العمراني والمعماري لمدينة تلمسان ولخصه في قوله: "**ولم يزل عمران تلمسان**

---

[1] عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج1، ص91، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص66، توفيق المدني، المرجع السابق، ص343، بن أشنهو، المرجع السابق، ص212، يحي بو عزيز، المرجع السابق، ص27، محمد دادة، المرجع السابق، ص198.

[2] خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، ص345.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص110، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص216، التنسي، المصدر السابق، ص140.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص116.

[5] ابن خلدون، العبر، ج7، ص110.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص111.

[7] عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص ص27-30.

[8] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص111.

يتزايد وخطتها تتسع والصروح بها تعالى وتشاد، إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المونقة والمنازل الحافلة..." [1]، فكان من الطبعي تصبح تلمسان نتيجة ذلك تضاهي أشهر أمصار المغرب الإسلامي آنذاك وتنشط بها الحركة العلمية والحياة الاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما عناه "**ابن خلدون**" بقوله: "**فأصبحت أمصار المغرب ورحل إليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلفية**"[2].

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص81.

[2] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص81.

ثانيا: الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16:

يتضح من خلال تتبع النصوص على اختلاف أنواعها ومشاربها أنّ أبرز خاصية ميزت المجتمع التلمساني خلال العهد الزياني تتجلى في كونه أصبح متجمعا متعدد الاثنيات، تتعايش فيه عدة عناصر بشرية تختلف عرقيا ودينيا ولغويا، والتي من دون شك ساهمت في مختلف الأنشطة الاقتصادية بتلمسان، بناء على ذلك سنحاول تحديد أهم العناصر البشرية المكونة للمجتمع التلمساني، فضلا عن دراسة أهم فئاته، ورصد لأحوالهم الاجتماعية.

1. الحياة الاجتماعية:

أ. التركيبة البشرية لسكان تلمسان:

من الثابت أنّ أهم العناصر التي شكلّت خريطة سكان تلمسان في الحقبة الممتدة من القرن 07هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، تجلت في العنصر البربري[1]، الذي مثّل السواد الأعظم من سكانها، لاسيما من زناتة[2] التي كان لها تأثير واضح في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى العلمية[3]، فكان من جملة الفرق الزناتية التي سكنت تلمسان[4] بنو عبد الواد (بنو زيان) الذين يندرجون ضمن ما يعرف بزناتة الطبقة الثانية التي تعتبر أكثر القبائل البربرية قابلية للتعريب لاحتكاكهم المستمر بالعرب[5]، فمع اختلاطهم بالعرب تركوا رطانتهم وصاروا يتكلمون لغة العرب

---

[1] **البربر**: يرى "ابن خلدون" أنّهم سموا بالبربر لكثرة بربرتهم، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير مفهومة، ومنه يقال بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة، كما أكدّ أنّهم من ولد كنعان بن حام بن نوح وأنّ اسم أبيهم مازيغ، وهم فرعيين رئيسين: البتر الرحالة، والبرانس المستقرون، ابن خلدون، العبر، ج6، ص95، ص104، ج7، ص04.

[2] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص03.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص 170- 171، خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص 275، عمر بلوط، **فنادق مدينة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية**، مؤسسة الضحى، ط1، الجزائر، 2001، ص64، محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 358.

[4] منها "مغراوة" و"بني يفرن" و"جراوة" و"بني توجين" و"يرنيان" و"وجديجن" و"واسين" و"بني مرين" و"بني عبد الواد" و"بني راشد" و"بني زردال" و"بني ورنيد" وغيرهم، **ينظر**: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص9-10.

[5] ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص ص4- 5، إبراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1998، ص25.

لكنها لا تزال ممزوجة بألفاظ وعبارات زناتية[1]، ولا تزال بعض القبائل الزناتية البربرية تسكن الجبال الواقعة في نواحي تلمسان الغربية كبني سنوس، ومسيرنة وفلاوسن وترارة وبني وارسوس[2].

كما ضمّت تلمسان العنصر العربي، الذي كانت بداية وصوله إلى بلاد المغرب الأوسط عموما بما فيها تلمسان مع بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الثاني للهجرة[3]، وبعد ذلك استمر في التدفق خلال عهد الولاة، وبداية من سنة (173هـ/789م) استقر بتلمسان فئة من الأشراف الحسنيين بعد أن جعلها الأدارسة قاعدة من قواعدهم الهامة بالمغرب الأوسط، لتشهد بعدها قدوم طلائع من قبائل بني هلال[4] وبني سليم العربية التي اجتاحت ربوع المغرب خلال القرن الخامس الهجري(11م) واستقرت بمناطق كثيرة، فشكّلت عنصرا مؤثرا في التركيبة السكانية للمنطقة[5]، إذ نلاحظ حرص سلاطين بني زيان على الحفاظ ببطون هذه القبائل للاحتماء بها والاستفادة من خدماتها في بناء دولتهم وتوسيع رقعتها[6].

فضلا عن ذلك ضمّ المجتمع التلمساني نسبة عالية من الأندلسيين الذين ازداد تواجدهم بكثافة مع نهاية القرن 08هـ/14م وطيلة القرن 09/ 14و15م[7]، نتيجة حروب الاسترداد التي استهدفت معاقل المسلمين[8]، والتي كانت بداية لنهاية دولة الإسلام في الأندلس بسقوط غرناطة

---

[1] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص358، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص276، عمر بلوط، المرجع السابق، ص64، فؤاد طواهرة، **المجتمع والاقتصاد في تلمسان خلال العصر الزياني (ق7-9هـ/ق13-15م)**، مجلة دراسات تاريخية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، ع16، جوان 2014، ص55.

[2] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص359، عمر بلوط، المرجع السابق، ص64.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص172، عمر بلوط، المرجع السابق، ص64، فؤاد طواهرة، المرجع السابق، ص57.

[4] **بنو هلال**: يعود نسبهم إلى قيس بن عيلان من العدنانية، لهم بطون كثيرة منها مرداس، بنو عامر، بنو سعيد، بنو سليم وغيرها، عمر رضا كحالة، **معجم القبائل القديمة**، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م، ص1221.

[5] مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تق محمد الميلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (ب ت)، ص ص178- 182، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص173، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص277.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص56، بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص ص200-204.

[7] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص175، عمر بلوط، المرجع السابق، ص64-65.

[8] حيث سقطت مالقة سنة (892هـ/1487م) وألمرية سنة (893هـ/1488م)، إذ كان أغلب المهاجرين من أهلها وبسطة ووادي آشي (895هـ/1489م)، مؤلف مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، ضبطه وعلق عليه ألفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، القاهرة، 2002، ص120.

سنة (897هـ/1492م)[1]، وقد نال المهاجرون من أهل الأندلس مكانة متميزة في الوسط الاجتماعي التلمساني واندمجوا في المجتمع وشاركوا العامة في مختلف المهن والحرف والأنشطة الفلاحية، كما جلبوا اهتمام السلاطين، لما تميزوا به من تفوق في العلوم والفنون والحرف والصنائع[2]، فقد كانوا أهل حضارة عميقة من الأعلام وأهل البيوتات ومن وجوه القوم وأعيان الأندلس[3]، فضلا عن ذلك كان من بينهم أيضا طبقة هامة من المهندسين والبنائين واليد العاملة الفنية[4].

ومن البديهي أن يتواجد المسيحيون بتلمسان، نظرا للعلاقات التجارية التي كانت قائمة بين مدينة تلمسان وسائر المدن الأوربية، بحيث شكّل التجار المسيحيون جالية مستقرة بتلمسان، زادت من حيث العدد خلال القرنيين (07هـ-08هـ/13-14م)[5]، فكان إذا انتهى الأجل المحدد لإقامتهم وأرادوا البقاء في المدينة، فهم يعدّون ضمن أهل الذمة، يدفعون الجزية في إطار احترام نصوص الدولة الإسلامية التي يعيشون على أرضها مقابل الحماية[6]، فضلا عن ذلك شكّل العديد من الأسرى المسيحيين عنصرا هاما بالمجتمع الزياني، نظرا لاعتماد سلاطين بني زيان عليهم في بعض الصناعات كالبناء وصناعة الأسلحة[7].

كما شكّل اليهود عنصرا أساسيا في المجتمع التلمساني خلال العهد الزياني، بحيث ساهموا مساهمة فعالة في مختلف المجالات[8]، لاسيما في الحياة الاقتصادية والحركة التجارية، فقد أصبحوا

---

[1] عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الرابع، مكتبة خانجي، ط1، القاهرة، 1997، ص ص217- 226.

[2] مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ص48، محمد الشريف سيدي موسى، **الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العشر الهجري (13-16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص42.

[3] اشتهر من بينهم "بنو وضاح" في عهد السلطان "يغمراسن"، و"آل الأبلي"، و"أسرة "بنو الملاح" في عهد السلطان "أبو حمو موسى الأول"، ابن خلدون، العبر، ج6، ص203، ج7، ص109- 110، ابن خلدون، التعريف، ص33.

[4] **ينظر**: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص297.

[5] عبد العزيز فيلالي، **دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2012م، ص66.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص66، محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص44.

[7] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص216، التنسي، المصدر السابق، ص140، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص191، مختار حساني، **الحواضر والأمصار**، ج4، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، 2011، ص 28.

[8] Dhina (A), Le royaume Abdelouadide, p53.

حلقة وصل بين أوربا وشمال إفريقيا، ومن ثم احتكروا الطرق التجارية الصحراوية وربطوا علاقات متينة مع الحكام، لاسيما عندما ضعفت شوكة هؤلاء فنجدهم يتغطرسون ويتناسون قوانين أهل الذمة[1]، فضلا عن ذلك ساهموا في الأنشطة الصناعية، خاصة منها الصياغة والصّرفة، كما استعملهم بنو زيان في البعثات الدبلوماسية بين الدولة الزيانية والدول الإسبانية، بيد أنّه لم يكن لهم ذلك الدور السياسي والاجتماعي الكبير مثل الذي قام به إخوانهم في المغرب الأقصى على عهد بني مرين[2].

ومن البديهي أيضا أن يتواجد العنصر السوداني في دولة اعتمدت على عائدات تجارة الذهب والعبيد، وربطت اقتصادها ببلاد السودان[3].

ب. فئات المجتمع:

إنّ أول سؤال يتبادر إلى ذهن كل من يتصدى لدارسة فئات المجتمع التلمساني خلال العهد الزياني هو: هل كان المجتمع التلمساني مجتمعا طبقيا؟

في الواقع إنّ المجتمع الزياني عرف الطبقية[4] كغيره من مجتمعات الحواضر الإسلامية، نتيجة الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية والسياسية[5] التي أفرزت فئات اجتماعية في المجتمع الزياني والتي يمكن رصدها على النحو التالي:

---

[1] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص ص161- 163، لطيفة بشاري، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، ص173، فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي (خلال القرنين 7-13/9-15م)**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص ص223-225.

[2] عطاء الله دهينة، المرجع السابق، ج3، ص490، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص195، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص286، فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص ص233-236.

-Dufourcq (Charles-Emmanuel), **l'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV siécles**, Paris, 1969, p 139.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص184-186.

[4] تميز بعض النصوص التاريخية بين طبقتين اجتماعيتين أساسيتين تتمثل في الطبقة الخاصة والعامة، وهذا بناء على ثقافة أفراد المجتمع ووظائفهم ومهنهم ومستواهم المادي والاجتماعي، إلاّ أنّ هذه النصوص لم تحدد لنا ضوابط دقيقة لهذا التصنيف، بحيث تتداخل بعض الفئات الاجتماعية في ذلك، **ينظر**: ابراهيم عبد القادر بوتشيش، المرجع السابق، ص ص118-119.

[5] عطاء الله دهينة، المرجع السابق، ج3، ص489، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص211، مختار حساني، **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية**، رسالة الدكتوراه، الحلقة الثالثة، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1986، ص127.

- **فئة الحكام:**

ارتبط مصطلح الفئة الحاكمة بالوظائف السلطانية المختلفة وما يتّصل بها من مهام مسندة حسب التدرج الذي تحدّث عنه "**ابن خلدون**"[1]، الذي أعطى وصفا دقيقا للطبقة الحاكمة التي تعين السلطان في تسيير شؤون الدولة، وتعكس في آن واحد المكانة الاجتماعية التي تحضى بها دون غيرها من فئات المجتمع الزياني، بحيث شكّل الأمراء الزيانيون معية الحجاب والوزراء وكتاب الدواوين وقادة الجيش طبقة اجتماعية هامة في الدولة[2]، بحكم وظائفهم في تسيير دواليب الحكم، حيث ظلّت هذه الفئة تعيش في رخاء ورفاهية وتحظى بامتيازات خاصة[3]، فضلا عن ذلك كان بعض الموظفين من الذين يشغلون مناصب حساسة كالقضاء، والفتيا، والخطابة، والجباية، والحسبة ضمن هذه الفئة المتميزة بحكم احتكاكهم اليومي بالسلطات[4].

هذا، وقد تأنق أمراء بني زيان بتلمسان في بناء القصور والحدائق الجميلة، فاتخذوا من قصر المشور مقّرا رسميا لإقامتهم، وبين أرجائه تنظّم حفلات الاستقبال الكبرى، كما تجلت مظاهر ترف الأمراء في الاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية مثل المولد النبوي الشريف الذي بدأ مع تولي السلطان "**أبي حمو موسى الثاني**" مقاليد الحكم[5]، وإحياء شهر رمضان وعيد الفطر وكذا عيد الأضحى ويوم عاشوراء صوما وزكاة وبختان الأطفال اليتامى وكسوتهم وإطعامهم[6].

- **فئة العلماء والفقهاء:**

بديهي أن يحتل الفقهاء والعلماء مكانة متميزة بالمجتمع التلمساني نظرا لتعدد مجالات اختصاصهم في المجتمع، ولما أسند لهم من وظائف مهمة بالدولة الزيانية من قبل سلاطينها[7]، فقد ظهروا على اختلاف مشاربهم بتلمسان كنتيجة لحاجة دولة بني زيان لخدماتهم والاستعانة بهم في

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص189.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص111، بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص ص146- 170.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص212، عبد الكريم حساين، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط بين القرنيين (7_9هـ/13-15م)**، دورية كان التاريخية، ع17،سبتمبر 2012، ص96.

[4] عطاء الله دهينة، المرجع السابق، ج3، ص464.

[5] عطاء الله دهينة، المرجع نفسه، ج3، ص ص466-467، محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، الدار البيضاء، 1996، ص537، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص276-285.

[6] محمد ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتح ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 460، التنسي، المصدر السابق، ص 124.

[7] عن وظائف العلماء بالدولة الزيانية **ينظر**: عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص ص90-93.

تسيير شؤون الدولة[1]، فقد كانوا مستشارين للسلاطين، وكّتاب في ديوان الإنشاء، وحجاب، وأصحاب أشغال وقضاة وسفراء[2]، كما اهتم السلاطين بتعين كبار العلماء على النظام التعليمي بالمساجد والمدارس سعيا منهم في إقامة مؤسسات علمية تساهم في الحفاظ على العلم ونشره في ربوع الدولة الزيانية، فضلا عن ذلك كان للعلماء العقليين مجال في خدمة وظائف الدولة والسلطان[3].

والجدير بالملاحظة أنّ مواقف هذه الفئة وعلاقاتهم بالسلطة السياسية كانت متباينة بين مؤيد ومشارك في الحكم، وهم من يعرفون بعلماء السلطة[4]، وبين معارض رافض لذلك وهم علماء مستقلون، ومحايد راكن للاعتزال متفرغ للعلم والتأليف[5].

- **فئة الصناع وكبار التجار:**

شكّلت هذه الفئة طبقة اجتماعية متميزة من حيث تعدد أشكالها وتنوعها، فهي تضم أنشطة عدّة تفسّر في مضمونها المستوى المعيشي والمكانة الاجتماعية التي حظيت بها، فقد كان أرباب الصناعة على اختلافهم يعيشون عيشة ميسورة وراقية، نظرا للرواتب المرتفعة والأرباح العالية التي كانوا يتلقونها من أعمالهم[6].

ويمكن أن نصنف ضمن هذه الفئة، التجار الكبار وأصحاب رؤوس الأموال الكبيرة والقوافل التجارية التي تنتقل باستمرار بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك، أين احتلت هذه الفئة هي الأخرى مكانة مرموقة في المجتمع، فكان من بين العائلات الميسورة الحال بمدينة تلمسان على سبيل المثال لا الحصر عائلة "**المرازقة**" التي امتهنت التجارة فضلا عن نشاطهم العلمي والفكري،

---

[1] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص88، صابرة خطيف، **فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية**، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011م، ص100.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص182، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص89 وص97.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص466.

[4] أحمد الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب**، إشراف محمد حجي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص ص470- 471.

[5] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص 101، فؤاد طواهرة، المرجع السابق، ص67.

[6] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص21، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 222.

وعائلة "**العقباني**" التي كانت تحترف العلم والوظيفة والتجارة[1]، إضافة إلى عائلة "**المقّرى**" التي كونت ثروة هائلة من العمل التجاري كما سنرى ذلك لاحقا.

هذا وكان يوجد في المجتمع التلمساني كغيره من المجتمعات فئة الفقراء والمعوزين والمساكين والعبيد والخدم الذين يعملون في البيوت والحقول والمتاجر، لاسيما عند الفئات الميسورة، فضلا عن البطالين وأهل السجون وأرذال الناس واللصوص وغيرهم[2].

- **مكانة المرأة في المجتمع التلمساني:**

كان للمرأة مكانتها في المجتمع التلمساني، أين اضطلعت بدور اجتماعي لا يمكن انكاره، وتتجلى أولى مظاهر هذا الدور في روح البذل والعطاء، فإلى جانب قيامها بتدبير الشؤون الداخلية للبيت، كانت تنشط في مجالات مختلفة كالغزل والخياطة والخروج إلى السوق لاقتناء حاجتها، ولم تكن بمنأى عن الحياة السياسية، إذ لم تدخر وسعا في النشاط السياسي والحربي[3]، من خلال تشجيع المقاتلين على الصمود[4]، فقد أصبح دورها في هذا الميدان يكتسي صفة خاصة، نظرا للتأثير النفسي العميق الذي تحدثه في الرجال.

فضلا عن ذلك ساهمت المرأة في الحركة الفكرية والعلمية والدينية بتلمسان خلال العهد الزياني، فقد برزت بعض التلمسانيات الصالحات تنتمي إلى بيوتات تلمسانية عريقة[5] منهن "**فاطمة بنت أبي زيد النجار**" و"**فاطمة بنت أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز**" وهي حفيدة "**أبي العباس ابن صاحب الصلاة**" وغيرهن كثيرات.

هذا، وقد كانت المرأة التلمسانية أكثر حرصا على الظهور بمظهر جميل، فكانت تستعمل لذلك مختلف أدوات الزينة من الحناء المنقوشة والسواك والكحل، وتتعطر بأنواع المسك والعنبر وغيرها، كما كانت ترتدي ضروبا من الثياب مختلفة الألوان والأنواع من الصنع المحلي أو المستورد[6]،

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 214، لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 205.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ج1، ص 224-225.

[3] من ذلك تفاوض والدة السلطان "يغمراسن" المعروفة "بسوط النساط" مع السلطان الحفصي "أبو زكرياء"، وتمكنها من توقيع معاهدة سياسية معه، نظرا لما تتمتع به من قوة الشخصية والشجاعة الأدبية، ابن خلدون، العبر، ج7، ص85.

[4] ابن الحاج النميري، **فيض العباب وإفاضة القداح في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990، ص86، حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص181.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص 294- 296.

[6] حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص52، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص269.

كما أنّها لم تتأخر عن الذهاب إلى الحمامات التي انتشرت بتلمسان في مناسبات عديدة كوقت الزواج والولادة وقبيل الأعياد[1]، فضلا عن قصدها للمنتزهات وزيارتها للمقابر وأضرحة الأولياء للتبرك بهم والترحم على الأموات مثل ضريح "**سيدي بومدين الغوث**" وغيره من الأولياء الصالحين بتلمسان[2].

3.مظاهر الحياة الاجتماعية بتلمسان:

لاشك أنّ اندماج عناصر السكان المختلفة بالمجتمع التلمساني وظهور الفئات الاجتماعية المتباينة، قد وفّر الجو لتطور العادات والتقاليد به وفق المنظور الديني والمذهبي المتبع وعلى أساس الحضارة الإسلامية، حيث مارس أفراد المجتمع التلمساني مجموعة من العادات والتقاليد والسلوكات التي أظهرها نمط معيشتهم وحياتهم، والتي أبرزت شخصية مجتمعهم فصارت جزءا من حياتهم وكيانهم، كما أقاموا علاقات فيما بينهم شأنهم في ذلك شأن مختلف المجتمعات الإسلامية.

- **العادات والتقاليد:**

اتسم سلوك المجتمع التلمساني بالتعاليم الإسلامية على المذهب المالكي، في حين كان للأقليات اليهودية والنصرانية عاداتها وتقاليدها الخاصة بها، والتي طبعتها ديانتاها، ومن أهم ما طبع به المجتمع التلمساني وجود عدة احتفالات على طول أيام السنة، فكان أفراده يحتفلون بالأعياد الدينية كعيدي الفطر والأضحى[3]، وإحيائهم لمناسبة عاشوراء، وليلة السابع والعشرين من شهر رجب التي يعتبرونها ليلة الإسراء والمعراج، والاحتفال بالمولد النبوي الشريف[4] الذي جعل منه

---

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص229- 230، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص269، نبيل شريخي، **دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14- 15م)**، رسالة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، 2009- 2010م، ص32.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص294، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص300.

[3] أحمد بن عامر، **الدولة الحفصية**، دار الكتب الشرقية، مطبعة الاتحاد العام للشغل، تونس، 1974، ص78.

-Alfred Bel, **La Fête des Sacrifices en Berbérie**, Imprimerie Julie Carbonel, Alger, 1932.

[4] ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ج1، ص ص169- 171، كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الإجتماعية والاقتصادية والدينية من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996، ص44، نبيل شريخي، المرجع السابق، ص31.

-Alfred Bel, **La population Musulmane de Tlemcen**, laibrairie paul Geuthner, paris, 1908, p 09.

السلطان "**أبي حمو موسى الثاني**" عيدا رسميا للدولة وخصه بعناية فائقة[1]، والأمر نفسه عند أهل تلمسان، بالرغم من معارضة عدد من الفقهاء للاحتفال لاسيما مسألة إيقاد الشّموع في منازل العامة، ودور العبادة واعتبارها بدعة خارجة عن الشرع يجب قطعها[2].

كما احتفل أهل تلمسان بميلاد أطفالهم وذلك بإعداد العقيقة[3]، وغالبا ما يتم ختان الطفل في اليوم السابع لولادته أو في السابع والعشرين من رمضان[4]، يضاف إلى ذلك الاحتفالات التي كانت تقام بمناسبة الزواج، فكانت له مراسيم وإجراءات عديدة بتلمسان لا تختلف في عمومها عما كان موجودا في البلاد الإسلامية، كالخطبة وقراءة الفاتحة وعقد الزواج بحضور الشهود[5].

وما تجدر الإشارة إليه أنّه كانت هناك بالمجتمع الزياني عادات متبعة أيضا في الأقراح ما اتصل منها بالجنائز والوفاة، كالجهر أمام الجنازة عند حملها بالتهليل والتصلية والتبشير والتنذير على صوت واحد، وقد جرت عادة أهل تلمسان في إظهار الحزن فيها بأن تصيح النساء وتلطم على الوجوه والأطراف[6]، وبعد مرور سبعة أيام على الوفاة يستأجر أهل الميّت أحد القراء لتلاوة ما تيّسر من القرآن على القبر، وتقديم الطعام للقراء والفقراء والأقارب للترحم على الميت ويسمى هذا الطعام بعشاء القبر[7]، وقد كان الخاصة من المجتمع بمدينة تلمسان يقومون بتوجيه خطاب التعزية لذوي الفقيد، لاسيما إذا كان فقيها أو أديبا أو عالما أو أميرا[8].

فضلا عن ذلك اهتم أهل تلمسان بمظهر الملبس، حيث خضع لباس أفراد المجتمع إلى الحالة الاجتماعية والمادية والثقافية لهم، كما اختلفت الملابس في المجتمع الزياني حسب المكانة أو العرق

---

[1] **ينظر**: التنسي، المصدر السابق، ص162.

[2] عن موقف العلماء من الاحتفال بالمولد النبوي **ينظر**: الونشريسي، ج2، ص ص471- 472، ج11، ص ص278- 289، ج12، ص ص48- 49، محمد المنوني، المرجع السابق، ص539.

[3] كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص45، فؤاد طواهرة، المرجع السابق، ص73.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ج 6، ص ص416- 418، كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص ص45- 46، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص271، نبيل شريخي، المرجع السابق، ص31.

[5] أبو زكرياء المازوني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تح مختار حساني، ج1، نشر مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2004، ص294، ص240، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص288، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص297.

[6] حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص258.

[7] الونشريس، المصدر السابق، ج1، ص317، فؤاد طواهرة، المرجع السابق، ص73.

[8] محمد الطاهر توات، **أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنيين السابع والثامن**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص343، نبيل شريخي، المرجع السابق، ص31.

أو المهنة[1]، فقد تميز سكان المدن بصفة عامة بالألبسة الأنيقة الرفيعة والجميلة، بينما يلبس أهل البوادي الألبسة الخشنة والبسيطة من الصوف والكتان[2]، ويلبس الأعيان والأغنياء ألبسة من القطن والحرير والكتان والصوف الرفيع[3]، كما كان لأهل الذمة من النصارى واليهود لباسهم الخاص بهم الذي يميزهم عن بقية المسلمين بالمدينة، والذي يتكون من ثياب أصفر اللون بأكمام واسعة وطويلة، وكانوا يضعون قلانس على رؤوسهم تشبه البرادع تصل إلى تحت أذانهم[4].

- **محن ومشاكل المجتمع:**

تأثر المجتمع التلمساني تأثيرا كبيرا بالجوائح والأوبئة والأمراض الفتاكة والمجاعات التي شهدتها لاسيما خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، نظرا لما شكّلته من خطر حقيقي على حياة السكان ومستوى معيشتهم واستقراره، ولاشك أنّ حدوث هذه المجاعات والأوبئة يرجع إلى مجموعة من العوامل الطبيعية كالجفاف والرياح والفيضانات والزلازل والجراد والثلج وهي التي اصطلح عليه الفقهاء بالجوائح، وعوامل أخرى بشرية كالحروب والحصارات ومختلف الفتن[5]، فقد عرفت تلمسان مجاعات شديدة اختلفت المصادر في ذكرها لمثل هذه الأزمات ومدى وقعها على المجتمع، حيث نوّه "**العبدري**" عن حدوث قحط بتلمسان سنة (688هـ/1386م) بصيغة توحي بأنّها كانت في شدّة من الحال، وذلك بقوله: "**ثم وصلنا إلى مدينة تلمسان فوجدناها بلدا حلت بزمانه الزمان، وأخلت به حوادث الحدثان، فلم تبق به علالة ولا تبصر في أرجائه للظمئان بلالة**"[6]، بالإضافة إلى المجاعة التي اجتاحت تلمسان في الفترة الممتدة ما بين (697هـ-

---

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص21.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 266.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص ص212-213 ، مرمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص300.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص270.

-Marcais, Tlemcen ville d'art, p92.

[5] ابن خلدون، المقدمة، ص 228، بختة بخليلي، **دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط**، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، قسم العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، ع15، جانفي 2016، ص23، مزدور سمية، المرجع السابق، ص ص72- 122.

[6] أبو عبد الله محمد العبدري، **رحلة العبدري**، تح علي إبراهيم كردي، تق شاكر الفحام، دار سعد الدين للنشر والتوزيع، ط2، دمشق، 2005، ص47.

702هـ/1297م-1302م) نتيجة الحصار المريني المضروب عليها، كما أدى الجفاف بها إلى حدوث مجاعة شديدة ألّمت بسكانها سنة (776هـ/1373م)، فعمّ نتيجتها الغلاء[1].

كما عرفت تلمسان مرض الطاعون الجارف عدة مرات خلال العهد الزياني، فكان أشدها وطأة على سبيل المثال ذلك الذي كان سنة (749هـ/1348م) [2]، ثم ذلك الذي اجتاح المدينة سنة (845هـ/1442م) الذي أتى على كثير من سكانها[3]، بالإضافة إلى انتشار مجموعة من الأمراض المتوطنة والتي كان سببها في الغالب قلة الوعي الصحي وانعدام شروط النظافة لاسيما بين أوساط الفئة الفقيرة وعامة الناس[4].

هذا، وقد أدت المجاعات والأوبئة إلى ظهور بعض السلوكيات المنحرفة، كالنهب والسلب الذي جعل أفراد المجتمع لا يشعرون بالأمن، وفي مقابل ذلك انتشر سلوك التضامن الاجتماعي بين فئات هذا المجتمع المختلفة للتقليل من حدة هذه الأزمات على أفراده وإغاثة الفقراء منهم، بدءً بالدور السلطوي، ثم ذوي الجاه والمال فضلا عن دور الأطباء كطرف مساهم في علاج مختلف الأمراض والأوبئة، كما لا ننسى دور الصلحاء في تجاوز أزمات الجوع والمرض[5].

2. الأوضاع الاقتصادية:

يعرف الاقتصاد عند المسلمين خلال العصور الوسطى بعلم المعاش والتدبير، بناء على قول الله تعالى: ﴿**وَلَقَد مَكَّنّاكُم فِي الأَرضِ وَجَعَلنا لَكُم فيها مَعايِشَ قَليلًا ما تَشكُرونَ**﴾[6]، وقد عرّف "**ابن خلدون**" المعاش وبيّن وجوهه وأصنافه ومذاهبه بقوله: "**المعاش إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة،... وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش**"[7].

---

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص326، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص254.

[2] ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص27.

[3] أبو الحسن القلصادي، **رحلة القلصادي**، دراسة وتح محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص101، أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج تراجم المالكية**، تع أبو يحي عبد الله الكندي، دار ابن حزم، لبنان، 2002، ص ص60- 62.

[4] حول هذه الأمراض **ينظر**: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص243- 244، سمية مزدور، المرجع السابق، ص141.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ج1، ص255، بختة بخليلي، المرجع السابق، ص ص24-30، سمية مزدور ، المرجع السابق، ص ص144- 148.

[6] سورة الأعراف، الآية 10.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص310.

وكما هو معروف فإنّ الاقتصاد هو عصب الحياة بالنسبة لأي نظام سياسي باعتباره الأساس الذي يحدد لنا مدى ازدهار الدولة أو تراجعها، وفيما يبدوا أنّ تلمسان عرفت رواجا اقتصاديا ما بين القرون 07هـ/13م و10هـ/16م، بالرغم مما شهدته هذه المرحلة من ضغوطات وأوضاع متردية أحيانا تكررت فيها تدخلات بني حفص وحملات بني مرين وتمرد القبائل المجاورة ضدّهم، إلاّ أنّ هذا لم يمنع من ازدهار الحياة الاقتصادية في بعض الفترات، ولعل ذلك راجع أساسا إلى مجموعة من المقوّمات الطبيعية من جهة، واهتمام سلاطين بني زيان بمختلف القطاعات الاقتصادية من جهة أخرى.

أ.**الفلاحة:**

شكّلت الفلاحة أحد أهم القطاعات التي قام عليها الاقتصاد بتلمسان خلال العهد الزياني، نظرا لتضافر جملة من العوامل جعلت منها بلداً فلاحيا بامتياز، أهمها الإمكانيات الطبيعية التي تتوفر عليها، فهي منطقة فلاحية بطبيعة أرضها[1]، إذ أنّها تتوفر على جملة من السهول التي تعرف بالفحوص، جاء عن "**يحي ابن خلدون**" قوله: "**وتطل أي تلمسان – على فحص أفيح معد للفلح**"[2]، فقد كانت على سبيل المثال لا الحصر الأراضي الواقعة غرب وشمال تلمسان من أجود الأراضي وأكثرها خصوبة، لاسيما الساحلية منها[3]، فضلا عن سفوح الجبال التي كانت هي الأخرى تستغل في الإنتاج الزراعي خاصة الحبوب[4].

بالإضافة إلى وفرة مصادر المياه التي حددها "**الونشريسي**" بشكل دقيق في الأمطار والعيون والآبار والأودية[5]، وحصرها "**ابن حوقل**" في الآبار والأنهار بقوله: "**ولها أنهار جارية وآبار**

---

[1] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص377، لطيفة بن عميرة، **الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية**، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد08، سنة 1993- 1994، ص ص70- 71، حساين عبد الكريم، المرجع السابق، ص93.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص86.

[3] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص176، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص10، دريس بن مصطفى، **العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوربا في الفترة (ق 7- 10هـ/13-16م)**، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2013- 2014م، ص75.

[4] مجهول، الاستبصار، ص176، حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص ص44-45، مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج5، ص193، مختار حساني، الأحوال الاقتصادية، ج2، ص ص26-28.

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ج5، ص ص12- 13، ص20، ص111.

معين"[1]، فقد عرفت بموقعها الجبلي الذي تنحدر منه مياه الأنهار كنهر السطفصيف[2] وعيون "الوريط"، وواد "ملوية" و"يسر"[3] وغيرها، فضلا عن ذلك كانت تسقط بتلمسان كميات معتبرة من الأمطار التي قد تصل إلى حوالي 1000ملم سنويا، كونها تقع في المنطقة المعتدلة الدافئة[4].

لكن هذه الشروط لم تكن تكفي، فلا بد لاستمرار الفلاحة من شروط أخرى نطلق عليها في وقتنا الحاضر بالعوامل البشرية والمتمثلة أساسا في الفلاح التلمساني[5] الذي يحسن الاعتناء بالأرض واستغلالها ومتضلع بالفلاحة، بحيث اشتغل عدد كبير من السكان في هذا المجال باعتباره سبيلا هاما من سبل الرزق، وقد نوّه "**يحي بن خلدون**" بذلك فقال: "**غالب تكسبهم الفلاحة**"[6]، وبذلك ساهموا في ازدهار هذا القطاع، لاسيما وأنّه كان يعتمد على نظام الشراكة القائمة بين الخماس ورب الأرض، مما أعطى دفعا قويا لاستقطاب أعداد معتبرة من اليد العاملة المحتاجة والفقيرة[7]، فضلا عن دور الحكام والأمراء في الاعتناء بهذا القطاع والعمل على تطويره، حيث قاموا بشق القنوات المائية وبناء الخزانات مثل الصهريج الكبير الذي كانت مياهه تستعمل لسقي الأراضي والبساتين الواقعة أسفله، وشرائهم للمنتوج الزراعي من الفلاحين تحسبا لأوقات الحصار الذي كانت تتعرض له الدولة من حين لآخر[8].

- **الإنتاج الزراعي:**

شكّلت جودة الأراضي وخصوبتها وتعدد طرق استغلالها واعتناء سكان تلمسان واهتمامهم بالنّشاط الزراعي، عوامل مهمة في تفسير نوعية الإنتاج وكميته بتلمسان، وهو ما عناه "**ابن الخطيب**" بقوله: "**تلمسان خزانة زرع ومسرح ضرع وفواكها عديدة الأنواع**"[9]، وعموما شملت الحبوب التي تعتبر المزروع الغذائي الرئيسي، وهي تشمل الذرة والأرز والشعير والقمح وهو الغالب

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، ص284، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص150، الحميري، روض المعطار، ص318.

[3] Dhina Atallah, Les états, p 336.

[4] يوسف جودت عبد الكريم، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (3 و4) الهجريين (9– 10م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص ص25– 26.

[5] لطيفة بن عميرة، الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية، ص72، محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص33.

[6] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص92.

[7] بختة بخليلي، المرجع السابق، ص25.

[8] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص 101، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص137.

[9] نقلا عن المقري، نفح الطيب، ج9، ص341.

على تلك الأنواع كلّها[1]، إضافة إلى الخضر والفواكه التي كانت تتوفر في الأراضي الخصبة المجاورة للأودية والعيون في شكل مزارع وبساتين وجنان[2]، ومنها الجزر واللوبيا والكرنب والخس واللفت والقثاء والخيار والباذنجان والقرع وقصب السكر[3]، أما الفواكه التي اشتهرت بها تلمسان نجد التين والتفاح والسفرجل وكروم العنب والجوز والخوخ والرمان وغيرها[4].

وما تجدر الإشارة إليه أنّ الإنتاج الزراعي قد تأثر بعدة عوامل ساهمت في إضعافه والتقليل من موارده في بعض الفترات كالجراد والجفاف وسوء الأحوال الجوية كتساقط الأمطار والثلوج بمستويات وكميات كبيرة مما يؤدي إلى الإضرار بالمزروعات، كما ساهمت أعمال قطع الطرق في هجران الناس لمزارعهم، وهو ما ساهم في ارتفاع التكاليف الخاصة بالأعمال الزراعية[5].

- **تربية الحيوانات:**

اهتم سكان تلمسان بتربية الحيوانات التي كانت تقوم جنبا إلى جنب الزراعة، خاصة الأغنام والأبقار والإبل والخيول والحمير، وكانت تزاول من طرف القبائل التي توجد مضاربها ضمن محيط الدولة أين تتوفر المراعي الطبيعية والماء والكلأ[6]، والتي شكّلت مصدر رزق بالنسبة لأهل تلمسان، إذ كان يتم نقل المواشي وبيعها في بلاد المغرب والأندلس لرخصها وطيب لحومها، كما كانت تستعمل أيضا للحاجات المنزلية كالتغذية منها الألبان والدهون واللحوم[7]، بينما استعملت الصوف

---

[1] مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج5، ص162، بودواية مبخوث، **الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني**، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، العدد التجريبي، ديسمبر 2008، ص55.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج5، ص12- 13- 20- 111، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو، ص26، فؤاد طواهرة، المرجع السابق، ص79.

[3] الادريسي، نزهة المشتاق، ص250- 255، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص118، بوزيان، الدراجي، المرجع السابق، ص212، مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص56.

[4] **ينظر**: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص86، العبدري، المصدر السابق، ص49، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 20.

[5] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص412، محمد بن ساعو، **التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن 07- 10هـ/13-15م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة باتنة، 2013- 2014م، ص23-25.

[6] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص32، فؤاد طواهرة، المرجع السابق، ص82.

[7] مجهول، الاستبصار، ص179، يحي ابن خلدون، البغية، ج2، ص91، دريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص84.

والجلود كمادة أولية أساسية في الصناعة النسيجية والجلدية، أما الخيل فإنّها كانت معدّة لركوب الفرسان، والبغال والحمير فكانت تستعمل للركوب وحمل الأثقال[1]، وانتشرت أيضا تربية الطيور خاصة الدواجن، ولما كان إقليم الدولة يتوفر على عدة أنهار، فقد مارس سكان المنطقة نشاط الصيد المائي منها مصب وادي ملوية عند البحر المتوسط[2].

ب. الصناعة:

مما لاشك فيه أنّ أسس الرقي الحرفي والصناعي لمجتمع ما مرتبط بشروط أساسية وضرورية، منها وفرة المواد المستعملة، فقد توفرت بتلمسان بعض المعادن التي سمحت بقيام الصناعة المعدنية كالذهب والفضة والزئبق والحديد، بالإضافة إلى الزنك والفولاذ[3]، والتوتياء[4]، فضلا بعض المواد الطبيعية الخام النباتية التي أسهمت في تقدم الصناعات الغذائية، كالدوم والحلفاء والقطن والحرير والكتان والزيتون والخشب والحبوب[5]، أما بالنسبة للحيوانية فنجد الجلود والأوبار والأصواف.

فضلا عن توفر اليد العاملة خاصة الأندلسيين الذين ساهموا في إثراء وتنويع الإنتاج الحرفي، واهتمام سلاطين بني زيان بالنشاط الصناعي وتشجيعهم له، من ذلك السلطان "**أبو تاشفين الأول**" الذي كان مولعا بتشيد المصانع[6]، كما كان "**أبو حمو موسى الثاني**" هو الآخر مهتما بالصناعة، إذ قام بتشيد دار الصناعة سنة (766هـ/1365م)، التي استقطب لها الصناع على اختلاف مشاربهم وكان العمل بها نشيطا[7].

وبالرغم من أنّ الأمن والاستقرار لم يتوفر بالدولة الزيانية إلاّ في فترات متقطعة من عمرها إلا أنّه ساهم هو الآخر في تطور هذا القطاع[8]، كما انعكس اتساع العمران ونشاط الحركة التجارية ايجابيا على ازدهار الصناعة[9].

---

[1] مبخوث بودواية، المرجع السابق، ص56.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص250- 251، دريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص84.

[3] الحسن الوزان، المصدر نفسه، ج2، ص 15.

[4] تستعمل في صبغ النحاس الأحمر ليصبح أصفرا، **ينظر**: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص292- 293، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص 24- 45.

[5] مختار حساني، المرجع السابق،ج2، ص ص31-32، حساين عبد الكريم، المرجع السابق، ص95.

[6] ابن خلدون، العبر، ج7، ص110، مختار حساني، الحواضر والأمصار، ج4، ص28.

[7] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص161، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص221.

[8] ابن قنفذ، الفارسية، ص ص105-106، عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج2، ص102.

[9] خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص 236.

- **أنواع الحرف والصنائع:**

قامت بتلمسان خلال العهد الزياني صناعات عديدة موّنت التجارة وشكّلت نسبة هامة ضمن قائمة الصادرات، وقد اختلفت هذه الصناعات من المجتمع البدوي عن المجتمع الحضري، وعلى العموم كان من أهم الصنائع بتلمسان الصناعات النسيجية التي تشمل بوجه خاص حياكة الملابس والزّرابي والأغطية التي يطلق عليها الحنابل، وصناعة الخيم والأحذية والسّروج والعمائم والأحزمة وغيرها[1]، كما عرفت صناعة الأدوات الفخارية خاصة الأواني المنزلية، حيث ارتبطت هذه الحرفة بوجود عدد من الأفران المتخصصّة بصناعة الفخّار والخزف والقرميد بمدينة تلمسان وضواحيها، وقد أثّرت فئة الأندلسيين بشكل كبير في هذه الصناعة، حيث أدخلوا معهم صناعات جديدة كصناعة الزّليج ذو الألوان المختلفة، إلى جانب ذلك ظهر النّحت على الجبس والزّخرفة والفسيفساء الفنيّة التي وجدت على سطوح الحجرات المبلّطة بالزّليج الملون[2].

فضلا عن ذلك عرفت الصناعة الخشبية هي الأخرى تطورا ملحوظا، نتيجة عمارة المساجد وبناء القصور والبيوت والتي فيما يبدوا أنّها كانت متأثرة بالصناعة الأندلسية، كما برز النحت على الخشب بالنسبة إلى الأثاث والخزائن والصناديق وأبواب المساجد[3].

هذا، وقد انتشرت الصناعات الجلدية بتلمسان وما يتصل بها من دبغ وخرز سروج الخيل وألجمه، بالإضافة إلى صناعة الأحذية، ونظرا لقيمتها كانت تصدر إلى خارج الدولة[4]، كما اهتم سلاطين بني زيان بالصناعة المعدنية نظرا لارتباطها بالحياة المدنية من جهة والحياة العسكرية من جهة أخرى، حيث شملت هذه الصناعة الأسلحة التقليدية والآلات المختلفة التي تستعمل في عمليات الحصار[5].

---

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص92، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص14- 34، مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص ص92- 94،

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص15. روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص ص 242- 243.

[3] مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص98، عطاء الله دهينة، المرجع السابق، ج3، ص363.

[4] خالد بلعربي، المرجع السابق، ص238، دريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص87، فؤاد طواهرة، المرجع السابق، ص84.
-Dozy (R), **histoire de Beni Zeiyan trad de Rawdat el nisrin de ibn Ammor**, 2éme partie dans le journal asiatique, Mai 1944, pp 368- 416.

[5] محمد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني**، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2، الكويت، 1987، ص286.

ولّما كانت صناعة السكة[1] لا تغيب عن أي دولة باعتبارها رمزا من رموز السيادة، فقد كان يتم سكّ العملة وصناعة النّقود من دنانير ودراهم بتلمسان[2]، كما كانت هناك صناعة مزينة ببعض المعادن الثمينة كالذهب والفضة، التي كانت دوما من اهتمامات اليهود منها الركب واللجم وقوائم السيوف والأواني التي تستعمل في بيوت الطبقة الغنية[3].

وإلى جانب هذه الصناعات التي ذكرناها تواجدت صناعات أخرى كالصناعة الغذائية والتي تمثلت في طحن الحبوب[4]، بالإضافة إلى صناعة السلال من نبات الاسل والحلفاء وألياف النخيل، والحصير الذي كان يستعمل في مكان الزرابي بالنسبة للعائلات الفقيرة، بالإضافة إلى صناعة الساعات، حيث كانت في المشور منجانة دقيقة الصنع في غاية الجمال[5].

ج. النشاط التجاري:

كانت التجارة[6] بتلمسان خلال العهد الزياني من الأنشطة الرائجة، فقد مكّنها موقعها الاستراتيجي من ربط علاقات تجارية[7]، ثم إنّ كثرة التنافس بين الدول الأوربية على موانئها، وكذا التنافس بينهم على السلع الإفريقية الآتية من السودان الغربي بواسطة القوافل التجارية كان له دور إيجابي في ازدهار المبادلات التجارية، ناهيك عن العناية التي أولاها سلاطين بني زيان بهذا القطاع، من خلال حرصهم على تحقيق الأمن بعموم البلاد وتشجيع حرية التبادل التجاري، ويمكن اعتبار سنوات (707-738هـ/1307-1337م) فترة هامة من تاريخ تلمسان، نظرا للاستقرار التام الذي

---

[1] يقول عنها "ابن خلدون": "وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص مع المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات"، المقدمة، ص462.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص23، مبخوث بودواية، المرجع السابق، ص62.

[3] عمر سعيدان، **علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان خلال الثلثين الأول والثاني من القرن 14م**، منشورات تالة، الجزائر، 2011، ص31، مختار حساني، الحواضر والأمصار، ج4، ص29.

[4] دريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص88.

[5] التنسي، المصدر السابق، ص ص162- 163، مختار حساني، الحواضر والأمصار، ج4، ص 30.

[6] **التجارة**: هي محاولة الكسب بتنمية المال، بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء، أيًّاما كانت السلعة، وذلك القدر يسمى ربحاً، ابن خلدون، المقدمة، ص319.

[7] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص135، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص87، مصطفى علوي، **الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين**، مجلة كان التاريخية، ع14، ديسمبر 2011، ص89.

Atallah dhina, op cit, p 36.

عرفته، الأمر الذي مكنّها من تحقيق رخاء اقتصادي، حيث شكّلت التجارة أهمّ مورد لخزينة الدولة، وعادت بعميم النفع على تجار المدينة[1].

- **تنظيم الأسواق وإدارتها:**

لاشك أنّ الحديث عن الحركة التجارية بتلمسان يرتبط أساسا بوضعية الأسواق وتنظيماتها، كونها مركز النشاط التجاري بصوره ومراحله المختلفة، والمرآة العاكسة لحياة المدينة الاقتصادية وعنوان نشاطها التّجاري والصّناعي وحتى الاجتماعي، كونها ترتاد من قبل العامة والخاصة ممن له غاية تجارية للبيع أو الشراء[2]، بحيث اشتهرت تلمسان بالعديد من الأسواق[3]، التي دعمّت ببعض المنشآت وأصبح لها تنظيمات وقواعد معينة، كأن أصبح لكل سوق وقت محدّد لانعقاده، فمنها اليومية والأسبوعية[4]، كما وجدت أسواق تنسب إلى الجماعة الدينية كسوق المسلمين وسوق اليهود[5]، بالإضافة إلى ذلك اختصت بعض الأسواق بنوع معين من السّلع، كسوق الخرّازين، وسوق النّحاسين وغيرها[6]، وغالبا ما تجتمع الحوانيت والدكاكين في شارع رئيسي يجمع حرفا متعددة أو متكاملة لتسهيل مهمة المتسوق[7].

ومن مظاهر تنظيم الأسواق كذلك، وجود القيسارية التي شكّلت نموذجا يحتذي به في النظام والحركية والتنوع التجاري[8]، ناهيك عن بناء الفنادق باعتبارها مؤسسة اقتصادية هامة، إذ ينزل بها تجار من مختلف البقاع وتتم فيها أيضا العمليات التجارية تحت رقابة الجمارك[9].

---

[1] عطاء الله دهينة، المرجع السابق، ج3، ص477، بختة خليلي، المرجع السابق، ص25.

[2] عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص136، خالد بلعربي، **ورقات زيانية، دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني**، دار هومة، الجزائر، 2014، ص69، مبخوث بودواية، الحياة الاقتصادية، ص58.

[3] البكري، المصدر السابق، ص76، العبدري، المصدر السابق، ص7.

[4] فاطمة بلهواري، **التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط**، منشورات الزمن، الرباط، 2010، ص81، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص70، روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص245.

[5] فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص84، محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص115.

[6] يوسف التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح أحمد التوفيق، منشورات كلية الرباط، 1984، ص448، خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص246.

[7] فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص80، خالد بلعربي، ورقات، ص73.

[8] فاطمة بلهواري، المرجع نفسه، ص89، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص136.

[9] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص20، خالد بلعربي، ورقات، ص73، محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص126.

وبهدف ضمان السير الحسن للنشاط التجاري وتفعيل الرقابة على الأسواق وتأمينها من الغشّ والتدّليس في بيع السّلع وشرائها والتصدي لعمليات الاحتكار[1]، حرص سلاطين بني زيان على تعين المحتسبين على الأسواق[2]، بيد أنّهم في العصر الزياني المتأخر لم يقوموا بواجبهم كما ينبغي[3]، ولعل ذلك راجع إما إلى كون محتسبي الأسواق تركوا العمل لأعوانهم ولم يراقبوهم[4]، أو أنّ حكام الدولة الزيانية في أواخر عهدهم أصبحوا يعهدون بها لأشخاص عاديين لا تتوفر فيهم الكفاءة اللازمة لممارسة هذه المهنة[5].

ومهما يكن من أمر فإنّ الأسواق بتلمسان قد عرفت فترات من الازدهار والانتعاش، لاسيما في عهود الاستقرار، فكانت الحركة نشيطة في عمليات البيع والشراء التي كانت تتم بواسطة العملة من دنانير ودراهم، أو عن طريق المقايضة والبدل، وقد ساهم في تنشيط هذه الأسواق وتفعيلها فئات التجار الذين تحكّموا في إدارتها وتسييرها على اختلاف أصنافهم ورؤوس أموالهم[6].

- **التجارة الخارجية:**

شكّلت تلمسان مركزا هاما للتبادل التجاري الذي كان قائما بين الدولة الزيانية وبين كل من دول المغرب والمشرق الإسلاميين وبلاد السودان ومناطق أوربا الغربية عبر الموانئ التجارية[7]، التي كان لها دور أساسي في تفعيل المبادلات التجارية، مما مكنّها من إبرام معاهدات اقتصادية معها[8]، كالمعاهدة المؤرخة سنة (686هـ/1286م) والمبرمة مع مملكة أراغونة، حيث تعد أقدم وثيقة معروفة في موضوع العلاقات بين البلدين[9].

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص100، بختة بخليلي، المرجع السابق، ص23.

[2] مرمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص165، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص227، مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص57، خالد بلعربي، ورقات زيانية، ص77.

[3] أبو عبد الله محمد العقباني، **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تح على الشنوفي، مجلة الدراسات الشرقية، المعهد الفرنسي داماس، العدد19، 1967، ص 178، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص27.

[4] العقباني، المصدر السابق، ص178، مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص56.

[5] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص28.

[6] خالد بلعربي، ورقات، ص ص79- 84، فؤاد طواهرة، المرجع السابق، ص87.

[7] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص202.

[8] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص15، مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص139.

- Drfourqe, op.cit, p 13.

[9] Dhina (A), Le royaume Abdeloudide, p 206.

وما ينبغي التنويه أنّ الفقهاء نهوا التجار المغاربة عموما من بيع كل ما يؤذي المسلمين للمسيحين أو لمن يحملها إلى العدو[1]، مما يساعدهم في حربهم ضد المسلمين كالأسلحة والحديد والنحاس والخيل وعدّته، كما أصدرت الكنيسة المسيحية بدورها قرارات بمنع الاتجار مع المسلمين بجملة من السلع كالخشب والحديد والحبوب والحبال وغيرها[2]، ورغم هذه المحظورات إلا أنّ التعامل التجاري بين المسلمين والمسيحين في السلع الممنوعة لم يتوقف في أحيان كثيرة.

هذا، ورغم طابع الصراع الذي ميّز العلاقات السياسية بين تلمسان ودول بلاد المغرب الإسلامي، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من وجود علاقات تجارية بينهم، لوجود مسالك برية وبحرية[3]، فكان التجار يجوبون هذه الطرقات وقوافلهم غادية رائحة لاسيما في عهد "**يغمراسن**" الذي وفّر الأمن في المناطق التي تمر بها القوافل التجارية[4].

كما ربطت تلمسان علاقات تجارية مع بلاد السودان الغربي، أين وفّرت لها المناطق الصحراوية عموما مدا خيل كبيرة[5]، حيث شكّلت تجارة الذهب التي كانت رائجة ببلاد السودان الغربي، دورا هاما في اقتصاد تلمسان واعتبرت عمود صادراتها[6]، كما شكّلت تجارة العبيد مكسبا مربحا لتجار

---

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص 182، وص166، المازوني، المصدر السابق، ج2، ص708، عطاء الله دهينة، المرجع السابق، ج3، ص482، محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص137.

[2] Atallah dhina, op.cit, p 390 -391.

[3] حول هذه المسالك والطرق **ينظر**: الادريسي، المصدر السابق، ص199، اليعقوبي، المصدر السابق، ج4، ص21 وص43، القلصادي، المصدر السابق، ص140، مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص144، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص ص253- 256، مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج5، ص261.

[4] محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص94، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص254.

-Drfourqe, op.cit, p 576.

[5] المقري، نفح الطيب، ج5، ص ص205- 206، الزهري، المصدر السابق، ص ص121- 122، يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص71، لطيفة بشاري، **الرحلة التجارية بين تلمسان وممالك بلاد السودان الغربي**، مجلة المؤرخ، ع5، 2010، ص ص87- 91، بودواية مبخوث، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005- 2006، ص ص310- 316.

[6] المقري، نفح الطيب، ج5، ص205، مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج5، ص272، بودواية مبخوث، المرجع السابق، ص328.

تلمسان، بحيث كان سلعة مطلوبة بكثرة لاستعمالهم في عدة مجالات[1]، في حين تزايد طلب السودانيين على مادة الملح[2].

وما ينبغي التنويه أنّه صاحب هذا النشاط التجاري الواسع وجود تنظيمات خاصة لتسهيل مهمة التجار من جهة واستمرار تدفق ومرور السلع والبضائع إلى البلاد بسهولة كبيرة من جهة أخرى، فعرفت أنواع متعددة من صيغ العمل التجاري كأسلوب المقايضة والبيع والدين أو السلف، والوكالة والشركة التي كانت تسهل على التاجر عناء السفر والتنقل ذهابا وإيابا[3].

وعموما شكّل قطاع التجارة بتلمسان خلال الحقبة الزيانية عصب ومصدر ثروة تلمسان إن صحّ القول، فقد أدى إلى ظهور الثروة على المستوى الرسمي والشعبي، بحيث برزت في المجتمع التلمساني عائلات مارست النشاط التجاري وساهمت في انتعاشه مثل عائلة "**النّجار**" و"**المرازقة**" و"**العقباني**" و"**المقّري**" التي اشتهرت بتجارتها وامتلاكها لعدد من الوكالات التجارية في الواحات الصحراوية[4].

---

[1] مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج5، ص273، بشاري لطيفة، التجارة الخارجية، ص ص274- 275.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص52- 53، خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص264، لطيفة بن عميرة ، الرحلة التجارية، ص91، مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، ص325.

[3] عطاء الله دهينة، المرجع السابق، ج3، ص 485، مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص ص 32- 33، فاطمة بلهواري، العلاقات التجارية، ص64، فؤاد طواهرة، المرجع السابق، ص 94، مصطفى علوى، المرجع السابق، ص89.

[4] **ينظر**: الفصل الثالث من الباب الثاني من الدراسة، ص275.

ثالثا: جوانب من الحركة الفكرية والعلمية بتلمسان:

رغم ما ألمحنا إليه من فتن واضطرابات سادت جميع المراحل السياسية التي مرت بها تلمسان خلال القرون (07هـ/13م ــ 10هـ/16م)، إلا أنّه لم يكن لأي منها أثر على الحركة الفكرية والعلمية، إذ عمّ وانتشر الزخم الفكري الذي ترجمته حركة العلماء وشغفهم في تحصيل العلوم وإقبالهم على الإبداع والتأليف، فقد شخّص لنا الرحالة الأندلسي "**أبو الحسن القلصادي**"(ت891هـ/1486م) المكانة المرموقة التي تبوأتها تلمسان من حيث التقدم الحضاري والتفوق العلمي وذلك عندما ارتادها سنة (840هـ/1437م)، فقال: "**وأدركت فيها كثيرا من العلماء والصّلحاء والزهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجدّ والاجتهاد فيه مرتقية**"[1].

1. **عوامل ازدهار الحركة العلمية بتلمسان:**

من الثابت أنّ هذا المستوى الذي بلغته الحركة العلمية بتلمسان خلال القرون (07هـ/13م ــ10هـ/16م)، راجع أساسا إلى جملة من العوامل أسهمت كلها في دفع هذا الحراك العلمي، فلعها ترجع بالدرجة الأولى إلى النزعة العلمية التي تميز بها أغلب سلاطين وأمراء بني زيان، كتشجيعهم للعلماء ومجالستهم واستقدامهم والتودد إليهم للإقامة في عاصمتهم تلمسان، وإنشائهم للمؤسسات التعليمية، وترتيب عليها علماء كبار، إضافة إلى رعايتهم المعتبرة للفنون والآداب والعلوم الشرعية خاصة[2]، وقد يبدوا ذلك واضحا من خلال ما قام به مؤسس الدولة الزيانية السلطان "**يغمراسن بن زيان**"، الذي نجده يحب العلم ويجمع العلماء ويحسن إليهم ويقّربهم إلى مجالسه ويكرم وفادتهم[3]، فقد أعطى لنا "**التنسي**" صورة واضحة عن شغفه بالعلم والعلماء بقوله: "**وله في أهل العلم رغبة عالية، يبحث عليهم أين ما كانوا، ويستقدمهم إلى بلده، ويقابلهم بما هم أهله**"[4]، وهو الأمر الذي هيأ للسلاطين الذين جاءوا من بعده الاقتفاء لأثره والسير على

---

[1] القلصادي، المصدر السابق، ص95.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص19، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص82، عيسى بن الذيب، مسعود مزهودي، مبارك بوطارن، **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1984، ص154.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص250.

[4] التنسي، المصدر السابق، ص126.

سنته، فقد كان السلطان" **أبو سعيد عثمان بن يغمراسن**" صنو أبيه في تشجيع العلماء والفقهاء، وجعل السلطان "**أبو حمو موسى الأول**" من مدينة تلمسان منارة للعلم ومقصدا للعلماء[1].

ولم يقتصر اهتمامهم على ذلك بل تعدى الأمر بهم إلى الإشراف المباشر في بعض الأحيان على المجالس العلمية والمنابر التي تلقى فيها الدروس في مختلف العلوم، فقد حرص السلطان "**أبو تاشفين الأول**" على إقامة المجالس العلمية والأدبية في قصره، فكان لا يفارقهما أبدا لما يدور فيها من مناظرات بين الفقهاء والعلماء[2]، وانطبق ذلك أيضا على بلاط السلطان "**أبي حمو موسى الثاني**" الّذي كان صاحب حلقة علمية وأدبية راقية[3]، يشارك في قضايا النقاش الّتي تدور في مجلسه لاسيما وأنّه كان على قدر كبير من العلم و الثقافة[4]، ولما آل الأمر فيما بعد لابنه السلطان "**أبي زيان**" أصبح قصره في المشور مؤسسة علمية حقيقية، يؤدي مهام التّعليم بتواصل مستمر، ممّا أدّى "**بالتنسي**" إلى وصف ذلك قائلا: "**فلم تخل حضرته من مناظرة، ولا عمرت إلاّ بمذاكرة و محاضرة**"[5].

وقد كان لعامل المنافسة الشديدة التي كانت القائمة بين سلاطين تلمسان ونظرائهم من بني مرين وبني حفص حول تقريب العلماء والفقهاء والأدباء وإدراجهم في المجالس العلمية وبعض الدواوين والرفع من شأنهم دور كبير في ازدهار الحركة العلمية[6] بتلمسان، من ذلك منافسة بني مرين للزيانيين في عقر دارهم أثناء استيلائهم على المغرب الأوسط، إذ لم يهملوا الحركة العملية التي أرسى قواعدها بني زيان، فقد كان السلطان "**أبو يعقوب يوسف المريني**" حريصا على نيل

---

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص130، التنسي، المصدر السابق، ص ص139 - 140، ابن مرزوق، المسند، ص390، محمد عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص131.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص141، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص ص218، محمد أبو الأجفان، **الإمام أبو عبد الله محمد المقّري**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1988، ص43، فافة بكوش، **أبو عبد الله محمد المقّري(ت759هـ) ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي**، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2011 — 2012م، ص16.

[3] التنسي، المصدر السابق، ص179، محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص207، محمد الأمين بلغيث، **أبو حمو موسى وكتابه**، مجلة الوعي، ع 3- 4، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص68.

[4] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص11، الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص ص170- 171.

[5] التنسي، المصدر السابق، ص211.

[6] محمد الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص215، محمد مشنان، **المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية**، مجلة رسالة المسجد، ع 87، جويلة 2003، ص56.

رضا فقهاء وصلحاء تلمسان[1]، وانتهج "**أبو الحسن المريني**" هو الآخر سياسة خاصة في التعامل مع العلماء والفقهاء كإنعامه المادي عليهم، كما كان لمنجزاته العلمية رافدا لتعامله مع فقهاء تلمسان[2]، وحذا حذوه ابنه "**أبي عنان**" الذي كان هو الآخر فقيها يناظر العلماء ويضرب معهم بسهم وافر في الفنون العلمية[3].

أما ثالث العوامل فيبدوا في حرص الزيانيين على تمتين الروابط الإسلامية مع المشرق الإسلامي عن طريق السفارات والرحلة إلى الحج والزيارة ثم الاستفادة من معارف ومناهج البلاد المشرقية، ولا ننسى في ذلك العامل الأندلسي، فقد كان للعلماء الأندلسيين المهاجرين إلى تلمسان أثرهم في دعم النشاط الفكري وتطويره[4].

2. المؤسسات الفكرية والعلمية بتلمسان:

الثابت أنّ المؤسسات الفكرية والتعليمية شكّلت القاعدة الأساسية لاحتضان العلوم ورعايتها والمحافظة على استمرارها وتطورها، وبناء على ذلك كان التعليم بتلمسان خلال العهد الزياني يتم في مؤسسات مختلفة إما تبعا لمراحل التعليم أو حسب تاريخ ظهور المرافق التعليمية في الدولة[5]، ونستطيع أن نلتمس معالمها في:

أولا: **المدارس**[6]، التي كان انتشارها بتلمسان من أعظم مفاخرها في التمدن، ومن أهم المظاهر التي أضفت المشروعية العلمية على سلاطين الدولة الزيانية[7]، ومنها "**مدرسة أولاد**

---

[1] ابن مرزوق، المسند، ص479، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص114، أحمد المقري، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح سعيد أحمد أعراب- عبد السلام الهراس، ج5، مطبعة فضالة، المحمدية، 1980، ص13.

[2] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص406، الحسن الوزان، المصدر السابق،ج2، ص24، يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص09..

[3] ابن الأحمر، روضة النسرين، ص38، أبو العباس الناصري، الاستقصا، ج3، ص203.

[4] عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج3، ص437، عبيد بوداود، المرجع السابق، ص45.

[5] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص143.

[6] **المدرسة**: تعني لغة الموضع الذي يدرس فيه، أما اصطلاحا فهي مؤسسة رسمية تتمثل في بناية مستقلة أنشئت بإيعاز من الحاكم وفق تخطيط محكم، يستجيب لوظائفها التربوية والاجتماعية المتمثلة في التدريس وإيواء الطلبة، ابن منظور، المصدر السابق، ج6، ص ص75- 86.

[7] يعود ظهورها بمدينة تلمسان إلى النصف الأول من القرن (08هـ/14م)، حيث يعتبر الزيانيون آخر من عرفوا المدرسة النظامية بعد الحفصيين والمرينيين بنحو قرن من الزمن، وعن بلاد المشرق بنحو قرنيين، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص ص405-406، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص156، قاسمي بختاوي، **المدارس في تلمسان في عهد بني زيان**، مجلة الفكر=

الإمام" التي كانت بمثابة حجر الأساس في تكوين قاعدة صلبة للثقافة والعلوم بالدولة الزيانية[1]، حيث تخرج منها وعلى يدي "**ابني الإمام**" -اللذان قام بنشر العلم في رحابها- أجلّة العلماء[2]، فكان لهذه المدرسة بفضلهما صيت كبير عند علماء المشرق[3]، حيث أثنى عليهما قاضي القضاة "**جلال الدين القزويني**"(ت750هـ/1349م)[4] فقال: "**بمثلهما يفخر المغرب**"[5].

ثم تلتها "**المدرسة التاشفينية**"[6] التي ظلّت تمثل أضخم مدرسة بالمغرب الأوسط على الإطلاق، تقدم وظيفتها التعليمية مدة خمسة قرون إلى أن قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية سنة 1876م بتهديمها دون مراعاة للفن والتاريخ[7].

=الجزائري، تصدر عن مخبر المرجعيات الفلسفية، تلمسان، ع4، ديسمبر 2009، ص83، عبد العزيز بومهرة، **التعليم في المغرب والأندلس في القرن الثامن من الهجرة**، مجلة التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة، ع11، ديسمبر 2003، ص127.

[1] يعود بناؤها إلى الربع الثاني من القرن (08هـ/14م)، بأمر من السلطان "أبو حمو موسى الأول" الذي عيّن على هيئة التدريس بها الأخوين "أبو زيد عبد الرحمن" (ت743هـ/1342م) و"أبو موسى عيسى" (ت749هـ/1348م) "ابني الإمام"، فحملت المدرسة اسمهما، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130، التنسي، المصدر السابق، ص139.

-Atallah Dhina, **Les états de l'occident musulman aux XIII, XIV, XV ème siècle**, OPU, Alger, ENAL, sans date, p 316.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130، محمد مكيوي، المرجع السابق، ص96.

[3] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص117.

[4] **جلال الدين القزويني**: هو السراج عمر بن علي القزويني، الحافظ الكبير، محدث العراق، **ينظر**: عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتناء إحسان عباس، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1982، ص944.

[5] ابن مرزوق، المسند، ص226.

[6] أمر ببنائها السلطان "أبو تاشفين عبد الرحمن الأول"، وعيّن للتدريس بها الفقيه "أبي موسى عمران المشذالي"، التنسي، المصدر السابق، ص ص140-141، عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ج2، ص50، خالد بلعربي، ورقات، ص145.

-Rachid Bourouiba, l'art religieux, p 19.

- Marçais (G) et William, Les monuments Arabes de Tlemcen, p21.

[7] التنسي، المصدر السابق، ص134، ابن مرزوق، المسند، ص406، ص438، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج2، ص50، مفدي زكريا، **النشاط العقلي والتقدم الحضاري في عهد الزيانيين**، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع 26، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، جويلية -أوت، 1975، ص166.

دون أن يفوتنا التذكير بالمدارس التي شيدت أثناء السيطرة المرينية مثل مدرسة "**العباد**"، والمدرسة "**اليعقوبية** التي قام ببنائها السلطان "**أبو حمو موسى الثاني**" سنة (765هـ/1362م)[1]، بدور بارز في تطور الحركة العلمية بتلمسان، خاصة وأنّه عين للتدريس بها الفقيه "**أبا عبد الله الشريف التلمساني**" (ت711هـ/1370م)[2]، وقد أشار "**حسن الوزان**" عندما زار تلمسان في بداية القرن العاشر الهجري إلى مدرسة "**الحسن بن مخلوف الراشدي**"[3] والتي أسسها السلطان "**أبو العباس أحمد العاقل**" وأوقف عليها أوقافا جليلة[4].

ثانيا: **المساجد** التي كانت أشبه بالمعاهد العليا تدّرس فيها أنواع العلوم[5]، إلاّ أنّه لا تتوفر إحصائيات دقيقة في مصادر الكتب حول عددها بتلمسان، في حين كشفت بعض الدراسات أنّ عددها قد بلغ حوالي ستين مسجداً[6]، ومن بين هذه المساجد نجد "**مسجد أغادير**" الذي يعد من أبرز المساجد وأقدمها بتلمسان[7]، فقد كان بمنزلة القرويين بفاس، والزيتونة بتونس، والأزهر بالقاهرة، أين قام بوظيفة دينية وعلمية في تدريس العلوم وتحصيل المعرفة خلال العهد الزياني.

---

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق،ج2، ص200، التنسي، المصدر السابق، ص ص179-180، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج 2، ص50، فايزة بوسلاح، المرجع السابق، ص186، محمد بوشقيف، المؤسسات التعليمية، ص110.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص117.

[3] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص19.

[4] التنسي، المصدر السابق، ص ص248- 249، عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج3، ص433.

[5] عبد الحميد حاجيات، المرجع نفسه، ج3، ص438، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج2، ص49، محمد مشنان، **المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية**، مجلة رسالة المسجد، ع87، جويلية، 2003، ص57.

[6] Brosselard (ch): **Les inscriptions Arabes de Tlemcen**, revue Africaine, 3éme année n°14, December 1858, p83.

[7] أسس سنة (174هـ/790م) على يد "إدريس الأول" مؤسس دولة الأدارسة، **ينظر**: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص21- 50، عبد العزيز لعرج، تلمسان عمرانها وعمارتها، ص31.

فضلا عن **الجامع الأعظم بتجرارت**[1]، الذي كان هو الآخر كان بمثابة جامعة على النمط القديم، بحيث أصبح قبلة العلماء وطلاب العلم الذين توافدوا عليه من كل حدب للأخذ عن علمائه، وقد ظلّ دوره الديني والتعليمي قائما طيلة الحقبة الزيانية[2].

بالإضافة إلى مسجد "**أبي الحسن التنسي**"[3]، ومسجد "**أولاد الإمام**"[4]، و"**مسجد سيدي إبراهيم**"[5]، ونشير أيضا للمساجد التي شيدها سلاطين بني مرين بهدف التقرب من سكان تلمسان والتأثير عليهم للقبول بهم، من ذلك "**مسجد سيدي أبي مدين**" بالعباد[6] وغيره.

---

[1] شيّد في العهد المرابطي على يد الأمير "يوسف بن تاشفين" سنة (473هـ/1035م)، **ينظر**: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص147، رشيد بورويبة، **جولة عبر مساجد تلمسان**، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع 26، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، جويلية -أوت، 1975، ص172.

-Marçais (G) et William, **Les monuments Arabes de Tlemcen fontemoingn**, paris, 1905, p 140.

-Rachid bourouiba, **l'art religeux musulman en algére**,send, 1973, p71.

- Marçais, **Tlemcen d'hier et d'aujourd'hui** : bulletin de sociéte des amis du vieux de Tlemcen, Alger, p 20.

[2] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص153، محمد مشنان، المرجع السابق، ص57.

[3] نسبة إلى أحد علماء تلمسان "أبو الحسن التنسي"(ت706هـ/1306م)، تم تشييده بأمر من السلطان "أبو سعيد عثمان بن يغمراسن" سنة(696هـ/1296م) لذكرى الأمير الزياني المتوفى "أبي عامر إبراهيم بن يغمراسن بن زيان"، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص212- 213، عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص33.

- Marçais(G), **l'architecture musulmane d'occident**, Editeurs Arts et Métiers Graphiques, paris VI, 1954,, p272.

[4] أسسه السلطان "أبو حمو موسى الأول" سنة (710هـ/1310م) بالقرب من مسجدي "أبي الحسن" و"إبراهيم المصمودي"، ليكون ملحقا للمدرسة التي بناها للعالمين الجليلين "ابني الإمام"، التنسي، المصدر السابق، ص139، محمود بوعياد، المرجع السابق، ص81، بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، ص 176، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ص49.

[5] شيده السلطان الزياني "أبو حمو موسى الثاني" للعالم "إبراهيم المصمودي" عرفانا بمكانته العلمية سنة (765هـ/1364م)، رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص176، محمد مشنان، المرجع السابق، ص5، عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص34.

[6] أسس بأمر من السلطان "أبي الحسن المريني" سنة (739هـ/1339م)، **ينظر**: ابن مرزوق، المسند، ص ص402-403، التنسي، المصدر السابق، ص ص145- 146، عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص35.

ثالثا: **الزوايا**[1] التي سرعان ما اضطلعت بسائر أقطار المغرب الإسلامي بدور تعليمي هام، حيث اعتبرت مرحلة وسطى بين الكتاب الذي هو مؤسسة ابتدائية والمدرسة التي هي معهد ثانوي[2]، أين ساهمت في تعميم التعليم لدى الشرائح الدنيا في المجتمع، فكان هذا التعليم الذي تقدمه الزوايا بسيطا يقتصر خاصة على حفظ القرآن الكريم فقط[3]، رغم أنّها اهتمت في مرحلتها الأولى بالمشاركة الفعالة في نشر العلم، إذ جعلت من مهامها تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس العلوم النقلية وبعض العلوم العقلية كالفرائض والحساب[4]، فشاركت بذلك في تنوير أفراد المجتمع وفي فك عزلتهم الثقافية، كما وقد اضطلعت الزوايا بوظيفة اجتماعية بداية من القرن (08هـ/14م) تمثلت في الاعتناء الكبير بالإيواء والإطعام، فكانت مقصدا للحجيج في طريقهم إلى البقاع المقدّسة أو عند رجوعهم منها، كما كانت موئلا ومقاما حسنا للمحتاجين والواردين عليها من الغرباء والتجار[5].

ومن جملة الزوايا التي وجدت بتلمسان، نذكر على سبيل المثال لا الحصر زاوية "**أبي عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق**" التي كان يشرف عليها "**عبد الله بن أبي مرزوق**" (ت681هـ/1280م)، والتي كان لها دور كبير في نشر تعاليم "**أبي مدين شعيب**"[6]، بالإضافة إلى زاوية الأمير "**أبي**

---

[1] **الزاوية**: هي لفظ مشتق من الفعل انزوى، أي ركن إلى زاوية أو ركن من أركان المسجد قصد الاعتكاف والتعبد، أما اصطلاحا فتعني ركن البناء، وفي بداية ظهورها ببلاد المغرب الإسلامي كانت مرادفة للرباط والخانقات التي شاع انتشارها في بلاد المشرق، ابن مرزوق، المسند، ص 411، زينب رزيوي، **مؤسسات التوجيه الثقافي في مجتمع المغرب الأوسط ما بين القرنين 7و9هـ/13و15م**، رسالة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، 2009- 2010، ص86.

[2] محمد عادل عبد العزيز، **التربية الإسلامية في المغرب، أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م، ص40، محمد الشريف، المرجع السابق، ص84.

[3] ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، ص117، محمد بوشقيف، **المؤسسات التعليمية بتلمسان**، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، العدد التجريبي، ديسمبر 2008، ص112.

[4] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص182، الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7الهجريين/12 و13الميلاديين**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص223.

[5] النميري، المصدر السابق، ص206، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص413، ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص371.

[6] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص40، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص127، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص 179، خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص317، قاسمي بختاوي، المرجع السابق، ص134.

يعقوب"[1]، وزاوية **"العباد"** التي تخرج منها العديد من المتصوفين على منهج الشيخ **"أبي مدين شعيب"**[2]، وغيرها.

فلاشك أنّ الزوايا بتلمسان قد حافظت على استمرار الثقافة العربية الإسلامية ودافعت عنها، كما ساهمت إلى حد كبير في محو الفوارق الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء، وكثيرا ما حلّت النزاعات والخلافات والخصومات بين الفئات وطبقات المجتمع، بيد أنّه مع نهاية القرن (09هـ/15م) عرفت انحرافا في منهجها التعليمي بسبب تغلغل الطريقة فيها.

هذا فضلا عن **الكتاتيب**[3]، التي انتشرت بالمغرب الأوسط عموما بعد منتصف القرن الأول الهجري تزامنا مع انتشار الإسلام في المنطقة[4]، كمدارس أولية للصغار، فتعتني بتعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى تدريس الفقه والحديث والنحو وغيرها[5]، كما كان للمُكّتب أهداف تربوية منها تعليم الأطفال أمور دينهم كأحكام الوضوء والزكاة والتيمم والغسل وغيرها[6].

كما يمكن اعتبار المجالس العلمية التي حرص سلاطين بني زيان على عقدها هي الأخرى مؤسسات علمية، فقد كانت بمثابة ملتقيات للفكر تقام فيها الندوات ويتبارى فيها العلماء بإلقاء الدروس والتفنن في الإبداع فيها[7]، الأمر الذي ساهم في تحسين مستوى الكثير من العلماء والطلبة

---

[1] بناها السلطان الزياني "أبو حمو موسى الثاني" سنة (765هـ/1362م) بجوار المدرسة اليعقوبية على ضريح والده، التنسي، المصدر السابق، ص179، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص127، ابن مريم، المصدر السابق، ص68.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص413، عبيد بوداود، المرجع السابق، ص98.

[3] **الكتاب**: بضم الكاف وتشديد التاء هو موضع تعلم القرآن والكتابة، يتمثل في حجرة مجاورة للمسجد، بسيط التأثيث، تجمع الشيخ المعلم بالغلمان المتعلمين، وقد ظهر في عهد "الرسول صلّى الله عليه وسلّم"، ثم زاد انتشاره بعد الفتوحات بسبب تحمس الناس لتعلم القرآن الكريم، تمثلت وظيفته الأساسية في التربية الإسلامية، ابن منظور ،لسان العرب، ج2، ص193، محمد أسعد طلس، **التربية و التعليم في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت،1957،ص ص 66-68.

[4] إبراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9-15م**، ج1، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 2000م، ص ص15-19، عيسى بن ذيب وآخرون، المرجع السابق، ص49.

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص ص247- 249، عيسى بن ذيب وآخرون، المرجع السابق، ص50، قاسمي بختاوي، المرجع السابق، ص133، محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص75

[6] الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص234.

[7] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص217، عيسى بن ذيب وآخرون، المرجع السابق، ص45.

الذين تنافسوا في مجال العلم والمعرفة وعقدت بينهم المناظرات العلمية، فساهمت بذلك في ترقية نوعية التعليم ودفع الحركة العلمية بتلمسان.

هذا، ولمّا كان للحركة العلمية ألاّ تنموا بمعزل عن مصادر المعرفة، وانطلاقا من كون تلمسان عدّت مركزا علميا وحضاريا قبل وطوال فترات العهد الزياني، بالإضافة إلى عمليات التبادل الثقافي بين البلدان الإسلامية التي كانت المورد الأسنى لمئات الكتب التي ألفت في مختلف الفنون، فكان من الطبيعي أن تنتشر المكتبات بتلمسان سواء منها العامة أو الخاصة[1]، ولعل من أهم ما ساعد على إنشائها كثرة التآليف وعمليات النسخ المكثفة[2]، وحرص سلاطين بني زيان على بنائها وتجهيزها بكل ما تحتاجه من خزائن للكتب على عادة المدارس لذلك العهد[3]، وتزويدها بالكتب اللازمة في مختلف العلوم وذلك كله خدمة للأساتذة والطلبة[4]، من ذلك الدور الهام الذي قام به السلطان "**يغمراسن بن زيان**" في توفير شروط إنشاء المكتبات[5]، كما أسس السلطان "**أبو حمو موسى الثاني**" سنة (760هـ/1359م) مكتبة بالجامع الأعظم، كانت تحوي النفائس من المخطوطات في كل العلوم[6]، وحذا حذوه ابنه السلطان "**أبو زيان محمد**" في تأسيس مكتبة بالقسم الأمامي من الجامع الأعظم بتلمسان، أين نالت شهرة واسعة في أقطار المغرب والمشرق لما اشتملت عليه من الكتب المختلفة[7].

وحرصوا أيضا على أن تكون المكتبات مرفقا أساسيا من مرافق القصور السلطانية، إذ كانت هذه المكتبات أعظم المكتبات بحكم تعلق قيامها بالسلاطين ولما تحويه من المخطوطات والكتب[8]، بل وجدت كذلك مكتبات خاصة لدى الأسر العلمية العريقة بتلمسان، كأسرة "**ابن مرزوق**" و**العقباني** والأسرة **المقّرية**[9].

---

[1] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص129، محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص ص112- 113.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص27، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص131.

[3] ابن مرزوق، المسند، ص 407، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ج2، ص101.

[4] خالد بلعربي، ورقات، ص187، محمد مشنان، المرجع السابق، ص58، محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص113.

[5] ابن مرزوق، المسند، ص460، التنسي، المصدر السابق، ص 124، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص 131.

[6] عبد العزيز فيلالي، ج2، ص 305، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص132، خالد بلعربي، ورقات، ص187.

[7] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص 132.

[8] التنسي، المصدر السابق، ص211، محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص349، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص134، برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص385.

[9] **ينظر**: الفصل الأول من الباب الثاني، ص176.

أما النظام العام للتعليم في هذه المؤسسات آنذاك يبدو أنّه كان يقوم على النحو التالي: تحفيظ القرآن الكريم وتلقين الخط والإلمام بمبادئ العربية والحساب الأولية[1]، وتقوم بها الكتاتيب القرآنية [2]، لتبدأ مباشرة المرحلة الثانية أو المرحلة الثانوية التي تتم بالمساجد والمدارس التي شيدّت بمختلف أرجاء مدينة تلمسان، أين يقبل الطلبة على دراسة مجموعة من المواد المتعلقة بالعلوم النقلية كالحديث والفقه وطرفا من الأصلين[3].

ومهما يكن من أمر فإنّ المؤسسات التعليمية بتلمسان خلال العهد الزياني على اختلاف أنواعها قد ساهمت بشكل فعال في نمو وتطور الحركة العلمية بصفة خاصة، إذ تضافرت جهودها في نشر العلوم والمعارف، وإن كانت هذه الجهود متفاوتة، إلاّ أنّها استطاعت أن تحافظ على استمرار السند العلمي.

3. نتائج النهضة العلمية بتلمسان:

لا نجانب الصواب إذا قلنا أنّ الازدهار الفكري والعلمي الذي عرفته تلمسان من القرن **7**هـ/**13**م إلى القرن **10**هـ/**16**م، كان له إفرازات ونتائج ملموسة في الواقع تمثلت في وفرة العلماء الذين شكلوا أقطاب الهيئة العلمية بها[4]، بحيث أنجبت تلمسان عددا هائلا من العلماء في مختلف الفنون، لاسيما الدينية منها، أمثال "**ابني الإمام**" و"**أبي عمران المشذالي**" و"**الآبلي**" وعلماء أسرة "**المقّري**" و"**أبي عبد الله الشريف التلمسان**" و"**السنوسي**" وغيرهم كثير، فساهموا بدورهم في تطوير الحياة العلمية، فكوّنوا خلفائهم من العلماء والأئمة، ثم شاركوا في التأليف فتركوا تراثا علميا زاخرا يحمل طابع الاجتهاد والإبداع ويخص سائر المجالات حتى الرياضيات والفلك اللّذان لم يحظيان قبل ذلك بكثير من التفات العلماء في بلاد المغرب الإسلامي[5].

وتحسن الإشارة هنا إلى أنّ علماء هذا العهد اتصفوا بقوة الشخصية وبلغوا من الشجاعة الأدبية ما يواجهون به الأمراء، ومن ثمّ التأثير عليهم وردّهم إلى جادة الصواب كلما حاولوا انتهاك

---

[1] Dhina (A), Les états, p 289.

[2] أحمد بن أبي جمعة المغراوي، **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآداب الصبيان**، تح أحمد جلول بدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (ب ت)، ص47.

[3] عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج3، ص ص437- 438، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص260.

[4] محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص209، حفيظة بلميهوب، المرجع السابق، ص100.

[5] عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص147.

حقوق المسلمين، وعدم السكوت و الخضوع لهم[1]، ومن بين هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر **"أبو زيد عبد الرحمان ابن الإمام"** (ت743هـ/1343م) الذي واجه السلطان " **أبو الحسن المريني**" عندما أراد جمع المال للجهاد ، فخاطبه قائلا :«**لا يصلح لك هذا حتى تنكس بيت المال وتصلي فيه ركعتين كما فعل علي ابن أبي طالب**»[2]، والإمام **"أبو عبد الله الشريف التلمساني"** (ت771هـ/1369) الذي جاء عنه أنّه وقعت مشاهدة حادة بينه و بين السلطان **"أبي عنان"**، فقال له: «**تقريبك إياي قد ضرني أكثر مما نفعي ونقص بي ديني وعلمي**» فغضب السلطان وأمر بإلقائه في السجن، ثم أطلقه و اعتذر إليه، لمّا بلغ السلطان استياء العامة والخاصة من ذلك [3].

وتظهر أيضا نتائج النهضة العلمية التي ميزت حاضرة تلمسان في تطور مناهج وأساليب التعليم بها، فقد كانت لإسهامات الجالية الأندلسية ورحلة علماءها إلى بلاد المشرق وتونس وبجاية فائدة جليلة، حيث تركت بصماتها الإيجابية في تطوير أساليب التدريس وطرق تلقي المعلومات وطرائق الاستفادة منها وذلك بواسطة تجاوز الطريقة التقليدية المعتمدة سابقا[4].

فممن قام بهذا التغيير بعض الشيوخ والأعلام الذين اعتمدوا المنطق والجدل وفي مقدمتهم **"ابني الإمام"** و**"أبو عبد الله الشريف التلمساني"**، هذا الأخير الذي روي عنه أنه كان يحب البحث بطريقة الحوار والمناقشة والتحليل إذ كان يرى أنّ نفع الطلبة بها أكثر، لأنّها تجبرهم على الاطلاع على الكتب الكثيرة[5]، فهي تدفع الطلبة للتنافس لاستنباط الحقائق، فحينما كانت تستعصي على الطلبة مسألة من المسائل العلمية، كان **"الآبلي"** يقول لطلبته: "**إذا ما أشكلت مسألة أو ظهر بحث دقيق انتظروا أبا عبد الله الشريف**"[6]، لأنّه كان من أنجب طلابه.

---

[1] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص53، يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر، ج2، ص12.

[2] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص221، أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص526، ابن مريم، المصدر السابق، ص222، القلصادي، المصدر السابق، ص99، رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج9، ص138 .

[3] محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ص146.

[4] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص160، الفرد بل، المرجع السابق، ص ص37-160.

[5] ابن مرزوق، المسند، ص405، علي الجزنائي، المصدر السابق، ص132، أبو العباس الناصري، المرجع السابق، ج3، ص65، محمد المنوني، المرجع السابق، ص239.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص170، الشريف التلمساني، مفتاح الوصول، ص71، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص353.

واشتهرت أيضا على يد "**سعيد العقباني**"[1]، إذ يرى "**ابن خلدون**" أن طريقة التعليم وملكة التلقي انتهت لدى "**أبي عبد الله الشريف**" و"**سعيد العقباني**" هذا، كما أنّ "**أبا موسى المشذالي**" لما قدم تلمسان نشر طريقة أستاذه "**ناصر الدين المشذالي**" التي قدم بها من المشرق[2].

ولمّا كانت طريقة التعليم تشّكل إحدى أهم القنوات الرئيسية في التمكن من العلوم وترسيخها وتطورها وتنمية مجالاتها المختلفة بما يحقق التوالد المعرفي والإبداع فيه، فقد عمل بعض شيوخ تلمسان الذين تأثروا بمنهج المشارقة وأهل افريقية على استقدام طرائق جديدة تقوم على مزج تعليم القرآن مع الحديث ودراسته، والفقه والعلوم اللسانية من صرف وبلاغة وشعر ونثر وتحفيظهم لقواعد اللغة وعلم الحساب وغيرها من المواد[3]، الأمر الذي جعلهم يبلغون مستوى تعليميا وثقافيا لائقا يؤهلهم للحياة العلمية أو لمواصلة دراستهم والتخصص والتعمق أكثر في العلوم المذكورة.

والجدير بالملاحظة أنّ الحالة الفكرية بتلمسان اتسّمت بهيمنة علوم الفقه، إذ نجد أغلب الطلبة يتّجهون لدراسته، لأنّه أهم طريقة للوصول إلى المال والجاه[4]، وبناء على ذلك حرص الفقهاء على تدريسه، إذ فاقت العناية به أي علم آخر وهذا ما يتضح من خلال قول "**أحمد الونشريسي**"(ت 917هـ/1508م): "**من لا يعرف الفقه لا يعرف غيره**"[5].

وهنا نصل إلى ميزة أخرى وهي العودة القوية للمذهب المالكي وفقهاه الذين حظوا بمراكز مرموقة في مجالس الدرس والفتيا، وراحوا يكّرسون على المستوى العقدي الرسمي شيئا فشيئا تنظيرا

---

[1] **سعيد العقباني**: بن محمد بن محمد التجيبي التلمساني، أخذ عن ولدي الإمام والمشذالي وابن حيدرة في الأدب والتصوف وعن ابن عبد السلام، واختص بالتدريس والإفتاء والقضاء، توفي سنة (811هـ/1408م)، ابن مريم، المصدر السابق، ص106، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص 250، السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج6، منشورات مكتبة دار الحياة، (ب ت)، ص181، شهرزاد رفاف، **أبو عثمان سعيد العقباني حياته وأثاره (ت811هـ/1408م)**، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، المركز الجامعي ببشار، 2007، ص ص30-40.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص473.

[3] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص227، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص346، عيسى بن ذيب وآخرون، ص 160، محمد مكيوي، المرجع السابق، ص99.

[4] ابن فرحون، الديباج، ص78، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص347.

[5] التنبكتي، المصدر السابق، ص ص144- 145، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص348.

مالكيا[1]، فأصبح محور العملية التعليمية وتوسعت دراسات العلوم الدينية، لكن شيئا فشيئا بدأ يغلب عليها الميل إلى التبسيط والتفريغ فيها، وعاد العلماء إلى الفروع ونسوا الأصول، وكانت الهمم قد أصابها فتور وسرد الفروع والاقتناع بالتقليد[2]، ولاشك أنّ هذا الوضع الذي حمل بعض العلماء إلى الاجتهاد لمعالجة مستجدات الفكر والسلوك، الشيء الذي انعكس واضحا في مؤلفاتهم، ومن هؤلاء "**ابني الإمام**" و"**الشريف التلمساني**" و"**أبو عبد الله محمد المقّري**"[3] وغيرهم كثير.

ولعله أيضا الأمر الذي عزز حضور التصوف[4] السني عند علماء الفترة بتلمسان[5]، إذ برز بتلمسان مجموعة كبيرة من شيوخ التصوف أمثال "**أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق**"(ت741هـ/1340م) و"**أبو عبد الله محمد المقّري**" و"**الآبلي**" وغيرهم ممن كانوا زهادا عارفين، أصحاب مقامات وأحوال، حرصين على العمل بالكتاب والسنة والاعتناء بالجانب التربوي العملي من التصوف، حيث يقول "**محمد الأنصاري المالقي**" (ت735هـ/1335م): «**كل حقيقة لم تتقيد بالشريعة فهي باطلة، وكل شريعة لم تتقيد بالحقيقة فصاحبها محجوب**»[6]، إلاّ أنّهم لم يرتقوا إلى مصاف أسلافهم الذين كوّنوا لأنفسهم تلاميذ ومدارس وطرائق ارتبطت بأسمائهم في ربوع المغرب والمشرق[7].

---

[1] سعيد البوسكلاوي، **الجدل الكلامي في عصر ابن خلدون**، ضمن كتاب الأبنية الفكرية في الغرب الإسلامي زمن ابن خلدون، تنسيق بناصر البعزاتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2007، ص130، مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج4، ص214.

[2] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص239، سعيد البوسكلاوي، المرجع السابق، ص131، أبو عبد الله الشريف، المصدر السابق، ص41، مختار حساني، المرجع السابق، ج4، ص214.

[3] **ينظر**: الفصل الأول من الباب الثاني من الدراسة، ص198.

[4] **التصوف**: هو العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخف الدنيا وزينتها والزهد فيها أقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة، ابن خلدون، المقدمة، ص391.

[5] انتشر تيار التصوف بتلمسان وسائر حواضر المغرب الإسلامي منذ القرن 6هـ/12م، ومرد ذلك ظهور شخصيات صوفية أبرزها "أبو مدين شعيب الاشبيلي" (ت595هـ/1198م)، الذي يعدّ أول من أدخل تعاليم الصوفية إلى المغرب الأوسط، التادلي، المصدر السابق، ص ص319-320، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص384، عبيد بوداود، المرجع السابق، ص42-81، محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية ، ص 190.

[6] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص243.

[7] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص387، ألفرد بل، المرجع السابق، ص383.

ومهما يكن من أمر، فتلك نظرة عن مظاهر تطور الحركة العلمية والفكرية بتلمسان، وهي بحق تدّل على مدى الرقي الفكري والازدهار الاقتصادي والإبداع الحضاري الذي بلغته تلمسان خلال العهد الزياني، فكان من الطبيعي أن تصبح تلمسان خلالها في مصاف الحواضر الإسلامية، فقد قال عنها "**ابن خلدون**": "**من أعظم أمصار المغرب**"[1]، كل ذلك كان حافزا لأن تبرز بها بيوتات علمية توارث أبناؤها العناية بالعلوم والمعارف أمثال الأسرة **المقّرية**.

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص81.

الفصل الثاني

التعريف بالأسرة المقّرية وظروف استقرارها بتلمسان:

أولا: أصل بيت المقّري.

ثانيا: ضبط التسمية المقّرية.

ثالثا: الأسرة المقّرية والنسب القرشي.

رابعا: ظروف استقرار الأسرة المقّرية بتلمسان.

تعتبر الأسرة **المقّرية** واحدة من أشهر الأسرة العلمية العريقة التي برزت بتلمسان، والتي ذاع صيتها وانتشرت شهرتها إلى ربوع العالم الإسلامي، فهي بيت تسلسل العلم والجاه في بنيها خلال ثلاثة قرون أو يزيد، حيث توارث أبناؤها العناية بالعلوم والمعارف، وارتقوا أرفع المناصب، أين برز منهم القضاة والأئمة والمدرسون، فكان بذلك الفضل لرجالاتها في سير الحركة العلمية واستمرارها في العطاء طوال قرون، ليس بتلمسان فحسب وإنّما بكل الحواضر التي حلّوا بها، ولم تكن ظاهرة بروز أبناء هذه الأسرة خاصة بالمجال العلمي فحسب بل شمل مجالات أخرى كالمجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

فما هو إذن أصل الأسرة **المقّرية** وما هي نسبتها؟ ثم ما هي العوامل التي ساهمت في ظهورها؟

أولا: أصل بيت المقّري وتسميته:

ذكر جمهور المؤرخين والنسابين[1] أنّ نسبة الأسرة **المقّرية** تعود لجدها الأكبر "**علي بن داود القرشي المقّري**"، حيث جاء عن "**لسان الدين ابن الخطيب**"[2] وهو يتكلم عن كبار شيوخه من أفراد الأسرة **المقّرية** "**أبي عبد الله محمد المقّري**"(ت759هـ/1358م)، قوله: "**محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي بن داود القرشي المقّري**"[3].

---

[1] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص420، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص136، أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص1، ابن مريم، المصدر السابق، ص154، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص59، ابن عماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح محمود الأرناؤوط، إشراف عبد القادر الأرناؤوط، ج8، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 1988م، ص332، ابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تح محمد الأحمدي أبو النور، ج2، المكتبة العتيقة- دار التراث، ط1، تونس- القاهرة، 1971، ص43، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص232.

[2] **لسان الدين ابن الخطيب**: هو محمد بن عبد الله بن سعد السلماني اللوشي، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله المعرف بابن الخطيب، الشهير بذي الوزارتين، وزير، مؤرخ، أديب، كان مولده سنة (713هـ/1313م)، ووفاته سنة (776هـ/1374م)، التنبكتي، المصدر السابق، ص ص445-446، **ينظر**: ترجمته في الفصل الأول من الباب الثاني من الدراسة، ص166.

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص191.

وجاء عن "**أبي العباس أحمد المقّري**" في حديثه عن أكابر شيوخ "**ابن الخطيب**" منهم جدّه "**أبو عبد الله محمد المقّري**" فقال: "**محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن القرشي شهر بالمقّري**"[1].

أما "**التنبكتي**" فقد ذكر: "**محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقّري**"[2].

فمما يلاحظ على نسبة الأسرة **المقّرية** أنّ "**ابن الخطيب**" زاد "**ابن داود**" أي "**علي بن داود القرشي المقّري**"، في حين اقتصر "**أحمد أبو العباس المقّري**" على ذكر "**علي القرشي المقّري**"، أما "**التنبكتي**" فذكر فقط "**عبد الرحمن القرشي شهر بالمقّري**"، ولا ندري هنا أسباب هذا الحذف؟

ولا ربما ما نلمسه من خلال تتبعنا للأسر العلمية بتلمسان أو بغيرها من الحواضر الإسلامية، أنها غالبا ما تأخذ نسبتها من أشهر العلماء الذين يمثلونها مثلما هو الأمر بالنسبة لبيت "**المرازقة**"[3] وبيت "**أولاد الإمام**"[4] وغيرهم، أو تأخذ نسبتها من الأماكن التي تقطنها أو كانت

---

[1] المقّري، نفح الطيب، ج5، ص203.

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص420.

[3] **بيت المرازقة**: يعود أصل هذه الأسرة إلى القيروان، تنحدر من بطون البرانس من ولد عجيسة بن برنس، هاجرت من موطنها الأصلي واستقرت بتلمسان خلال القرن الخامس الهجري، مارس أفرادها التجارة في القيصرية ودرب مرسى الطلبة بتلمسان، والفلاحة بأرض العباد، كما اشتهروا بالعلم والتقوى، ومن أهم علمائها الذين ذاع صيتهم مشرقا ومغربا "شمس الدين أبو عبد الله" المشهور "بابن مرزوق الجد(710هـ- 781هـ)، و"محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق" المعروف "بالحفيد" (766هـ- 842هـ)، و"محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق" المعروف "بالخطيب" أو "حفيد الحفيد" (كان حيا سنة 918هـ)، الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص274، ابن مريم ، المصدر السابق، ص226، المقري، نفح الطيب، ج5، ص412، القلصادي، المصدر السابق، ص96، السخاوي، المصدر السابق، ج7، ص50، قاسمي بختاوي، واقع التعليم في المغرب الأوسط، ص ص134- 135، نصر الدين بن داود، **علماء أسرة المرازقة ودورهم الثقافي بتلمسان من ق 7هـ13م إلى 10هـ 16م**، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2002-2003م، ص ص1- 6.

[4] **بيت أولاد الإمام**: من البيوتات الراسخة في العلم، نسبة إلى الإمام عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام، البرشكي ، كان يقطن مدينة برشك الساحلية، وتولى هناك منصب إمام للصلاة وواعظ بأحد مساجدها، كما كان أبوه إماما بنفس البلدة، توفي سنة (683هـ/1284م)، وكان للإمام ولدان (أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى)، اشتهرا بلقب (ابني الإمام)، وقد ارتبط اسمهما بتلمسان، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص222-229، التنبكتي، المصدر السابق، ص ص245-248، يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، ص19، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان، ص ص126-127.

تقطنها مثل بيت "**العقباني**"[1]، فإنّ الأمر نفسه بالنسبة للأسرة "**المقّري**"، حيث تعود تسميتها بالمقّرية نسبة إلى قرية "**مقرة**"[2]، وهي قرية من قرى "**الزاب**"[3] بإفريقية تقع بين مدينتي "**طبنة**"[4] و"**المسيلة**"[5] حسب ما أشار إليه "**ابن حوقل**"[6] الذي عرف الشمال الإفريقي والأندلس وصقلية أثناء رحلته الواسعة التي قام بها في النصف الأول من القرن الرابع هجري/الثامن الميلادي فقال: «**ومن طبنة إلى مقرة منزلة فيها أيضا مرصد مرحلة ومن مقرة إلى المسيلة مرحلة**»[7]، وجاء عنه أيضا قوله: «**ويأخذ من باغاي طريق إلى مقرة عليه دار ملول وطبنة...**»[8]، كما أشار إلى

---

[1] **بيت العقباني**: من أشهر البيوتات العلمية بتلمسان ، هاجر من الأندلس نحو المغرب الأوسط على إثر الظروف السياسية والعسكرية القلقة التي عرفتها الأندلس، ويرجح "بن داود نصر الدين" أنّ استقرار الأسرة بتلمسان قد يكون في نهاية القرن (7هـ/13م) أو مع بداية القرن (8هـ/14م)، أنجب هذا البيت عدّة علماء كان لهم الإسهام الكبير في البناء الحضاري لتلمسان خلال العهد الزياني، من بينهم "سعيد العقباني"(ت811هـ/1408م) و"قاسم العقباني" (ت854هـ/1450م)، وكذا "أحمد العقباني" (ت840هـ/1436م) وغيرهم، ابن مريم، المصدر السابق، ص106، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص204، نصر بن داود، البيوتات العلمية بتلمسان، ص ص72- 86.

[2] ابن القاضي، المصدر السابق، ص43، محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تح محمد حجي، أحمد التوفيق، ج1، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص291.

[3] **الزاب**: ويقال لها أيضا بلاد الجريد، منطقة واسعة تقع جنوب غرب إفريقية على طرف من الصحراء، كانت في الأصل عبارة عن قرى عديدة تعرف كل واحدة منها بالزاب، وإقليم الزاب يبتدئ غرباً من تخوم مسيلة ويحده شمالاً جبال مملكة بجاية، ويمتد شرقاً إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس وجنوباً إلى القفاز التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى وركلة، ومن مدنها طبنة والمسيلة، نقاوس وبسكرة وتهوذة، محمد بن أحمد المقديسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر، ط2، بيروت، 1906 المصدر السابق، ص231، الحميري، الروض المعطار، ص ص113-114.

[4] **طبنة**: بضم الطاء وسكون الباء وفتح النون، تقع حاليا قرب بريكة، وهي مدينة قديمة تعود إلى العهد الروماني، أعاد بناؤها "عمر بن حفص" سنة 51هـ، كانت عاصمة الزاب ومقر الولاة، كما كانت مركزا للعلم والعلماء، لا تزال أطلالها باقية غير بعيدة عن مركز بيطام جنوبا وواد بريكة شمالا، البكري، المصدر السابق، ص136، الادريسي، المصدر السابق، ص165.

[5] **المسيلة**: تقع بالمغرب الأوسط، وهي مدينة عتيقة بناها الرومان في تخوم صحراء نوميديا على بعد مائة وأربعين ميلا من بجاية، وحاليا تبعد عنها بـ 190كلم، اختطها أبو القاسم محمد ابن المهدي سنة(315هـ/927م)، فكانت تدعى المحمدية على عهد الدولة الفاطمية نسبة لمحمد ابن المهدي مؤسسها، وقام ابن حماد بتعميرها حتى صارت له بها دولة مستقلة، ولي أمرها بعده أبناؤه من بعده، كان للمدينة دور هام في نشر العلم وجلب العلماء، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص130، البكري، المصدر السابق، ص141.

[6] **ينظر**: الملحق رقم 02، ص318.

[7] ابن حوقل، المصدر السابق، ص85.

[8] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص67.

ذلك أيضا "**المقديسي**" حين قال: «**والزاب مدينتها المسيلة ولها مقرة، طبنة، بسكرة، بادس...** »[1].

وهذه القرية قد زالت تماماً ولم يبقى شيء من تلك المدينة العظمى التي كانت تشكل مركزا هاما للعديد من الحصون المحيطة بها، حسب ما جاء عن "**اليعقوبي**" الذي أشار إليها خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي في كتابه "**البلدان**" بقوله: «**ومدينة يقال لها مقرة، لها حصون كثيرة، والمدينة مقرة أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر يقال لهم بنو زنداج وقوم يقال لهم كزبرة وقوم يقال لهم سارسة** »[2].

والذي ينبغي أن يسترعي الانتباه أنّ "**مقرة**" قد كانت مدينة كبيرة خلال القرن الخامس الهجري/العاشر الميلادي، وهذا بناء على ما جاء عن "**البكري**" الذي أشار إليها في كتابه "**المسالك والممالك**" فقال: «**ومن طبنة إلى مدينة مقرة وهو بلد كبير ذو ثمار وأنهار ومزارع** »[3].

لكن من الواضح أنّ مدينة "**مقرة**" أصبحت مدينة صغيرة على عهد "**الإدريسي**" خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، الذي أشار إليها بقوله: «**وتخرج من المسيلة إلى مقرة مرحلة، وهي مدينة صغيرة وبها مزارع وحبوب وأهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير**»[4].

هذا، ونجد أيضا "**الحميري**" بعده يصفها تارة بالمدينة الصغيرة فقال: «**مقرة بينها وبين المسيلة من بلاد الزاب مرحلة وهي مدينة صغيرة وبها مزارع وحبوب وأهلها يزرع الكتان وهو عندهم كثير، وبين مقرة وطبنة مرحلة وبين طبنة وبجاية ست مراحل**»[5]، ويصفها تارة أخرى بالمدينة العظمى فيقول: «**ومقرة هي المدينة العظمى وفيها منبر وعليه سور وأهلها قوم**

---

[1] المقديسي، المصدر السابق، ص57 .

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص191.

[3] البكري، المصدر السابق، ص152.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ص164.

[5] الحميري، الروض المعطار، ص556.

من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر، لها حصون كثيرة"[1]، لكن الظاهر أنّه قد أخذ هذا الوصف عن "**اليعقوبي**".

وقال عنها "**ياقوت الحموي**": «**مدينة بالمغرب في بر البربر قريبة من قلعة بني حماد بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ، بها مسحلة السلطان ضابط الطريق، ينسب إليها عبد الرحمن بن محمد المقري**»[2]

في حين جاء عن "**النميري**" قوله: «**وكانت مقرة من البلاد الشهيرة والمسورات المنية المنيرة، والحواضر المشيدة بالطاعة المشيرة، ذات الزيتون الملتف الحدائق، والفواكه التي تحلى في عين الناظر وتحلو في فم الذائق...**»[3]، ففي هذا النص تأكيد على أنّ "**مقّرة**" كانت من المدن الكبرى، لكن من الواضح أنّ ذلك كان قبل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وهذا ما نلمسه من خلال نصّ آخر "**للنميري**" جاء فيه قوله: «**ولم تزل تحت أحكام السلطنة مأمونة مأمولة...تمضي فيها الأوامر، ولا يتمكن منها الداء المخافر، حتى أتيح لها هؤلاء الموحدون، فعزلوا عنها ولاتهم، وأسلموها للعرب يعيدون إبرامها إلى النقض**»[4]، إلى غاية قوله: «**قد أخلاها الخراب فكأنّها طن دور سورها تسلسلا ودورا**»[5]، فلاشك أنّه الأمر الذي جعل "**الحميري**" يصفها تارة بالمدينة الصغيرة، وتارة أخرى بالمدينة العظمى.

ونوّد التذكير هنا أنّه خلال القرن العاشر الهجري/القرن السادس عشر الميلادي لم يذكرها قط "**الحسن الوزان**"، مما يدّل على أنّها قد اضمحلت وخربت.

---

[1] الحميري، المصدر السابق، ص556.

[2] الحموي، معجم البلدان، ج5، ص175، وكذلك ذكرها "**البغدادي**" نقلا عن "**الحموي**" **بقوله**: « **مدينة بالمغرب في بر البربر قريبة من قلعة بني حماد بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ**»، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، **مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع** (مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي)، تح علي محمد البجاوي، مج 1، دار الجبل، ط 1، بيروت، 1992م، ص1299.

[3] النميري، المصدر السابق، ص520.

[4] النميري، المصدر نفسه، ص521.

[5] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ولكن ما تحسن الإشارة إليه أنّها قامت بدورها خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين في تخوم منطقة النفوذ الحفصي[1]، أين عمد الحفصيون في عهد الأمير الحفصي "**أبي عبد الله محمد المستنصر**"(647هـ-675هـ/1249م-1276م)[2] إلى السيطرة عليها وتقوية نفوذهم بها بعد أن فشلوا في إبقاء مدينة "**المسيلة**" تحت حكمهم بسبب نفور سكان المنطقة منهم[3].

ولكن بالرغم مما بذلته السلطة المركزية من جهود في إبقاء "**مقّرة**" تحت سلطتهم، فإنّها كانت في أغلب الأحيان تحت سلطة بعض شيوخ الأعراب الذين وصل الأمر بهم في بعض المناسبات إلى استقبال أحد المطالبين بالعرش، المتمرّد على السلطان[4]، مثلما هو الأمر بالنسبة "للذواودة"[5] من قبائل رياح بقيادة رئيسهم "**شبل بن موسى الرياحي**" الذي عقد البيعة "**لأبي القاسم بن أبي زيد**"[6] سنة (661هـ/1263م)[7]، الأمر الذي دفع بالسلطان "**المستنصر**" للخروج إليهم سنة (664هـ/1267م)، لمحو آثار الفساد منه وتقويم العرب على الطاعة، فلّما وصل السلطان بلاد رياح فرّ "**شبل بن موسى**" وقومه "الذواودة" إلى القفر، واحتل السلطان المسيلة آخر وطن رياح، أين

---

[1] روبار برو نشفيك، المرجع السابق ،ج1، ص322.

[2] **أبو عبد الله محمد المستنصر**: بن أبو زكريا ولي عام (647هـ/1249م)، وسمي بأمير المؤمنين عام (650هـ/1252م) بعد أن قدمت عليه البيعة من مكة والشام والأندلس، تونس سنة (675هـ/1270م)، ابن خلدون، العبر، ج6، ص322، الزركشي، المصدر السابق، ص320.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص422.

[4] روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص322.

[5] **الذواودة**: بطن من عمارة مرداس وهو من عرب رياح من بني هلال وقد ترأس الذواودة رياح وكانت موطنهم تمتد من الجريد إلى القيروان إلى الزاب، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص35.

[6] **أبو القاسم بن أبي زيد**: ابن الشيخ أبي محمد القائم بالأمر بعد أبيه، وهو ابن عم المستنصر، حاول الخروج عن طاعة السلطان، فرّ سنة (661هـ/1258م) ولحق برياح، ثم تحول عنهم ولحق بتلمسان وأجاز البحر منها إلى الأندلس، ثم رجع إلى تلمسان وبها توفي، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص334-335.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 334- 335، محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ص187.

وافاه هنالك أمير "**بنو توجين**" من زناتة "**محمد بن القوي**" مجددا لطاعته ومتبركا بزيارته، فاحتفى به السلطان أشد احتفاء[1] وأقطع له مدينة "**مقرة**" من عمل الزاب[2].

هذا، وقد كانت مدينة "**مقرة**" تتنافس مع "**بسكرة**"[3] [4]، هذه الأخيرة التي أصبحت نتيجة انقسام الدولة الحفصية وضعف سيطرتها على أطراف المملكة[5] تحت سيطرة "**بني مزني**"[6] بالزاب، كما أصبحت "**مقرة**" تابعة لحكم "**بني مزني**" سنة(709هـ/1309م) في عهد "**المنصور المزني**" وذلك إلى أن قام السلطان الحفصي "**أبو يحي أبو بكر الثاني المتوكل**" (718-747هـ/1318-1346م) باسترجاعها من "**الذواودة**" سنة (733هـ/1332م)[7].

---

[1] جاء عن "**ابن خلدون**" بشأن ذلك قوله: "فتلقاه من البرور تلقي أمثاله، وأثقل كاهله بالحباء والجوائز، وجنّب له الجياد المقّربات بالمراكب المثقلة بالذهب واللّجم المحلاة، وضرب له الفساطيط الفسيحة الأرجاء من ثياب الكتان، وجدل القطن إلى ما يتبع ذلك من المال والكراع والأسلحة، وأقطع له مدينة مقرة وغيرها وانقلب إلى وطنه"، المصدر السابق، ج6، ص335.

[2] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص335.

[3] **بسكرة**: بكسر الكاف والراء، عبارة عن واحة تقع في سفح جبال الأوراس أقصى الجنوب الغربي بإقليم قسنطينة، وتعرف بسكرة بالنخيل، بنيت على أنقاض المدينة الرومانية وسكرة، اتخذها الرومان كمعسكر حربي لرد هجمات بربر الجنوب، فهي مسورة عليها خندق، بها جامع ومساجد كثيرة وحمامات، سكنها قوم من المولدين، خليط من البربر والرومان، أرضها شاسعة تنتج خيرات كثيرة أجودها التمر، كانت في يد بني الحماد على عهد الدولة العبيدية، اهتمت بالعلم والعلماء، البكري، المصدر السابق، ص138، الحميري، المصدر السابق، ص113.

[4] روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص322.

[5] انقسمت الدولة الحفصية سنة (683هـ-718هـ/1284م-1318م) إلى قسمين: الحفصية الشرقية وعاصمتها تونس، والحفصية الغربية بالمغرب الأوسط وحاضرتها بجاية تحت إمارة "أبي زكرياء يحي الثاني" ما بين سنتي (683هـ إلى 699هـ أو 700هـ)، **ينظر**: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص354 ، ابن قنفذ، الفارسية، ص22.

[6] **بنو مزني**: من لفائق الأعراب، وصلوا إلى إفريقية أحلافا لطوالع بني هلال خلال القرن الخامس الهجري، ونسبهم بزعمهم في مازن من فزارة والصحيح أنّهم لطيف من الأثبج، ثم من بني جرى بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة بن لطيف، واسم أبيهم مزنة بن ديفل بن محي بن جرى، وكان أول نزولهم بقرية من قرى بسكرة تعرف بـ"حياس" ثم كثروا وأخذوا مع أهل بسكرة بحظ وافر من تملك العقار والمياه، ينظر عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص457 وما بعدها، مصطفى أبو ضيف، **أثر القبائل العربية في الحياة الاجتماعية المغربية (خلال عصري الموحدين وبني مرين)**، مطبعة دار النشر المغربية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1982، ص139.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص459-461، صليحة رحلي، **المسيلة وجهتها في العصر الوسيط "دراسة منوغرافية"**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013- 2014م، ص119.

ومن دون شك أنّ "**مقرة**" لم تكن بمعزل عن الصراع السياسي الزياني المريني خلال الفترة، فعندما حاول السلطان المريني "**أبو عنان المريني**" أن يتم ما بدأه والده في الاستئثار بزعامة المغرب الإسلامي[1]، وبعد أن استولى على كامل المغرب الأوسط حتى بلغ بجاية، شرع في تحقيق مشروعه الأكبر بالسيطرة على افريقية، فدخل قسنطينة سنة (758هـ/1357م)، أين وردت عليه وفود بيعة المناطق الجنوبية[2]، من ذلك "**مقرة**" التي كانت في دوامة الصراع بين أعراب المنطقة، فضلا عن ذلك ساءت أحوالها لمّا تمّلكها "**يعقوب بن علي**" من عرب رياح، الأمر الذي دفع بشيوخها إلى الاستعانة بـ "**أبي عنان**" وتقديم البيعة له، حيث أشار "**النميري**" إلى ذلك بقوله: "**ولم تزل العرب يتوارثونها ويقتسمون نسمها، حتى ساءت أحوالها بتملك يعقوب، واستعانت بآل مرين، فلم ينشب مولانا أن أغاثها وكف بعزائمه المحادثة بالمضاء أحداثها.....وصل وفد مقرة حامدين لربهم، حاملين الأنفاس والنفائس، لكن من ثنائهم وحبهم قد استراحوا إلى كفالة الدولة الغالبة**"[3].

وما تحسن الإشارة له في هذا الصدد أنّ "**أبا عنان**" قد اتبع خطة تهدف إلى استمالة جميع عرب افريقية بما فيها عرب "**مقرة**" عن طريق معاملتهم معاملة تخالف تلك التي اتّبعها والده "**أبو الحسن المريني**"، بحيث جدد لهم ظهائرهم التي تمنحهم الامتيازات التي كانت لهم سابقا مقابل حمايتهم للطرقات ومواجهة المفسدين[4]، ولعل ما يوضح لنا هذا ما ذكره "**النميري**" عن أهل "**مقّرة**" بقوله: "**وتولاهم النظر الجميل فحددت مناشيرهم وأحييت ظهائرهم، وكانوا بسبيل الاعتناء الذي بعدت به مصائبهم، وحسنت مصائرهم وأما صالحهم أبو عبد الله الحباس فإنّه بلغ التي صدغت من رتب الإكرام، وحل التي فرعت من مراقي العز والاحترام، التفاتا لجانب الصلاح والدين**"[5].

---

[1] محمد الشريف، تاريخ المغرب المريني، ص54.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 308، أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي، ج3، ص39، محمد الشريف، تاريخ المغرب المريني، ص54.

[3] النميري، المصدر السابق، ص ص521-522.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، 308، أحمد عزاوي، المصدر السابق، ج3، ص39.

[5] النميري، المصدر السابق، ص522.

وعلى العموم فإنّ مدينة "**مقرة**" هي اليوم بلدية[1] تابعة لولاية **المسيلة**، تقع في الجهة الشمالية الشرقية من حوض شط الحضنة، إذ أنّها تقع بين "**بريكة**" و"**المسيلة**"، فتبعد عن هذه الأخيرة بنحو 55كلم، وشمال غرب "**بريكة**" بنحو 39 كلم، وعن "**سطيف**"[2] بنحو 77كلم جنوباً[3]، تحيط بها مرتفعات شبكة "**مقّرة**" و"**بوشعرة**" التي تنتمي إلى السلسلة الجبلية المعروفة "**بالحضنة**"[4].

وهي تنتمي إلى المنطقة السهبية ذات مناخ شبه قاري، حيث تتأثر بمناخ البحر الأبيض المتوسط في الشمال والمنطقة الصحراوية جنوبا، فتتناوب عليها المؤثرات الصحراوية المتطرفة من جهة والمؤثرات البحرية المعتدلة من جهة أخرى، هذا ما جعلها حارة وجافة صيفا وباردة ممطرة شتاء، شأنها شأن المناطق الواقعة في إقليم الحضنة، فتتراوح كمية الأمطار بها بين (200-400) ملم سنويا[5]، نظرا لتدخل عامل التضاريس التي تعتبر حاجزا طبيعيا لمرور التيارات البحرية، ويبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر بنحو 600م.

تعتبر "**مقرة**" منطقة فلاحية بالدرجة الأولى، حيث يعتبر القمح والشعير من أهم المحاصيل الزراعية بها، بالإضافة إلى أصناف كثيرة من الفواكه كالمشمش والرمان، وكذا تمتاز بمناطقها الرعوية حيث تشتهر بتربيتها للأغنام.

---

[1] أنشأت في 1957/01/01م بعد فصلها عن البلدية المختلطة ولاية الأوراس سابقا، وفي سنة 1974م أصبحت تابعة إداريا وإقليميا لولاية المسيلة.

[2] **سطيف**: اسمها القديم "سيتيفيس" قيل مدينة وقيل حصن أو قرية، مدينة بناها الرومان على بعد ستين ميلا جنوب بجاية، تعرضت للتخريب على عهد الدولة الفاطمية، مياهها كثيرة تجري على شكل واد سمي باسمها، وهي مدينة كبيرة جليلة عامرة جامعة كثيرة الأسواق رخيصة الأسعار، البكري، المصدر السابق، ص171، الحميري، المصدر السابق، ص317، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص176، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص52.

[3] محمد بن عبد الكريم، **المقري وكتابه نفح الطيب**، دار مكتبة الحياة، بيروت،(ب ت)، ص106، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص58 .

[4] **الحضنة**: سميت بالحضنة نظرا لتكوينها الجيولوجي، فهي محاطة بحزام جبلي من الشرق والشمال، يتراوح ارتفاعه بين 1400م و2000م، يربط بين سلسلة الأطلس التلي والصحراوي، صليحة رحلي، المرجع السابق، ص7.

[5] صليحة رحلي، المرجع نفسه، ص11.

ثانيا: ضبط التسمية المقّرية:

مما يلاحظ على تسمية الأسرة **المقّرية** أنّه وقع اختلاف في ضبط نطقها، وذلك بناءً على الاختلاف الذي وقع في نطق اسم بلدة "**مقرة**"، فهي في ذلك جاءت على روايتين، الأولى بفتح الميم وسكون القاف وهي عند الأقلية من العلماء، والثانية بفتح الميم وتشديد القاف وهي عند الأغلبية[1].

ولعل أقدم نص معروف وجد فيه ضبط اسم "**مقرة**" والنسبة إليها هو نص "**ياقوت الحموي**"[2]، هذا الأخير الذي عَرَفَ هذه المدينة معرفة سماع واطّلاع وضبطها كما ضبط أسماء مدن أخرى في المشرق والمغرب، حيث ذكرها في كتابه "**معجم البلدان**" قائلا: "**مقْرة بالفتح ثم السكون... وتخفيف الراء، كأنّه إن كان عربيا من الاستنقاع، نقول مقرت السمكة في الماء والملح مقرا إذا أنقعتها فيه...و مقْرة مدينة بالمغرب في بر البربر...ينسب إليها عبد الله بن محمد بن الحسن المقري...ذكره السلفي في تعاليقه**"[3]، فهو بهذا النص يكون قد ضبطها بفتح الميم وسكون القاف، وكان ممن رأى ذلك أيضا "**البغدادي**" في كتابه "**مراصد الاطلاع**"[4].

ولمّا كانت الشخصية العلمية التي انتسبت إلى هذه المدينة من علماء الأسرة **المقرية** خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وكان لها طنين ورنين في بلاد المغرب والأندلس والمشرق هي شخصية "**أبي عبد الله محمد المقري**"، فقد عرف باسم "**محمد المَقْري التلمساني**" أي "بفتح الميم وتسكين القاف" في أقلام الذين خالطوه أو اتصلوا به مباشرة، فكان ممن اتصل به "**عبد الرحمن ابن خلدون**"[5] الذي أخذ عنه وصاحبه وعرف مدينة "**مقرة**" وذكرها عدة مرات، فضبط كلمة "**المقري**" بفتح الميم وسكون القاف وكسر الراء[6].

---

[1] القادري، المرجع السابق، ج1، ص292، محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص108، محمد عبد الغني، **المقّري صاحب نفح الطيب**، الدار القومية للطباعة والنشر (ب.ت)، ص20، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص23.

[2] نقصد ضبطها لا ذكرها.

[3] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص175.

[4] البغدادي، المصدر السابق، مج 1، ص1299.

[5] **عبد الرحمن ابن خلدون**: ولي الدين أبو زيد، اشبيلي الأصل، تونسي المولد، ولد سنة (732هـ/1331م)، وتوفي بالقاهرة سنة (808هـ/1405م)، المجاري، المصدر السابق، ص150، السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج4، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، (ب ت)، ص145، **ينظر**: ترجمته الفصل الأول من الباب الثاني من الدراسة، ص169.

[6] ابن خلدون، التعريف، ص59.

ونجد أيضا المؤرخ النسابة "**أبا الوليد إسماعيل ابن الأحمر**" (ت807هـ/1405م)[1] ممن ضبطها بفتح الميم وسكون القاف في فهرسته، فقال: "**أبو عبد الله محمد القرشي، المعروف بالمقري، بفتح الميم**"[2]، وهو ممن اتصل "**بالمقري الجد**" في حياته بفاس، وكذلك ضبط "**أبو عبد الله محمد بن عبد الملك القيسي**" المعروف "**بالمنتوري**" (ت834هـ/1431م)[3]، كلمة "**المقْري**" بسكون القاف في فهرسته[4].

كما نجد الشيخ "**محمد بن مرزوق**"(ت842هـ/1439م) وإن لم يتصل بـ"**أبي عبد الله المقّري**" مباشرة إلاّ أنّه اتصل بتلامذته اتصالا وثيقا، قد ضبط هو الآخر كلمة "**المقري**" بسكون القاف، أين يرى أنّ ذلك هو الصواب في النطق بها، حيث ألّف كتابا في التعريف به أسماه "**النور البدْري في التعريف بالفقيه المَقْري**"[5]، فأكدّت السجعة في عنوان الكتاب رأيه في ضبط هذا الاسم، كما صرّح بذلك في "**شرح الألفية**" عند قوله: "**ووضعوا لبعض الأجناس**

---

[1] **ابن الأحمر**: هو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأمير الأندلسي المعروف بابن الأحمر، الفقيه العالم ، الإمام الرحالة، أخذ عن الإمام "الرعيني" و"أبي عبد الله الفشتالي" و"ابن رشيد" وغيرهم، وممن تتلمذ على يده "سعيد ابن ابراهيم السدراتي" و"عبد الرحمن الجادري" وغيرهم، له "نثير فرائد الجمان فيمن لقيني وإياه الزمان" وله شرح على البردة" و"عرائس الأمراء ونفائس الوزراء"، و"تأنيس النفوس" وغيرها، كان مولده سنة (725هـ) بغرناطة، وغادرها في عهد الأمير "يوسف الأول"(725-733هـ)، وتوفي سنة (807هـ/1369م)، ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص116، مخلوف، المرجع السابق، ص232، رضا كحالة، **معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)**، ج1، دار إحياء التراث الإسلامي، لبنان، (ب ت)، ص377.

[2] ابن الأحمر، **أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن**، وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمي وإياه الزمان، تح محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1987م، ص70.

[3] **المنتوري**: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الغرناطي عرف بالمنتوري، المقرئ الخطيب، المحقق الفقيه الأصولي، أخذ عن صهره "ابن بقي" و"القيجاطي" و"ابن لب" و"ابن جزي" و"الرعيني" وأجازه "ابن عرفة" والحافظ العراقي"، وعنه أخذ عنه القاضي "أبو يحي عاصم" والإمام "المواق" وغيرهما، له فهرسة حافلة، و"الرائق في نصوص الوثائق" و"التعريف بالحافظ عمرو الداني" و"الإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء" و"ري الضمآن في عدد آي القرآن" وغيرها، كانت وفاته سنة (834هـ/1431م)، المجاري، المصدر السابق، ص23، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص ص247- 248.

[4] أبو عبد الله محمد المنتوري، **فهرسة المنتوري**، دراسة وتح محمد بن شريفة، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، ط1، المملكة المغربية، 2011، ص164.

[5] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج1، ص204-205، ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج8، ص332.

-Ch.broseelard, « **tombeaux des familles el makkâri et el okbani** », revue africaine, tom volume 5 année, N°30,paris, 1961, p405.

علم"[1]، والأمر نفسه بالنسبة للإمام **"أحمد زروق البرنسي"** (**ت** 899هـ/1493م)[2] الذي ضبطها بسكون القاف في كتابه **"شرح الإرشاد"**[3]، مما يوضح أنّ **"محمد أبو الأجفان"** أخطأ في ذهابه إلى أنّ الشيخ **"زروق"** ضبطها بتشديد القاف[4]، ولعل هذا كان سهوا منه.

وبناء على بعض الاعتبارات التي سبق الإشارة إليها رجح الباحث المغربي المعاصر **"عبد القادر زمامة"** لغة سكون القاف، فهو يرى أنّ الذين شدّدوا القاف لم يرجعوا إلى الأصول، وأنّ المتأخرين منهم كانوا يجارون الواقع، وما ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار في رأيه أنّ **"مقرة"** كانت معروفة قديما عند سكان بلاد المغرب باسم **"مقْرة"** (بالقاف المعقودة)، وما زالت معروفة بهذا الاسم إلى الآن[5].

في حين يرى قسم آخر بأنّها تنطق بفتح الميم وتشديد القاف وهي التسمية التي شاعت عند الأغلبية، فبعض الرحالة الجغرافيون مثل **"البكري"** الذي ذكرها مرتين، ضبطها **"بمقَّرة"**[6] أين جعل الشدّة على القاف، إلاّ أننا نجده قد أهمل ذلك عند ذكره لوادي **"مقرة"**[7]، كما رسمها **"الإدريسي"** هو الآخر **"بمقّرة"**[8].

---

[1] أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص205.

[2] **أحمد زروق البرنسي**: هو أحمد بن محمد زروق وهو غير "أبي العباس سيدي أحمد البرنسي" الشهير بزروق، ولد بفاس سنة (846هـ)، وهو من كبار شيوخ الفقه والحديث والتصوف، كان وليا صالحا قطبا من أقطاب التصوف، ذاع صيته في بلاد المغرب والمشرق، أخذ عن جماعة يطول ذكرهم منهم: "أبي عبد الله القوري" و"أبي عيسى الماواسي" "و"السنوسي" و"ابن زكري المغراوي" وغيرهم، له عدة تآليف منها شرحان على "الرسالة" و"شرح الارشاد" و"شرح الوغليسية" و"شرح مختصر خليل" و"شرح القرطبية" و"شرح الأسماء الحسنى" وكتاب "النصيحة الكافية لمن خصّه الله العافية" وكتاب "القواعد" في التصوف وغيرها من التآليف، توفي بمسراته شرق طرابلس الغرب سنة (899هـ/1493م)، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص45- 47، ابن مخلوف، المرجع السابق السابق، ص ص267- 268، أبو عبد الله محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحاثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تح عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني، محمد حمزة بن علي الكتاني، ج3، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2004، ص225.

[3] الكتاني، المرجع نفسه، ج3، ص 225، أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص204، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص420.

[4] محمد أبو الأجفان، المرجع السابق، ص23.

[5] عبد القادر زمامة، **المقّري أو المقْري**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج1، مج 46، ص 104.

[6] البكري، المصدر السابق، ص51.

[7] البكري، المصدر نفسه، ص258.

[8] الإدريسي، المصدر السابق، ص164.

وكذلك ضبطها الشيخ "**عبد الرحمن الثعالبي**"[1] في كتابه "**العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة**"[2]، و"**أحمد الونشريسي**"[3] في بعض فوائده وفي كتابه "**الزهر الباسم**"[4]، وفي رسالة له عن حياة الجدّ "**أبي عبد الله محمد المقّري**" تناول فيها حياته وتراثه العلمي[5]، جاء فيها بعد أن ذكر نسبه: «**و"مقرة" (بفتح الميم بعدها قاف مشددة)، قرية من قرى بلاد الزاب من عمل افريقية، سكنها سلفه، ثم تحولوا عنها إلى تلمسان**»[6].

والأمر نفسه بالنسبة "**لأحمد ابن القاضي المكناسي**"[7] عند ترجمته للشخصية العلمية الثانية التي ظهرت بتلمسان من أسرة "**المقري**" وهي شخصية "**سعيد بن أحمد المقري**"، حيث يقول: "**نسبة إلى مقّرة...بفتح القاف المشددة...مدينة بين الزاب والقيروان**"[8]، وقد استند في

---

[1] **عبد الرحمن الثعالبي**: بن محمد بن مخلوف أبو زيد، ولد سنة (786هـ/1385م) بواد يسر، رحل إلى بجاية ثم تونس، فأخذ عن علماء جامع الزيتونة أمثال "عيسى الغبريني" و"أبو القاسم البرزلي" وغيرهم، كما أخذ عن علماء تلمسان ومكة، أصبح من رواة الحديث لاسيما صحيح البخاري، له في ذلك فهرس أسماه "غنية الواجد وبغية الطالب الماجد"، أثر تأثيرا كبيرا في ميدان الزهد والتصوف عن طريق تلامذته وتآليفه وزاويته، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص ص83-84، عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى منتصف القرن العشرين**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980، ص89.

[2] عبد الرحمن الثعالبي، العلوم الفاخرة، ج1،ج2، مخطوط بالمكتبة الوطنية، تحت رقم 850.

[3] **أحمد الونشريسي**: أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي التلمساني ثم الفاسي، مفتي فاس وحامل لواء المذهب المالكي، أخذ عن أربعة من أسرة العقباني منهم "أبي الفضل العقباني" وولده وحفيده، كما أخذ عن "ابن مرزوق الكفيف" وغيرهم، ألّف "المعيار" الذي أتى فيه على كثير من فتاوى المتقدمين والمتأخرين، وله تعليق على "ابن الحاجب الفرعي" وكتاب "القواعد" وغيره، كانت وفاته سنة (914هـ/1509م)، مخلوف، المرجع السابق، ص ص274-275، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص ص118-119.

[4] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج1، ص205، محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص110، محمد عبد الغني، المرجع السابق، ص20، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص23.

[5] لم نتمكن من الوصول إليها، وقد ذكر "مختار حساني" أنّها كانت مفقودة، لكنها اكتشفت أخيرا في فقيق، مختار حساني، **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، ج4، دار الهدى، عين مليلة –الجزائر، 2011، ص162.

[6] نقلا عن مختار حساني، المرجع نفسه، ص163.

[7] **أحمد ابن القاضي**: هو أبو العباس أحمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي، الامام العالم الجليل المفضال المتفنن المؤرخ الرحال، كانت وفاته سنة (1025هـ)، مخلوف، المرجع السابق، ص297، **ينظر**: ترجمته الفصل الأول من الباب الثاني من الدراسة، ص172.

[8] أحمد ابن القاضي، **جذوة الاقتباس فيمن حلّ من الأعلام مدينة فاس**، ج2، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص ص 518-519.

ذلك عمّا جاء عن "**الونشريسي**"، فقال في ذلك: "**الونشريسي أعلم الناس بنسبهم**"[1]، وجاء عنه أيضا في قصيدة له يهنئ بها "**أبو عثمان سعيد المقري**" لأخيه "**أحمد المقري الصغير**"، إعجابا منه بذكائه وغزارة علمه على قائلا:

ضَاءَتْ بِكُم يا مقَّري سَمَا العُلَا وعَلَتْ بكم بين الوَرىَ أقْوُام[2].

فمن دون شك لو أتت قاف "**المقري**" في الشطر الأول من البيت بالسُّكون لاختل الوزن.

ومن يراها كذلك من المحدثين "**أحمد بابا**"[3] في كتابه "**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**"[4]، و"**ابن مريم**" في كتابه "**البستان**"[5]، و"**محمد العربي الفاسي**" في كتابه "**مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**"[6]، و"**محمد المحبي**" في كتابه "**خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**"[7]، و"**محمد الصغير اليفراني**" في كتابه "**صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**" و كتابه "**الوشي العبقري في مساورة الإمام المقري**"[8]، فجاء عنه في

---

[1] ابن القاضي، المصدر السابق، ص 519.

[2] أحمد المقري، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، ص 270.

[3] **أحمد بابا**: أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت، عرف بأحمد بابا التمبكتي، ينحدر من عائلة أقييت، ولد سنة 1553م بمنطقة أروان من أعمال تمبكتو، ودرس على علمائها، نبغ في علوم الفقه والحديث والآداب العربية والمنطق وعلم الفرائض وقواعد اللغة، تصدى للتعليم والتدريس في جامع سنكري، وتولى منصب القضاء في كل من ايولاتن وتمبكتو، له عدة مؤلفات زادت عن خمسين مؤلف أشهرها: كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" و"كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج" وغيرها. تتلمذ على يده جملة من العلماء من أهل المغرب مثل محمد بن يعقوب المراكشي وغيرهم، ألقى عليه القبض السلطان المغربي أحمد المنصور الذهبي عندما تعرضت تمبكتو للغزو المغربي ثم أطلق سراحه، توفي سنة 1036 هـ/1627م، أحمد المقّري، المصدر السابق، ص ص300-304، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص432. عبد الوهاب منصور، **أعلام المغرب العربي**، ج3، المطبعة الملكية، الرباط، 1989، ص ص333-343.

[4] أحمد بابا التمبكتى، نيل الابتهاج، ص420.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص155 .

[6] محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص110.

[7] محمد أمين بن فضل الله المحبي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ج1، دار صادر، بيروت، ص302.

[8] تجدر الإشارة هنا إلى أنّ "**عبد القادر زمامة**" يرى أنّه مثلما ألّف "**ابن مرزوق الحفيد**" كتابه "**النور البدْري في التعريف بالفقيه المقري**" في "**المقري الجد**" فإنّ "**محمد الصغير اليفرني**" قد صنّف كتابا في "**أبي العباس المقري صاحب النفح**" اسمه " **الوشي العبقري في ضبط الإمام المقري**" ، إذ ذكر هذا الكتاب بناء على ما جاء عن "**الكتاني**" في كتابه، فهرس الفهارس، ص ص574- 575، وما أثبته "**عبد السلام ابن سودة**" في **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، دار الكتاب، ط2،=

ذلك قوله: "**الصواب في ضبطه بفتح الميم وفتح القاف المشدّدة نسبة لبني مقرة بالكاف المعقودة المشدّدة**"[1]، وغيرهم كثيرون.

ومن الباحثين من رجح اسم" **مقّرة** "أو" **المقّري**" بتشديد القاف، وفي مقدمتهم "**محمد بن عبد الكريم**"، مستنداً في ذلك على ما جاء في بعض العبارات والأبيات الشعرية[2]، والمأخوذة من مصادر مختلفة لـ "**أبي العباس المقّري**"، منها ما جاء عنه في خطبة "**نفح الطيب**": "**فيقول العبد الحقير، المذنب، الذي هو إلى رحمة ربه الغني فقير...من هو من لباس التقوى عرّي، أحمد بن محمد بن أحمد الشهير المقّري...**"[3]، مما جعل "**محمد بن عبد الكريم**" يعلل أنّ طريقة السجع التي درج عليها "**أبو العباس المقّري**" في أسلوبه تقتضي تشديد القاف مع فتحها.

واستشهد أيضا بما جاء في مقدمة "**أزهار الرياض**" من شعره:

فَيَقُولُ أَحْمَد ذُو القُصُو ر (المقَّري) إذَا انْتّسَب

جبر المهيمن صدعه ووقاه سيئ ما اكْتّسَبْ[4].

بحيث يعلل هنا كذلك باختلال الوزن لو سكنت قاف "**المقّري**" في الشطر الثاني من البيت الأول[5].

=الدار البيضاء، 1960، ص242، عبد القادر زمامة، **المقَّري أو المقْري**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج1، مج 46، ص103.

وهذا غير صحيح، فقد بين "**عبد الله نجمي**" في مقال له، أنّ الاسم الحقيقي للمخطوط هو "**الوشي العبقري في مساورة الإمام المقري**"، وهو عبارة عن رسالة فقهية، حيث أنّ موضوعها هو ردٌ من "**الافراني**" على الحافظ "**المقري**" في مسائل فقهية، وليس موضوعه كما ذكر "**الكتاني**"، وبيّن في ذلك أسباب خطأ هذا الأخير، فذلك راجع إلى أنّ "**الافراني**" تطرق فعلا في آخر رسالته إلى ضبط لفظة "**المقري**" بقوله:"**مسكة ختام تميط عن النهاية اللثام: وذلك في ضبط لفظ المقري الذي تعرضنا لمباحثته**"، فاعتقد بذلك "**الكتاني**" أنّ موضوع المخطوط في ضبط لفظ المقّري، ونقل عنه جميع من جاء بعده، عبد الله النجمي، **الوشي العبقري في مساورة الإمام المقري لمحمد الصغير الافراني تقديم وتحقيق**، ضمن كتاب وقفات في تاريخ المغرب، تنسيق عبد المجيد القدّوري، سلسلة منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، ص ص583- 602.

[1] عبد الله النجمي، المرجع السابق، ص601.

[2] محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص111-114.

[3] أحمد المقري، نفح الطيب، ج1، ص28.

[4] أحمد المقري، أزهار الرياض، ص3.

[5] محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص113.

هذا، وقد عقّب – **محمد بن عبد الكريم**- أيضا على انتقاد "**عبد القادر زمامة**" لـ "**أبي العباس المقري**" في ترجيحه لتشديد القاف المفتوحة في لفظة "**مقرة**" واتهامه له بأنّه: "**جاري الواقع الذي وجده...وأيده ودعمه**"[1]، فهو يرى كيف له أن ينبذ صيغة اللفظة الجارية على ألسنة أهل بلده والمتوارثة في أسرته؟

وبناءً على ذلك يقول في هذا الشأن "**محمد بن عبد الكريم**": «**لم يثبت عنه – أي أبو العباس- أنّه كتبها أو قرأها بالسكون، فنحن على مذهبه سائرون، وبأقواله متمسكون، مادامت نسبته في كتبه ثابتة الشكل مصونة الحرف، وأهل مكة أدرى بشعابها**»[2].

وليس أدّل من قول صاحب الشأن نفسه في ضبط هذه اللفظة على وجهها الصحيح الذي يلزم بذلك إثباته والأخذ به، ولعل سبب هذا الاختلاف في نطق "**مقْرة**" بدل "**مقّرة**" كون القاف تنطق في بلاد المغرب عامة معقوفة، وقد نوّه بذلك أيضا "**عبد القادر زمامة**"[3]، لذلك هي معروفة حتى يومنا هذا عند سكان المنطقة باسم "**مقْرة**" (بالقاف المعقودة).

ومهما يكن من أمر، فإنّ مدينة "**مقَّرة**" تبقى الموطن الأصلي للأسرة المقّرية وأجداد العلماء "**المقَّريين**"، فما هي إذن نسبتها؟

---

[1] عبد القادر زمامة، المرجع السابق، ص105.

[2] محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص114.

[3] عبد القادر زمامة، المرجع السابق، ص104.

ثالثا: الأسرة المقّرية والنسب القرشي:

يظهر من خلال سرد نسب الأسرة **المقّرية** ابتداء من الجدّ "**أبو عبد الله محمد المقّري**"، أنّ الأسرة تنحدر من دوحة كريمة، ألا وهي دوحة "**النبي صلى الله عليه وسلّم**"، أين صّرح بذلك جمهور من المؤرخين والنسابين عند ترجمتهم للجدّ المذكور، ومن ذلك "**ابن فرحون**" في "**الديباج**"، حيث قال: «**محمد بن أحمد بن بكر بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقّري**»[1]، و"**التنبكتي**" في "**كفاية المحتاج**" فقال عنه: «**محمد بن محمد بن أبي بكر بن يحي ابن عبد الرحمن القرشي التلمساني عرف بالمقّري**»[2].

كما صرّح بذلك "**ابن الخطيب**" وهو أحد تلامذة الجدّ "**أبي عبد الله محمد المقّري**" في كتابه "**الإحاطة**"، فأضاف هو الآخر القرشية حداً ذهبيا تنتهي عنده حلقات هذه السلسلة من أجداد "**المقّري الجدّ**"[3]، فقال: «**محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي بن داود القرشي المقري**»[4]، ونقل هذا النسب كذلك المقّري الحفيد "**أبو العباس**" وأثبته في كتابه "**نفح الطيب**"[5]

يتضح جليا من خلال تتبع سلسلة نسب المقّري الجدّ، أنّ الأسرة **المقّرية** ذات نسب شريف، فهي من أصل عربي، تنسب إلى قبيلة قريش[6] العربية التي خصّها الله تعالى بسورة من كتابه المبين[7]، والتي تعود في نسبتها إلى قبيلة كنانة[8] حيث جاء عن "الرسول صلى الله عليه وسلم"

---

[1] ابن فرحون، الديباج المذهب، ص382.

[2] أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص326.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص191.

[4] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص191.

[5] أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص204.

[6] اختلف في سبب تسميتهم قريش، قيل من التقريش، وهو التجمع فسمو بذلك لاجتماعهم بعد تفرقهم، وقيل من التقرش وهو التجارة، وقيل لتقريشهم أي تفتيشهم عن حاجة المحتاج، وقيل نسبة إلى دابة من دواب البحر يقال لها قريش طلعت عليهم في سفينة فرماها أحدهم بسهم فسمو بها، أبو العباس القلقشندى، **نهاية الأرب في معرفة انساب العرب**، تح إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب اللبناني والمصري، بيروت، القاهرة،1991، ص398، رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج3، ص ص947-948.

[7] سورة قريش، وهي مكية رقمها 106.

[8] رضا كحالة، المرجع السابق، ج3، ص948.

وهو يتكلم في النسب: «**نحن بنو النضر بن كنانة**»[1]، وقال "**القلقشندى**": «**بنو قريش قبيلة من كنانة غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم قريش**»[2]، وقال "**القزويني**": «**قريش من مضر، وأبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر**»[3].

لكن الظاهر أنّ النسب القرشي الشريف قد جلب للأسرة **المقّرية** غمازات التشكيك من الحساد والمتنافسين، حيث أشار الحفيد "**أبو العباس أحمد المقّري**" إلى أنّ هناك من شكّك في هذا النسب القرشي، فذكر أنّ أحد المغاربة كتب بهامش نسب جدّه من كتاب "**الإحاطة**" لمّا اطّلع عليه عبارة: "**القرشي وَهْم**"[4]، ولم يذكر هذا المغربي مصدر الوهم، ولا من أين جاء إلى هذا النسب؟

فإذا ما حاولنا إلقاء الأضواء على حقيقة هذا التشكيك وأسبابه، يستلزم علينا أن نعود إلى الأوضاع العامة لشرفاء المغرب الإسلامي عامة مدار فترة الدراسة، لاسيما القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.

حيث أكدّت الكثير من الدراسات أنّ سلاطين دول المغرب الإسلامي كانوا معظّمين لآل البيت حافظين لحقوقهم ومصالحهم[5]، أين كانت نخبة الشرفاء في مقدمة المقّربين من السلطة، هذه الأخيرة التي اعتنت بالشرفاء وبوأتهم المكانة اللائقة بنبل نسبهم، بحيث شكّلت مسألة النسب الشريف هاجسا متجددا سواء بالنسبة لحكّام دول المغرب الإسلامي، كونها الوسيلة المثلى لكسب رضا الرعية وتأييد العصبيات الكبرى ضد الحركات المناوئة، وسبيلا يضمن لهم تزكية مشاريعهم السياسية ومباركة خياراتهم[6]، فكان السلاح الذي أشهره الزناتيون هو رفع "شعار الشرف"[7].

---

[1] الزبير بن بكار، **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، تح محمود شاكر، مكتبة خياط ، بيروت، (ب ت)، ص04.

[2] القلقشندى، المصدر السابق، ص397.

[3] معز الدين القزويني، **أسماء القبائل وأنسابها**، تح كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ص227.

[4] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص204 .

[5] محمد القبلي، **مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الأوسط**، منشورات مؤسسة مسجد الحسن الثاني، ط2، الدار البيضاء، 2016م، ص97، ص ص104- 105، محمد فتحة، **النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6إلى 9هـ/12-15م)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1999م، ص ص239- 242.

[6] رضا بن النية، **الشرف والسلطة في المغرب الأوسط الزياني**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، ع18، جوان 2014، ص175.

[7] رضا بن النية، المرجع السابق، ص176.

وتحسن الإشارة هنا إلى أنّ أسلوب توظيفه تباين بين بني مرين الذين عمدوا بمجرد قيام دولتهم فعلا إلى احتواء نخبة الشرفاء، فقّربوهم وأجزلوا لهم العطاء واستعانوا بهم في تزكية سياستهم العسكرية والمالية[1]، في حين اختصر بنو زيان المراحل تبعا لتحولات الساحة السياسية فتبنوا النسب الشريف[2]، وسعوا إلى تجنيد الشرفاء واستدراجهم بما يضمن ولائهم السياسي ووضعهم تحت الرقابة المباشرة للسلطة إلى جانب توظيفهم لخدمة مصالح دولتهم، وقد اتخذ ذلك جملة من المظاهر منها: قبول شفاعتهم، والتبرك بهم، ومصاهرتهم وحضور مجالسهم العلمية، إلى جانب رعايتهم المادية وتوليتهم للوظائف الإدارية والخطط الشرعية[3].

فمن الطبيعي أن تكون لهذه المعاملة الخاصة خلفياتها، إذ أخذ نفوذ الأشراف يتقّوى، ولم تمضي إلاّ فترة قصيرة وإذا بهم يتمتعون بنفوذ معنوي له وزنه في الحياة السياسية، وأصبحوا يحتلون مكانة بارزة في المجتمع، لاسيما وأنّ الفقهاء أفتّوا بوجوب احترام الأشراف والقيام بحق ذرية "**النبّي**" صلى الله عليه وسلّم الطاهرة ومن انتسب إلى بيته الشريف، فقد أبدى فقهاء المغرب الإسلامي وأهل العلم تقديرا واحتراما للشرفاء (محبة لأل بيت **النبّي** صلى الله عليه وسلّم)[4].

وفي نظرنا الأمر الذي أدى حتما بأحد المغاربة إلى التشكيك في النسب الشريف للأسرة **المقّرية**، تلك الأهمية التي أصبحت للأشراف عامة في هذه الفترة، ذلك أنّ الترقية الاجتماعية التي حظي بها الأشراف قد أدت إلى تكاثر المنتسبين إليه، لكن حقيقة الأمر أنّ الأسرة **المقّرية** لم تكن في حاجة إلى إدّعاء الشّرف، نظراً لإشعاعها المحلي ونفوذها الفعلي من خلال الأدوار التي قام بها أفرادها في مختلف المجالات وهذا ما سنلمسه في المباحث اللاحقة.

---

[1] محمد القبلي، المرجع السابق، ص99، محمد فتحة، المرجع السابق، ص ص242-243.

[2] أشار "ابن خلدون" إلى انتساب بني عبد الواد إلى إدريس الأكبر، فذكر أنّهم يرفعون نسبهم إلى القاسم بن إدريس، إلاّ أنّ "ابن خلدون" يبدي تحفظا كبيراً في صحة هذا النسب، ويستشهد بالعبارة التي تنسب إلى "يغمراسن" وهي: "إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا فإنّما نلناها بسيوفنا"، ابن خلدون، العبر، ج7، ص74، في حين رفع "التنسي" نسبهم إلى "سليمان بن عبد الله الكامل"، تاريخ بني زيان، ص110.

[3] رضا بن النية، المرجع السابق، ص ص176- 177.

[4] عمر بلبشير، **خطاب الشرف في المغرب الأوسط من خلال فتوى ابن مرزوق "قراءة في الأنساق الفكرية والسياسية"**، ضمن الملتقى الوطني حول البيوتات العلمية بتلمسان الزيانية "بيت المرازقة وإسهاماته الحضارية"، المتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ لمدينة تلمسان، ماي 1915، ص127.

ومهما يكن من أمر، فقد تصدى الحفيد **"أبو العباس أحمد المقّري"** لإثبات نسبهم القرشي، حيث ساق من أجل ذلك مجموعة من النصوص في كتابه **"نفح الطيب"**، منها تعليق **أبي الفضل التلمساني** (ت845هـ/1441م)[1] الذي كتبه تحت عبارة التشكيك السابقة ونصه: «**بل صحيح نطقت به الألسن والمكاتبات والإجازات، وأعربت عنه الخلال الكريمة، إلا أن البلدية**[2] **يا سيدي أبا عبد الله والمنافسة تجعل القرشية في إمام المغرب أبي عبد الله المقّري وهمًا و الحمد لله**»[3]، وزاد **"أبو العباس أحمد المقّري"** على تعليق **"أبي الفضل"** تصريح جماعة من المؤرخين والنسابين، فكان ممّن صرّح بالقرشية في حق **"أبي عبد الله محمد المقّري"**، **"ابن خلدون"** في تاريخه[4] و**"ابن الأحمر"** في "نثير الجمان"[5]، وفي "شرح البردة" حين قال: «**لعلّ رحمة ربي حين ينشرها**»[6]، و**"ابن غازي المكناسي"** (ت919هـ/1513م)[7]، و**"أحمد زروق البرنسي"** (ت899هـ/1500م) [8]، و**"أحمد الونشريسي"**(ت914هـ/1509م)، حيث قال: «**فاعلم يا نعم السيد والمولى، أولاك الله أضعاف ما أولى، أنّ المقّري هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي القرشي المقّري الأصل، التلمساني المولد والمنشأ، الفاسي**

---

[1] **أبو الفضل التلمساني**: هو محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام أبو الفضل التلمساني، ارتحل سنة 810هـ وأقام بتونس شهرا ثم قدم القاهرة، فحّج منها وعاد إليها ثم سافر إلى الشام وزار بيت المقدس قال عنه "المقريزي":" صاحب فنون عقلية ونقليه" وقال عنه "الونشريسي":" له قدم راسخ في البيان والتصوف والأدب والشعر والطب"، توفي سنة 845هـ، أخذ عنه ابن مرزوق الكفيف والإمام عبد الجليل التنسي وغيرهم، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص220،221 ، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص408.

[2] **البلدية**: ضعيفي الذكاء ومن لا نشطه تحريك، الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص244.

[3] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص204.

[4] ابن خلدون، العبر، ج7، ص387.

[5] ابن الأحمر، أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، ص70.

[6] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص204.

[7] **ابن غازي المكناسي**: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي المكناسي ثم الفاسي، شيخ الجماعة بها، الإمام العلامة البحر الحافظ الحجّة المحقق، خاتمة علماء المغرب ومحققيهم، ذو التصانيف المفيدة، أخذ عن أئمة منهم "أبي زيد الكاواني" و"أبي العباس المزدغي" والإمام "القوري" و"الحباك" و"ابن مرزوق الكفيف" أجازه إجازة عامة وجماعة، أخذ عنه من لايعد كثرة منهم: "ابن العباس الصغير" وأحمد الدقون" و"عبد الواحد الونشريسي" وغيرهم، ومن مؤلفاته تقييد نبيل على البخاري، وشفاء الغليل في حل مقفل خليل وغيرها، كان مولده سنة (814هـ/1411م) وتوفي سنة (919هـ/ 1516م)، مخلوف، المرجع السابق، ص276.

[8] الكتاني، سلوة الأنفاس، ج3، ص342، مخلوف، المرجع السابق، ص ص267-268.

الدار، كنيته عبد الله»[1]، وتعدّ شهادة "**لسان الدين ابن الخطيب**" أحسن شهادة حسب "**أبو العباس المقري**" فقال: «**وكفى بلسان الدين شاهداً مزكىً**»[2].

وكان ممّن أثبت قرشية الأسرة أيضا "**ابن مريم**" في "البستان"[3]، و"**ابن القاضي**" في كتابه "**درة الحجال**"[4] وفي قصيدة له ضمنها إجابة تلميذه "**أبي العباس المقّري**" عن لغز خاطب به هذا الأخير "**أبو عبد الله محمد بن علي الوجدي**" جاء فيها:

هو (المقّري) الذي سَمىَ في قُريش وقد حاز في العلم أسنى المراتب[5].

ويتوجب علينا الإشارة هنا أنّه ممن نصّ على قرشية الأسرة **المقّرية** أيضا النقيب "**أبو الربيع الحوات الفاسي**"[6] في كتابه "**البدور الضاوية في أهل الزاوية الدلائية**"[7]، فضلا عن ذلك أفرد قاضي الجماعة بفاس "**أبو عبد الله محمد بن رشيد العراقي الحسيني**"[8] نسب الأسرة القرشي بتأليف أسماه "**الطيب القطري في نسب أولاد المقري**"[9].

لمسنا من خلال تتبعنا لنسب الأسرة **المقّرية** أنّ أغلب كتب التراجم أجمعت على أنّ أفراد الأسرة **المقّرية** قريشيون، وأنّهم ليسوا من أهل المغرب وأصحابه الأولين، بل هم وافدون عليه

---

[1] نقلا عن مختار حساني، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج4، ص162.

[2] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص204.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص154 .

[4] ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص43.

[5] أحمد المقري، روضة الآس، ص265.

[6] **أبو الربيع الحوات الفاسي**: هو سليمان بن محمد بن عبد الله الشفشاوي الشهير بالحوات، نسابة فاس وأديبها ومؤرخها في وقته، توفي سنة (1231هـ)، مخلوف، المرجع السابق، ص543، الكتاني، سلوة الأنفاس، ج3، ص142، الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص132.

[7] مخطوط بالخزانة الوطنية، الرباط، تحت رقم 294، حقق على مستوى أطروحة جامعية، عبد الحي الكتاني، **وقفات في حياة الحافظ أحمد بن محمد المقّري (ت1041هـ)**، تح عبد القادر سعود، تق أحمد عبادي، الرابطة المحمدية للعلماء، ط1، المملكة المغربية، الرباط، 2017، ص36.

[8] **أبو عبد الله محمد بن رشيد**: هو محمد بن رشيد بن محمد بن إدريس العراقي الحسيني، من أهل فاس، كان قاضي الجماعة بفاس لعقود، توفي سنة (1348هـ)، الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص ص125-126، عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ص37.

[9] عبد الحي الكتاني، المرجع نفسه، ص37.

من الجزيرة العربية الموطن الأصلي للقبيلة العربية قريش، فيمن وفد على الجهة الغربية من دولة الإسلام وأصحابها الأولين، حاملين راية الإسلام وأوليته.

ولكن الأمر الذي ينبغي أن يسترعي الانتباه في نظرنا هو من أي بطن هي الأسرة **المقّرية** في بطون قريش[1]، كما أنّ تاريخ نزوح هذه الأسرة من الجزيرة العربية إلى بلاد المغرب يكتنفها الكثير من الغموض، وبناء على ذلك سوف نحاول أن نبدي بعض الملاحظات المتعلقة بالظروف التي أهلّت القبائل العربية عامة منها قبيلة قريش، للهجرة نحو بلاد المغرب، والتي يمكن لها أن تساعدنا في تحديد تاريخ هجرة الأسرة المقّرية نحو بلاد المغرب.

أشرنا سالفا أنّ اتصال العرب ببلاد المغرب عموما يعود إلى بداية الفتح الإسلامي للمنطقة خلال النصف الثاني من القرن الأول للهجرة إلى النصف الأول من القرن الثاني للهجرة[2]، بحيث استقرت بعض الأسر المشرقية بالمنطقة بعد دخول الفاتحين المسلمين لها، وهذا بهدف تعليم الناس أمور دينهم الجديد[3]، وعلى اعتبار أنّ "**مقّرة**" إحدى قرى منطقة "**الزاب**"، فمن دون شك أنّ هذه الأخيرة لم تكن بمعزل عن الأحداث السياسية التي عرفتها بلاد المغرب، فقد عرفت هي الأخرى وصول الجيوش الأموية في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة أي في الولاية الثانية "**لعقبة بن نافع الفهري**" على إفريقية والمغرب[4]، وفي هذا الصدد جاء عن "**ابن عذارى المراكشي**" قوله: "**ففي سنة 62هـ ولى يزيد بن معاوية على بلاد المغرب وإفريقية كلّه عقبة بن نافع الفهري**"[5]، وبعد إتمام الفتح ألحقت بلاد "**الزاب**" كاملة بمدنها وقراها بما فيها مقّرة بإفريقية[6].

---

[1] عن بطون قريش، **ينظر**: القلقشندي، المصدر السابق، ص398.

[2] **ينظر**: الفصل الأول من هذا الباب من الدراسة، ص42.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص172، عمر بلوط، المرجع السابق، ص64، فؤاد طواهرة، المرجع السابق، ص57.

[4] موسى لقبال، الجزائر في التاريخ، ج3، ص23، خالد بلعربي، تلمسان من الفتح الإسلامي، ص59.

[5] ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ج. كولان وليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983م، ص ص21-23.

[6] فوزي مصمودي، بسكرة بعيون عربية، ص226.

ولاشك أنّه حلّت فروع وأفخاذ القبائل العربية المتحالفة مع "**بني أمية**" مع الجيوش الفاتحة بمنطقة "**الزاب**" كغيرها من حواضر وبوادي بلاد المغرب[1]، وقد كانت هذه الهجرة في غالبيتها من أهل الشام نحو مصر نحو بلاد المغرب[2]، لكن من غير المحتمل أن تكون الأسرة **المقّرية** قد هاجرت إلى بلاد المغرب في هذه الفترة.

وطبعا استمر التدفق العربي إلى منطقة "**الزاب**" كباقي مناطق المغرب وإفريقية في عهد الولاة خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي وإلى غاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وكانت هذه الهجرة فردية وجماعية من العرب قصد الاستقرار والإقامة ببلاد المغرب[3]، وهذا ما نلمسه من خلال قول "**اليعقوبي**" الذي زار بلاد "**الزاب**" في عهد الأغالبة وأشار إلى عاصمتها آنذاك "**طبنة**" التي احتلت الصدارة في بادئ الأمر بين مدن "**الزاب**" فيقول: "**مدينة الزاب العظمى، طبنة، وهي التي ينزلها الولاة**"[4].

والجدير بالملاحظة هو أنّ معظم هذه القبائل التي قدمت بلاد المغرب كانت تتكون في أغلبها من العرب "**القحطانية اليمنية**" و"**العدنانية المضرية**"[5]، ويغلب الظن أنّ هذه الأخيرة استقر بعضها بمدن "**الزاب**"، بناء على ما جاء عن "**اليعقوبي**" في حديثه عن "**طبنة**" قائلا: "**وبها أخلاط من قريش، والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم والبربر**"[6]، وقريش من العدنانية المضرية.

أما إذا حاولنا أن نلتفت إلى سكان مدينة "**مقرة**" فهم من "**بني ضبة**" إلى جانب مجموعة من السكان البرابرة، وهذا ما أشار إليه "**اليعقوبي**" وهو يتكلم عن "**مقّرة**"، فقال: "**أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر**"[7]، وكذلك "**الحميري**"[8]، وبشأن "**بنو**

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص172.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، والصفحة نفسها، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص61.

[3] موسى لقبال، المرجع السابق، ج3، ص31، عبد العزيز فيلالي، نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص61.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص190.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص172، خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص277.

[6] اليعقوبي، المصدر السابق، ص190.

[7] اليعقوبي، المصدر نفسه، ص191.

[8] الحميري، المصدر السابق، ص556.

ضبة" جاء عن "**القلقشندي**" أنّهم: "**بطن من طابخة العدنانية**"[1]، وهنا نلمس أنّه هنالك اشتراك في النسب بين "بني ضبة" و"قريش" إلى "الكنانة"، مما يوضح بأنّه هنالك دافعا مشتركا للهجرة بعد الفتح الإسلامي من الحجاز إلى مصر ثم إلى بلاد المغرب، ولعل هجرة الأسرة المقّرية كانت خلال هذه الفترة أي ما بين القرنيين الثاني والرابع الهجريين إلى جانب الأسر المهاجرة في هذه الفترة بهدف الاستقرار بالمنطقة.

لكن على الأرجح أنّ هجرتها كانت مع المرحلة الثالثة للهجرات العربية لبلاد المغرب، وهذا خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، الفترة التي شهدت قدوم طلائع من قبائل "بني هلال"[2] و"بني سليم" العربية والتي اجتاحت ربوع المغرب واستقرت بمناطق كثيرة، وبالرغم أنّ "بني هلال" و"بني سليم" شكّلوا أكبر القبائل المهاجرة، إلاّ أنّها ضمت قبائل عربية أخرى "هوازنية" و"قيسية" و"مضرية" والتي منها "قريش"، فقد توطّنوا بين المسيلة وورقلة في المغرب الأوسط وأصبح لهم إقطاع ببلاد الحضنة وقسنطينة وبجاية[3]، خاصة منها بطون قبائل "رياح"، أين استقر "أولاد مسعود" و"أولاد سباع" من "الذواودة" بجبل "الأوراس" وبلاد "الحضنة" وهي "نقاوس" و"المسيلة" و"مقّرة"، هذه الأخيرة التي اختص بها "**أحمد بن عمر بن محمد**"[4] من أولاد "سباع"[5].

ويبقى أن نتساءل بعد هذا من أي بطن في بطون قريش هي الأسرة **المقّرية**؟ لكن بطبيعة الحال لا يمكننا الجزم بانتماء الأسرة **المقّرية** إلى إحدى بطون قريش، إذ ليس لدينا في كل حال ما يدّل على ذلك.

ومهما يكن من أمر، فإنّ الأسرة **المقّرية** من دون شك كانت تعتز بنسبها القرشي، فقد كان "**لأبي عبد الله محمد المقّري**" اعتزاز بنسبه حدا به إلى أن ينشد:

---

[1] وقد أشار إلى أنّ ديارهم بجوار بني غنم بالنواحي الشمالية التهامية من نجد، ثم انتقلوا بعد الإسلام إلى العراق الفراتية، القلقشندي، المصدر السابق، ص318.

[2] **بنو هلال**: يعود نسبهم إلى قيس بن عيلان من العدنانية، فهم بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن أبي بكر بن هوزان، لهم بطون كثيرة منها مرداس، بنو عامر، بنو سعيد، بنو سليم، وغيرها، **ينظر**: عمر رضا كحالة، معجم القبائل القديمة، ص1221.

[3] أبو ضيف مصطفى، أثر القبائل العربية، ص218.

[4] هو ابن عم شبل بن موسى بن سباع، عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص37.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص37.

نَحْنُ إِنْ تَسْأَل بناس معشر أهل ماء فجرته الهمـــمُ
عرب من بيضهم أرزاقـهم ومن السمر الطـــوال الخيـمُ
عرضت أحسابهم أرواحهم دون نيل العرض وهي الكـرمُ
أورثـــونا المجد حتى أنّنا نرتـضي الموت ولا نزدحــمُ
ما لنا في الناس من ذنب سو ى أننا نلوي، إذا ما اقتحموُا[1].

فعلى أية حال فإنّ الاعتزاز بالنسب إلى قبيلة قريش أمر هو من الظّهور لكلّ باحث في التراث المغربي، بحيث لا يحتاج إلى عناء لإثباته، والعجب كل العجب ممن يذهب إلى نفيه، فيكفي أنّ الرسول صلى الله عليه وسلّم ينسب إليها، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "**إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**"[2]، وفضلا عن ذلك فإنّها من أعظم وأعرق القبائل العربية وأفصّحهم لسانا وأنقاهم عرقا، لحسبهم وشهامتهم، وفروسية رجالهم وطهارة نسائهم وكرمهم وأدبهم وعلمهم، وجاءت أحاديث شريفة عدة تتكلم عن خصال "**قريش**" منها قوله صلى الله عليه وسلّم: "**فضّل الله قريشا أني منهم وأنّ النبوة فيهم وأن الحجابة فيهم وأن السقاية فيهم، ونصرهم على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لإيلاف قريش**"[3].

هذا عن نسب الأسرة **المقّرية**، فماهي إذن ظروف استقرارها بتلمسان؟

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ص213.

[2] مسلم ابن الحجاج، **صحيح مسلم**، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، دار إحياء الكتب العربية، توزيع دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1991، كتاب الفضائل، باب (1-2)، رقم 2276، ص 1782.

[3] جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع عبد السند حسين يمامة، ج15، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، 1424هـ/2003، ص670.

ثالثا: ظروف استقرار الأسرة المقّرية بتلمسان:

من الثابت أن مدينة تلمسان لم تكن في الأصل دار إقامة الأسرة **المقّرية**، بل سبقتها بلدة **"مقّرة"** التي انتسبت إليها كما سبق الإشارة إلى ذلك، فقد كان أوّل من انتقل من بيت هذه الأسرة إلى تلمسان الجدّ الخامس لـ **"أبي عبد الله محمد المقّري"**[1] وهو **"عبد الرحمن بن أبي بكر المقّري"**، هذا الأخير الذي انتقل رفقة الشيخ الصوفي **"أبي مدين بن شعيب بن الحسين الأندلسي"**[2]، فقد أشار **"أبو العباس أحمد المقّري"** إلى هذا الانتقال من مقّرة إلى تلمسان، بناء على ما ذكره جدّه **"أبو عبد الله محمد المقّري"** فقال: «**كان الذي اتخذها من سلفنا قراراً، بعد أن كانت لمن قبلنا مزاراً عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقّري صاحب الشيخ أبي مدين الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين، وهو أبي الخامس**»[3] .

فهناك ملاحظة يتوجب الإشارة إليها هي أنّ الجدّ **"عبد الرحمن المقّري"** كان رجل صلاح وفضل وعبادة وكان من مريدي الشيخ الصوفي **"أبي مدين شعيب"**، إذ كان من أكثر أصحابه التزاما بالطريقة[4]، حيث يسجل عنه أنّه: " **كان عروي الصلاة**[5]**، حتى إنّه ربما امتحن**

---

[1] **ينظر**: الملحق رقم12، ص331.

[2] **أبو مدين شعيب**: هو أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي شيخ المشايخ، ولد بحصن قطينانة وهي من قرى اشبيلية بالأندلس، عرف بورعه الشديد والزهد الكبير ورحل إلى فاس وأخذ عن علمائها مثل أبي الحسن علي بن حرزهم وأبي الحسن بن غالب، تأثر بالإمام أبي حامد الغزالي والشيخ أبي يعزي في ميدان التصوف، ولما ذهب لأداء فريضة الحج التقى بالشيخ عبد الرحمن الجيلالي، ولازمه بعض الوقت وعند عودته استقر ببجاية وتولي التدريس هناك وذاع صيته، مما أثار حسد بعض علماء الظاهر منهم أبو عمر الحباك الذي وشى به للسلطان الموحدي "يعقوب المنصور" الذي قام باستدعائه إلى عاصمة ملكه مراكش، لكن شاء القدر أن توافيه المنية قبل الوصول إليه، وهو الذي قال لرفقائه وتلامذته بعد أن تخوفوا من سوء مصيره: "إنّ منيتي قريبة ولغير هذا المكان قدرت، فبعث الله من يحملني إلي مكان الدفن برفق، وأنا لا أرى السلطان، ولا يراني"، فلما وصل إلى تلمسان ورأى العباد قال لهم "العباد مليح للرقاد"، ثم اشتد به المرض ووافته منيته ودفن هناك بالعباد سنة (595 هـ/1197م)، أبو العباس أحمد الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح محمد بن أبي شنب، دار البصائر للتوزيع والنشر، ط1، الجزائر، 2007، ص ص55-61، ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص ص11-12، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص108-114، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ص207-213.

[3] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص191، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص203.

[4] محمد أبو الأجفان، المرجع السابق، ص25، محمد خيط، **المقّري أبو العباس أحمد بن محمد 986-1041هـ/1578هـ-1631م**، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، (ب م)، 2011، ص42.

[5] **عروي الصلاة**: نسبة إلى عروة، لعله عروة بن الزبير فقد كان يطيل في الصلاة ويكثر من الدعاء حتى كان يقول إني لا أسأل الله في صلاتي كل شيء حتى الملح، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص204.

بغير شيء فلم يؤنس منه التفات ولا استشعر منه شعور، ويقال إنّ هذا الحضور مما أدركه من مقامات شيخه "أبي مدين""[1].

ولكن الذي يسترعي الانتباه أنّ لا الجدّ "**أبو عبد الله محمد المقّري**" ولا الحفيد "**أبو العباس أحمد المقّري**" قد حددا لنا من الناحية التاريخية تاريخ انتقال الأسرة **المقّرية** إلى تلمسان، لكن وبناء على إشارة "**أبي العباس أحمد المقّري**" من كون الجدّ "**عبد الرحمن المقّري**" كان من مريدي "**أبو مدين**"[2]، هذا الأخير الذي استقر ببجاية أكثر من عقد ونصف من الزمن، منكباً خلالها على التربية والتعليم والإقراء والوعظ والإرشاد والعبادة، فنال خلالها شهرة واسعة تخطت بلاد المغرب إلى المشرق والأندلس، الأمر الذي دفع بطلبة العلم والشيوخ والعلماء للإقبال عليه من كل حدب وصوب[3]، فمن المرّجح أنّ يكون الجدّ "**عبد الرحمن المقّري**" هو الآخر قد أقبل عليه ببجاية للاستفادة منه.

وبما أنّ أيضا الجدّ "**عبد الرحمن المقّري**" قد انتقل رفقة الشيخ "**أبي مدين**" إلى تلمسان فيرّجح أن تكون فترة الانتقال إليها مع نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي باعتبارها الفترة التي هاجر فيها "**أبو مدين شعيب**" إلى تلمسان[4].

هذا، ولـمّا كانت رحلة "**أبي مدين شعيب**" إلى تلمسان رفقة تلامذته وأصحابه[5] – والذي كان من بينهم من دون شك "**عبد الرحمن المقّري**"– سنة (594هـ/1197م)، أين توفي في طريقه إليها ودفن هناك بالعباد في نفس السنة[6]، فيمكن القول: أنّ تلمسان أصبحت منذ نهاية القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع الهجري أي في حدود سنة (594هـ/1197م) مستقراً

---

[1] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص204.

[2] أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص204.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص17،

[4] يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ج 2، ص158، محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص85، محمد عبد الغني، المرجع السابق، ص21.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص113-114، ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعزّ الحقير، ص19، الغبريني، المصدر السابق، ص ص7-11، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج7، ص142، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص18، حسين فارسي، **أبو مدين شعيب حياته وأدبه**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005، ص ص34-43.

[6] الغبريني، المصدر السابق، ص ص11، أحمد المقّري، المصدر السابق، ج7، ص142، الناصر السلاوي، الاستقصا، ج1، ص188، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص18، حسين فارسي، المرجع السابق، ص25.

للأسرة **المقّرية** ومقاما لأفرادها من بعد "**عبد الرحمن المقّري**"، حيث برز دور الأسرة هناك في جميع مناحي الحياة لاسيما منها العلمية والاقتصادية.

ففي بداية استقرار الأسرة "**المقّرية**" بتلمسان، اشتغل أفرادها من ذرية "**عبد الرحمن المقّري**" بالتجارة، بحيث ألّف أحفاده الخمسة من ولده "**يحي**" شركة تجارية في إطار تجارة القوافل الصحراوية[1]، فازدهرت كثيراً مع الأقاليم الصحراوية الجنوبية، ونمت ثروتهم، الأمر الذي أكسبّهم جاها رفيعا، وشدّوا من العلم ما جعلهم مرموقين بمقلة الاحترام وعين الاعتبار، ومن دون شّك انعكس ذلك أيضا ايجابا على حياتهم الاجتماعية، وهذا ما يظهر لنا من خلال مسكن[2] الأسرة **المقّرية** بتلمسان وهو أمر طبيعي، بحيث أشار "**ابن خلدون**" إلى ذلك بقوله: "**ثم إذا اتسعت أحوالهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها**"[3]، كما نوّهت إحدى المصادر الزيانية أنّ الرخاء الاقتصادي والتطور الحضاري جعل أهل مدينة تلمسان يتأنقون في المسكن[4].

يتموقع مسكن الأسرة **المقّرية** بمدينة تلمسان القديمة بباب الزير الذي يمكن أن يكون هو المسمى قديما باب الصرف[5]، وبالتحديد بدرب السلسلة في قاع الدرب[6]، ولعل اختيار أفراد

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص159، مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم محمد الميلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (ب ت)، ص ص483-484 .

[2] **المسكن**: مشتق من فعل سكن وهو السكون والهدوء، والسكينة هي الطمأنينة، والسكن والمسكن هو البيت، والسكن هو أهل الدار، والسَّكْنَى: أن يَسْكُنَ الرَجُلُ موضعا بلا كراء، ابن منظور، المصدر السابق، ج7، ص220.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص97.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص270.

[5] ابن مريم، المصدر نفسه، ص 155، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص164.

[6] قمنا بزيارة ميدانية للمنزل بتاريخ 2017/09/27، على الساعة الثالثة مساءً.

الأسرة السكن بالدرب[1] بعيدا عن ضوضاء المدينة على غرار سكان تلمسان راجع إلى المحافظة على حرمة وخصوصية العائلة، وعلى حركة تنقلهم براحة وطمأنينة[2].

وما تحسن الإشارة إليه أنّ "**أبا العباس أحمد المقّري**" أشار إلى أنّ هذا المنزل أصبح ملكاً لبعض ورثة الشيخ "**أبي يحي الشريف**"[3]، وأفادنا "**عبد الوهاب منصور**" أنّ هذ المسكن أصبح ملكا لعائلة "**حمادي السقال**" خلال القرن الماضي[4]، وما يزال اليوم هذا المسكن ملكا لهذه العائلة ، حيث تملكه حاليا حفيدة عائلة "**سقال**" السيدة "**سقال مريم**" مع زوجها "**قاسي عبد الصابر**"[5].

ولما كان المنزل يحتل مكانة مهمة في الحياة الاجتماعية كونه يمثل إرثا حضاريا وشاهدا معماريا على فترات تاريخية متباينة ما بين الحزن والسعادة، فقد كان يخضع بتلمسان للمستوى الاجتماعي والمالي للأسرة التلمسانية، حيث كانت الأسرة الفقيرة تكتفي في بناء مساكنها بالطابق الأرضي في الغالب، بينما الأسر الميسورة فتبني دورها من عدة طوابق[6]، وهذا ما نلمسه في منزل الأسرة **المقّرية** الذي يبدوا أنّه كان يخضع لضوابط ومعالم المدينة الإسلامية كغيره من المساكن التلمسانية المرتبطة بالعقيدة الإسلامية في تشكيله[7]، كعدم التطاول في البنيان والالتزام بحرمة الجار،

---

[1] **الدرب**: هو زقاق مغلق، وتتميز دروب مدينة تلمسان كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي بالضيق والانعراج، فكان أهل تلمسان ينتقلون فيها مشاة أو على ظهور دوابهم، كما كان لكل درب باب يغلق ليلا، وباستطاعة أهل الدرب أن يعزلوا أنفسهم عن بقية أجزاء المدينة وشوارعها عند حدوث اضطرابات بغلق باب دربهم، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص124.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ج1، ص124.

[3] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 280، ابن مريم، المصدر السابق، ص 155.

[4] ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص300، هامش رقم 412.

[5] زيارة للمنزل بتاريخ 2017/09/27، على الساعة الثالثة مساءً.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص119، درويش بريشي، **تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان دراسة فنية أثرية**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2011-2012، ص58.

[7] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص119.

وإتباع منهج الوسطية في اقتصاديات البناء من عدم الإسراف والتقصير في استعمال الزخارف والتجهيزات وغيرها[1].

فما يلاحظ على منزل الأسرة **المقّرية** من حيث التركيبة المعمارية أنّه لا يكتسي أي مظهر جمالي من الخارج وليست له نوافذ مفتوحة على الشارع، اكتفى بمدخل رئيسي يفتح على الدرب بباب كان فيما قبل خشبي مزّود بمقرع يقرع بها الباب، وهذا المدخل يشتمل على ممر ضيق مستطيل الشكل طويل ثم يدور إلى اليسار، وهو يعرف بالسقيفة[2]، وهي المجال الفاصل بين الداخل والخارج، بحيث تتموقع في زاوية المسكن وهذه خاصية من خاصيات المنزل الإسلامي، حيث أنّه بهذا يحافظ على حرمات المنزل[3]، إذ أنّها تحجب رؤية ما في داخل المسكن من الخارج، كما توفر مكاناً لمن يطلب الإذن بالدخول، حتى يستعد من بالداخل من النساء المحارم[4].

ومن هذه السقيفة نفضي مباشرة إلى صحن مربع الشكل يبعث على الارتياح، حيث تتوسطه شجرة ليمون كبيرة، بالإضافة إلى نافورة يخرج منها الماء لتلطيف الجو[5]، وهي عادةً ما تكون حكراً على الطبقة الثرية[6].

لكن ما يسترعي الانتباه أنّ معظم جدران المنزل محاطة برواق[7] بسقف مقبب تتخلله دعامات تحمل عقود نصف دائرية[8]، ولعل بناء الأروقة بالمسكن كان بهدف الوقاية من حرارة الشمس صيفاً والأمطار شتاءً، وقد فتحت بالرواق ثلاث غرف مستطيلة الشكل موزعة على

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص119، مهتاري المولودة زرقة فائزة، **المسكن التقليدي في تلمسان خلال العهد الزياني دراسة تاريخية وأثرية**، دورية كان التاريخية، ع28، يونيو، 2015، ص94-95.

[2] **ينظر**: الملحق رقم 30، ص349.

[3] محمد بن حمو، **مفاهيم حول المدينة الإسلامية ودراسة منزلين بندرومة**، ندرومة مدينة عبد المؤمن، مجتمع، أنثرو بولوجيا وذاكرة، جمع وإعداد عز الدين زيدون، ج2، سلسلة واصدارات الجمعية الموحدية، دار السبيل للنشر والتوزيع، تلمسان، 2011، ص652.

[4] صالح يوسف بن قربة، **أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، 2011، ص474.

[5] **ينظر**: الملحق رقم 31، ص350.

[6] مهتاري المولودة، المرجع السابق، ص96.

[7] **الرواق**: يعرف أيضا باسم الساباط ، وهو عبارة عن سقيفة بين حائطين تحتها ممر نافذ، وهو يفاجئ الداخل إليه بإحساس الانتقال من البساطة إلى جو مفعم بمظاهر البهجة والجمال لما يشاهده في الفناء، وظيفته هو الفصل بين الغرف والسطح في الطابق العلوي، صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص477.

[8] **ينظر**: الملحق رقم 32، ص351.

ثلاث جهات، وهي ضيقة نوعا ما وطويلة، أسقفها عالية مزينة بالخشب، كما أنّها تحتوي على نوافذ تطل على الصحن، ولربما أهم ما يميز هذه الغرف وجود في بعض أجزائها مكان يأخذ شكل قوس، مرتفع قليلا عن سطح الأرض يعرف بالسرير أو السِّرة، ولعلها كانت مخصصة للنوم ليلاً وحفظ فراش الغرفة نهاراً[1].

وما تجدر الإشارة إليه أنّه من بين هذه الغرف الثلاثة غرفة تتقدم غرف المنزل بعد السقيفة مباشرة، ولعل الأسرة **المقّرية** كانت تخصصها للاستقبال، وهكذا يأتي مجال للضيافة خاصة وأنّ إكرام الضيف من فضائل سكان المغرب الإسلامي عامة، وسكان مدينة تلمسان على وجه الخصوص، إلاّ أنّ هذه الغرفة تعاني من تأثير عوادي الزمن، إذ أنّ جدرانها آيلة للسقوط.

هذا، ويوجد في زاوية الصحن المطبخ كركن رئيسي ضمن مسكن الأسرة **المقّرية**، وهو مزود بموقد للطهي[2]، فضلا عن وجود بئر به يقع على يسار الداخل إلى المطبخ، ولازال هذا البئر يؤدي وظيفته إلى يومنا هذا[3]، وقبل الدخول إلى المطبخ نجد درج صاعد للطابق الأول[4] الذي يحيط بسطحه جدران عالية[5]، فقد شكّل فضاءً كبيرا مستغلاً على مدار السّنة لأهميته، حيث كان يستغل في نشر الغسيل وتجفيف الفواكه لتخزينها لفصل الشتاء[6].

وما تحسن الإشارة إليه أنّه كان للأسرة **المقّرية** بستان مجاور لمسكّنهم بباب الصّرف بتلمسان من الجهة القبلية[7]، وكان به مقبرة تدفن فيها الأسرة موتاها، فبعد سنة من وفاة "**أبو عبد الله المقّري**"، نقل رفاة هذا الأخير إلى تلمسان حيث ولادته ومقّر أسلافة[8]، أين دفن هناك بالمقبرة الموجودة بالبستان، وفي الصدد يقول "**أبو العباس أحمد المقّري**": "**إنّه توفي رحمه الله .....بمدينة فاس المحروسة، ثم نقل إلى تلمسان محل ولادته ومقّر أسلافه، ودفن بها في**

---

[1] **ينظر**: الملحق رقم38،ص357، و الملحق رقم39، ص358.

[2] **ينظر**: الملحق رقم33، ص352.

[3] **ينظر**: الملحق رقم34، ص353.

[4] **ينظر**: الملحق رقم35، ص354، والملحق رقم 36، ص355.

[5] **ينظر**: الملحق رقم37، ص357.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص120، صالح بن يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص483.

[7] ابن مريم، المصدر السابق، ص155، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص164.

[8] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص226، ابن مريم، المصدر السابق، ص155، الحفناوي، المرجع السابق، ص363، الزركلي، المصدر السابق، ج7، ص37، عادل نويهض، المرجع السابق، ص312.

البستان الملاصق لقبلي داره الكائنة بـ "باب الصرف" من البلد المذكور"[1]، إلاّ أنّ رونق هذا البستان ذهب فيما بعد، بحيث ذكر "**محمد ابن عبد الكريم**" صاحب كتاب "**المقّري وكتابه نفح الطيب**" أنّه اكتّظ بالبنيان والمساكن، أمّا القبور فقد بقيت هناك حيث بنّى السكان عليها بعض جدران منازلهم[2].

والراجح أنّه كان للأسرة **المقّرية** مقبرة أخرى تدفن بها موتاها، بحيث عثر أحد المعمرين خلال الفترة الاستعمارية أثناء الحفر على واحد وأربعين مشهدا من مشاهد القبور الموجودة هناك، من بينها ثلاثة مشاهد لقبور الأسرة **المقّرية**[3]، وهذه المقبرة موجودة بمقبرة القاضي بالعباد قرب ضريح سيدي "**أبي مدين**"[4]، فلعل الأسرة كانت منقسمة إلى عائلتين، إحداهما تدفن موتاها بالبستان الملاصق لمنزلها، والأخرى تدفن موتاها بمقبرة القاضي بالعباد، أو ربّما كانت الأسرة مجموعة في عائلة واحدة تدفن جميع موتاها بالبستان إلى زمن خروج هذا البستان من يدها إلى يد الشيخ "**أبي يحي الشريف**".

وفي الأخير ما يمكن ملاحظته بصفة عامة حول مسكن الأسرة **المقّرية** بتلمسان أنّ العناصر المعمارية المشكّلة للمسكن تدّل على أنّ الأسرة كانت ميسورة الحال، كما أنّه يمثل نموذج فريد للحقبة الزيانية وإرثا حضاريا لمدينة تلمسان، لكن مع ذلك أصبح هذا المعلم مهترئ، وأنّ بعض أجزائه آيلة للزوال، وعليه إن لم يتدارك من قبل الهيئات المعنية فلاشك أنّه سيصبح أثرا بعد عين.

ومهما يكن من أمر، فإنّ الأسر **المقّرية** بعد استقرارها بتلمسان، غدت تتمتع هناك بسمعة طيبة واحترام تام، فكان دورها بتلمسان لا يقل شأناً عن دور الأسر العلمية الأخرى، كعائلة "**ابن مرزوق العجيسية**" و"**العقباني**" وغيرها، فماهي العوامل التي ساعدت على بروزها؟ ومن هم أبرز علمائها؟

---

[1] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص280.

[2] محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص100.

[3] .Ch.broseelard, «tombeaux des familles el makkari et el okbani, p407.

[4] محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص100.

الفصل الثالث

عوامل ظهور الأسرة المقّرية وأبرز أعلامها:

أولا: عوامل ظهور الأسرة المقّرية.

ثانيا: علماء الأسرة المقّرية.

ثالثا: المكانة العلمية لعلماء الأسرة المقّرية.

لا مراء في اعتبار أنّ الأسر العلمية عامة شكّلت بحق ظاهرة ميزت تاريخ تلمسان السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، إذ تمكنت هذه الأسر من أن تفرض نفسها على الساحة بفضل الانجازات التي حققتها منذ ظهورها، فلم تترك ميدان من الميادين إلاّ وخاضت فيه وكانت لها فيه مشاركة فاعلة، والأمر نفسه بالنسبة للأسرة "**المقّرية**" كما سنرى ذلك لاحقا من خلال هذه الدراسة.

ولكن الذي ينبغي أن يسترعي الانتباه أنّ كل ظاهرة أيّاً كانت لابد لها من أسباب مباشرة أو غير مباشرة أدت إلى ظهورها أولا ثم حافظت على استمرارها وثبوتها ثانيا، ولا يشذ عن هذا ظاهرة الأسر العلمية، فمما يلاحظ أنّ كل من تطرق بالدراسة والتحليل لظاهرة البيوتات العلمية عامة يرى أنّ انطلاقاتها لم تكن علمية فحسب[1]، وإنّما كانت لاعتبارات أخرى كذلك.

وبناء على ذلك سوف نحاول استنتاج والكشف عن بعض العوامل التي ساعدت على ظهور الأسرة "**المقّرية**"، والتي اعتبرت من أهم الركائز التي اعتمدت عليها للبروز على الساحة التلمسانية خاصة، في ميادين شتى وهذا انطلاقا من تفسير وقائع تاريخية هامة.

أولا: عوامل بروز الأسرة المقّرية:

1.البيئة العلمية:

إذا ما حاولنا مناقشة ظاهرة البيوتات العلمية بتلمسان عموما، فلعل أول ما يلفت الانتباه المكانة العلمية التي تبوأتها مدينة تلمسان ما بين القرون (07هـ—10هـ/13م-16م)، وقد تقدم الحديث من ذلك عنها باعتبارها البيئة العلمية التي نشأ فيها علماء الأسرة "**المقّرية**" بعدما أصبحت مستقرا لهم منذ نهاية القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع الهجري[2]، وهي الفترة التي عرفت فيها الحركة العلمية بها تطورات متلاحقة لتبلغ مرحلة الأوج والازدهار خلال القرن (08هـ/14م) خاصة[3] رغم ما عرفته من اضطرابات سياسية وعدم الاستقرار[4].

---

[1] **ينظر**: عبد السلام بن المختار شقور، البيوتات الأندلسية، ص249 ، محمد بوشريط، المرجع السابق، ص47، نبيل شريخي، المرجع السابق، ص189.

[2] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص203، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص191.

[3] خالد بلعربي، ورقات، ص141.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص314، محمد مشنان، المرجع السابق، ص56، **ينظر**: الفصل الأول من الدراسة، ص62.

فقد قيض لمدينة تلمسان خلالها أن تصبح مركزا هاما من مراكز الإشعاع الثقافي تضاهي به غيرها من مراكز العلم بالمغرب الإسلامي كتونس وفاس وغرناطة[1]، كما عرفت على غرار بلدان المغرب تأسيس المدارس والمعاهد العليا للتعليم وتكوين الإطارات السامية في شتى المجالات، لاسيما منها مدرستيها الشهيرتين "**التاشفينية**" ومدرسة "**ابني الإمام**"، هذه الأخيرة التي ساهمت إلى حد بعيد في تكوين الأسر العلمية بتلمسان، وهذا ما يظهر من خلال عدد الطلبة الذين تخرجوا منها والذين عدّوا من كبار العلماء على مستوى تلمسان والحواضر الإسلامية[2]، فمن دون شك كان علماء بيت "**المقّري**" من بين هؤلاء، إذ أنّنا نجد الجدّ "**أبا عبد الله محمد المقّري** " يعتز كثيراً بالانتساب إلى مشيخة الفقيهين "**أبناء الإمام**"، لاسيما وقد سبق أن نصّحه أحد المغاربة أثناء وجوده ببيت المقدس بإظهار انتسابه إليهما لأنّهما يتمتعان بسمعة طيبة هناك، أين قال له: "**لا تظهر العدول عنهما إلى غيرهما فتضع من قدرك، فإنّما أنت عند هؤلاء الناس خليفتهما ووارث علمهما، وأنّ لا أحد فوقهما وليس لما تبني يد الله هادم**"[3].

ولربما ما نلمسه أيضا من خلال تتبعنا للإشعاع العلمي الذي عرفته تلمسان، كونها أصبحت محط رحال طلاب العلم والعلماء وعامة المسلمين، الذين توافدوا عليها من مختلف الربوع للاستزادة والتحصيل والإجازة من كبار شيوخها وعلمائها، كما جاءها العلماء من المغرب والأندلس وتوّلوا التدريس في مدارسها وشاركوا في مجالسها[4]، فساهموا من دون شك نتيجة ذلك في تنشيط التعليم وتعميقه، وهو ما أتاح لعلمائها فرصة الحوار والمناظرة والتعمق في البحث والإقبال على الإنتاج الفكري ودراسة المؤلفات لاسيما الفقهية منها[5]، فكان لذلك أثّر في ظهور الأسر العلمية بها عامة والأسرة "**المقّرية**" على وجه الخصوص، إذ تأتى لعلماء هذه الأخيرة أن ينهلوا من معين العلوم

---

[1] خالد بلعربي، ورقات، ص143.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130، التنسي، المصدر السابق، ص ص141- 142، أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص ص12-16، صابرة خطيف، المرجع السابق، ص ص352- 355.

[3] أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص218، أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص ص16-17، ابن مريم، المصدر السابق، ص124.

[4] ابن مريم، المصدر نفسه، ص119، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص320، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص143.

[5] محمد أبو الأجفان، المرجع السابق، ص54، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص320، عيسى بن ذيب، المرجع السابق، ص147.

والمعارف التي كان يزخر بها محيطهم والتي كان يقوم على بثّها وتلقينها جهابذة فقهاء العصر وفطاحل علمائه، فقد كوّن ذلك الزخم الفكري لعلماء بيت "**المقّري**" فرصة في تحقيق طموحاتهم وأغراضهم العلمية، وهذا ما يؤكده "**أبو عبد الله محمد المقّري** " أثناء حديثه عن نشاطه في الدراسة والتحصيل بتلمسان بقوله: «**فاستوعبت أهل البلد لقاءً وأخذت عن بعضهم عرضًا وإلقاءً، سواء المقيم القاطن أو الوارد الظاعن**[1]»[2].

هذا، وقد كان لاهتمام السلاطين وولاة الأمر والحكام بالعلم والعلماء وتنشيط بناء دور العلم من مدارس ومساجد والإغداق على العلماء وتنسيق حلقات الوعظ بالمساجد وعقد المجالس العلمية[3]، أثر مهم في ميول الكثير من الطلبة إلى طلب العلوم المختلفة من عقلية ونقلية وإتقانها، الأمر الذي شكّل عاملا آخر في بروز بيت "**المقّري**" على غرار البيوتات الأخرى بتلمسان.

ففي وسط هذا المناخ العلمي نشأ أغلب أفراد الأسرة "**المقّرية**"، محبين للعلم مجدّين في طلبه، يدفعهم حرص شديد ورغبة صادقة في اكتساب المعارف العلمية المختلفة والتبحر فيها، سالكين في ذلك هدي العلماء العاملين، مقتديين بهم سلوكا وأخلاقا، وما يوضح جانبا من ذلك ما نوّه به "**أبو عبد الله محمد المقّري**" بحضوره مجلسين علميين من المجالس التي كان يقيمها السلطان الزياني "**أبي تاشفين بن حمو الأول**" إلى جانب شيخيه الأخويين "**أبي زيد**" و"**أبي موسى**" ابني الإمام، وشيخه "**أبي موسى عمران المشدالي**"، والتي كان "**الجدّ**" نفسه مشاركا بآرائه في المناقشات العلمية التي دارت في مجلس السلطان بين العلماء وعقّب على ذلك بأنّه كان حديث السنّ[4].

ولنا أن نضيف أنّ انتهاج السلاطين الذين تعاقبوا على حكم تلمسان سياسة تقريب أبناء البيوتات والاعتماد عليهم في تدبير الأمور، وذلك بإسنادهم المناصب السياسية والإدارية من

---

[1] **الظاعن**: ظَعُنَ يَظْعَنُ و ظَعَناً بالتحريك و ظَعونًا، ذهب وسار ،والظَعْنُ هو تحوُّل من بلد إلى بلد، ويقال لكل شخص لسفر من مدينة إلى أخرى ظاعِنٌ وهو ضد الخافض ويقال أظاعن أنت أم مقيم؟، ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص2748.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص193-194.

[3] التنسي، المصدر السابق، ص126، ص141، ص179، ص236، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص250 ، ابن مرزوق، المسند، ص260، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص83.

[4] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص ص214- 215، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص218.

خلال التنافس السياسي بين الأقطار المغربية في استقطاب العلماء واكتساب الشرعية لها[1]، شكّل عاملا من عوامل ظهور البيوتات عموما، حيث يرى "**ابن خلدون**" أنّ اصطناع البيت وظهوره وشهرته تبدأ من رأس البيت الذي تشكله الدولة في منصب هام يسهر على خدمتها ومن ورائه أعقابه، أين أشار إلى ذلك بقوله: «**عصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الآخر وفقدانه أهل عصبيتها فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم فإذا تمددت له الآباء في هذه العصبية كان له بينهم شرف وبيت على نسبته في ولائهم واصطناعهم لا يتجاوزه إلى شرفهم بل يكون أدون منهم على كل حال**»[2]، ذلك أنّ السلاطين إذا استقضوا فردا من أفراد الأسرة مثلا فصلح به القضاء، فإنّ همّمهم تتجه غالبا إلى تولية أفراد من أسرته القضاء بعده[3]، وهذا يؤثر في النواحي العلمية، حيث يحفظ القاضي الشاب التاريخ العلمي لقضاء والده أو جدّه ويعيش عليه، فيكون ميراثا أسريا للعلم التطبيقي في القضاء.

ومهما يكن من أمر فإننا لا نكاد نجد بيتا من البيوتات بتلمسان لم يتقلد أحد أبنائه منصبا هاما في هرم السلطة، ويكفي هنا أن نشير إلى الخطط الرفيعة التي أسندت إلى علماء بيت "**المقّري**"، فنجدهم على سبيل المثال قد نالوا حظوة وشرف منصب القضاء، أين زاول أكثر من فرد داخل الأسرة خطة القضاء[4]، بالإضافة إلى منصب الإفتاء وغيره[5].

2.النسب الشريف:

وضّح "**ابن خلدون**" في مقدمته لما للنسب من أهمية في اصطناع البيوتات، إذ جاء عنه في إبراز ذلك قوله: «**في أن البيت والشرف للموالي وأهل الاصطناع إنّما هو بمواليهم لا**

---

[1] أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي، ج4، ص43، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص35، محمد المنوني، المرجع السابق، ص234، محمد عمرو الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص208، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص319، عيسى بن ذيب وآخرون، المرجع السابق، ص138، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص99.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص109.

[3] صابرة خطيف، المرجع السابق، ص194.

[4] صابرة خطيف، المرجع نفسه، ص195، إبراهيم بحاز، **مدخل إلى القضاء عند الزيانيين**، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3-4)، أفريل – ماي 2011، ص65، ينظر الفصل الثاني من الباب الثاني من الدراسة، ص 246.

[5] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص ص191- 195، التنبكتي، المصدر السابق، ص ص420- 427، النباهي، المصدر السابق، ص136، المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص ص12-75، **ينظر**: الفصل الثاني من الباب الثاني من الدراسة، ص241.

بأنسابهم»[1]، ويستشهد ببعض الموالي الذين ينتمون إلى البيت العريق بقوله: «**إنّما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولائها والأصالة في اصطناعها ويضمحل نسبه الأقدم من غير نسبها ويبقى ملغى لا عبرة به في أصالته ومجده**»[2].

وقد أشار أيضا إلى أنّ البيوتات التي ليس لها نسب فلا جوهر لها بقوله: «**ولا يكون للمنفردين من أهل الأمصار بيت إلاّ بالمجاز وإن توّهموه فزخرف من الدعاوى**»[3].

وبالنظر للنسب العربي القرشي للأسرة "**المقّرية**"، يمكن القول أنّ النسب الشريف للأسرة شكّل هو الآخر أحد الركائز الأساسية التي قام عليها بيت "**المقّري**"، ويكفي أن نرجع في هذا إلى مكانة الأشراف وتنامي أدوارهم على المستوى الاجتماعي، أين أصبحوا يمثلون فئة اجتماعية ذات قيمة رفيعة في المجتمع تتمتع بالاحترام والتقدير في وقت ظهرت فيه مؤلفات تدعوا إلى إكرامهم والاعتناء بهم[4]، كما أظهر السلاطين عنايتهم بالشرفاء وعملوا على تقريبهم من بلاطاتهم[5]، وتكشف لنا علاقة السلطان "**أبي عنان**" "**بأبي عبد الله محمد المقّري**" عن ذلك، بحيث نظمه في مجلسه العلمي، وأولاه قضاء الجماعة بفاس وقام ببناء المدرسة "المتوكلية" له ونصّبه للتدريس بها[6].

فالنسب العربي الشريف كان ييّسر العلم على المتعلم ويسّهل عليه بعد الإفادة من علمه، وهكذا فإننا نجد علماء بيت "**المقّري**" خدموا الدول في عصرهم، فكان منهم القضاة والخطباء والأئمة وغير ذلك، لكن ما يسترعي الانتباه أنّه لا يمكن الجزم بكون ذوي النسب الشريف وحدهم كانت لهم السيادة، وما عداهم لم يكن لهم حضور في الواقع العلمي، فقد تم إحصاء عدد من البيوتات بتلمسان لم تكن تعود في نسبتها إلى البيت الشريف، ورغم ذلك أدركت جاها

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص109.

[2] ابن خلدون، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[3] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص108.

[4] محمد القبلي، المرجع السابق، ص76، محمد فتحة، المرجع السابق، ص ص237- 238، عمر بلبشير، المرجع السابق، ص110.

[5] قال "أبو حمو موسى الثاني" لابنه: "فليكن الشرفاء عندك أرفع الناس في الرتب، لشرفهم في النسب وأعلاهم في النسب"، أبو حمو موسى، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، مطبعة الار التونسية، تونس، 1279هـ، ص ص86-87.

[6] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 195، النباهي، المصدر السابق، ص ص135- 136، ابن خلدون، التعريف، ص 46، المقري، نفح الطيب، ج5، ص264، أزهار الرياض، ج1، ص5، **ينظر**: الفصل الأول من الباب الثاني من الدراسة، ص164.

وشهرة بسبب من الأسباب، مثلما هو الأمر على سبيل المثال لا الحصر بالنسبة لبيت "**المرازقة**"[1].

3.الرخاء الاقتصادي:

ما زاد من دون شك في نباهة البيوتات التلمسانية عموما وبيت "**المقّري**" على وجه الخصوص ورفع من مكانتها، ذلك الرخاء الاقتصادي الذي نعم به أهل البيوتات خلال العهد الزياني، فقد اكتسبت الأسر العلمية عامة ثروة واسعة جدا جنّتها من مصادر مختلفة، مما ساهم في استمرار العلم في أبنائها، بحيث وفّرت لهم أسّرهم الظروف لطلب العلم، ففي الوقت الذي كان ينقطع فيه نسبة كبيرة من الطلبة عن طلب العلم وينشغلون عنه بطلب الرزق، كان أبناء البيوتات يواصلون تعليمهم بفضل أوضاعهم المادية التي تسمح بذلك[2].

ولعل أهم مصادر ثروة بيت "**المقّري**" التجارة التي اشتغل بها أفرادها، فعلماء بيت "**المقّري**" سلاّن أسرة ثرية، حيث جمعت إلى شرف النسب القرشي ارتفاع الأحوال وسعة الأموال، وهذا ما نلمسه من خلال ما جاء عن "**أبو عبد الله محمد المقّري**" بقوله: "**فخرجت أموالهم عن الحد، وكادت تفوق الحصر والعد**"[3]، وهذا لاتساع أعمالها بالتجارة كما سنرى ذلك لاحقا[4].

إلى جانب ذلك تقلّدهم لبعض المناصب الرفيعة التي مكّنتهم من أن يظهروا كبيوتات ميسورة، الأمر الذي هيّأ لهم فرصة التفرغ لطلب العلم مبكرا، فلم ينشغلوا بطلب العيش والبحث عنه، بل وجّهوا جلّ اهتمامهم نحو لقاء المشايخ، لكن لا نستطيع أن نذهب إلى أنّهم عموما استفادوا ماديا من هذا الإرث والثراء العائلي، على أنّ كثيرا من البيوتات كانت تفقد ثرواتها بمجرد ما تصيب البيت محنة من المحن، وهذا ما نلمسه من خلال تصّريح "**أبي عبد الله محمد المقّري**" بعد أن تحدث عمّا لأجداده من ثراء مالي بقوله: «**فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا اليوم، فها أنا ذا لم أدرك في ذلك إلاّ أثر نعمة، اتخذنا فضوله عيشا وأصوله حرمة**»[5].

---

[1] عن نسب البيوتات العلمية بتلمسان **ينظر**: نصر الدين بن داود، أسر العلماء بتلمسان، ص87 ، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان، ص56.

[2] فوزية لزغم، المرجع السابق، ص232، فافة بكوش، المرجع السابق، ص57.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص193.

[4] **ينظر**: الفصل الثالث من الباب الثاني، ص271.

[5] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص194، أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص206.

4.البيئة الاجتماعية والاشتغال بالعلم والانتساب إليه:

مما لاشك فيه أنّه كان للاشتغال بالعلم والانتساب إليه أثر بارز في ظهور الأسرة المقّرية، التي عرفت قيمة العلم، فأحبّته وأخلصت له، وشجّعت أبناءها على الجِدّ والاجتهاد في سبيل تحصيله، وهنا لابد من الإشارة إلى خزانة الكتب التي ذكرها "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في حديثه عمّا كان لأجداده من ثروة بقوله: «**فها أنا ذا لم أدرك في ذلك إلاّ أثر نعمة ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب وأسباب تعين على الطلب فتفرغت بحول الله عزّ وجلّ للقراءة**»[1]، فإذا ما ناقشنا هذا النص يتضح لنا جليًا أنّ جذور الثقافة كانت متأصلة منذ زمن بعيد في الأسرة "**المقّرية**"، فوراثة "**أبي عبد الله محمد المقّري**" لخزانة كبيرة من الكتب التي لاشك أنّها كانت تشتمل على العديد من النفائس لهو دلالة واضحة على أنّ العلم قد كان منتشرا بين أفراد هذه الأسرة، ولولا ذلك ما كانت خزانة الكتب ولا توارثها الأحفاد عن الأجداد.

فضلا عن ذلك كان الجدّ الأول للأسرة وهو "**عبد الرحمن المقّري**" رجل صلاح وفضل وعبادة[2]، فإذن من الطبيعي أنّ تشكّل البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها أفراد الأسرة "**المقّرية**" هي الأخرى إحدى الركائز الأساسية التي ساهمت في اصطناع بيت "**المقّري**"، إذ كان لها دور كبير وقاعدة أساسية مكّنت العلماء "**المقّريين**" بالاستعانة بالأسباب المتوفرة على التفرغ لطلب العلم والاكتراع من منابع الثقافة بتلمسان[3]، فالثراء الذي ميّز الأسرة انعكس على حياتهم الثقافية، أين كان هناك تسابق نحو التحصيل العلمي، تدفعهم الرغبة في تحصيل العلم ونيل شرفه، فقد كان الجدّ "**أبو عبد الله محمد المقّري**" محبا للعلم منذ صغره، وهذا ما نلمسه من خلال روايته بالمصافحة عن "**أبي عثمان سعيد بن علي الخياط**"(ت729هـ/1329م)[4]، بقوله: «**صافحته وأنا صغير**»[5] مما يدل على إرادته وقوة عزيمته واستعداده لطلب العلم .

---

[1] ابن الخطيب، الاحاطة، ج2، ص194، أحمد المقري، المصدر نفح الطيب، ج5، ص206.

[2] أحمد المقري، المصدر نفسه، ج5، ص204، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص25.

[3] أبو الأجفان، المرجع نفسه، ص62.

[4] **أبو عثمان سعيد بن علي الخياط**: بن إبراهيم، عرف بابن سبعين، متصوف ألبس الخرقة على طريق أبي العباس الرفاعي وطريق السيد أبي مدين، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص17، اسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص160.

[5] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص241.

وعلى اعتبار أنّ الثراء وحده يعتبر ناقصا إذا لم يدّعم ويوطّد بالعلم، فقد حرص الحفيد "**أبو العباس أحمد المقّري**" في الفترات اللاحقة على طلب العلم وأنفق عمره في كسبه، لإدراكه أنّ مآل المال زائل وغير دائم[1]، وهذا ما طرحه "**ابن خلدون**" في مقدمته بقوله: **الجاه مفيد للمال... ذلك أنّ صاحب الجاه مخدوم بالأعمال يُتَقرَّبُ بها إليه في سبيل التزلف والحاجة إلى جاهه**»[2]، بحيث يصبح العالم معظما عند العامة والخاصة مما يرفع من قيمته وقدره عندهم ويلقى كل ترحيب وتكريم منهم، فيواصل "**ابن خلدون**" مؤكدا ذلك بقوله: «**ومما يشهد لذلك أنّا نجد كثيرا من الفقهاء وأهل الدين والعبادة إذا اشتهروا حَسُنَ الظّن بهم، واعتقد الجمهور معاملة الله في إرفادهم، فأخلص الناس في إعانتهم**»[3]، وبناء على ذلك حرصت الأسرة "**المقّرية**" كغيرها من أهل تلمسان على تعليم أبنائها وحثّهم على ملازمة العلماء والمؤدبين، نظرا لمنزلة العلم والعلماء العالية في المجتمع ولا يختلف الأمر عنه عند السلطة السياسية، وهذا بما يلقاه العالم من الاحترام والمحبة والمركز[4]، فحرصوا نتيجة ذلك على العلم وسلكوا فيه كل سبيل.

فكثيرا ما دلفت البيوتات عامة وبيت "**المقّري**" على وجه الخصوص، إلى مجال النباهة واستطاعت أن تحافظ على مجد البيت عن طريق العلم، إذ كان هناك تسابق نحو تحصيل العلم ونيل شرفه[5]، وهذا ما نلمسه من خلال ما جاء عن "**القلصادي**" الذي صوّر لنا الرغبة في طلب العلم عند نزوله تلمسان بقوله: «...**الهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجدّ والاجتهاد مرتقية...**»[6]، إذ شكّل نتيجة ذلك الانتساب إلى العلم تعلُّمًا وتعليمًا والاشتغال به إقراء وتأليفا وارتحالا، أحد أهم الأسس والركائز التي قامت عليه نباهة البيوتات عموما[7]، لكون بعضها تسلسل العلم في أبنائها جيلا بعد جيل لقرون عديدة، فالأسرة "**المقّرية**" ورثت تقاليد التكوين العلمي

---

[1] شهاب الدين أحمد الخفاجي، **ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا**، تح عبد الفتاح محمد الحلو، ج2، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (ب ت)، ص175.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص315.

[3] ابن خلدون، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[4] أحمد المقري، نفح الطيب، ج1، ص181، أمحمد بوشريط، المرجع السابق، ص54، نبيل شريخي، المرجع السابق، ص189.

[5] نبيل شريخي، المرجع نفسه، ص190.

[6] القلصادي، المصدر السابق، ص95.

[7] عبد السلام شقور، البيوتات الأندلسية، ص259.

وحرصت على توريثه لأبنائها، ففي ذلك جاء عن "**شهاب الدين الخفاجي**" منوها بمكانة "**أبي العباس المقّري**" قوله: «**وجدّ في إرث المجد بغير كلالة عن أكرم أب وجدّ**»[1].

فكثيرا ما نجد أنّ والد أو جدّ العالم هو عالم أيضا وهذا ما نلمسه في الأسرة "**المقّرية**"، فمن دون شك هذا راجع إلى حبّ العلماء توريث العلم لمن يحبونه، ولا أحب للعالم من ولده، ولعله أيضا يمكن أن يقال أيضا إذا كان العلم ميراثا فإنّ العاقل يطلب ميراثه المستحق من أبيه وذويه لما يرى من نور العلم وبركته، والأمر نفسه مع الأسرة "**المقّرية**" التي كان فيها "**أبا عثمان سعيد المقّري**" عمدة "**الحفيد**" في التعلم والتأدب، وقد أشاد به وأقّر بجميله في جميع ما ألّف وكتب[2]، كقوله: «**سيدنا ومولانا شيخ الشيوخ، وخاتمة أهل التثبت والرسوخ، ملحق الأحفاد بالأجداد**"، كما وصفه أيضا بأنّه: "**من أولئك الأعلام الذين ورثوا العلم عن غير كلالة وعمّروا ربوع المجد وتفيئوا ضلالة**»[3].

وكذلك لكون أبناء الأسرة "**المقّرية**" غطّوا بنشاطهم العلمي والأدبي حقبة زمنية معتبرة من تاريخ تلمسان، فبيت المقّري بيت نبيه، ظهر في فترات زمنية متصلة، إذ أحصينا منه عددا من أفراده كلهم سادوا ونبهوا بفضل تعاطيهم العلم، فاكتسبوا جاها رفيعا وتأصلت فيهم جذور الثقافة والعلم، ففي ذلك جاء عن "**شهاب الدين بن عمر الخفّاجي**" وهو يتحدث عن "**أبي العباس المقّري**" قوله: "**وهو من قوم تعاويذهم الصّوارم، وآثارهم في كلّ جيد تمائم**"[4]، فلا غرو إذا قلنا: أنّ أبناء هذه الأخيرة والبيوتات عامة بتلمسان كانوا محور الحركة العلمية بها، وهذا ما سنوضحه في الباب الثاني من الدراسة.

5.المطالب الدينية والعلمية:

لاشك أنّه كان للمطالب الدينية بصفة عامة والعلمية على وجه الخصوص أثر واضح في ظهور الأسرة **المقّرية**، ذلك أنّها كانت تدعوا إلى شدّ الرحلة إلى الحواضر العلمية المغربية كفاس وإلى البلاد المشرقية والأندلسية، بهدف الاستزادة من العلوم وطلب الإجازة العلمية، فقد سعى علماء

---

[1] شهاب الدين أحمد الخفاجي، المصدر السابق، ج2، ص175.

[2] أبو العباس أحمد المقّري، **رسائل المقري**، دراسة وتح أسماء القاسمي الحسني، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، ط1، المسيلة– الجزائر، 2008، مقدمة التحقيق، ص102.

[3] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج1، ص10.

[4] شهاب الدين بن عمر الخفاجي، المصدر السابق، ج2، ص185.

البيوتات العلمية بحواضر المغرب الإسلامي بصفة عامة إلى مدّ جسور الاتصال العلمي بين مدنهم بإقليم بلاد المغرب من جهة وبينها وبين مدن العلم ببلاد المشرق الإسلامي من جهة أخرى[1] وذلك عن طريق **الرحلة العلمية**[2]، التي اعتبرت من المسائل المحمودة والتي ينبغي أن تخصّ بعناية من قبل طلاب العلم والعلماء على حد سواء، أين كان الحرص إلى لقاء الشيوخ والأساتذة المشهورين هو الغرض الأول من الرحلة، وتحتل فكرة ضرورة الجلوس إلى الشيوخ والأخذ عنهم مباشرة عن طريق الرواية على اختلاف طرقهم ومناهجهم التعليمية بدلا من أخذ العلم عن طريق الكتب والمصنفات والمختصرات[3]، فلم يكن يكتفي الطالب بقراءة مصنفات الأستاذ وحده وإنّما أن يقرأها عليه أو يسمعها منه حتى يعتبر ثقة في مادته وحجة في عمله، وبدون ذلك لا تصح روايته ولا يوثق بقوله[4].

ويتوجب الإشارة هنا إلى أنّ التلقين المباشر يعدّ أشد استحكاما للمعلومات وأقوى رسوخا، كما أنّ الإكثار من الشيوخ يعد أفضل للطالب، إذ يفيد ذلك في تمييز اصطلاحات العلوم وتصحيح المعارف بعد لقاء العديد من شيوخ العلم لما يراه من اختلاف طرقهم في البلاد المختلفة التي يرحل إليها، زيادة على أخذ العلم من منابعه وهذا ما أكدّ عليه "**ابن خلدون**" في تبيين فضل الرحلة من أجل طلب العلم بقوله: «**والسبب في ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل: تارة علماً وتعليمًا وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينًا بالمباشرة. إلاّ أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ استحكاما وأقوى**

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص327، محمد أبو الأجفان، المرجع السابق، ص48.

[2] **الرحلة**: في اللغة هي الارتحال والترحيل، فيقال رحل الرجل، أي سار بمعنى السير في الأرض أي الانتقال من مكان لآخر لتحقيق هدف معين ماديا أو معنويا، ابن منظور، المصدر السابق، ج11، ص276، عبد الحكم الصعيدي، **الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها**، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب (ب م)، 1996، ص16.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص217، الحسن الشاهدي، **أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني**، ج1، منشورات عكاظ، الرباط، 1990م، ص79.

[4] محمد عادل عبد العزيز، **التربية الإسلامية في المغرب، أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية**، الهيئة المصرية الماسة للكتاب، 1987، ص30، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص327، محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية، ص66، لخضر عبدلي، **الحياة في الثقافة في المغرب الأوسط خلال عهد بني زيان**،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة تلمسان 2005،ص99، عبد الرحمن بلعرج، **العلاقات الثقافية بين الدولة الزيانية ودولة المماليك**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007 ، ص112 .

رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها»[1]، ومن ثمّ كان الاهتمام بالرحلة في طلب العلم ضربا من ضروب التحقيق العلمي، فلم يظهر كتاب لإمام في فنه إلاّ وسارع إليه طلاب العلم ليقرأه عليه بغية الانتماء وتحقيق إسناده إليه ونسبته له[2].

وعلى هذا الأساس أدرك علماء الأسرة "**المقّرية**" أهمية الرحلة، فقد ساد لديهم الاقتناع بأنّ «**الرّحلة لا بدّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال**»[3]، الأمر الذي جعلها تكاد تكون شرطا من شروط التحصيل وبلوغ درجة عليا في المعرفة والتفوق[4]، أين كانت تتعزز مكانة المدرس برحلاته في طلب العلم والتي عادة ما تثري رصيده الفكري وتضاعف من عدد شيوخه ما يجعله موضع استقطاب[5]، فكثيرا ما نجد عبارة "**وله رحلة أو رحل في طلب العلم**" في كتب التراجم في التعريف بالعالم وإظهار منزلته العلمية ودرجته الفكرية.

ولهذا كلّه قصد علماء الأسرة "**المقّرية**" في مرحلة الطلب مختلف حواضر العلم بالعالم الإسلامي، لا سيما وأنهم كانوا يجدون الأبواب مفتوحة في وجوههم حيثما وجهوا، نظرا لما كانوا عليه من علم، ولما كان عليه حكام وأمراء العالم الإسلامي على العموم الذين لم يضعوا أمام حركة العلماء في دولهم أية عوائق، وسمحوا للوافدين من العلماء وطلاب العلم بالإقامة في ربوع أقاليمهم والتمتع بكل المميزات التي يتمتع بها أفرادهم من أهل العلم وذلك رغم الفترات السياسية الحالكة والاضطرابات المتعددة[6]، ومن ثم فقد وجدنا علماء الأسرة "**المقّرية**" تقريبا في معظم الحواضر

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص478.

[2] محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص30.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص479.

[4] الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ج1، ص79.

[5] صابرة خطيف، المرجع السابق، ص ص268- 269.

[6] الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص70، عبد الحق الطاهري، **النخبة المغربية من خلال كتب التراجم المشرقية نموذج مغاربة (ق6و7هـ) وكتاب "فوات الوفيات لابن شاكر**، ضمن كتاب النخبة في تاريخ الغرب الإسلامي ضوابط المفهوم وتجليات الأدوار، تنسيق وتقديم محمد البركة، مطبعة آنفو-برانت، ط1، فاس، 2015، ص59، رشيد الزاوي، **التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي**، مجلة الحضارة، ع1، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، 1414هـ/1993م، ص325.

الإسلامية في فاس وغرناطة وتونس وغيرها يبحثون عن العلماء المتمكنين ويجلسون إليهم لاقتباس ما يحتاجون إليه من علمهم وأخلاقهم[1].

ولما كان الحج من أهم المطالب الدينية التي حملت المغاربة على زيارة بلاد المشرق[2]، أين حرصوا كلّ الحرص على أداء مناسكه رغم مشّقاته ومصاعبه، نظرا لبعد المسافة بين المغرب والمشرق أين توجد البقاع المقدّسة بالحجاز مقصد المسلمين في العالم، وهذا ما أكدّه **"ابن عباد الرندي"** في إحدى رسائله بقوله: «**المشي إلى الحج في هذه الأزمنة مما يعظم حرص الناس عليه وتميل نفوسهم إليه، ويؤثرون المشقة والقلة والغربة اللازمة له على الراحة والجدة والإقامة**»[3]، فقد وفّر فرصة ثمينة لعلماء المغرب عامة وعلماء الأسرة **"المقّرية"** بصفة خاصة في لقاء نظرائهم من العلماء والاختلاط بهم وتبادل المعارف معهم والأخذ عنهم والاستفادة من علومهم في إطار تبادل ثقافي ميّزه وجود عدّة علماء وطلبة من عدة أقطار إسلامية في مكان واحد[4]، كما مكنّهم من التبحر في العلوم، خاصة تلك التي كان المشرق أصلها مثل علم الحديث والكلام والفلسفة، ومن بين أهمّ حواضر المشرق التي شكّلت بالنسبة للمغاربة عامة محطات علم وتثقيف يتّجهون إليها الإسكندرية[5] والقاهرة والقدس ومكة والمدينة وبغداد وبلاد الشام[6].

فمن السّمات التي ميزت علّماء الأسرة **"المقّرية"** هو شدّ الرحال إلى مختلف الحواضر المغربية والأندلسية والمشرقية، فقد كان "الجدّ" **"أبو عبد الله محمد المقّري"** يقدّر قيمة الرحلة العلمية ويراها أهم من التآليف التي أخذت تنتشر في عصره وتصرف الناس عن الرحلة التي تستدعى تحمل مشّقة السّفر لبعد المسافة في غالب الأحيان، غير أنّها أنفع لصاحبها وهو في ذلك يتبع رأي شيخه **"الآبلي"** الذي أشاد بفضل الرّحلة واعتبرها أصل العلم[7]، وتحسن الإشارة

---

[1] **ينظر**: الملحق رقم03، ص315، والملحق رقم04، ص316، والملحق رقم14، ص329.

[2] عمار هلال، المرجع السابق، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(14/3هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 60-61.

[3] عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص110.

[4] عبد الرحمن بالأعرج، المرجع نفسه، ص111.

[5] **الاسكندرية**: أسسها لاسكندر ذو القرنيين في موقع جميل على رأس داخل في البحر المتوسط، يبعد بأربعين ميلا عن النيل إلى جهة الغرب، وهي إحدى أهم المراكز الثقافية بمصر، ضمت الكثير من المؤسسات الثقافية والتعليمية، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص193.

[6] عبد الحق الطاهري، المرجع السابق، ص59.

[7] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج6، ص226، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص216- 217.

هنا إلى أنّه كان ممّن دوّن رحلته في مؤلف أسماه "**نظم الآلي في سلوك الأمالي**"[1]، فتحدث فيه عن رحلته في طلب للعلم وشيوخه في مختلف المراكز العلمية التي زارها بالعالم الإسلامي[2].

هذا، وقد قام "**أبو عثمان سعيد المقّري**" أيضا برحلة علمية، فتوجه نحو فاس ليكترع من مناهلها كما فعل أجداده ومعاصروه[3]، وربما لم يرتحل إلى بلاد المشرق فيما نعلم، وفي المراحل اللاحقة نجد "**أبا العباس المقّري**" قد اعتزم رحلة إلى المغرب الأقصى بإيعاز من عمّه "**أبي عثمان سعيد المقري**" وتحفيز منه، استزادة له من العلم بفاس، وطلب ملاقاة العلماء بها، وربّما أزمع "**الحفيد**" إليها اقتداء بعمه وجّده من قبل "**أبي عبد الله محمد المقّري**"، فكانت أسباب رحلته علمية بالدرجة الأولى منها: طلب العلم مباشرة من علماء المغرب الأقصى وأخذه عنهم مشافهة في حلقات دروسهم، لاسيما بجامع القرويين، والحصول على إجازات من بعض العلماء، والاطلاع على المخطوطات المتوفرة بالمغرب الأقصى التي لا وجود لها بتلمسان، لاسيما الأندلسية منها التي كانت غايته في رحلاته[4]، كما كانت له رحلة مشرقية لم يبح "**أبو العباس المقّري**" نفسه بأسبابها، مما أوقع الباحثين في آراء مختلفة حول تلك الأسباب التي تعددت أشكالها، لكنها في النهاية عندهم أسباب سياسية[5].

ومما لاشك فيه أنّ معاصرة علماء الأسرة "**المقّرية**" لجهابذة العلم من الأسر العلمية الأخرى بتلمسان الذين توارثوا العلم سلفا عن خلف كأسرة "**المرازقة**" وبيت "**الشريف**" وغيرهم، جعلهم يحذون حذوهم في تحقيق المكاسب العلمية، مما خلق جو من المنافسة العلمية، وقد ساهم ذلك دون شك في تكوين شخصياتهم العلمية.

لا شك أنّ ما يمكن ملاحظته في هذا المقام أنّ الأسرة "**المقّرية**" استندت إلى النبوغ العلمي في ظهورها، وما كان الوفر المادي والنسب الشريف إلاّ ركائز مُعِينة على ذلك، فقد اعتبر ذلك التميز العلمي عند أفرادها تراثا تناقله الآباء عن الأجداد، حفاظا على مكانتهم في خدمة العلم وفي القيام بأدوار أخرى هامة في المجتمع، فقد كان هناك دائما حرص من أفرادها على انتهال

---

[1] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص12، الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص682.

[2] لخص هذا الكتاب حفيده أحمد المقّري في كتابه أزهار الرياض، ج5، ص ص12 –75.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 384.

[4] أحمد المقّري، الرسائل، ص124.

[5] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، ص168، أسماء القاسمي، المرجع السابق، ص134، محمد خيط، المقّري **أحمد بن محمد (986هـ–1578/1041م– 1631م)**، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، (ب م)، 2011م، ص90.

العلوم والمعارف ونقلها لمن بعدهم من أفراد الأسرة، لتولي المناصب بعدهم والحفاظ على مكانتهم في وجه المنافسين من الأسر العلمية العريقة بتلمسان، كما كانت تمثل نموذج الأسرة العلمية بتلمسان في التفاف أفرادها حول قيم العلم واحتفائهم بالحركة العلمية.

ثانيا: علماء الأسرة المقّرية:

ينبغي أن نؤكد في البداية على أنّه لا يمكن الإلمام بتراجم مفصلة لجميع ما أنجبته الأسرة المقّرية من العلماء طوال الفترة مدار الدراسة، بحكم شحّ المادة العلمية من جهة، ولاعتبار منهجي من جهة ثانية، ذلك أنّ البعض من أفرادها يندرجون ضمن الفترة الحديثة مع بداية الحكم العثماني للجزائر.

ومهما يكن من أمر فقد ترك لنا "**أبو عبد الله محمد المقّري**" نصّاً هاماً يتضمن معلومات عن أسرته في خمس حلقات من سلسلة أجداده[1]، يلقي فيه ضواءً على وضع الأسرة وحالها وإرثها المادي والأدبي، مما يوضح لنا أنّ أفراد الأسرة "**المقّرية**" كانوا أهل مال وثروة وتجارة وأهل ثقافة وعلم، هذه الأخيرة التي تدل عليها تلك الخزانة الكبيرة من الكتب التي ورثها "**الجدّ**"[2]، فإذا تتبعنا أفراد الأسرة "**المقّرية**" بداية من استقراها بتلمسان، فنجد أنّه قد برز منها تجار وعلماء وفقهاء وأدباء، كانت لهم مكانتهم في العواصم الإسلامية بالمشرق والمغرب الإسلاميين، ولعل أبرز هذه الأسرة ثقافة وأغزوها علماً ومعرفة وأشهرها: "**أبو عبد الله محمد المقّري**" الذي برز خلال القرن (8هـ/14م)، وفي نفس الفترة برز "**أبو الحسن المقّري**"، وخلال القرن (10هـ/16م) برز "**أبو عثمان سعيد المقّري**" وفي القرون اللاحقة برز "**أبو العباس أحمد المقّري**" و"**محمد ابن شقرون المقّري**"، فهما يندرجان في الفترة الحديثة.

1. أبو عبد الله محمد المقّري (ت 759هـ/1358م):

هو "محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن على القرشي"، يعرف "**بالمقّري**" ويكنّ "**أبا عبد الله**"، كان مولده بتلمسان، أما تاريخ ولادته على وجه التحديد فلم تشر له جلّ المصادر التاريخية التي ترجمت له[3]، غير أنّ "**أبا عبد الله محمد**

---

[1] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص203، **ينظر**: الملحق رقم12، ص331، و الملحق رقم13، ص332.

[2] أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص206، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص194.

[3] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص136، أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص1، ابن مريم، المصدر السابق، ص154، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص59، ابن عماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح محمود=

المقّري" نفسه ذكر في فهرسه[1] أنّه ولد في عهد السلطان الزياني **"أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمرا سن"** في أوائل القرن الثامن الهجري/القرن الرابع عشر الميلادي[2].

والواضح أنّ **"أبا عبد الله محمد المقّري"** لم يكن يجهل تاريخ ولادته، وإنّما عزف أن يصّرح بذلك، حيث جاء عنه قوله: «**كان مولدي بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان، وقد وقفت على تاريخ ذلك ولكني رأيت الصفح عنه**»[3]، وعللّ هذا بأنّه ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنّه، فقال في ذلك بسند متسلسل: «**لأنّ أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا الطاهر السلفي عن سنّه فقال: أقبل عن شأنك فإني سألت أبا الفتح بن زيان عن سنّه فقال لي، أقبل على شأنك فإني سألت علي بن محمد اللبان عن سنّه فقال لي، أقبل على شأنك فإني سألت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي عن سنّه فقال، أقبل على شأنك فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي ألمنقري عن سنّه فقال: أقبل على شأنك فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنّه فقال:" أقبل على شأنك فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنّه فقال أقبل على شأنك، فإني سألت الشافعي عن سنّه فقال أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنّه فقال: أقبل على شأنك، ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنّه**»[4].

يبدو أن ظاهرة عدم التصريح بتاريخ الميلاد كانت مشهورة أوساط علماء ذلك العصر، حيث أنّنا نقف عند تاريخ وفاة العديد من العلماء المشهورين دون تاريخ ميلادهم، فقد أفادنا **"ابن الخطيب"** أنّ **" أبا بكر محمد بن عبد الرحمن بن الفخار"** (ت723هـ/1323م)[5] كان لا

=الأرناؤوط، إشراف عبد القادر الأرناؤوط، ج8، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 1988، ص332، ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص43، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص232.

[1] سمي "نظم اللاتي في سلوك الأمالي"، أحمد المقّري، نفح الطيب،ج5، ص215، أحمد المقّري أزهار الرياض، ج5، ص28، الكتاني، فهرس الفهارس،ج3، ص682.

[2] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص25، ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص136، عبد القادر زمامه، **المقري الجد**، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ع2، السنة التاسعة، ديسمبر 1965، ص96.

[3] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص25.

[4] أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص ص28-29، ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج8، ص333.

[5] **ابن الفخار**: هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي المالقي الأندلسي، قرأ على "أبي عبد الله محمد بن خميس" و"أبي الحسن بن أبي الربيع" وغيرهم، ألف نحو الثلاثين تأليف في فنون مختلفة، منها" تخيير نظم الجمان في=

يخبر بتاريخ ميلاده، وأيضا "**عبد الله الأوسي بن سناري**"(ت647هـ/1249م بسبته) فقال: «**كان مالك يكره تعريف الإنسان بسنّه**»، و يعلل مالك كراهة ذلك بقوله: «**إن كان صغيراً أستحقر أو كبيراً أستهرم**»[1].

واقتدى بالسلف في ذلك "**أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم البلفيقي السلمي**" (ت771هـ/1370م)[2] فقد أنشد أبياتا عندما سئل عن سنه تفيد المعنى:

احْفَظْ لِسَانَكَ لاَ تَبُحْ بِثَلاَثَةٍ سِّنٍ ومَالٍ، إنْ سئلت وَمَذْهَبِ

فَعَلَى الثّلاَثَةِ تُبْتَلَى بِثَلاَثَةٍ بِمُكَفّرٍ وبِحاَسِدٍ و مُكَـــذِّبِ[3].

وهذان البيتان أنشدّهما "**سعيد المقّري**" "**لأبي العباس المقّري**" عندما تذاكر معه ما قاله "**الجدّ**" في تبرير امتناعه عن ذكر سنة ولادته[4].

ويرّجح "**محمد الفاضل ابن عاشور**"[5] أنّ تاريخ مولد "**أبو عبد الله محمد المقّري**" كان في حدود سنة(710هـ/1310م) بناءً على قول "**أبو عبد الله محمد المقّري**" نفسه كونه ولد في عهد "**أبي حمو الأول**"، هذا الأخير الذي حكم في الفترة الممتدة ما بين(707هـ) و(718هـ)، معنى ذلك أنّه ولد بين هذين التاريخين، ووافقه في ذلك أيضا "**أبو الأجفان**" استنادا على قول

=تفسير القرآن "و"انتفاع الطلبة النبهاء" و"منظوم الدرر في شرح كتاب المختصر" وغيرها توفي سنة (723هـ/1723م)، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص563، البغدادي، المرجع السابق، ص159، ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتح مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1996، ص390، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص212 .

[1] التنبكتي، المصدر السابق، ص ص214-215.

[2] **أبو البركات البلفيقي**: هو محمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن الحاج السلمي البلفيقي، شيخ المحدثين والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء بالأندلس وسيد أهل العلم، أخذ عن أعلام الأندلس من أهل عصره وتبحر، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2 ، ص160، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص61، أحمد ابن القاضي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، ج1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص292، الكتاني، فهرس الفهارس، ج3، ص152-153.

[3] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص207، ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج8، ص333.

[4] أحمد المقري، المصدر السابق، ج5، ص207.

[5] محمد ابن عاشور، **أعلام الفكر الإسلامي**، ص80، نقلا عن أبو الأجفان، المرجع السابق، ص32.

"**أبو عبد الله المقّري**" الذي أشار إلى صغر سنّه عندما استحسن منه جواباً أستاذه "**أبو إسحاق بن حكم السلوي**"(ت737هـ/1337م) وهو وارد على تلمسان بعد سنة 720هـ/1320م[1].

- **طلبه للعلم بتلمسان:**

من دون شك أنّ "**أبا عبد الله محمد المقّري**" أثناء فترة تعلمه مرّ بنفس المراحل التعليمية المعروفة بتلمسان خلال العهد الزياني، والتي كانت منحصرة في المرحلة الأولى على تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم في الكتاتيب والمساجد، فقد عكّف أثناء المرحلة الأولى من تعلّمه على مدارسة القرآن وحفظه على الروايات السبع[2]، وتلقى المبادئ الأساسية المعدّة للمبتدئين في الكُتاب، إذ كان القائم بالتعليم فيها يسمى بالمُكتب[3]، فكان المُكّتب الأول له " هو "**أبو عبد الله محمد بن محمد القرموني**" وهو رجل صالح كان "**أبو عبد الله محمد المقّري**" يجلّيه كثيرا، أمّا المكتب الثاني فهو "**أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي**"[4].

وفي المرحلة الثانية[5] تصدى لتعلم قواعد اللغة العربية، فدرس كتاب "**التسهيل**"[6] في اللغة العربية حتى حفظة، ثم درس العلوم الدينية من فقه وأصول، انطلاقا من "**مختصرا بن الحاجب**"[7]، وذلك على يد شيوخ تلمسان وعلمائها الأجلاء، فتتلمذ على عدد وافر من علماء

---

[1] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص32

[2] **الروايات السبع**: إن القرآن الكريم رواه الصحابة رضوان الله عليهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بضع ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها وتنو قل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجمهور الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة، ابن خلدون، المقدمة، ص356.

[3] كان يوجد نوعان من المعلمين بتلمسان في هذه المرحلة، الأول يدعى المعلم الملقن وهو المكلف بتعليم القرآن وتحفيظه دون كتابته، والثاني هو المعلم المكتب هو المكلف بتعليم الصبيان الخط ولا يعلم غيره، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص246.

[4] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص ص58-59.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص348، عبد القادر زمامة، المقري الجد، ص97.

[6] **كتاب التسهيل**: هو "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد"، لجمال الدين أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك الطائي الجياني النحوي، وهو عبارة ملخص كتاب جامع لمسائل النحو، ونظرا لأهميته عكف على شرحه مجموعة من العلماء، ابن خلدون، المقدمة، ص485.

[7] **ابن الحاجب**: هو أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن يونس الدوني ثم المصري، الفقيه المالكي، المعروف بابن حاجب والملقب بجمال الدين، تفقه على مذهب مالك، وفي العربية والآداب والقراءات، ثم انتقل إلى دمشق ودرس بجامعها، وألّف في الفقه "المختصر الفرعي والأصلي"، توفي بالإسكندرية سنة(646هـ/1248م)، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر=**

عصره أوردهم "**أبو عبد الله محمد المقّري**" نفسه في فهرسه" **نظم اللألي في سلوك الأمالي**"، وذكرهم "**ابن الخطيب**"، وأحصاهم "**المقّري الحفيد**" صاحب "**نفح الطيب**" منهم بتلمسان نحو 27 شيخا[1].

فبعدما أصبح "**أبو عبد الله محمد المقّري**" من طلبة المدرستين الشهيرتين بتلمسان لزم أشهر مدرسيها في الفقه وعلم الكلام "**ابني الإمام**"[2]، فاستفاد كثيرا من "**أبي موسى**" وسمع عليه "**صحيح مسلم**"[3]، ولزم أيضا مجلس العالم "**أبي موسى عمران بن موسى المشدالي**"[4] الذي نعته: "**بأنّه حافظ تلمسان ومفتيها وأنّه كثير الاتساع في الفقه والجدل، مديد الباع فيما سواهما**"[5]، وقد قرأ عليه "**مختصر ابن الحاجب**"[6] وتعّمق معه في الدراسات الفقهية[7].

=**والقاهرة**، ج6، تح إبراهيم على طرخان، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1972، ص36، ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج5، ص234.

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص291-203، أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص ص2-75، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص65.

[2] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص219.

[3] **مسلم**: هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، ولد سنة (206هـ/821م)، وتوفي سنة (240هـ/854م)، الدباغ أبو زيد، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج2، تح محمد الأحمدي، محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1972، ص77، ص104.

[4] **أبو موسى المشدالي**: أصله من زواوة، ولد سنة(670هـ/1271م)، فقيها حافظا علامة محققا كبيراً، نزل تلمسان فبعث له السلطان أبي تاشفين (718هـ-738هـ) وقرّبه وأحسن إليه، أخذ عنه "أبو عبد الله السلاوي" و"سعيد العقباني" و"أبو عبد الله الشريف" وغيرهم من كبار علماء القرن 8هـ، توفي سنة(745هـ/1344م)أيام إمارة أبي الحسن المريني، له "رسالة في اتخاذ الركاب من خالص الفضة" وفتاوى كثيرة، نقل الكثير منها الونشريسي في معياره، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص350، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص220، عبد الحميد حاجيات، أبي حمو موسى، المصدر السابق، ص45.

[5] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص30.

[6] **مختصر ابن الحاجب**: وهو عبارة عن مؤلف لخص فيه صاحبه طرق أهل المذهب المالكي في كل باب، وعدّد أقوالهم في كل مسألة، فجاء كالبرنامج للمذهب، وقد كان هذا الكتاب من أهم مصادر الفقه المالكي وأحد الكتب الأساسية في تدريس العلوم الدينية في بلاد المغرب الإسلامي، نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص64، عبد الرحمن بالأعرج ، المرجع السابق، ص64.

[7] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص30، ابن القاضي، درة الحجال، ص303.

ثم استزاد دراسة مختلف العلوم النقلية والعقلية، فقد نوّه بشيخين جليلين أخذ عنهما، نعت أحدهما بعالم الدنيا والآخر بنادرتها، أما عالم الدنيا فهو " **الآبلي التلمساني**"[1]، والنادرة هو"**ابن شاطرا الجمحي المراكشي**"[2] وهو من المتصوفين حيث تأثر به "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في مجال التصوف وروى عنه بعض الحكم الصوفية وشرح بعض أقواله، ومن ذلك أنّ "**ابن شاطر**" لما ذكر أنّه محبوس في الروح علّق "**أبو عبد الله محمد المقّري**" على ذلك بقوله: «**صدق لأنّ الدنيا سجن ولا مخلص له من حبسه إلا بمفارقة نفسه**»[3].

ومن العلماء أيضا الذين استفاد منهم بتلمسان سواء أكان من أهلها أو ممن ورد عليها "**أبي عبد الله محمد بن هدية القرشي**"(ت735هـ/1335م)[4]، و"**أبي عبد الله محمد التميمي**"(ت 745هـ/1344م)[5] صاحب " **شرح المعالم**" الذي أخذه عنه " **أبو عبد الله محمد المقّري**"، وأخذ عن "**أبي عبد الله محمد بن عبد النور**"(ت750هـ/1349م)[6]، و"**أبي إسحاق**

---

[1] **الآبلي**: هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، أصله من آبلة بالأندلس، يعتبر إماما جامعا لمختلف الفنون المعقولة والمنقولة، انظم إلى جملة العلماء في مجلس السلطان "أبو الحسن" واشهر تلامذته ا"بن الصباغ" و"ابن خلدون" و"الشريف التلمساني" وغيرهم (ت757هـ)، ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص265، السراج، المصدر السابق، ج1، ص616 ، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص49.

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص417.

[3] أبو عبد الله محمد المقري، **الحقائق والرقائق**، اعتنى به عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب ت)، ص162، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص64، عبد القادر زمامة، **الحقائق والرقائق**، مجلة دعوة الحق، ع2، السنة التاسعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ديسمبر 1965، ص100.

[4] **ابن هدية**: هو أبو عبد الله محمد بن منصور بن هدية القرشي التلمساني، من نسل عقبة بن نافع، اهتم بالفقه واللسان والأدب، عمل بكتابة الرسائل على لسان سلاطين تلمسان، وتولى قضاء الجماعة بتلمسان، ابن مريم، المصدر السابق، ص225، يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص116، النباهي، المصدر السابق، ص134. البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص149.

[5] **أبو عمرو التميمي**: هو محمد بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمروا لتميمي، ينتمي إلى أسرة عريقة من أسر تونس، أخذ عن أبي الطاهر بن سرور و غيره، ثم قدم تلمسان وعين بها قاضيا، ودرس العلوم الدينية وروي عنه أبو عبد الله الشريف والمقّري وغيرهما، ومن تأليفه كتاب" اللخمي على المدونة"، ابن مريم، المصدر السابق، ص291، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص131 .

[6] **أبو عبد الله محمد بن عبد النور**: قاضي فاس وقاضي عسكر أبي الحسن المريني، كان إماما مبرزا في الفقه على مذهب مالك، تفقه بالأخوين ابني الإمام، وعنه أخذ جماعة من أعيان تونس، وتوفي بالطاعون عام حوالي 750هـ، ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص267، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص240، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص221.

إبراهيم بن حكم السلوى" الذي ورد على تلمسان بعد سنة (720هـ/1320م)[1] وقد روى عنه " **أبو عبد الله محمد المقّري**" كثيرا من إفاداته، حيث وصفه بأنّه: "**مشكاة الأنوار الذي يكاد زينته يضئ ولو لم تمسسه نار**"[2]، وعن "**أبي محمد عبد الله المجاصي**"(ت741هـ/1340م) الذي يعد ممن تأثر بهم "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في اتجاهه الصوفي، فقد أخذ عنه مصافحة مسلسلة وأدعية ذات أسانيد، حيث يصفه: "**بعالم الصلحاء وصالح العلماء وجليس التنزيل وحليف البكاء والعويل**"[3].

وذكر "**أبو عبد الله محمد المقّري**" من شيوخه بتلمسان "**أبي عبد الله محمد بن يحي بن النجار**"[4]، الذي وصفه: "**بنادرة الإعصار**"، وقد ناقشه في بعض الفروع الفقهية[5]، وذكر أيضا الشيخ "**أبا عمران موسى المصمودي**" الشهير "**بالبخاري**"[6] لأنّه استمر في تدريس صحيحة، غير أنّ "**أبو عبد الله محمد المقّري**" انتقده في بعض فتاويه الفقهية فقال عنه: «**كان رحمه الله قليل الإصابة في الفتيا كثير المصيبات عليها**»[7]، وأخذ أيضا القراءات بالسبع والأحاديث بأسانيدها والشاطبتين عن الشيخ "**أبي الحسن علي بن مزاحم المكناسي**"، فيقول في ذلك:

---

[1] **أبو إسحاق السلوى**: ورد تلمسان فارا من بني مرين، وانكب على الدرس وأخذ بها عن "عمران المشدالى" وغيره، ثم عين للتدريس بالمدرسة التاشفينية، قتل عندما فتح المرينين تلمسان سنة(737هـ)، ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص178.

[2] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص30.

[3] **المجاصي**: يلقب بالبكاء لكثرة الخشية والتقوى، رحل إلى المشرق لطلب العلم وانتصب بتلمسان للتدريس والوعظ، من تلامذته "أبو عبد الله الشريف" و""ابن مرزوق وغيرهم، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص105، ابن مريم، المصدر السابق، ص121.

[4] **ابن النجار**: مراكشي الأصل، ولد ونشأ بتلمسان، أخذ عن "الآبلي"، ثم درس علي آبي عبد الله محمد بن هلال شرح "المجسطي" بسبته، وأخذ بمراكش عن "ابن البناء" فنبغ في العلوم العقلية، وعاد إلي تلمسان بعلم غزير والتحق ببلاط أبى الحسن المريني فصحبه إلى افريقية حتى توفي بالطاعون سنة(749هـ)، ومن تلامذته "أبو عبد الله الشريف" و"ابن الفحام" وغيرهم، ابن خلدون، التعريف، ص47، ابن القاضي، درة الحجال،ج2، ص264، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص525، عادل نويهض، المرجع السابق، ص188.

[5] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص51.

[6] **البخاري**: لـ"محمد إسماعيل البخاري بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي الإمام الشهير الحافظ للحديث ولد في بخاري سنة(194 هـ/810م)، وله رحلة طويلة في طلب الحديث، من مؤلفاته الأدب المفرد والتاريخ وخلق أفعال العباد والعوالي في الحديث والهيئة والوجدان والمبسوط، توفي سنة(256هـ/858م) بخزنتك من قرى سمرقند، المجاري، المصدر السابق، ص 105، البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص6، الزركلي، الأعلام، ج6، ص258.

[7] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص51.

«**جمعت عليه السبع وقرأت عليه البخاري والشاطبتين**»[1]، كما أخذ أيضا الصحيحين بأسانيدهما عن الشيخ" **أبي عبد الله محمد القرشي الزبيدي**"(ت 749هـ/1348م)[2] فقال عنه في رحلته: «**شيخي وبركتي وقدوتي، حدثني بالصحيحين قراءة لبعضها ومناولة لجميعهما**»، واستفاد من الشيخ "**عبد المهيمن الحضرمي**"[3] والفقيه "**أبي عبد الله السطي**"(ت749هـ/1348م)[4] ، وعن الشيخ "**أبي عبد الله الرندي** "[5]، والقاضي "**أبي عبد الله الجزولي**"[6]، والشقيقين "**أبي عبد الله محمد**" و"**أبي العباس أحمد**" ابنا "**محمد ابن مرزوق العجيسي**"[7].

---

[1] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص51.

[2] **أبو عبد الله الزبيدي**: هو أبو عبدا لله محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي القرشي الشهير بالفقيه، كان كبير تونس لعهده في العلو والفتيا هلك في الطاعون الجارف سنة (740هـ)، ابن خلدون، التعريف، ص ص14-15، ابن بطوطة، المصدر السابق، ص16، أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص54، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص396.

[3] **عبد المهيمن الحضرمي**: هو فقيه محدث كاتب، اخذ عن أبي الربيع وأبي صالح الكتاني وغيرهم، ورد إلي تونس صحبة "أبي الحسن المريني"، اخذ عنه "ابن خلدون" و"ابن جزي الغرناطي"، الشاطبي، **الإفادات والإنشادات**، تح أبو الأجفان، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1986، ص31، النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص132، محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982، ص ص158-159.

[4] **أبو عبد الله السطّي**: شيخ الفتيا بالمغرب وإمام المذهب المالكي، من قبيلة سطة من بطون أوربة بنواحي فاس، اخذ عن أبي الحسن الصغير وأبي الحسن الطنجي، له شرح على المدونة وتقيد على فرائض الحوفي وغيرها، اصطفاه أبي الحسن المريني مع جماعة من العلماء بصحبته حين سفره بتونس، وأقام بها ولما رجع بحرا مات غريقا في الأسطول بأحواز بجاية سنة 749هـ/1348م، الشاطبي، المصدر السابق، ص85، السراج، المصدر السابق، ج1، ص670، محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج2، ص640.

[5] **أبو عبد الله الرندي**: كان حافظا للمذهب قائما به، إماما في العربية، متقدما في النظر، انتفع به خلق كثير، لازم أبا الحسن المريني في وجهته لتلمسان، توفي سنة 746هـ، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2 ، ص240.

[6] **أبو عبد الله الجزولي**: شيخ وقته جلالة وتربية وعلما، نشأ بفاس وأخذ عن شيوخها ثم رحل إلى تونس فلقي القاضين ابن الرفيع و أبا عبد الله النفراوي ثم رجع إلى المغرب ولازم الأكابر والمشايخ فولاه السلطان "أبو الحسن" قضاء فاس، فبقي فيه إلى إن عزله، ثم لما جمع شيوخ العلم للتحليق بمجلسه فاستدعاه معهم فلم يزل كذلك إلى أن هلك سنة (758هـ)، الكتاني، فهرس الفهارس، ج3، ص351، ابن قنفذ، **كتاب الوفيات**، تح عادل نويهض، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1982، ص358، النباهي، المصدر السابق، ص135.

[7] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص242، الكتاني، المصدر السابق، ص521، نصر الدين بن داود، علماء أسرة المرازقة، ص ص33-39.

من الواضح أن الجو العلمي الذي ميّز تلمسان من ازدهار الحركة الفكرية بها، حيث أصبحت حاضرة علمية ممتازة تضاهي عواصم العلم المشهورة إذ ذاك، مكّن "**أبو عبد الله محمد المقّري**" من تحصيل علومه ومعارفه على يد كبار شيوخها، وأن يذاكر أعلامها الواردين عليها، كما هيأ له ذلك المناخ العلمي بتلمسان أن ينضم إلى مجالس السلطان "**أبي تاشفين**" ويشارك علماءه أبحاثهم، وبعد هذه الاستفادة من علماء تلمسان، ما كان على "**أبو عبد الله المقّري**" إلاّ أن يقوم برحلة علمية إلى مختلف الحواضر الإسلامية قصد لقاء المشايخ من أجل إتمام وإكمال علومه.

- **رحلته العلمية إلى حواضر الإسلامية:**

كانت وجهة "**أبي عبد الله محمد المقّري**" الأولى نحو بجاية من أجل استكمال علومه ومعارفه[1]، فقد شكّلت أهم المراكز الثقافية ببلاد المغرب الإسلامي، نتيجة الازدهار الذي بلغته الحركة العلمية بها خلال القرنين السابع والثامن الهجريين[2]، حيث وصفها "**الشّريف التلمساني**" في ذلك بقوله: «**دخلت بجاية في القرن الثامن، فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها وصرت أكتب في كل مسجد سؤالا حتى وصل أمره إلى السلطان...**»[3]، فقد نبغ فيها أعلام كثيرون وقصدها العلماء والدارسون من كل أصقاع العالم، وخير شاهد على ذلك كتاب "**عنوان الدراية في ذكر من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**"، الذي ترجّم فيه مؤلفه الغبرينى لخمسين ومائة عالم.

وبناء على ذلك حرصّ "**أبو عبد الله محمد المقّري**" على مجالسة أعلامها التي كانت تزخر وتفتخر بهم، إذ ذكر في كتاب رحلته السابق ممّن لقى بها وتتلمذ عليهم ستّة أعلام منهم: "**أبو عبد الله الباهلي المسفّر**"(ت744هـ/1343م)[4] الذي ذكر أنه باحثه واستفاد منه[1]، و"**أبو**

---

[1] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص69.

[2] مختار حساني، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، ج3، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص215، حفيظة بلميهوب، **الفقه المالكي في مدرسة بجاية خلال القرن السابع والثامن الهجريين**، مجلة الدراسات الإسلامية، تصدر عن المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، ع09، جوان 2006، ص100.

[3] حفيظة بلميهوب، المرجع نفسه، ص 146.

[4] ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص ص187 – 188، ابن مريم، المصدر السابق، ص227، السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص202، ابن قنفذ، الوفيات، ص394، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص401.

عبد الله محمد ابن أبي يعقوب الزواوي"[2]، و"**أبو علي حسين بن حسين**"(754هـ/1353م) [3] الذي دعاه إلى أن يرحل إلى بلاد المشرق ويأخذ عن أعلامها خاصة "**علاء الدين القونوي**"[4]، حيث قال له: «**إن قدرت أن ليفوتك شيء من كلام القونوي حتى تكتب فافعل، فإنه لا نظير له**»[5]، كما أخذ عن "**أبو العباس أحمد بن عمران**"[6].

بعد بجاية خصّ "**أبو عبد الله محمد المقّري**" تونس برحلة خاصة غير رحلته إلى بلاد المشرق على عادة علماء المغرب، نظرا للحركة العلمية النشيطة التي شهدتها في ظل حكم الحفصيين، فقد كان جامع الزيتونة بها منارة علم وإشعاع فكري وحضاري ينافس نظيره القرويين بفاس والأزهر[7] بمصر، حيث كانت تعقد في رحابه وفي المساجد والمدارس التي أسسها الأمراء

---

[1] **أبو عبد الله الباهلي**: من العلماء المحققين، قاضى الجماعة ببجاية، كان يستعمل في السّفارة، فدخل فاس سفيرا، لقي "أبا الحسن الصغير المغربي" وتحدّث معه في الفقه وأخذ "عن الناصر المشذالى"، قام بالتدريس فأخذ عنه "أبو عبد الله الزواوي" و"ابن مرزوق الخطيب" و"المقّري"، له إملاء عجيب على مختصر "ابن الحاجب الفرعي" وقصيدة سماها "نظم فرائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل والأواخر" وله شرح على أسماء الله الحسنى، وكلام عجيب في التصوف وتقاييد في أنواع فنون العلم، توفي سنة(743هـ/1342م)، أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص96.

[2] **أبو عبد الله الزواوي**: نسبة لقبيلة زواوة وهي قبيلة كبيرة من البربر، كان فقيها معظما خيّرا فاضلا، قاضي بجاية وفقيهها، كان يقرئ المدونة مستعينا بمختصر ابن الحاجب، التنبكتي، المصدر السابق، ص389.

[3] **أبو علي حسين بن حسين**: إمام المعقول ببجاية بعد ناصر الدين المشذالي، شارح المعالم الدينية، أخذ عن "ناصر الدين المشذالي"، ولما وردت فتوى الإمام "ابن عبد الرفيع " في مسألة ثبوت الشرف من جهة الأم أمره "المشذالي" بالجواب عنه فألّف رسالة ردّ فيها على "ابن عبد الرفيع، توفي سنة(754هـ/1353م)، ابن قنفذ، الوفيات، ص357، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص250، التنبكتى، نيل الابتهاج، ص158، رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص 214.

[4] **القونوي**: أبو الحسن على بن إسماعيل القونوي علاء الدين، فقيه شافعي(ت729هـ)،ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج3، دار الجيل، بيروت، 1993، ص24.

[5] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص16.

[6] **أحمد بن عمران البجائي**: اليانوي، خطيب بجاية وفقيهها، أخذ عن "ناصر الدين المشذالي"، له شرح على ابن الحاجب في ثلاثة أسفار، وقد ذكر الإمام "الشاطبي" عن شيخه "منصور الزواوي" أنّه دخل تلمسان تاجرا وأتى مجلس أبي "زيد ابن الإمام" في زي التاجر، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص94، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص33.

[7] **جامع الأزهر**: أول جامع أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر الصقلي لما احتطها وكمل منه سنة (361هـ) ،كان الجامعة الأولى في العالم الإسلامي من حيث العلوم التي كانت تدرس به والعدد الكبير من الطلبة الذين كانوا يدرسون به، حيث كان يقيم به الملازمين حوالي 750 فردا من بين عجم وأهل ريف مصر ومغاربة وكان لكل طائفة رواق يعرف باسمهم، السيوطي، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح محمد أبو الفضل،ج2، المكتبة المصرية، ط1، بيروت، 2004، ص ص251-252، عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص114.

الحفصيون حلقات العلم من قبل علمائها المشهورين بالعلم والمعرفة[1]، الأمر الذي جعل "**أبو عبد الله محمد المقّري**" يحرص على لقاء هؤلاء الشيوخ الذين ذاع صيتهم وذلك من أجل طلب العلم، فقد فكان ممّن أخذ عنهم "**محمد بن عبد السلام الهوا ري**"(749هـ/1348م)[2]، فقال عنه في ذلك: «**حضرت دروسه وأكثرت مباحثاته**»[3]، وأخذ عن "**الأجمي**(ت749هـ/1348م)[4]، الذي قال عنه: «**إنّه حافظ فقهائها في وقته**»[5]، كما أخذ عن "**أبو عبد الله بن عبد الستّار**"(ت749هـ/1348م)[6]، و"**ابن الحباب**(ت749هـ/1348م) [7]، الذي حلاه: "**بالعلامة الكاتب**"، فضلا عن ذلك أخذ عن "**أبو عبد الله بن**

---

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص71.

[2] **محمد بن عبد السلام الهواري**: فقيه مالكي قاضي الجماعة بتونس سنة (734هـ/1334م)، كان فقيها متبحرا في العلوم العقلية والنقلية محققا له أهلية الترجيح بين الأقوال، تولى التدريس بالمدرسة الشماعية وبالمدرسة العنقية، فأخذ عنه جملة من الأعلام منهم القاضي "ابن حيدرة" و"ابن عرفة"، توفي إثر الطاعون الجارف سنة (749هـ/1348م)، ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص13، ابن فرحون، الديباج، ص418، الزركشي، المصدر السابق، ص88، ابن خلدون، التعريف، ص19، النباهي، المصدر السابق، ص ص161-163، السراج، الحلل السندسية، ج 1، ص ص594-598.

[3] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص70.

[4] **الأجمي**: أحد علماء تونس وصلحائها حافظ فقهائها في وقته، قاضي الأنكحة بها ثم قاضي الجماعة بعد "ابن عبد السلام"، أخذ عن جماعة، وعنه أخذ" ابن مرزوق الجدّ" و"ابن عرفة" ونقل عنه في مختصره قصة في أجرة الشهادة، توفي سنة (749هـ/1348م) الزركشي، المصدر السابق، ص88، السراج، المصدر السابق، ص ص693-695، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص210.

[5] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص405.

[6] **أبو عبد الله بن عبد الستار**: أحد علماء تونس، إمام من أئمة الفروع والتفسير، عرف بالورع والدّين المتين، إمام وخطيب بجامع الزيتونة، أخذ عن جلّة علماء وأخذ عنه "ابن عبد السلام" و"المقّري" و"خالد البلوى" الذي أثنى عليه في رحلته، توفي سنة (749هـ/1348م)، الزركشي، المصدر السابق، ص ص67-88، التنبكتي، المصدر السابق، ص395.

[7] **ابن الحباب**: هو أبو عبد الله محمد بن يحي بن عمر المعافري، المعروف بابن الحباب، إمام بارع محقق متفنن أصولي، وقع له مع "ابن عبد السلام" مناظرات، أخذ عنه "خالد البلوي"، و"ابن عرفة" الجدل والمنطق والنحو، له تقييد على مغرب "ابن عصفور" واختصار المعالم، توفي سنة (749هـ/1348م)، ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص ص115-116، السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح مصطفى عبد القادر عطا، ج2، ار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص205، التنبكتي، المصدر السابق، ص399، رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج12، ص107.

سلامة"(ت746هـ/1346م)[1]، و"**أبي الحسن علي المنتصر**"(ت742هـ/1341م)[2]، فعن هؤلاء الشيوخ وغيرهم ممّن يطول ذكرهم على حد تعبير "**أبي عبد الله محمد المقّري**"، أخذ علوما كثيرة وروي وتفقّه وتأدّب واكتسب معارف جديدة[3]، غير أنّه لم يذكر كم استغرقت رحلته إلى بجاية وتونس ولا متى بدأت أو انتهت.

ومن تونس قفل راجعا إلى تلمسان، وفي طريق عودته رافقه رجل من أهل قسنطينة يدعى "**منصور الحلبي**" كان ظريفا واسع الحفظ للأخبار كما وصفه المقّري بقوله: «**قفلت إلى المغرب يسايرني رجل من أهل قسنطينة يعرف بالمنصور الحلبي ،فما لقيت رجلا أكثر أخبارا و لا أظرف نوادر منه**»[4].

ونتيجة لتطور الحركة العلمية بالمغرب الأقصى الذي حظي في العهد المريني بنشاط ثقافي كبير، حيث يعد هذا العهد عصرا ذهبيا لتطور كافة العلوم، ولا يمكن الحديث عن النشاط الثقافي بالمغرب الأقصى دون الإشارة إلى جامع القرويين كمركز ثقافي عريق بالمغرب الإسلامي الذي نشطت فيه حركة التعليم واحتضن الكثير من العلماء المشهورين، فأصبح طلبة العلم يتوافدون عليه من المشرق والمغرب والأندلس[5]، فكانت رحلة " **أبي عبد الله محمد المقّري** " بعد تونس وبجاية نحو فاس العاصمة، إذ دفعه طموحه العلمي إلى لقاء أعلام المنطقة وشيوخ الحضرة الفاسية قصد الاستفادة من علومهم ومعارفهم وربط الصلة معهم[6]، فمر في طريقه إلى فاس

---

[1] **أبو عبد الله ابن سلامة**: التونسي الأنصاري العالم الزاهد الصالح العابد، أخذ عن جماعة من العلماء، وعنه أخذ الإمام " "المقّري" و"ابن عرفة"، كان خليفة في الإمامة بجامع الزيتونة، وتوفي سنة (746هـ/1346م)، الزركشي، المصدر السابق، ص71، السراج، المصدر السابق، ج1، ص600، التنبكتي، المصدر السابق، ص402، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص209.

[2] **أبو الحسن المنتصر**: كان زاهدا صوفيا مبرزا له كرامات، قال عنه "خالد البلوى": «كان من الأولياء والعلماء الزهاد»، توفي سنة (742هـ/1341م)، الزركشي، المصدر السابق، ص76، التنبكتي، المصدر السابق، ص327، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص209.

[3] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، ص 161.

[4] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص72.

[5] علي الجز نائي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تح عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1991، ص ص63-65، محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص51.

[6] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص161.

بمدينة تازة[1] واجتمع بعلمائها، ومنها اتجه إلى فاس ومتّن صلاته بشيوخها وعلمائها وأخذ عنهم ما كان يصبو إليه[2]، فكان ممّن تتلمذ عليهم بفاس وذكرهم في رحلته الفقيه **أبي إسحاق اليزناسي**"[3]، والفقيه "**عبد المؤمن الجاناتي**"(ت746هـ/1346م)[4]، و"**عبد العزيز القيرواني**(ت750هـ/1349)[5]، والفقيه "**أبي ضياء اليالصوتي**(ت750هـ/1349م)[6]، والفقيه "**أبي العباس المكناسي**"(752هـ/1349م)[7].

هذا، وقد لقي "**أبو عبد الله محمد المقّري**" بتازا الفقيه" **أبا عبد الله بن عطية**" والأستاذ " **أبا الحسن الجبار**" وغيرهم[8]، ومن فاس توجّه إلى أغمات[1]، ثم وصل إلى سبتة[2]، حيث اتصل

---

[1] **تازة**: مدينة في المغرب الأقصى، تبعد عن فاس بنحو بنحو 80ميلا، وعن البحر المحيط بـ250ميلا و عن البحر المتوسط بـ75ميلا، وهي إحدى المدن الحربية القديمة بالمغرب، ولمكانتها الحربية اتخذها "الحسن بن إدريس الثاني" مقرا حربيا، وعني بها "عبد المؤمن الموحدي" فجعلها حصنا مانعا، وفي أيام المرينين اتخذها "أبو يعقوب المريني" عاصمته وقاعدة لغزو تلمسان، ابن خلدون، التعريف، ص 134، حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص354-355.

[2] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص ص73-74.

[3] **اليزناسي**: فقيه عالم صالح، له سبق كبير في شتّى العلوم الدينية، رحل إلى المشرق ونال علما كبيرا، عاد إلى بجاية وعكف على التدريس في الفقه والأصول حتى بلغ درجة الاجتهاد، ثم اتجه نحو مدينة فاس فأخذ عنه "أبو عبد الله المقّري" و"الرعيني"، له فتاوي في المعيار للونشريسي، كان حيا سنة (740هـ/1339م)، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص40، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص252، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص218.

[4] **الجناتي**:كان أعلم الناس بالمدونة وأعرفهم بالتهذيب، حسن الإلقاء للمسائل، أخذ عن "**أبي الحسن الصغير**" وجلس مجلسه، كان مولده سنة (695هـ/1296م)، كانت وفاته سنة (746هـ/1346م)، التنبكتي، المصدر السابق، ص269، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص220.

[5] **عبد العزيز القيرواني**: عالم، صالح فاضل، أخذ عن "أبي الحسن الصغير" وهو أكبر تلامذته علما ودينا، وعنه أخذ "أبو عمران العبدوسي"، له تقييد على المدونة قال عنها" ابن مرزوق الحفيد": «أحسن تقاييده»، توفي سنة (750هـ/1349)، التنبكتي، المصدر السابق،ص269، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص221.

[6] **أبو ضياء اليالصوتي**: فقيه مالكي، من أكابر أصحاب "أبي الحسن الصغير"، كان فقيها صالحا حافظا نوازليا، وهو أول من درّس بمدرسة "أبي الحسن المريني" فنسبت له "المدرسة المصباحية" بفاس، له فتاوي نقل بعضها في المعيار، توفي بها سنة (750هـ/1349م)، ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص17، التنبكتي، المصدر السابق، ص ص608-609، محمد حجي، المرجع السابق، ص654.

[7] **أبو العباس المكناسي**: إمام فقيه وعالم فاضل ثقة، أخذ عن أخيه وعن "**ابن الزبير**"و"**ابن رشيد**"، توفي سنة (752هـ/1349م)، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 252، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص218.

[8] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 74، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص253.

اتصل وتعرّف هناك بالعلماء المشهورين فاستفاد منهم، وهو ما عناه بقوله : «**فاستوعبت بلاد المغرب ولقيت بكل بلد من لابد من لقائه من علمائه وصلحائه**»[3]، وبعد هذه الجولة العلمية في مدن المغرب الأقصى، عاد مرة أخرى إلى تلمسان.

هذا ولما كانت حواضر المشرق محجّ التوّاقين إلى التبحر في العلوم، فمن دون شك ولّى "**أبو عبد الله محمد المقّري**" وجهه شطرها كغيره من العلماء المغاربة الذين كانوا يرون في ذلك عنصرا هاما في تكوين الشخصية العلمية، واكتساب الهيبة والاحترام[4]، وإن كان "**أبو عبد الله محمد المقّري** " لا يخبرنا عن تاريخ رحلته إلى المشرق، إلاّ أنّنا يمكن أن نستنتج أنّها كانت في عام (744هـ/1343م) وذلك بناءً على قوله، بحيث أخبرنا أنّه وصل إلى الحجاز وأدى مناسك الحج في هذه السنة فقال: «**شهدت الوقفة سنة أربع وأربعين و سبعمائة وكانت جمعة**»[5]، ويرجح "**أبو الأجفان**" أن يكون "**أبا عبد الله محمد المقّري**" قد حج حجة سابقة لحجه سنة (744هـ/1343م)، وذلك بناءً على قول "**ابن خلدون**": «**سألت صاحبنا قاضي الجماعة بفاس أبا عبد الله المقّري، مقدمه من الحج سنة أربعين**»[6]، كما يقدر الباحث "**عبد القادر زمامة**" أنّ رحلته هذه استغرقت ما يقرب ثلاث سنوات[7].

ومهما يكن من أمر فقد وفّرت هذه الرحلة "**لأبي عبد الله محمد المقّري**" لقاء كبار علماء مكة والمدينة المنورة، غير أنّه ذكر في رحلته اثنين فقط، سمى أحدهما مالكيا وهو الفقيه "**أبو عبد الله محمد المنوفي التو زري**" المعروف "**بخليل**"(ت760هـ/1359م)[8]، حيث أعجب بسعة

---

[1] **أغمات**: مدينة متحضرة تقع جنوب مراكش بنحو 24 ميلا، مبنية على منحدر من جبل الأطلس، حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص135.

[2] **سبتة**: مدينة عظيمة، يعود تأسيسها إلى عهد الرومان، تقع أقصى شمال المغرب الأقصى على ضفة البحر المتوسط مقابل الأندلس، البكري، المصدر السابق، ص103.

[3] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص74.

[4] عبد الحق الطاهري، المرجع السابق، ص60.

[5] ابن خلدون، التعريف، ص247.

[6] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص247، أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص280.

[7] عبد القادر زمامة، المقّري الجد، ص99.

[8] **أبو عبد الله المنوفي**: مفتي مكة وعالمها وخطيبها بالحرم الشريف، كان من أئمة الدّين المعروفين بالزهد والورع والصلاح مع الدّين المتين، أخذ عن جماعة منهم: "أبو الحسن بن فرحون"، كما أخذ عنه جماعة منهم: "خالد البلوى" و"أبو محمد عبد الله

اطلاعه على أحكام مناسك الحج فقال: «**ما رأيت أعلم بالمناسك منه** »[1]، أما العالم الثاني الذي أخذ عنه وذكره في رحلته "الإمام "**أبو العباس بن رضي الدين**"، وقد سماه بالشافعي، وممّن لقي بالمدينة "**أبو محمد عبد الوهاب الجبرتي**" الذي وصفه في رحلته بـ: « **أعجوبة الدنيا** »[2].

وإلى جانب هذه الحواضر كانت لـ "**أبي عبد الله محمد المقّري**" رحلة نحو "**مصر**" رغبة في طلب العلم والمزيد من الاستفادة والمناظرة أو حتى التدريس بمدارسها المشهورة[3] ومساجدها والخانقاوات[4] والزوايا، أو لنسخ بعض الكتب والمؤلفات ذات الصيت الذائع في العالم الإسلامي[5].

وما ينبغي الإلماح إليه أنّه ممّا حفّز العلماء والطلبة المغاربة عامة على التّوجه إليها ما أشتهر به سلاطينها من عنايتهم بالعلوم وتشجيع العلماء على البحث والتأليف، إضافة إلى اهتمامهم الخاص بالطلبة والعلماء الوافدين عليهم، إذ أحسنوا استقبالهم وابتنوا لهم المرافق للإقامة بها منها رواق المغاربة بالجامع الأزهر الذي أتاح للطلبة القادمين من المغرب فرصة الاحتكاك بأقرانهم القادمين من باقي الدول الإسلامية باعتباره مجاور لأروقة الطوائف الأخرى[6]، ودار المغاربة بالإسكندرية التي كانت عبارة عن جامعة إسلامية على حد تعبير أحد الكتاب، فقد كانت شاملة لجميع المذاهب السنّية وجميع فروع العلم المختلفة، وفي ذلك يقول **ابن خلدون**: «**ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر، فهي أم العالم وإيوان الإسلام وينبوع العلم والصنائع**»[7].

ومهما يكن من أمر فإنّ "**أبا عبد الله محمد المقّري**" زار مصر سنة (745هـ/1344م)، حيث جاء عنه في هذا الصدد: «**وقد تركت سنة خمس وأربعين بمصر رجلا يسمى عثمان**

بن فرحون" و"الإمام أبو عبد الله المقّري"، ابن قنفذ، **كتاب الوفيات**، تح عادل نويهض، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1982، ص358، ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص333، ابن مخلوف، المصدر السابق، ص222.

[1] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص75.

[2] أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص75.

[3] عن المدارس بمصر **ينظر**: عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص ص63-70.

[4] **الخانقاوات**: أو الخوانق جمع خانقاه، هي لفظ فارسي الأصل معناه بيت الصوفية، وقد أحدث في العالم الإسلامي خلال القرن 4-5هـ/10-11م، عبد الرحمن بالأعرج ، المرجع نفسه، ص71.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص329، رشيد الزواوي، المرجع السابق، ص333.

[6] القلصادي، المصدر السابق، ص ص126-128.

[7] ابن خلدون، التعريف، ص246.

معه تسعون حديثا يزعم أنّه سمعها من المعمّر وقد أخذت عنه وكتبت منه»[1]، والواضح أنّه أعجب بالقاهرة أشدّ إعجاب واعتز بمظاهر التدّين فيها حيث قال عنها **لـ "ابن خلدون"** عندما سأله عنها: «**من لم يرها لم يعرف عزّ الإسلام**»[2]، وهناك اعتكف على الدراسة واتصل بعلمائها المشهورين فاستفاد من "**أثير الدّين أبو حيان الغرناطي**"(ت745هـ/1344م)[3]، حيث قال عنه: «**رويت عنه واستفدت منه**»[4]، وأخذ عن "**شمس الدين الأصبهاني**"(ت749هـ/1348م) [5]،وعن "**شمس الدين بن عدلان**(ت749هـ/1349م) [6]، فقال عنه: «**قرأ عليّ بعض شرحه لكتاب المزني وناولني إياه**»[7]، كما أخذ عن "**شمس**

---

[1] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص240.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 247.

[3] **أثير الدين الغرناطي**: الأندلسي النفزي، نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر، ولد بمطخشارش مدينة بغرناطة سنة (654هـ/1255م)، كان عالم عصره في اللغة والتفسير والحديث والتراجم، واشتهر اسمه فأخذ عنه أكابر عصره، وقد رَغَّبَ الناس إلى قراءة كتب "**ابن مالك**" وشَرَحَ لهم غامضها، توفي بمصر سنة (745هـ/1344م) السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص231، محمد جابر الواد أشي، **برنامج الوادي آشي**، تح محمد محفوظ، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص74، ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص ص122-124، محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، مج 3، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، (ب ت)، ص ص 288-289، ابن عماد، شذرات الذهب، ج 6، ص 145، البغدادي، هدية العارفين، ص 152، الكتاني، فهرس الفهارس، ج3، ص ص155 –156، الزركلي، الأعلام، ج 8، ص26.

[4] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص74.

[5] **شمس الدين الأصبهاني**: إمام بارع في العقليات، عارف بالأصلين، ولد سنة (694هـ/1295م)، اشتغل ببلاده ثم قدم القاهرة فتولى التدريس بها، صنّف تفسيرا كبيرا، شرح كافية ابن الحاجب ومختصر أصول ابن الحاجب، توفي سنة (749هـ/1348م)، السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص ص282–283، الشوكاني، المصدر السابق، ج2، ص298، ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج6، ص165.

[6] **ابن عدلان**: مصري شافعي، ولد سنة (663هـ/1264م)، كان إمام يضرب به المثل في الفقه، عارف بالنحو والقراءات، أخذ الفقه عن "الوجيه البهنيسي"، والأصول عن "شمس الأصفهاني"، وأخذ النحو عن "البهاء بن النحاس"، له شرح على مختصر "المزني"، توفي سنة (749هـ/1349م)، السيوطي، حسن المحاضرة، ص329، ابن عماد، المصدر السابق، ج6، ص164، الشوكاني، المصدر السابق، ج3، ص109، البغدادي، المرجع السابق، ص106، رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج8، ص266.

[7] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 74.

الدين بن اللبان"(ت749هـ/1348م)[1]، و"**أبو محمد بن سليمان المنوفي**(ت749هـ/1348م)[2] الذي حلاه بـ :"**الشيخ الصالح...فقيه المالكية**"[3]، و"**تاج الدّين علي التبريزي**"(ت746هـ/1345م)[4].

وبعد مصر أخذ "**أبو عبد الله محمد المقّري**" طريقه إلى بلاد الشام، فحضر مجالس "**شمس الدّين بن القيم الجوزية**"(ت751هـ/1350م)[5] واستفاد منها عدّة فوائد[6]، وقال عنه: "**هذا الرجل أكبر أصحاب تقي الدين ابن تيمية**"[7] .

---

[1] **ابن اللبان**: دمشقي شافعي، نزيل القاهرة، ولد بدمشق سنة (685هـ/1286م)، كان عارف بالفقه والعربية وتولى تدريس الشافعي من أثاره "مختصر الروضة" و"شرح ألفية ابن مالك" في النحو وكتاب في علوم الحديث و"إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المشتبهات" وغيرها، توفي سنة (749هـ/1348م)، السيوطي، المصدر السابق،ج1، ص329، ابن عماد، المصدر السابق، ج6، ص163، البغدادي، المرجع السابق ص108، رضا كحالة، المرجع السابق، ج7، ص276.

[2] **أبو عبد الله بن سليمان المنوفي**: جمع بين العلم والعمل والصلاح والدّين المتين، أحد شيوخ مصر وأفاضلها علماً وحالاً، تفقّه على مذهب "مالك" واعتزل وانقطع بالمدرسة الصالحية، وله كرامات ظاهرة، أخذ عنه جماعة منهم "أحمد بن هلال الربيعي" و"خليل بن إسحاق" كان مولده سنة (686هـ/1287م) وتوفي سنة (749هـ/1348م)، السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص405، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص205.

[3] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص74.

[4] **تاج الدين التبريزي**: الشافعي، ولد في أردبيل سنة (677هـ/1279م)، وسكن تبريز ورحل إلى بغداد فمكة حاجاً، ثم إلى مصر أين درّس بها وأفتى وناظر، وهو أحد الأئمة الجامعين لأنواع العلوم، من تصانيفه حاشية على "شرح الحاوي الصغير" "للقزويني" في فروع الفقه الشافعي، ومختصر علوم الحديث "لابن صلاح" وغيرها، توفي سنة (746هـ/1345م)، السيوطي، بغية الوعاة، ج 2، ص121، الكتاني، فهرس الفهارس، ج3، ص264، رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج7، ص134.

[5] **ابن قيم الجوزية**: الإمام شمس الدّين أبو عبد الله الدّمشقي المعروف بـ "ابن قيم الجوزية الحنبلي" العلامة الكبير المجتهد المطلق المفسر النحو الأصولي ولد سنة (691 هـ/1292م)، لازم الشيخ " تقي الدّين بن تيمية" وغلب عليه حبّه لابن تيمية، برع في جميع العلوم، له مجموعة من المصنّفات منها "تهذيب سنّن أبي داود"، و"زاد المعاد في هدي خير العباد" و"أعلام الموقعين عن رب العالمين" و"فضل العلم" وغيرها، توفي سنة (751هـ/1350م)، الشوكاني، البدر الطالع، ج3، ص142.

[6] منها فائدة تتعلق بتأويل الحديث كحديث: "من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجابا من النار) وأصل هذا الحديث (**أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلاَثَةٌ منَ الْوَلَدِ كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ" قَالَتْ امْرَأَةٌ: واثْنَانِ؟ قَالَ:" واثْنَانِ**"، الشوكاني، المصدر السابق، ج3، ص ص143-144، ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج6، ص128، ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص249، البغدادي، هدية العارفين، ص158، وعن الحديث **ينظر**: أبو عبد الله محمد البخاري، المصدر السابق، 2004، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ص144، وكتاب الصوم، باب فضل الصوم، ص214.

[7] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص281.

ومـمّن اتصـل بـهـم أيضـا بدمشـق الشيخ "**صـدر الـدّين الغمـاري الـمالكي**" والشيخ "**أبـي القاسـم محمـد بـن السـلماني الشـافعي**"، ومـن دمشـق قصـد بيـت المقـدس بفلسـطين، زار مـن خلالها مزارات الأنبياء والرسل والمسجد الأقصى، فالتقى هناك بالعالم "**أبي عبد الله بن مثبت**" والقاضي "**شمس الدّين بن سالم** "والفقيه "**أبا عبد الله بن عثمان**"[1]، ومما يظهر أنّ "**أبو عبد الله محمد الـمقّري**" قد لـقي حظوة عند القاضي "**ابن سالم**"، فقد تكلّم بـحضرته في مسألة فقهية مبّينا فيها الاتجاه المالكي، فوقع من نفوس أهل البلد بسبب ذلك[2].

من الواضح أنّ "**أبا عبد الله محمد المقّري**" قد استفاد بفضل هذه الرحلة من علوم مختلفة عـن أعـلام مـذاهب متنوعـة دون الاقتصـار على مـن يشـاركونه المـذهب الفقهـي، كمـا حـرص مـن خـلال هـذه الرحلـة علـى لقـاء الصـالحين وذوي النزعـة الصـوفية، واحتـك بألـمع أصـحاب "**ابـن تيمية**"، فكانـت هـذه الرحلة مصدر تكوين علمي لـه، مكنّته وأهّلته لتوّلي عـدة مناصـب سامية بـحواضر الـمغرب الإسلامي، وكذا الـمساهمة في نشر الحركة العلمية بالـمنطقة.

وبعد هذه الرحلة الطويلة والـمفيدة التي قام بـها "أبو **عبد الله محمد المقّري**" كانـت عودته إلى المغـرب[3]، فـدخل مـن هـذه الأخـيرة سجلماسـة وواد درعـة[4] ومنهـا كانـت الرحلـة إلـى العـدوة الأندلسية، فزار كل من جبل "طارق"[5] و"اصطبونه"[6] و"مربلة"[7] و"مالقة"[8] و"بلش"[1] و"الحامة".

---

[1] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 74.

[2] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 218.

[3] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص 75.

[4] **درعـه**: بفتح الـدال وسكون الـراء، مدينـة صغيرة تقـع غـرب سـجلمامة، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص53، الإدريسي، المصدر السابق، ص129.

[5] **جبل طارق**: يسمى أيضا جبل الفتح، كان له دور عظيم في تاريخ الأندلس، عبد الله عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص ص 284-290.

[6] **اصـطبونة**: تعرف بالإسبانية باسـم (estepana) تقـع على شـاطئ البحـر الأبيض المتوسـط غـرب مالقـة، ابـن الخطيـب، الإحاطة، ج2، ص 23.

[7] **مربلة**: تعرف بالإسبانية (Marbella) تقع غرب مالقة على بعد 60كلم منها وهي ناحية من أعمال قَبْرَةَ بالأندلس، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 99، عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 256.

[8] **مالقـة**: تعرف بالإسبانية (malaca) مدينـة قديمة على سـاحل البحـر الأبيض المتوسـط جنوب شـرق الأنـدلس منهـا نحـو غرناطة بإتجاه الشمال الشرقي 80ميلا، ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج5، ص43، الإدريسي، المصدر السابق، ص 297، عبد الله عنان، المرجع السابق، ص242

وانتهت به الرّحلة إلى غرب غرناطة في أوائل جمادى الثانية من سنة (756هـ/1355م)[2]، وفي هذه الفترة كانت غرناطة تعرف مناخا ثقافيا مزدهر نسبيا، إذا تواصل فيها سنّة الاهتمام العلمي، وأقبل فيه العلماء على إثراء رصيد المعرفة بمؤلفاتهم وأبحاثهم، واستمر سند الحديث ورواية كتب العلم وتدوين برامج الشيوخ، ومن علمائها من ضرب بسهم وافر في علوم العربية ومنهم من اتجه إلى المجال الفقهي[3]، غير أنّ **"أبا عبد الله محمد المقّري"** -رغم هذا الازدهار الثقافي بغرناطة- إلاّ أنّه لم يلقي الأضواء على رحلته إليها ولم يتحدث عمّن اتصل بهم خلالها من العلماء.

- **وفاته:**

ما ينبغي التنويه إليه أنّ ضبط تاريخ وفاته وقع فيه اختلاف بين المؤرخين، وإن كان قد ضبط عند أغلب المترجمين له بسنة (759هـ/1359م)، في حين يرى البعض الآخر غير ذلك، فقد جاء عن **"ابن الخطيب"** أنّه: «**توفي في مدينة فاس في أخريات محرم من عام تسعة وخمسين وسبعمائة وأراه توفي في ذي الحجة من العام قبله**»[4]، وينقل عنه **"ابن فرحون"** الكلام نفسه فقال: « **اتصل بنا نعيه في شهر محرم تسعة وخمسين وسبعمائة وأراه توفي في ذي الحجة من العام قبله**»[5].

ونجد **"الونشريسي"** ضبط تاريخ وفاته باليوم والشهر فقال: «**توفي في رحمة الله يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادي الأولى عام تسعة وخمسين وسبعمائة**»[6].

أما **"ابن خلدون"** فيذكر أنّه توفي آخر سنة (758هـ/1357م)، بعد عودته من فتح قسنطينة إذ قال: «**وعاد إلى دار ملكه بفاس أخر ثمان وخمسين، اعتل القاضي المقّري في طريقة، وهلك عند قدومه بفاس**»[7].

---

[1] **بلش**: بلد بالأندلس، ينسب إليه يوسف بن جبارة البلشي، رجل من أهل الصلاح والعلم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 484.

[2] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص196.

[3] الشاطي، الفتاوي، ص ص 29-30، الشاطبي، الإفادات والإنشادات، ص17.

[4] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص226.

[5] ابن فرحون، الديباج المذهب، ص383.

[6] الونشريسي، الوفيات، ص122، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص280.

[7] ابن خلدون، التعريف، ص62.

أما بعض المؤرخين فقد ذكروا تواريخ ليس لها وجه من الصحة إذ لا تتوافق مع الأحداث التي مرت وتواريخها.

فهذا "**ابن عماد الحنبلي**" يرى أن وفاته كانت سنة (761هـ/1360م)[1]، غير أنّ ذلك لا يصح لأن هذا التاريخ بعيد جدا عن الأحداث التي مرت، أمّا "**محمد مخلوف**" فقد جعل تاريخ وفاته عام (756هـ/1355م)[2]، وهذا التاريخ هو الآخر لا يتوافق مع ما جرى من الأحداث، إذ أن سفارته إلى الأندلس كانت في هذه السنة، ثم عودته كانت سنة (757هـ/1356م)، وخروجه مع "**أبي عنان**" إلى قسنطينة وعودته إلى فاس كانت أواخر سنة (758هـ/1357م).

ويذهب "**ابن مريم**" إلى أنّ وفاته كانت بفاس إثر قدومه من الأندلس في غرض الرسالة **لـ "أبي عنان** سنة (795هـ/)139[3]، ولعل ذلك التباس منه وتحريف عن (759هـ)، حيث استبدلت الخمسة مكان التسعة والعكس، إذ لم يذكر أحد من المؤرخين أنّه عاش بعد وفاة السلطان "**أبي عنان**" الذي توفي سنة (759هـ/1358م).

فكلام "**ابن الخطيب**" سابق الذكر هو الذي نشأ عنه اختلاف بين المترجمين **لـ "المقّري"** في سنة وفاته والراجح أنّها كانت مع بداية عام (759هـ/1358م) كما ضبطت في الإحاطة: "**بأخريات محرم من هذه السنة** "[4]، لأنّ هذا التاريخ يستقيم مع الأحداث التي مرّ بها "**أبو عبد محمد الله المقّري**".

هذا وبعد سنة من وفاته نقل رفاته إلى تلمسان حيت ولادته ومقر أسلافة[5]، و هناك دفن بإحدى مقبرتي الأسرة المقّرية، وهي المقبرة الموجودة بالبستان الملاصق لدار سكناهم من الجهة القبلية والكائنة بباب الصرف بتلمسان[6].

---

[1] ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص193.

[2] مخلوف، المرجع السابق، ص232.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص155.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص226.

[5] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج 2، ص226، ابن مريم، المصدر السابق، ص155، الزركلي، المصدر السابق، ج7، ص37، الكتاني، المصدر السابق، ج2، ص682، عادل نويهض، المرجع السابق، ص312.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص155، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص164.

2. أبو الحسن علي المقّري (القرن 08هـ/14م):

هو من علماء الأسرة المقّرية الذين برزوا خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، لكن ما يؤسف عليه أنّ كتب التراجم لم تخصّه بترجمة كغيره من العلماء الذين نبغوا في الفترة، عدا ما جاء عن "**يحي ابن خلدون**" في كتابه "**بغية الرواد**"، الذي خصّه بترجمة بعد "**أبي عبد الله محمد المقّري**"، الأمر الذي صعبّ علينا تحديد بعض الجوانب من حياته كاسمه الكامل وتاريخ ميلاده ووفاته، فضلا عن نشاطه العلمي، مما يدفعنا للتساؤل عمّا يكتنف هذه الشخصية التي تميزت بشيئ من الغموض؟ ذلك ما لم نتمكن من الوصول إليه.

فلعله يرجع إلى عدم شهرته، لكننا نستبعد ذلك، فلا يعقل أن يكون ينتمي لأسرة عريقة بتلمسان اشتهر منها تجار وفقهاء قبله ولم يكن مشهوراً، فضلا عن ذلك أنّه تولى منصب مهم بالدولة الزيانية ألا وهو قاضي حضرة تلمسان الذي كان بمثابة الموثق والعدل لبيت السلطان.

وقد استدلنا على أنّه ينتمي للأسرة المقّرية بناء على إشارة "**يحي ابن خلدون**" إلى أنّه ابن عم الجد "**أبو عبد الله محمد المقّري** " بقوله: "**ابن عمه الفقيه القاضي أبو الحسن علي من أهل العلم والدين**"[1].

ومن خلال قول ""**يحي ابن خلدون**" أيضا يظهر أنّه تولى منصب القضاء عندما ألّف كتابه "**بغية الرواد**" سنة (777هـ/1375م)، حيث جاء عنه قوله: "**قاضي تلمسان الآن خيّر فاضل، على هدي السلف الصالح متحر الصواب في أحكامه**"[2].

3. أحمد شهاب الدين المقّري:

هو أحمد بن محمد شهاب الدين المقّري، هو الآخر لم ترد له ترجمة وافية فيما نعلم، عدا إشارة خفيفة ذكرها "**عادل نويهض**" نقلا عن الأزهرية، أما علاقته ببيت "**المقّري**" فلم ترد إشارات صريحة تّدل على نسبته إلى الأسرة "**المقّرية**" باستثناء اسم "**المقّري**" الذي تم الاعتماد عليه في تصنيفه ضمن العلماء المقّريين.

لكن الذي يسترعي الانتباه هنا أنّه يلقب "**بشهاب[1] الدين**" على عادة أهل المشرق، الأمر الذي يدل على انتقاله إلى بلاد المشرق واستقراره هناك حتى وفاته، ولعل هذا ما يفسر ندرة ترجمته

---

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص121.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

عند كتب السير لأهل المغرب[2]، وهذا اللقب تختص به أعظم الشخصيات البارزة عند المشارقة، مما يوضح أنّه تمتع بمكانة رفيعة بينهم، لكن كيف يكون هذا ولم يشر له "**أبو العباس المقري**" !، لاسيما وأنّ هذا الأخير رحل إلى بلاد المشرق واستقر هناك من جهة، ومن جهة ثانية أنّه كان فخورا بذكر محاسن أقربائه في جميع المناسبات، حريصا على التنويه بما لهم من المناقب، مثلما نوّه بمناقب جدّه "**أبي عبد الله محمد المقّري**" وعمه "**أبي عثمان سعيد**".

وما ينبغي التنويه أنّ "**أحمد المقّري**" كان عالم نحوي، وهذا ما يظهر من خلال كتابه المسمى "**التحفة المكية**" الذي شرح فيه ألفية "**ابن مالك**" في النحو، وقد فرغ من تأليفه سنة (847هـ/1443م)[3]، فالملاحظ هنا أنّها السنة الوحيدة التي تشير إلى فترة حياته، مما يوضح أنّه كان من علماء القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وبناء على ذلك رجّح الباحث "**نصر الدين بن داود**" أنّ تاريخ ميلاده قد يكون مع بداية هذا القرن[4]، على أنّ وفاته كانت بعد سنة (847هـ/1443م)[5].

4. أبو عثمان سعيد المقّري (ت1025هـ/1616م):

هو سعيد بن أحمد بن أبي يحي بن عبد الرحمن بن بلعيش المقّري التلمساني[6] يكنى "بأبي عثمان"، وهو حفيد حفيدة "**سيدي محمد بن مرزوق أبو لحيتين**"[7]، فهو بهذا يكون قد أضاف حلقة جديدة إلى سلسلة النسب الذهبي الذي تنحدر منه أسرته.

---

[1] **الشهاب**: في الأصل كل مضيء مولد من نار، ثم أطلق على كل رجل شجاع مقدام عند نشوب الحرب، وقد شبه الفارس بالشهاب لأنّه ينقض على عدوه مثل انقضاض الشهاب من السماء ولذا قالوا "فلان شهاب حرب"، ويبدوا أنّ العلماء قد شبهوا بالشهب لأنّهم كواكب الأرض من حيث إضاءتهم طريق الهدى لمن ضلّ سبيلا، محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص102- 103.

[2] نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص69.

[3] عادل نويهض، المرجع السابق، ص309.

[4] نصر الدين بن داود، أسر العلماء، ص101، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص69.

[5] عادل نويهض، المرجع السابق، ص309.

[6] ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص 204، درة الحجال، ص432، ابن مريم، المصدر السابق، ص104، يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، 165.

[7] يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ج1، ص 165، عبد المنعم القاسمي، **أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، ط1، المسيلة –الجزائر، 1427هـ/2007م، ص 154.

ولد بتلمسان حوالي سنة (928هـ/1522م) وبها نشأ[1]، ورغم ما كانت تعرفه تلمسان في عصره من تقلبات سياسية، فإنّ ذلك لم يشكل عائقا أمام تكوينه العلمي، أين أخذ العلم عن والده[2]وعن علماء تلمسان، فنذكر منهم:

- **حاجي الو هراني(ت951هـ/1544م):**

من أهل وهران، عاش بتلمسان، صوفي عارف بالفقه مشارك في عدة علوم[3]، أخذ عن الإمام "**السنوسي**" مقدمته الصغرى، وعن "**الكفيف ابن مرزوق**"، وهو الذي كان يطالع له، وأخذ عن "**ابن تاغزورت**"، وتتلمذ على يده "**المسجور**" الذي ذكره في فهرسته، و"**سعيد المقّري**" الذي حفظ عنه القرآن الكريم وأخذ عنه الخرقة الصوفية[4]، كانت وفاته سنة (951هـ/1544م)[5].

- **"محمد بن عبد الرحمن الوعزاني[6](ت981هـ/1573م):**

فقيه تلسمان ونزيل فاس ومفتيها، كان فقيها علامة مفتيا خطيبا، مشاركاً في العقائد والفقه والحديث والأدب ودرس الفقه والأصول والمنطق، أدرك فضلاء تلمسان وأخذ عنهم، كالأستاذ المحقق "**أبي العباس أحمد بن طاع الله**" القرآن وأخذ عن المفسر "**النوازلي أبي مروان عبد الملك البرجي**" التفسير، وأخذ عنه "**سعيد المقّري**" الفقه والأصول والمنطق[7]، كان مولده سنة 908هـ/1501م)، وتوفي بفاس سنة (981هـ/1573م)[8].

- **يحي السلكسيني(ت972هـ/1564م):**

الفقيه العالم العلامة، الخطيب المحقق في مختلف العلوم، وأكثر التحقيق في الحساب والفرائض، ومختصر ابن الحاجب الفرعي والرسالة ومختصر خليل وعقائد السنوسي وأحكام القرآن، عرف بالولي الصالح لاهتمامه بالتصوف، كان إماما مدرسا بمسجد أجادير يدرس فيه العلم إلى الضحى،

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص384، عادل نويهض، المرجع السابق، ص311.

[2] محمد مخلوف، المرجع السابق، ص295.

[3] ابن مريم ، المصدر السابق، ص52.

[4] **الخرقة الصوفية**: هي القطعة الممزقة من الثوب والمقصود بها عند أهل التصوف بردة الرسول صلى الله عليه وسلّم التي ألقاها على الشاعر كعب بن زهير واشتراها معاوية من أولاده وبعدها بليت صارت خرقة، عبد المنعم الحنفي، **الموسوعة الصوفية**، ط5، مكتبة مديوني ،القاهرة، 2006، ص936.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص53.

[6] نسبة إلى بني وعزان إحدى القبائل الهلالية التي استقرت بجنوب تلمسان، عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص154.

[7] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص 166، عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص154.

[8] ابن مريم، المصدر السابق، ص260.

فأخذ عنه جماعة منهم "**أحمد بن ملوكة الندرومي**" و"**شقرون ابن أبي جمعة**"[1] و"**محمد بن موسى الوجديجي**"[2]، و"**سعيد المقّري**" الذي أخذ عنه التصوف، توفي في سنة (972هـ/1564م)[3].

- **محمد أبو السادات المديوني**(ت بعد 950هـ/1542م):

الفقيه العالم الولي الصالح ذو المآثر السنية، أخذ عن والده "**يحي**" وعن الإمام "**محمد بن موسى الوجديجي**" مفتي تلمسان وعالمها، وكان يدرس الرسالة ويدرس ما يناسبها من ابن الحاجب الفرعي، تخرج على يده جماعة منهم ابنه "**محمد أبو السادات الصغير**" وقرأ عليه "**سعيد المقّري**" و"**علي العطافي**" و"**أحمد بن جوهرة الوجديجي**" وجماعة كثيرة، كانت وفاته بعد ودفن عند ضريح "**سيدي محمد بن يوسف السنوسي**"[4].

- **شقرون بن هبة الوجديجي**(ت983هـ/1575م):

هو محمد بن شقرون بن هبة الوجديجي التجيني التلمساني، نزيل فاس ومفتي مراكش ، قال "**المنجور**" في "فهرسته": "**كان فقيها علامة مشاركا في كل فن، كان نافذا في الفروع منطبعا معها يكنى بمالك الصغير**"[5]، كان إماما بتلمسان ومفتيا تأتيه الفتاوى شرقا وغربا، مشاركا في الحساب والفرائض والبيان والمنطق والتفسير، استقر بفاس سنة (967هـ/1559م)، وتوفي بها آخر سنة (983هـ/1575م)، له شرح على التلمسانية ، أخذ عنه "**سعيد المقري**" و"**محمد بن أحمد الهواري**" وغيرهم[6].

---

[1] **أبو عبد الله شقرون جمعة**: هو أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي، الأستاذ المتكلم القدوة، أخذ عن "ابن غازي" وغيره، له تآليف منها "الجيش الكمين في الكر على من يفر عموم المسلمين"، توفي سنة(929هـ/1521م)، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص277.

[2] **محمد الوجديجي**: هو أبو عبد الله محمد بن موسى الوجديجي التلمساني، عالمها ومفتيها من أكابر أوليائها وصدور فقهائها، أدرك الشيخ السنوسي وطبقته، وأخذ عن الشيخ عبد الله جلال"، وعنه أخذ جماعة منهم "أحمد البجائي" و"ابن يحي المديوني" و"يحي السنوسي" وغيرهم، كان حيا قرب سنة(930هـ/1522م)، ابن مخلوف، المرجع نفسه، ص277.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص145.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص261- 262.

[5] أحمد المنجور، **فهرس أحمد المنجور**، تح محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976، ص78.

[6] ابن مريم، المصر السابق، ص261.

- **رحلته العلمية:**

ما تجدر الإشارة إليه أنّ فترة حياة "**أبي عثمان سعيد المقّري**" بتلمسان ميّزها اضطراب وتدهور سياسي، ولهذا وجد المدينة قد نضب معينها العلمي برحيل معظم علمائها إلى فاس وغيرها، فلم يقنع هو أيضا ببقايا العلم بها، فعمد إلى القيام برحلة إلى فاس لاستزادة العلم منها وطلب ملاقاة العلماء بها، ولربما أزمع "**سعيد المقّري**" الرحلة إلى فاس اقتداء بمعاصريه[1] وبـ "**أبي عبد الله محمد المقّري**" الذي قضى بفاس سنوات طويلة عالما ومدّرسا وقاضيا للجماعة، وعموما ارتحل إلى فاس ليكترع من مناهلها فدرس بها على أجلّة علمائها، فأخذ عن:

- **عبد الواحد الونشريسي(ت955هـ/1547م):**

هو أبو مالك عبد الواحد بن الشيخ أبي العباس أحمد الونشريسي الفاسي، كان قاضيا بها سبعة عشر عاما ثم مفتيها بعد "**ابن هارون**"، أخذ عن والده و"**ابن غازي**" وانتفع "**بالحباك**" و"**الهبطي**" و"**أبي زكريا السوسي**" و"**أبي الحسن الزقاق**" و"**ابن هارون**"، وانتفع به جماعة منهم "**عبد الوهاب الزقاق**" و"**سعيد المقّري**"، له خطب بليغة وفتاوي محررة ونظم كثيرة في مسائل من الفقه "كشهادات السماع" و"مفوتات البيوع الفاسدة"، و"شرح على ابن الحاجب الفرعي" في أربعة أسفار و"شرح الرسالة" و"نظم تلخيص ابن البنا في الحساب" و"تعليق على البخاري" لم يكمله، كان مولده بعد سنة (880هـ/1472م)، ومات قتيلا سنة (955هـ/1547م)[2].

- **عبد الوهاب بن محمد الزقاق التيجيبي(ت961هـ/1553م):**

هو أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق الفاسي، قاضي الجماعة بها، المتفنن في فنون العلم، كان آية في الحفظ والفهم، لازم عمه "**أبا العباس**" وانتفع به وأخذ عن "**أبي العباس الحباك**" و"**ابن هارون**" و"**عبد الواحد الونشريسي**" وعنه أخذ الإمام "**المنجور**" و"**أبو يوسف الفاسي**" و"**سعيد المقري**" وغيرهم، كان مولده سنة (905هـ/1498م)، وقتل ضربا بالسياط سنة (961هـ/1553م)[3].

---

[1] الحفناوي، المرجع السابق، ص426، أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ج1، ص384.

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ص288-289.

[3] التنبكتي، المصدر نفسه، ص277، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص 283- 284، الأفراني، صفوة من انتشر، ص101، القادري، نشر المثاني، ج1، ص131.

فمما يبدوا أنّه كان للرحلة العلمية التي قام "**أبو عثمان سعيد المقّري**" إلى فاس أثر واضح في تكوين شخصيته العلمية، بحيث أصبح له باع طويل في مختلف الفنون النقلية منها والعقلية[1]، مّما بوأه مكانة ارتقاء عدة وظائف بتلمسان منها التدريس والإفتاء والخطابة، ومن ثم اكتساب الهيبة والاحترام والشهرة العلمية.

ومهما يكن من أمر رجع من فاس "**أبو عثمان سعيد المقّري**" إلى تلمسان وتشبث بالبقاء بها رغم القلاقل السياسية التي عرفتها، غير ملتفت لرأي ابن خالته "**محمد بن محمد بن عيسى البطوئي التلمساني**"[2] نزيل المدينة المنورة الذي كان يكتب إليه ويقول له في كتابه: "**ارْم تلمسان قبل أن ترميك**"[3].

وربما لم يرتحل إلى بلاد المشرق، فيما نعلم، ولعل هذا راجع إلى المستوى العلمي الذي وصل إليه المغرب من ازدهار ثقافي وتألق فكري، أين أصبح العلماء عموما يجدون بغيتهم في العاصمة فاس التي كانت تغص بالعلماء وحلقات الدروس، الأمر الذي جعلهم يزهدون في الرحلة إلى المشرق والأخذ عن علمائه[4]، بالإضافة إلى الوضع الأمني الذي تميز في عمومه بانعدام الأمن والاستقرار داخل بلاد المغرب وعلى أطراف الأندلس لكثرة الفتن والصراعات والمكائد، ولم يختلف الأمر عنه ببلاد المشرق، أين تعددت الأخطار التي كان يواجهها الرّحالة في الطريق من احتراف لقطع الطريق واعتداء على الأنفس والأموال، كما انتشرت عمليات القرصنة والأسر، إذ وقع التربص بالسفن وركابها دون احترام طالب أو حاج أو تاجر، كلّ هذا جعل السفر والرحلة إلى بلاد المشرق لا يؤمن خطرها[5].

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص166.

[2] **محمد بن عيسى البطوئ**: الولي الصالح الفقيه المحدث المتصوف، صاحب الكرامات العلية والأحوال المرضية، كان فقيها في علم الحديث وفي علم التصوف، وكان عارفا بالبخاري يقرأه على الناس في الجامع الأعظم، توفي بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص272-275.

[3] ابن مريم، المصدر نفسه، ص273، ص420.

[4] حسن الشاهدي، المرجع السابق، ص132.

[5] حسن الشاهدي، المرجع نفسه، ص ص125- 128.

- **وفاته:**

ما يظهر حول تاريخ وفاة "**أبي عثمان سعيد المقّري**" أنّه وقع فيه خلاف بين مترجميه، بحيث يذهب "**الأفراني**" إلى أنّه توفي سنة (1010هـ/1601م)[1]، في حين ذكر "**ابن مريم**" أنّه كان حياً سنة (1011هـ/1603م)[2]، بينما يذكر تلميذه "**سعيد قدورة**" في أوراقه له أنّه توفي بعد الشيخ "**المطماطي**" ببضع سنوات[3]، وبما أنّ "**المطماطي**" توفي سنة (1019هـ/1610م)[4]، فربما يكون "**أبو عثمان سعيد المقّري**" قد توفي سنة (1023هـ/1615م).

وإضافة إلى هؤلاء الأعلام من الأسرة "**المقّرية**"، برز علماء منها في القرون اللاحقة أي في الفترة الحديثة، ومن دون شك أنّه كان لهم دليل الأثر في الحركة العلمية، فكان من بين هؤلاء: **أبو العباس أحمد المقّري**"(**ت**1041هـ/1632م)[5]، والشيخ "**محمد بن محمد شقرون المقّري**"

---

[1] الأفراني، المصدر السابق، ص102.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص105.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص368.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ص367.

[5] **أبو العباس المقّري**: هو أحمد محمد يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش أبو العباس المقّري، الملقب بشهاب الدّين، تلمساني المولد، نزيل فاس ثم القاهرة، ولد سنة (986هـ/1577م-1578م)، نشأ بتلمسان وبها تلقى العلم وحفظ القرآن الكريم، وعكف على دراسة العلوم العربية الدينية واللغوية والأدبية، فأخذ عن عمه "سعيد المقّري" "صحيح البخاري" سبع مرات، وروى عنه كتب الحديث المشهورة بسنده، ثم رحل رفقة والده إلى فاس سنة(1009هـ/1600م)، فحمل من العلم ما يؤهله للاستفادة والإفادة، إذ حضر مجلس "علي بن عمر السلاسي بجامع القرويين، وناقشه في بعض مسائل الفقه فاعترف له بالتفوق، واستفاد من "أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني"، و"أبو عبد الله بن محمد الهواري، و"أبو عبد الله بن سعيد الدلائي، و"أبو العباس ابن القاضي" الذي أجازه بجميع ما يجوز له منها رواية "موطأ مالك" و"صحيح البخاري" بإسناد سنده إلى "ابن حجر"، كما جرت بينه وبين "احمد بابا التمبكتي "مساجلات ومطارحات تولى الفتوى والخطابة والإمامة في جامع القرويين، ثم ارتحل إلى بلاد المشرق، أين أملى هناك دروسا عديدة بمختلف حواضره، وانتشرت إجازاته بين المشارقة، كما تفرغ للتأليف، وفي المقابل استفاد هو الآخر من علماء المشرق، كانت وفاته كانت بالقاهرة سنة(1041هـ/1632م)، ودفن بمقبرة المجاورين، أحمد المقّري، **روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضريتين مراكش و فاس**، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج1، ص13، أحمد المقّري، أحمد المقّري، **رحلة المقّري إلى المغرب والمشرق**، تح محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص ص163- 169، المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص 311، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص168، الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص 13،ابتسام مرهون، **المقّري التلمساني والتواصل بين المغرب والمشرق**، مجلة الذخائر، العددان 11و12، صيف – خريف 2002، ص137.

(ت 1087هـ/1676م) [1]، الذي كان مقيما بمدينة الجزائر، وصلة القرابة التي تربطه ببيت المقّري التلمساني ثابتة من خلال هذا النص الوارد في "ثبت تلميذه "**مصطفى بن رمضان العنابي البوني الحنفي**": "**ومن علو سنده أيضا ما حدثني به عن أبيه عن عمه سيدي سعيد المقّري**"[2]، وفيه إشارة إلى أنّ والده "**السيد أحمد**" كان من حملة العلم أيضا.

وما ينبغي التنويه أنّ "**ابن مخلوف**" أشار في كتابه "**شجرة النور الزكية**" أثناء حديثه عن فرع مصر إلى عالم يدعى "**أبو العباس أحمد بن محمد المقّري**"[3] المعروف "**بالمحمودي**"، وقد أشار إلى أنّه ينسب لقبيلة بالمغرب، لكنه دمشقي المولد سنة (983هـ/1574م)، وكانت وفاته بحلب سنة(1032هـ/1623م)[4].

---

[1] **محمد بن شقرون المقّري**: كان مقيما بمدينة الجزائر قبل سنة (1075هـ/1664م)، رحل إلى المشرق وتلقى عن مشايخه، وحصل على إجازاتهم بعضهم كالإمام "أبي الحسن سيدي علي الأجهوري المالكي"، والإمام "إسماعيل بن ماضي بن يونس السنجيدي الشافعي"، والإمام "أبي بكر بن يوسف السجستاني ثم المراكشي المالكي"، أما وفاته، فتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أنه توفي سنة (1084هـ/1673م)، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص189، فوزية لزغم، المرجع السابق، ص299.

[2] مصطفى ابن العنابي، ثبت مصطفى ابن العنابي، ص ص 3- 4، نقلا عن فوزية لزغم، المرجع السابق، ص299.

[3] **أبو العباس أحمد بن محمد المقّري**: قال عنه "ابن مخلوف": "الشهير بالفضل الإمام الأديب الألمعي الأريب الفقيه الأفضل العمدة الأكمل، تفقه بالعلاء بن المرحل وأخذ جملة عن الشيخ خالد التونسي، وبالقاهرة عن البرهان اللقائي، وبمكة عن الشيخ "محمد البري" والشيخ "محمد عزوز التونسي، والحديث عن الشيخ الداودي" وغيرهم، كان يقول الشعر المستعذب، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص290.

[4] ابن مخلوف، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

ثالثا: المكانة العلمية لعلماء الأسرة المقّرية:

تعد الأسرة **المقّرية** من الأسر العريقة بتلمسان، أين تمتعت هناك بسمعة طيبة واحترام تام وسيرة مرضية وصيت عمّ أصقاع العالم الإسلامي وبقيت كذلك حتى في الفترات اللاحقة، ولعل هذا ما نلمسه من خلال ما جاء عن "**ابن حمادوش**" منوها بمنزلة "**محمد بن محمد شقرون المقّري**" من علماء الأسرة المقّرية في الفترة الحديثة بقوله: "**بيت مروءة لا تنكر، وحضرة حسب و نسب، وهي من نار على علم أظهر...**»[1].

ولربما استمدت الأسرة **المقّرية** مكانتها المتميزة هذه من علمائها الذين تأصلت فيهم جذور الثقافة والعلم[2]، فأعطوا لمدينتهم وأسرتهم ميزة وشهرة كبيرتين، أين عدّوا من مشاهير علماء بلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، وهذه الشهرة هي ميزة لا تتحقق إلاّ لقلة من العلماء، فإن دّل ذلك على شيء فإنّما يدّل على تمكنهم العلمي وثقافتهم الموسوعية وعلو مقامهم ورفعة شأنهم، إذ لا يمكننا حصر مكانتهم في حيز مكاني ولا زماني لعظم منزلتهم التي تبوؤها بين العلماء في حياتهم وبعد وفاتهم باختلاف عصورهم، وكفاهم فخراً ما أبداه علماء عصرهم من تنويه بهذه المنزلة التي حظوا بها، وما شهد لهم به المؤرخون والمترجمون الذين أرّخو لهم، فمن دون شك أنّه اكتسبوا ثقة معاصريهم لما عرف عنهم من خصال وفضائل، منها ما يتصل بشخصيتهم العلمية مثل الجدّية والحفظ والحرص على المزيد من الاطلاع، بالإضافة إلى الاجتهاد الفقهي في نطاق أصول المذهب المالكي لبعض علمائها.

ولإدراك هذه المكانة السامقة لعلماء الأسرة "**المقّرية**" لا يفوتنا في هذا الصدد أن نرصد بعض المواصفات التي وصفتها بهم مختلف المصادر خاصة في الجانب العلمي، فقد نوّه "**محمد المكلاتي**" بالمكانة العلمية التي حظيت بها الأسرة المقّرية عندما ذكر والد "**أبي العباس أحمد المقّري**" فقال: "**الشيخ الماجد الراكع الساجد الناسك البركة التحية الأوحد أبي عبد الله**

---

[1] ابن حمادوش، **رحلة ابن حمادوش المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تح أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983،ص239.

[2] جاء عن "ابن حمادوش" في "محمد بن شقرون المقّري" قوله: «الشيخ الإمام العلامة الهمام سليل العلماء الأعلام أبي عبد الله السيد محمد المقّري»، ابن حمادوش، المرجع السابق، ص239.

محمد، ابن سادتنا المقّريين علماء تلمسان وعظمائها علماء الإسلام، وأشراف الأنام، الذين لأعلامهم الرفع بدار السلام..."[1].

وجاء عن "**أبي العباس أحمد المقّري**" في حديثه عن الجدّ الخامس للأسرة "**عبد الرحمن المقّري**" قوله: «**كان هذا الشيخ عروى الصلاة**»[2]، ويشير إليه "**أبو الأجفان**" قائلا: «**كان رجل صلاح وفضل وعبادة**»[3].

ويقول "**أبو عبد الله بن مرزوق الجد**" عن "**أبي عبد الله محمد المقّري**": «**كان صاحباً المقّري معلوم القدر، مشهور الذكر، ممن وصل إلى درجة الاجتهاد المذهبي، ودرجة التخير والتزييف بين الأقوال، وتبعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ما يرجى النفع به يوم اللقاء**»[4].

ويعتبر "**عبد الرحمن ابن خلدون**" "**أبا عبد الله محمد المقّري**" أنّه: «**كبير العلماء بالمغرب**»[5]، ويقول عنه أيضا: «**استجر في العلوم وتفنن** »[6] .

ويورد تلميذه "**ابن الخطيب**" شهادة لتبحره في العلم فيقول: «**هذا الرجل مشارا إليه بالعدوة المغربية اجتهادا ودؤوبا وحفظا وعناية واطلاعا، ونقلا ونزاهة**»[7] ويقول أيضا: «**يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير، ويحفظ الحديث ويتهجر بحفظ الأخبار والتاريخ والآداب ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل و المنطق ويكتب ويشعر مصيبا في ذلك غرض الإجادة**»[8].

ويشير أندلسي آخر بالجانب العلمي لدى "**أبي عبد الله محمد المقّري**" وهو "**أبو الحسن النباهي المالقي**" فيقول: « **كان هذا الفقيه–رحمه الله– في غزارة الحفظ وكثرة مادة العلم، عبرة من العبر، وآية من آيات الله الكبر، قلما تقع مسألة إلا ويأتي بجميع ما للناس**

---

[1] نقلا عن أحمد المقّري، رسائل المقّري، ص99.

[2] أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص204.

[3] محمد أبو الأجفان، المرجع السابق، ص25.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص155، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص279.

[5] ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص247.

[6] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص60.

[7] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 194-195، السيوطي، بغية الوعاة، ص24.

[8] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج5، ص195.

فيها من الأقوال، ويرجح ويعلل ويستدرك ويكمل»[1]، ويعتبره "**الونشريسي**": « **أعلم أهل المغرب في زمانه**»[2].

وحلاه تلميذه "**أبو إسحاق الشاطبي**" تارة: بـ: « **الشيخ الفقيه القاضي الجليل الشهير**"[3] وتارة أخرى بـ"**الفقيه القاضي المتفنن** »[4]، أما "**أبو الوليد بن الأحمر**" فحلاه بـ: «**الفقيه الإمام المفتي، المدرس، قاضي الجماعة بفاس**» وقال عنه "**أحمد بابا** ": « **الإمام، العلامة، النظار، المحقق، القدوة، الحجة، الجليل...**» [5].

ويشير "**يحي ابن خلدون**" قائلا عن "**أبا الحسن علي المقّري**": «**من أهل العلم والدين**»[6]، ويورد شهادة أخرى عنه قائلا: «**خيّر فاضل، على هدي السلف الصالح متحر الصواب في أحكامه**»[7].

ويقول "**أحمد ابن القاضي**" عن "**أبي عثمان سعيد المقّري**": «**انتهت إليه رياسة بلده تلمسان**»[8].

ويعدّد "**ابن مريم**" أوصافا توضح لنا المكانة العلمية لـ "**أبي عثمان سعيد المقّري**" بقوله: «**له باع في فن حديث البخاري وغيره**»، ثم يضيف قائلا: «**كان علامة في التوحيد والفقه.. ، "أتقن كل علم، حافظا للغة العربية والشعر والأمثال**»، كما يعتبره: «**إماما في العلوم العقلية كلّها**»[9].

---

[1] النباهي، المصدر السابق، ص169.

[2] الونشريسى، المصر السابق، ج5، ص202.

[3] الشاطبي، الإفادات والانشادات، الإفادة، رقم01، ص81 .

[4] الشاطبي، المصدر نفسه، الإفادة رقم 82، ص158.

[5] أحمد بابا التنبكتى، نيل الابتهاج، ص420.

[6] يحى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص121.

[7] يحى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص121.

[8] أحمد بن القاضي، جدوة الاقتباس، ج1، ص323، ج2، ص520.

[9] ابن مريم، المصدر السابق، ص196.

ويورد صاحب "**شجرة النور الزكية**" شهادة لـ "**أبي عثمان سعيد المقّري**" وهو معدود من كبار علماء عصره ممن يقتدى بهم فيقول: «**الإمام، الفقيه، الراوية العالم العامل العمدة القدوة الفاضل**»[1].

كما يعتبر "**أبو العباس أحمد المقّري**" عمّه "**أبا عثمان سعيد المقّري**": «**شيخ أولئك الأعلام الذين ورثوا العلم عن غير كلالة**»[2].

فما يمكن ملاحظته من خلال هذه المواصفات التي وصفتها مختلف المصادر لعلماء بيت "**المقّري**"، وإطناب العلماء في الثناء عليهم بداية من الجدّ الخامس "**عبد الرحمن**" إلى الجد الأول "**أبو عبد الله محمد المقّري**" إلى ابن عمّه "**أبي الحسن علي المقّري**" إلى العم "**أبي عثمان سعيد المقّري**" أنّه اقترن اسمهم في كثير من الأحيان بألقاب علمية مختلفة منها العلامة[3]، الإمام[4]، "الشيخ"[5]، الفقيه[6]، المفتي، "الأجلّ"، أو "المحدث"[7]، "المحقق"، ولربما نعتوا بلقب

---

[1] ابن مخلوف، المرجع السابق، ص295.

[2] أحمد المقري، أزهار الرياض، ج1، ص10.

[3] **العلامة**: يطلق على الشخص الواقف على العلوم، محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية، ص37، محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية، ص72.

[4] **الإمام**: لغة مأخوذة من أم القوم وأم أي تقدمهم واصطلاحا هو القدوة، وفي الحياة العلمية تطلق على كل عالم برز في علم أو أكثر وكان قدوة في العلم، محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص37، محمد الشريف سيدي موسى، المرجع نفسه، ص72.

[5] **الشيخ**: هذا اللقب من الألقاب التي اختص بها العلماء، ويختلف هذا اللقب باختلاف سياقه وروده، فطالب العلم يطلق على من درسه بأنّه شيخه دون اعتبار للتخصص الذي عليه، وبهذا المفهوم لا يدل على مكانة علمية، وقد يكون هذا اللقب كلقب خاص مضاف إلى علم المعين فهو يدل على الرياسة، محمد الشريف سيدي موسى، المرجع نفسه، ص72.

[6] **الفقيه**: هو العالم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسب من أدلتها التفصيلية، ويطلق لقب الفقيه من الناحية العلمية على فئتين من الفقهاء، الفئة الأولى هم المجتهدين المحققين الذين يقيمون الفروع على الأصول وينظرون إلى قوة الأدلة دون أن يقصروا أنفسهم على مذهب واحد، أما الفئة الثانية فهم اقل درجة ويطلق على من يروى الحديث بإسناده، سواء كان عنده علم له أو ليس له إلا مجرد رواية، محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص37، محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص72 .

[7] **المحدث**: اختلف السلف في تعريف المحدث، فعلماء الحديث في العصور الأولى عرفوه بالحد الأعلى، فالمحدث عندهم مرادف للحافظ، أما المتأخرون فالمحدث عندهم أقل رتبة من الحافظ، فهو المشتغل بالحديث رواية ودراية وجمع روائه واطلع على كثير من الرواة والمرويات، محمد الشريف سيدي موسى، المرجع نفسه، ص72.

"العلامة" أو "الحافظ"[1] وغيرها، فهذا لهو دليل ناصع على تبحر هؤلاء العلماء من غزارة العلم في مختلف الفنون، وعلى ارتفاع ذكرهم وذيوع صيتهم في الآفاق، وعلى أنّهم قدوة للعلماء أينما كانوا، ولعل ما بوأهم هذه المكانة العلمية العالية بين أهل العلم في عصرهم وفي الفترات اللاحقة بعد وفاتهم، مشاركتهم في مختلف مناحي الحياة بتلمسان والحواضر الإسلامية التي ارتحلوا إليها، لاسيما في الحياة العلمية أين تركوا بصماتهم فيها نتيجة تضلعهم في مختلف العلوم وسعة باعهم فيها.

إذن فيما تمثلت الإنجازات العلمية لعلماء الأسرة **المقّرية**، وماهي الأدوار التي خدموا بها تلمسان والمغرب الإسلامي؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال الباب الثاني من الدراسة.

[1] **الحافظ**: هو مشتق من الحفظ، والمشهور أنّه من ألقاب المحدثين، وهو أعلى لقب لديهم من حيث أنّه الحافظ للحديث، محمد الشريف سيدي موسى، المرجع نفسه، ص72.

الباب الثاني

علماء الأسرة المقرية وإسهاماتهم بتلمسان والحواضر الإسلامية من القرن07هـ/13م إلى القرن10هـ/16م

الفصل الأوّل

أعلام بيت المقّري وإسهاماهم في انتاج المعرفة وانتقالها.

أولا: دور علماء الأسرة المقّرية في العملية التعليمية.

ثانيا: علماء الأسرة المقّرية ونتاجهم الفكري.

ثالثا: جهود علماء الأسرة في خدمة المذهب المالكي.

أنجبت الأسرة "**المقّرية**" علماء أفذاذ خاضوا في ميادين معرفية متنوعة، فكانت لهم إسهامات جليلة في بعث النهضة العلمية بتلمسان، وقد تخطى إشعاع الأسرة "**المقّرية**" العلمي المنطقة إلى مناطق أخرى، شملت المغرب والمشرق الإسلاميين، فما هي الأدوار العلمية التي أدّوها وأفادوا بها تلمسان وغيرها من الحواضر الإسلامية؟

أولا: دور علماء الأسرة المقّرية في الحركة العلمية التعليمية:

1.أعلام بيت المقّري وإفادتهم للعلم:

شكّل الجلوس للتدريس والقيام على بث العلم من أبرز ما ميز الشيوخ المتمرّسين، أين كانت حلقات نبهاء العلماء تغص بطلبة العلم الذين يؤمّونها من جميع البلاد ومختلف الأقطار، ولعل الشأن ذاته بالنسبة لعلماء الأسرة "**المقّرية**"، الذين اضطّلعوا بمهمة التدريس وإقامة مجالسه، بفضل ما تمتعوا به من مؤهلات علمية وعلم غزير.

ومما لاشك فيه أنّ مكانتهم في التدريس قد تعززت أكثر بفضل رحلاتهم العلمية التي ساهمت في إثراء رصيدهم الفكري، كما أنّ تضاعف عدد شيوخهم جعلهم موضع استقطاب لعدد كبير من طلبة العلم، إذ أنّ قيمة العالم تكمن فيما تمثله مشيخته من اتساع[1].

وبالرجوع إلى مضان المصادر التاريخية التي ترجمت لعلماء الأسرة "**المقّرية**"، يفهم أنّهم مثلما حرصوا على طلب العلم، فإنّهم لم يبخلوا بما نالوه من العلوم المختلفة، واجتهدوا في نشره وتعليمه، بحيث أثنى عليهم الكثير من طلبتهم وأشادوا بمجهوداتهم العلمية في مجالسهم، كما أثْرَت الشهادات منّوهة بشأنهم ومكانتهم في ميدان التعليم[2]، وبهدف الوقوف على دورهم في ميدان العملية التعليمية وتتبع ما وصفت به المصادر التاريخية أعمالهم في مجال التدريس، إضافة إلى التعرف على أماكن تدريسهم كان الجدول أدناه:

---

[1] عبد الله المرابط الترغي، **فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها– تطورها – قيمتها العلمية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، تطوان، 1999، ص55.

[2] **ينظر**: في ذلك مكانتهم العلمية، ص151. والملحق رقم15، ص ص334-335.

العالم	مكانته في التدريس	العلوم التي برز فيها.	أماكن التدريس.
"أبو عبد الله محمد المقّري"	"الحافظ"[1]، "مكبّ على النظر والدرس والقراءة"[2]، "عاد إلى بلده فأقرأ بها وانقطع إلى خدمة العلم"[3]، "نشأ بتلمسان وقرأ وأقرأ"[4].	"يقوم أتّم القيام على العربية والفقه والتفسير، ويحفظ الحديث، ويتهجر بحفظ الأخبار، والتاريخ والآداب، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق، ويكتب ويشعر مصيبا في ذلك غرض الإجادة"[5]، "يتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال"[6]، "رحلة الوقت في القيام على الفنون العقلية"[7].	• المدرسة المتوكلية بفاس[8]. • المجلس السلطاني لأبي عنان[9]. • المدرسة الناصرية والجامع الأعظم بغرناطة[10].
"أبو الحسن علي المقّري"	/	الفقه	/
"أحمد بن محمد	/	النحو	/

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص198، النباهي، المصدر السابق، ص136.

[2] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص208.

[3] ابن فرحون، الديباج المذهب، ص383.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص155، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص420.

[5] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 195.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص155، ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 195، السيوطي، بغية الوعاة، مج 2، ص24، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص188.

[7] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص202.

[8] التنكتي، المصدر السابق، ص419، أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج1، ص5، ابن الأحمر، روضة النسرين، ص27، محمد المنوني، ورقات، ص51.

[9] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص96، عبد القادر زمامة، المقري الجد، ص99.

[10] ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص202، الشاطبي، الإفادات والإشادات، ص22، ابراهيم التازي، **جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري**، ج2، دار نشر المعرفة، ط2، الرباط، 2000، ص386.

شهاب الدين المقّري"			
"أبو عثمان سعيد المقّري"	"تخرج على يديه خلق كثير لا يحصى عددهم إلاّ الله تعالى"[1].	"كان علامة في الفقه والتوحيد... أتقن كل علم، حافظا اللغة العربية والشعر والأمثال وأخبار الناس وأمثالهم...أمّ في العلوم العقلية كلّها حسابا ومنطقا وفرائضا وهندسة وطبا وتشريحا وتنجيما وفلاحة وبناء وكثيرا من العلوم القديمة والحديثة"[2]، "فقيه معقولي"[3].	• الجامع الأعظم بتلمسان[4] .

يظهر لنا من خلال الجدول أنّ إفادة علماء الأسرة "**المقّرية**" للعلم لم يقتصر على موطنهم تلمسان فحسب، بل جعلوا من استقرارهم في المغرب الأقصى وغيره من الحواضر الإسلامية ببلاد المغرب كفاس وغرناطة وربما بلاد المشرق ميدانا للقيام بمهمة التدريس، كما يظهر أيضا أنّ دورهم في أداء وظيفتهم التعليمية كان في مختلف المرافق التعليمية من مدارس ومساجد كما هو معروف، ولعل أهم ما يظهر لنا أيضا في ذلك أنّ دورهم هذا لم يقتصر على هذه المرافق فحسب، وإنّما واصلوا عطائهم العلمي حتى في المجالس السلطانية التي كانت تحتضنها قصور السلاطين ومساجدهم ومدارسهم ويدعى إليها العلماء، من ذلك "**أبي عبد الله محمد المقّري**" الذي سجّل نشاطا ملحوظا في المجالس العلمية لسلاطين دول المغرب الإسلامي لاسيما منها مجلس السلطان "**أبي عنان المريني**" مما يتم تفصيله لاحقا.

ولمّا كانت منازل العلماء تعتبر من مرافق التعليم في العالم الإسلامي، فلربّما سخّر علماء الأسرة المقّرية بيتهم لإعطاء الدروس المتنوعة كما هو معروف بتلمسان[5]، أين ظلت بيوت العلماء عامرة بالطلبة في كل الأوقات[6]، يحرصون على تعليمهم وإمدادهم بما يحتاجونه من التوجيه والإرشاد وإيفائهم بنفائس العلوم، خاصة وأنّ دار العالم عادة ما تكون ميّسرة لمختلف الطلبة مجموعات

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص105.

[2] ابن مريم، المصدر نفسه، ص ص104- 105.

[3] ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص520.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص383.

[5] ربما درّس به "أبو عبد الله محمد المقّري" و"أبو عثمان سعيد المقّري" باعتبار أنّهما درّسا بتلمسان.

[6] مثل منزل "ابن مرزوق الخطيب" الذي كان غاص بالطلبة وغيره من علماء تلمسان، ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص52.

وفرادى[1]، إلاّ أنّه تعذر علينا الحصول على مادة علمية متصلة بدور منزل الأسرة "**المقّري**" في إيفاده للعلم.

والظاهر أنّه تنوعت دروس الشيوخ المقّريين، فمما لاشك أنّها تناولت مختلف العلوم المعروفة، لاسيما العلوم التي نبغوا فيها والمصنفات الرائجة في عصرهم، إذ تصفح لنا لائحة المواد التي قرأوها على تلامذتهم عن المصنفات التي كانت شغل حلقات دّرسهم، وفيما يلي لائحة بقائمة المصنفات التي أقرأوها على تلامذتهم:

العلم / المصنفات	
القراءات	قصيدة الشاطبي[2]، كتاب "**المقنع**" لأبي عمرو الداني، منظومة "**الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع**" لأبي الحسن علي التازي التسولي (ت731هـ/1330م)[3].
التفسير	"**الكشاف** للزمخشري"[4]، "**الجامع لأحكام القرآن**" لأبو عبد الله محمد المقّري"[5].
الفقه	"**مختصر ابن الحاجب**" ، و "مختصر خليل"[6]، كتاب "**التهذيب**" "للبراذعي"[7]، "**الموطأ**" للإمام مالك[8].
العلوم العربية	**اللغة**: "فصيح ثعلب"[1].

[1] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص ص218- 220، نبيل شريخي، المرجع السابق، ص ص198- 199.

[2] **قصيدة الشاطبية الكبرى**: تسمى "حرز الأماني ووجه التهاني" وهي في القراءات السبع، وتعد عمدة في فن القراءات، بلغت أبياتها ألفا ومائة وثلاثة وسبعين، أبدع فيها صاحبها أبو محمد قاسم بن فبرة بن أبي القاسم خلف الرعيني الشاطبي، غاية الإبداع وضمنها رموزا وإشارات وهي لامية، ولد الشاطبي سنة (538هـ) وتوفي سنة (590هـ)، وقبره بالقرافة، السيوطي، بغية الوعاة، ج2 ، ص260، المجاري، المصدر السابق، ص95-96.

[3] محمد المنوني، ورقات، ص269، صابرة خطيف، المرجع السابق، ص313.

[4] **الزمخشري**: هو محمود بن عمر أبو القاسم جار الله محمد بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، من أيمة اللغة وعلوم الدين، وتفسيره "الكشاف" هو أول ما صنف، وله أيضا "أساس البلاغة، و"المفصل"، و"المقامات"، و"الفائق في غريب الحديث"، ياقوت الحموي، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح احسان عباس، ج5، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1993، ص489-495، الزركلي، الأعلام، ج8، ص55.

[5] صابرة خطيف، المرجع السابق، ص314.

[6] أحمد المقّري، رحلة المقّري إلى المغرب والمشرق، ص78.

[7] **التهذيب**: وهو مختصر على المدونة الكبرى، وصاحبه أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدي من أصحاب ابن أبي زيد والقابسي، خرج من القيروان إلى صقلية التي نال بها شهرة ودوّن بها مصنّفاته، ابن فرحون، الديباج، ص112، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص105.

[8] المجاري، المصدر السابق، ص120.

	النحو: كتاب "**الجُمل**" للزجاجي[2]، و**كتاب "التسهيل"** لابن مالك[3].
الحديث	"**الأحكام الصغرى**" لعبد الحق[4] [5]، وكتاب "**جامع الترمذي**"[6]، وكتاب "**صحيح البخاري**"[7]، و"**صحيح مسلم**"[8]، وكتاب "أبي عمرو ابن صلاح" في علوم الحديث[9].
المنطق	كتاب "**الجمل للخونجي**" في علم المنطق[10].
السيرة النبوية	كتاب "**الشفا**"[11] للقاضي عياض.
التصوف	كتابه الحقائق والرقائق"، المنظومته الشعرية "لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض"[12].

[1] **كتاب فصيح ثعلب**: لمؤلفه "أبو العباس ثعلب أحمد بن يحي يزيد بن سيار الشيباني مولاهم البغدادي، عاش ما بين (200هـ/815م) و(291هـ/903م)، إمام الكوفيين في النحو واللغة، من تأليفه المصون في النحو ومعاني القرآن والتصغير والأمالي وغريب القرآن، السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص396 ، ابن خلدون، المقدمة، ص487، المجاري، المصدر السابق، ص102.

[2] **كتاب الجمل**: هو كتاب "الجمل الكبرى في النحو، لـ "أبي القاسم عبد الرحمان بن إسحاق" (ت339هـ/941م) حيث أكثر فيه من الأمثلة، وقد وضعت عليه شروح كثيرة منها شرح "أبي محمد السيد البطليوسي" (ت521هـ/1123م)، السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص77، حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1992، ص ص603-604.

[3] المجاري، المصدر السابق، ص120.

[4] **عبد الحق**: هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الأشبيلي، كان حافظا محدثا فقيها، ألف" الجمع بين الصحيحين" و"الحاوي" و"اللغة" و"المعتل" وغير ذلك، استقر ببجاية وتوفي بها سنة (582هـ/1186م)، الغبريني، المصدر السابق، ص ص18-20، رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص92.

[5] المجاري، المصدر السابق، ص120.

[6] **جامع الترمذي**: لـ "أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي نسبة إلى مدينة ترمذ الكائنة على طرف نهر بلخ، أحد أيمة الحديث المقتدى بهم في علم الحديث، توفي سنة (275هـ/877م) المجاري، المصدر السابق، ص111.

[7] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج3، ص331.

[8] اسماعيل ابن الأحمر، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور، الرباط، 1972، ص64، أحمد المقّري، رحلة المقّري، ص78.

[9] المجاري، المصدر السابق، ص120.

[10] وعنوان الكتاب بالكامل "الجمل في مختصر نهاية الأمل" لـ"فضل الدين محمد الخونجي"(ت646 هـ/1247م)، المجاري، المصدر السابق، ص132.

[11] **كتاب الشفا**: وهو كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" ومؤلفه القاضي الشهير أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي الأصل السبتي، فقيه، محدث، مؤرخ، له مصنفات هامة، المجاري، المصدر نفسه، ص112، النباهي، المصدر السابق، ص101.

[12] المجاري، المصدر السابق، ص120.

ربما ما نلمسه من خلال الجدول هو تنوع المسائل العلمية التي كان يثيرها علماء الأسرة **المقّرية** في دروسهم ممّا يتصل بالعلوم الدينية بالدرجة الأولى كالتفسير والحديث والفقه والأصول والعلوم التي برزوا فيها كالعلوم اللغوية والآداب والتاريخ، فضلا عن العلوم العقلية، من ذلك تدريس "**أبي عبد الله محمد المقّري** للمنطق، وكذلك "**أبي عثمان سعيد المقّري**" الذي كان يهتم بالحساب والفرائض والمنطق والهندسة والتنجيم والفلاحة وأمور البناء[1]، كما كان مولعا بعلم الطب وعلم الجراحة والتشريح وغيرها من العلوم العقلية.

فمما لاشك أنّ مساهمة ودور علماء الأسرة **المقّرية** في تنشيط الحركة التعلمية سواء بتلمسان أو غيرها من الحواضر العلمية، تعتبر مساهمة فعالة وكبيرة إلى حد ما، إذ أنّه يرجع الكثير من الفضل لعلمائها في تكوين عدد لابأس به من طلبة العلم الذين تحلّقوا حول هؤلاء الشيوخ والعلماء من أبناء الأسرة للاستفادة من علمهم والحصول على الإجازة العلمية منهم، وفيما يلي ذكر لدور كل عالم من علماء الأسرة في ميدان التعليم وأهم طلبته الذين نهلوا من معارفه وعلومه.

- **أبو عبد الله محمد المقّري:**

لقد كان "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في طليعة المدّرسين بحواضر المغرب الإسلامي، فبعد تحصيله العلمي على مشايخ تلمسان ومجالسته للعلماء في رحلته العلمية، انتصب للتدريس وتولى مهمة الإقراء والتبليغ مما أوتي من العلم، فدّرس بداية بتلمسان مسقط رأسه وكان ذلك بعد عودته من رحلة الحج[2] والتي من الممكن أن تكون في حدود سنة (740هـ/1339م)[3]، غير أنّ تدريسه بتلمسان كان عابرا، إذ لم يشر من ترجموا له إلاّ بكلمة مدّرس ومن ذلك "**ابن فرحون**" فقال: «**أقرأ بها وانقطع إلى خدمة العلم** »[4]، وأيضا جاء عن "**الونشريسي**" أنّه: «**نشأ بتلمسان وقرأ و أقرأ**»[5]، ثم تولى مهمة التدريس بالمناطق التي ارتحل إليها، منها حاضرة فاس

---

[1] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، ص166.

[2] يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ج2، ص162.

[3] بناء على قول "ابن خلدون" الذي ذكر أنّ مقدمه من الحج كان سنة(740هـ)ابن خلدون، التعريف، ص247، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص280.

[4] ابن فرحون، الديباج المذهب، ص383.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص 155، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص420.

التي رحل إليها صحبة السلطان المريني" **أبي عنان**"، هذا الأخير الذي قام ببناء له "**المدرسة المتوكلية**"[1] فكان من ألمع مدرسيها وأشهرهم.

كما وجد "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في المجالس السلطانية لبني مرين التي كانت تجري فيها ندوات علمية رفيعة[2]، مجالا لنشر العلم وتدريسه، أين تصدر مجالس العلم والمناظرة التي كانت تقام في حضرة السلطان "**أبي عنان**" وأكابر فقهاء فاس وخاصتهم وأملى بها دروسه[3]، فقد كان من أوائل العلماء الذين تصدوا للتدريس بها على كرسي التفسير والحديث الموجود بداخل قاعة الصلاة عند القبلة بالمدرسة المتوكلية، فتحلق حوله طلبة العلم بأعداد كبيرة ليوضح ويشرح لهم "**صحيح مسلم**"، وبالتالي قد ساهم نتيجة ذلك في تنشيط وإثراء الحياة الفكرية بالمغرب الأقصى خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي[4].

هذا، وبعدما رحل "**أبو عبد الله محمد المقّري**" إلى الأندلس واستقر بغرناطة في أوائل جمادى الثانية سنة(756هـ/1355م)، انتصب هناك للتدريس في المسجد الجامع الأعظم بغرناطة[5] وألقى دروسا بمدرستها "**النصرية**"[6] الشهيرة، وقد طبع التفنن العلمي مجالسه العلمية، أين برز من بين أكبر المدرسين بهذه المدرسة وبغيرها من أماكن التعليم والإقراء التي درّس بها[7]، لغزارة علمه

---

[1] **المدرسة المتوكلية**: وتسمى أيضا البوعنانية نسبة لمؤسسها السلطان "أبو عنان"، الذي بناها برسم "أبو عبد الله محمد المقّري"، ونصبّه فيها لتدريس "صحيح مسلم" تمتاز بروعة فائقة سعة وجمالا على حد تعبير "الحسن الوزان"، وهي تعد ختاما لسلسلة المدارس العظمى التي أنشأها بنو مرين، حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص215، ص ص225-226، محمد المنوني، ورقات، ص51.

[2] محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص337.

[3] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص ص281-282، عبد القادر زمامة، المقري الجد، ص99.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 191، ص226، التنبكتي، المصدر السابق، ص426، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص281، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص96.

[5] ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص202، الشاطبي، الإفادات والإشادات، ص22، ابراهيم التازي، المرجع السابق، ج2، ص386.

[6] **المدرسة النصرية**: هي أول مدرسة أقيمت بغرناطة، وتعرف بالمدرسة اليوسفية نسبة إلى مؤسسها السلطان "أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل ابن يوسف النصري" (733هـ-755هـ/1332-1354م) الذي أمر ببنائها، وقد وفّر لها النصريون كل مقوّمات المدرسة الجامعة، فعدّت من أكبر مراكز العلم في الغرب الإسلامي، ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص109، الإحاطة، ج1، ص ص508-509، رشيد العفاقي، **تاريخ المدرسة النصرية بغرناطة**، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، بيروت- لبنان، 2015، ص13 وما بعدها.

[7] محمد الشريف، تاريخ المغرب المريني، ص134.

وحسن أسلوبه وطريقة حواره في إيصال المعلومات إلى الطلبة، فكان له الفضل في أن أخذ عليه كبار العلماء.

فما تحسن الإشارة إليه أن الشيخ "**أبا عبد الله محمد المقّري**" قد تميز في طريقة تدريسه بحسن الأسلوب واستعماله طريقة الحوار والمناقشة في إيصال المعلومات إلى الطلبة، حيث اتبع أسلوب الشرح والإملاء في إلقاء درسه، ولا شك أنّ هذا الأسلوب المتبع في حلقته إلى ما تميز به من غزارة الحفظ وسعة الاطّلاع، فقد كان جامعا لمختلف العلوم[1]، وإلى ما عُرف عنه من أصالة في الرأي والمباحثة، وقُدْرَةٍ على استحضار الأقوال وتعليلها وترجيحها والاستدراك عليها[2]، وقد احتفظ لنا بعض من تحلّق من الأندلسيين في غرناطة بتقييدات تصور لنا طريقته هذه، على حد ما نجده عند تلميذه "**الشاطبي**"، فقد أفادنا بأنّه كان يطرح الأسئلة على طلبته في إلقاء دروسه عليهم، لاختبار معلوماتهم وإثارة التشوق فيهم إلى المعرفة، فإن لم يهتدي الطالب إلى الجواب الصحيح تدّخل لبيان وجه الصواب في المسألة، وذلك في مواضيع مختلفة[3].

فمن الواضح أنّ "**أبا عبد الله محمد المقّري**" حاول التجديد في طريقة التعليم، متأسيا في ذلك بشيوخه الّذين أخذ عنهم في مختلف الحواضر العلمية بالعالم الإسلامي، لاسيما وأنّه أخذ العلم عن جهابذة العلماء بهذه الحواضر مشرقا ومغربا، فيظهر هنا أثر هؤلاء الشيوخ في تكوين الشخصية العلمية لـ "**أبي عبد الله محمد المقري**" أمثال "**ابني الإمام**" و"**أبي علي ناصر الدين المشذالي**" و"**الآبلي**"[4] وغيرهم، كما كان لنقده البناء دور في تفعيل العلوم وتجديدها،

---

[1] النباهي، المصدر السابق، ص169، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص194-195، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص420، السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص24.

[2] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص203، النباهي، المصدر السابق، ص169، محمد الشريف، المرجع السابق، ص134.

[3] الشاطبي، المصدر السابق، ص ص130-131، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص282، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص ص96-97.

[4] حول طريقة الآبلي في التدريس **ينظر**: سيدي محمد نقادي، **محمد بن إبراهيم الآبلي ودوره العلمي والتربوي**، مجلة الإنسان والمجتمع، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، ع1، جوان 2011، ص ص123-125.

حيث قعّد في أنّ كثرة الاختصارات المؤّلفة في العلوم مخلّة بالتعليم[1]، وهو في ذلك ينحو منحى شيخه "**الآبلي**"[2].

هذا، ونظرا للمكانة والكفاءة العلمية التي تميز بها "**أبو عبد الله محمد المقّري**" إلى جانب طريقته الخاصة في التعليم، أقبل عليه الكثير من طلبة العلم ذوي المستوى الرفيع والتفوا حول حلقات دروسه في مختلف المؤسسات التعليمية التي درّس فيها، سواء في تلمسان أو في غيرها من الحواضر التي زارها كفاس وغرناطة، للاستفادة من غزارة علومه المتعددة، فملأ بلاد المغرب علوم ومعارف وتتلمذ على يده عدد وافر من الطلبة والعلماء الذين كان لهم دور كبير في خدمة العلم وإسهامات جليلة في العلوم الإسلامية، إذ يقول في هذا حفيده "**أبو العباس المقّري**": «**وقد أخذ عنه رحمه الله تعالى جماعة أعلام مشهورين**»[3]، وعلى العموم كان من أبرزهم:

- **لسان الدين بن الخطيب:**

ولد بمدينة لوشة[4] سنة(713هـ/1313م)، نشأ بغرناطة في بيت علم ودرس بها على يد "**ابن الفخار**" و"**ابن جابر الوادي أشي**" و "**أبي الحسن القيجاطي**" و"**أبي القاسم بن جزي**" و"**ابن الجياب**"، و"**ابن مرزوق الجد**" و"**أبي عبد الله المقّري**" الذي أفرد له ترجمة خاصة في مؤلفه "**الإحاطة**"[5]، وقد أخذ عنه بالمسجد الجامع بغرناطة في حدود سنة(757هـ/1356م)[6]، عينّه السلطان "**أبو الحجاج**"[7] في منصب كاتب، ثم ولاه الوزارة، وبقي مع السلطان **الغني بالله** على هذين المنصبين حتى لقب بذي الوزارتين الكتابة والوزارة، له مشاركة في العديد من العلوم كالأدب

---

[1] إن ظاهرة انتشار المختصرات والموجز ظهرت في بلاد المشرق بكثرة المؤلفات الفقهية وغيرها، فالتزم الفقهاء بالاختصار وتوسعوا في تصنيف المتون والحواشي والمختصرات التي يحفظها الطالب عن ظهر قلب، فيها من الإيجاز ما يخل بالمعاني ويزيدها غموضا، عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص381، ألفرد بل، الفرق الإسلامية، ص361.

[2] **ينظر**: ص202 من هذا الفصل.

[3] أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص340.

[4] **لوشة(loja)**: مدينة أندلسية على نهر سنجل غرب غرناطة بنحو100كلم وجنوب غرناطة بنحو60كلم، الحموي، معجم البلدان، ج5، ص26.

[5] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 136.

[6] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص196، الشاطبي، الإفادات والانشادات، ص126.

[7] **أبو الحجاج يوسف**: هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف ابن نصر الأنصاري الخزرجي أمير المسلمين بالأندلس، يكنّى أبا الحجاج، تولى الملك بعد وفاة أخيه عام(733هـ/ 1332م) إلى غاية (755هـ/1354م)، ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ص102-109.

والتاريخ والتراجم وغيرها، أشهر مصنفاته "كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة" و"الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة" و"ريحانة الكتاب" و"كناسة الدكان" وغيرها، توفي مقتولا بفاس سنة(776هـ/1374م)[1]، و قد شاركه ابنه "**أبو الحسن علي** " في الأخذ عن "**المقّري**"[2].

- **أبو عبد الله بن زمرك:**

هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي أبو عبد الله الغرناطي المعروف بابن الزمرك ولد سنة (733هـ/1332م) بغرناطة ونشأ بها، وهو من مفاخرها، طلب العلم عن مشايخها مثل "**ابن الفخار**" و"**لسان الدين ابن الخطيب**" و"**أبي عبد الله المقّري**" حيث قال التنبكتي فيه: «**وانتفع بالقاضي المقّري**»[3]، وأخذ أيضا عن "**الشريف السبتي**" و"**الشريف التلمساني**"، له نزعة صوفية، تولى الكتابة ثم الوزارة عن ابن الأحمر بعد ابن الخطيب، توفي بعد سنة(795هـ/1393م)[4].

- **إبراهيم بن موسى الشاطبي:**

هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق، من أئمة المالكية بالأندلس، أخذ عن علماء غرناطة وعلماء المغرب ومنهم "**ابن الفخار**" و"**أبي عبد الله البلنسي**" و"**أبي القاسم الشريف السبتي**" و"**ابن لب**" و"**ابن مرزوق**" وغيرهم، وأخذ عن "**أبي عبد الله محمد المقّري**" عند وفوده غرناطة، فكان يحضر دروسه بالجامع الأعظم، وسمع عليه من مؤلفاته جميع كتاب "الحقائق والرقائق" و"تكميل التعقيب" وهو من تأليفه وبعض "لمحة العارض تكملة ألفية ابن الفارض" من نظمه وبعض "اختصاره لجمل الخونجي" و"تمهيد القواعد" له أيضا[5]، وله تآليف عدة منها "الموافقات" في الأصول و"الاعتصام" و"الإفادات والإنشادات" وله شرح جليل على "ألفية

---

[1] التنبكتي، المصدر السابق، ص ص445-446، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص230، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص340، الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص 281، الزركلي، الأعلام، ج7، ص 112.

[2] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص339.

[3] التنبكتي، كفاية المحتاج، ص375.

[4] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص478، أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج2، ص7، ابن خلدون، التعريف، ص274، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص300، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص230، الزركلي، الأعلام، ج7، ص154.

[5] المجاري، المصدر السابق، ص120.

ابن مالك" وكتاب عنوانه "الإتقان في علم الاشتقاق" وغيرها، توفي بغرناطة عام (790هـ/1388م)[1].

- **أبو عبد الله محمد بن علي بن علاق:**

الغرناطي الأندلسي من حفاظ غرناطة ومفتيها ومحدثيها وإمامها وقاضي الجماعة بها، أخذ عن "**ابن لب**" و"**ابن مرزوق**"، وأخذ عنه" **المنتوري**" و"**ابن سراج**" و"**أبو بكر بن عاصم**"، واستفاد من الشيخ "**المقّري**" بغرناطة، له شرح على "مختصر ابن الفرعي"، وشرح على "فرائط ابن الشاط"[2]، وله فتاوى نقل بعضها "**الونشرسي**" في كتاب" **المعيار**"، توفي سنة 806هـ/1403م[3] .

- **أبو عبد الله محمد بن سعيد بن لب بن بقي:**

من علماء غرناطة، كان خطيبا أستاذا متخلقا ورواية، روى عن "**أبي عبد الله محمد المقّري**" كل مؤلفاته، وقد ساق سندها بهذه الرواية بعض العلماء والأندلسيين والمغاربة في إثباتهم، أخذ عنه أعلام من أهل الأندلس، ومنهم "**المنتوري**" صهره و"**أبو عبد الله المجاري**"، كان مولده عام(722هـ/1322م) وتوفي في سنة(791هـ/1388م)[4].

- **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم النفزي الرندي:**

المعروف بابن العباد، شيخ العلماء والزهاد و إمام الصلحاء، أخذ عن والده "**أبي الحسن الرندي**" و"**أبي عمران العبدوسي**" و"**الشريف التلمساني**" والإمام "**أبي عبد الله محمد المقّري**" الذي أخذ عنه كثيرا من "مختصر ابن الحاجب الفرعي" و"فصيح ثعلب" وبعض "صحيح مسلم" على وجه التفقه، غير أنّ المصادر لم تشر إن كان قد أخذ عنه بغرناطة أم بعد ارتحاله إلى فاس بعد سنة (756هـ/1355م)، كان خطيب وإمام جامع القرويين بفاس، ألّف "الرسائل الكبرى والصغرى" و"شرح الحكم" في نظم طويل، كان مولده عام(733هـ/1332م)،

---

[1] التنبكتي، المصدر السابق، ص48، المجاري، المصدر السابق، ص116، الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، 199، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص231، الزركلي، المصدر السابق، ج1، ص71.

[2] **ابن الشاط**: هو أبو القاسم قاسم عبد الله بن محمدا لأنصاري السبتي، له تأليف منها "تحفة الرائض في علم الفرائض"، ولد سنة (643هـ/1245م) وتوفي سنة (723هـ/1226م)، ابن فرحون، الديباج، ص342، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص217.

[3] المجاري، المصدر السابق، ص122، ابن مخلوف، المرجع نفسه، ص247.

[4] الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص683، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص460 .

توفي سنة(792هـ/1390م)[1]، قال فيه "**أحمد المقّري**" الحفيد: «**إنّه ممن يفتخر مولاي الجدّ رحمه الله تعالى بكون مثله تلميذاً له**»[2].

- **أبو عبد الله محمد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي:**

البرنسي، الزموري الدار شهر بأنقشابو، الفقيه، القاضي المحدث المفتي المدرس، الرحلة، أخذ عن "أبي حيان" والقاضي "**ابن عبد الرزاق الجز ولي**" و"**المجاصي**" والإمام "**أبي عبد الله محمد المقّري**" وغيرهم، له تآليف كشرح "ابن الحاجب الفرعي" سماه "معتمد الناجب في إيضاح منهمات ابن الحاجب"[3].

- **أبو عبد الله محمد القيجاطي:**

أحد مشاهير علماء غرناطة، أخذ عن علمائها منهم "**ابن الفخار**" و"**أبي سعيد فرج بن لب**" و"**ابن مرزوق**" و"**أبي عبد الله محمد المقّري**"، وكان له التحصيل الكبير في مختلف العلوم، وقد برز في علم القراءات حتى قال عنه "**المقّري الحفيد**": «**الأستاذ العلاّمة الآية في علم القراءات**»[4]، توفي سنة 811هـ/1408م[5].

- **عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي:**

حافظ، متبحر في سائر العلوم، مؤرخ، رحل إلى المغرب والأندلس، والتقى "**بأبي عبد الله محمد المقّري**" فأخذ عنه ونوّه به فقال: «**كبير علماء المغرب**»[6]، تولى القضاء بالقاهرة وحلب وتولى كتابة العلامة عن السلطان "**أبي عنان**"، ترجم لنفسه ولسلفه في كتابه "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا"، لخص محصل الرازي وألف في الحساب والفقه وأشهر مؤلفاته "العبر" و"المقدمة"، ولد بتونس سنة 732هـ/1331م، وتوفي بالقاهرة سنة 808هـ/1405م[7].

---

[1] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص403، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص341-342، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص ص238-239.

[2] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص341.

[3] التنكتي، نيل الابتهاج، ص457.

[4] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص340.

[5] التنكتي، المصدر السابق، ص282، المحاري، المصدر السابق، ص92، ابن القاضي، درة الحجال، ص478.

[6] ابن خلدون، التعريف، ص61.

[7] المحاري، المصدر السابق، ص 150، السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص462، السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص145، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص228، الزركلي، الأعلام، ج4، ص106، رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص188.

2. أبو عثمان سعيد المقّري:

انتصب "**أبو عثمان سعيد المقّري**" للإقراء والتدريس بتلمسان، أين تولى التدريس بجامعها الأعظم[1]، وذلك في الوقت الذي عرفت فيه المدينة تراجع ثقافي كبير نتيجة هجرة علمائها إلى المشرق والمغرب، فما إذا وجدنا عالما من أسرة عريقة مثل أسرة "**المقّري**" يظل مدّرسا بها على ذلك العهد أكثر من خمسة وأربعين سنة، فإنّه يعتبر بحق من النوادر.

تمكن "**أبو عثمان سعيد المقّري**" من افتكاك منزلة رفيعة بين علماء تلمسان في ميدان التعليم، خاصة وأنّه كان وافر العلم غزيره، ملّمًا جامعا للعلوم العقلية والنقلية، إذ كان بارعا في النحو والتوحيد والفقه والحديث واللغة العربية والمنطق والأصول، كما كان يحفظ أشعار العرب وأيامهم وأمثالهم، ويهتم بالتاريخ والسير، والحساب والفرائض والمنطق والهندسة والتنجيم والفلاحة وأمور البناء[2]، إلى جانب ذلك كان مولعا بعلم الطب وعلم الجراحة والتشريح[3] وغيرها من العلوم العقلية، لكن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان ويبقى مطروح هل كان يمارس الطب والجراحة؟ أم كان يدرسهما نظريا؟

فضلا عن ذلك فقد كان مطّلعا على أمهات الكتب والشروح والحواشي، ناهيك عن اتّصافه بصحة الرواية وعلّو الإسناد واتصال السماع خاصة في علوم الحديث[4]، فكثيرا ما عدّد تلميذه وابن أخيه "**أبا العباس أحمد المقّري**" طرق روايته في جميع ما ألّف وكتب، اعترافا له بعلمه وثقته من ذلك قوله: "**وتتصل روايتي عن الإمام أبي حيان من طرق عديدة منها عن عمي شيخ الإسلام ...سيدي سعيد بن أحمد المقّري عن شيخه العالم أبي عبد الله التنسي ثم التلمساني الأموي، عن عالم الدنيا أبي عبد الله مرزوق، من جد الخطيب سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق، عن الأثير أبي حيان بكل مروياته**"[5].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص384.

[2] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، ص166.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص385، مصطفى خياطي، **الطب والأطباء في تلمسان**، مجلة الوعي، ع (3-4)، أفريل – ماي، 2011، ص82.

[4] هي صفات تساهم في شهرة بعض الشيوخ، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص351.

[5] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج3، ص331.

وما تحسن الإشارة إليه أنّ "**أبو عثمان سعيد المقّري**" كان متفننا في تعليم هذه العلوم، يعرف كيف يشدّ انتباه طلبته ليصل بهم إلى التحصيل العلمي، إذ شكّل التعليم أعظم اهتماماته وفرط عنايته، وعلى ما يمكن أن يلتمح من أنّه لازم بلده تلمسان بعد أوان الطلب، فلم يسجل له حضور مشهود خارجها.

ومهما يكن من أمر فقد قصده طلبة العلم بتلمسان رغبة في تحصيل ما ينتحل من علوم ومعارف أو اجتازوه فيما أسند له من رواية، فبثّ نتيجة ذلك العلم وملأ به بلده، فمما لاشك فيه أنّ بقاء "**أبي عثمان سعيد المقّري**" مدة طويلة في التدريس قد ساهم في صناعة النخب التلمسانية، حيث تخرج على يديه مجموعة من التلاميذ الذين أصبحوا بدورهم أساتذة ومؤلفين ومتصوفين، وهذا في فترة عرفت فيها تلمسان هجرة علمائها وغارات الأجانب عليها وعدم الاستقرار السياسي فيها[1]، فإنّ وجود أمثال "**أبي عثمان سعيد المقّري**" في ذلك الوقت يعتبر في حد ذاته ظاهرة ايجابية، ومن بين أهم تلامذته نذكر:

- **أبو العباس أحمد المقّري:**

أخذ عنه الفقه والحديث وقرأ عليه في جملة ما قرأ "صحيح البخاري" سبع مرات، وروى عنه الكتب الستة بسنده، فمن المؤكد أنّ "**أبا العباس أحمد المقّري**" قد حصل على جميع العلوم التي نبغ وبرز فيها عن عمه "**أبي عثمان سعيد المقّري**"، لاسيما وأنّه قد وجد فيه ذكاء حادا وفهما وحافظة نادرة[2]، ولعل ما يوضح لنا جانبا من ذلك اعجاب "**أبي العباس أحمد ابن القاضي**" برسوخه في العلم وسعة فكره، حيث كتب إلى عمّه "**أبي عثمان سعيد المقّري**" قصيدة يشكره يها على إتحاف أهل فاس بهذه الدرة الفريدة مما جاء فيها:

أرسلت للمغرب القصي بدرة قد أبهرت وغلت له الأسوام

جمع العلوم على حداثة سنّه قد بارك الله به العـــــلام[3].

والجدير بالتنويه أنّ "**أبا العباس المقّري**" قد أشاد بفضل عمّه وأقّر بجميله في جميع ما ألّف وكتب.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص ص386- 387.

[2] أحمد المقري، رسائل المقري، ص103.

[3] أحمد المقّري، روضة الآس، ص 270.

- **أبو العباس أحمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي:**

الامام العالم الجليل المفضال المتفنن المؤرخ الرحال، أخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب منهم والده و"**أحمد بابا**" و"**السراج**" و"**المنجور**"[1]، وعنه جماعة منهم "**ابن عاشر**" و"**ميارة**" و"**أبو العباس المقّري**"، ألّف ثمانية عشر تأليفا منها "درة الحجال في أسماء الرجال" و"غنية الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض"، و"جذوة الاقتباس فيمن حلّ من الأعلام بفاس" وغيرها، كانت وفاته سنة (1025هـ)[2].

- **أبو عثمان سعيد بن ابراهيم قدورة:**

صاحب الفضائل المشهورة التونسي الأصل والدر الجزائري المولد والقرار ومفتيها وعالمها وصالحها الفقيه المتصوف العلامة القدوة المتفنن الفهامة العمدة، أخذ عن "**سعيد المقّري**" و"**محمد بن القاسم المطماطي**" وغيرهم، وأخذ عنه جماعة منهم ابنه "**محمد**" و"**عيسى الثعالبي**" و"**يحي الشاوي**" و"**محمد بن اسماعيل**" مفتي الجزائر، له تآليف منها "شرح الصغرى" وشرح خطبة اللقاني" و"شرح السلم"، توفي سنة (1022هـ)[3].

- **أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن أبي مريم الشريف:**

المليتى المديوني التلمساني الفقيه العالم الشيخ الصالح المؤرخ الاديب الكامل أخذ عن الشيخ "**سعيد المقري**" وغيره، ألف كتاب "البستان في علماء تلمسان" الذي فرغ منه سنة (1014هـ)، وقد ذكر فيه مشايخه والتآليف التي ألّفها وهي أحد عشر تأليفا منها "غنية المريد شرح لمسائل أبي الوليد" و"تحفة الأبرار في الوظائف والأذكار" و"كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة التوحيد" و"شرح المرادية للتازي"[4].

---

[1] **المنجور**: أحمد بن علي بن عبد الله الفاسي، فقيه، عالم متفنن، ولد سنة (926هـ) بفاس وأخذ عن علمائها، خدم العلم وصار شيخ الجماعة بفاس، له شرح المنهج المنتخب في فقه المالكية يعرف بشرح المنجور، وشرحان على قصيدة بن زكري في علم الكلام، توفي بفاس سنة (995هـ)، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص143، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص287، الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص180، عبد المنعم القاسمي، ص ص115-116.

[2] ابن مخلوف، المرجع السابق، ص297.

[3] ابن مخلوف، المرجع نفسه، ص309.

[4] ابن مخلوف، المرجع نفسه، ص296.

إضافة إلى هؤلاء أخذ عنه "**محمد العشوي الندرومي**" و"**عيسى البطيوي**" و"**محمد الشمور**" و"**أحمد بن أبي مدين**" و"**أحمد بن رقية المديوني**" و"**محمد بن قاسم الحويل**" و"**الحاج بن بن قاسم العبادي**"[1]، و"**محمد بن عبد الرحمن**" المعروف "**بابن جلال المغراوي التلمساني**" و"**اليزناسي**"[2].

2. الإجازات العلمية لعلماء الأسرة المقّرية:

شكّلت الإجازة ضرورة علمية في الأوساط العلمية بحواضر بلاد المغرب الإسلامي منها حاضرة تلمسان، بحيث يضمن الأستاذ والمدّرس انتشار علمه سليما صحيحا خاليا من التحريف، والأمر نفسه بالنسبة للمتعلم الذي يسعى إلى أن يصبح من العلماء المشهورين، أين كان يحرص عليها لينال بها علما مضبوطا لاشك في نسبته إلى صاحبه[3].

فقد كانت الإجازة العلمية تمنح للطالب بعد بحث مستفيض ودراسة معمقة تتويجا لمجهوده الدراسي[4]، إذ يمكن اعتبارها رخصة كتابية أو شهادة علمية تثبت رسوخ أقدامه في علم من العلوم أو تضّلعه في كتاب من الكتب، وبالتالي تسمح له بممارسة أو القيام مكان الشيخ والمدرس بالتدريس باسمه أو التدريس من كتاب معين أو حتى لجميع المواد التي كان الطالب يدرسها، فهي إذن شخصي من طرف الشيخ وتفويض منه إلى الطالب في التدريس أو الفتيا[5]، أو في التحديث عنه واسناد ما له من رواية[6].

---

[1] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، ص166.

[2] لم نعثر على ترجمة لهؤلاء الأعلام.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص20، محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص71.

[4] محمد المنوني، ورقات، ص279، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص355، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص273.

[5] عبد الجليل قريان، المرجع نفسه، ص273، فوزية لزغم، **الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، 1518-1830**، دار سنجاق الدين للكتاب، (ب م)، 2009، ص18، روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص379، محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص71.

[6] وفيها يبيح المجيز للمجاز حق الرواية عنه من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأه عليه، فيؤدي عنه – بموجب ذلك الإذن- في أي علم من العلوم، وهي لا تتطلب امتحان مسبق، ويكتفي الشيخ بما يعرفه عن المجاز، محمد المنوني، المرجع السابق، ص279، عبد الله المرابط الترغي، المرجع السابق، ص70، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص356، فوزية لزغم، المرجع السابق، ص20.

هذا، ولمّا كان الشيوخ "**المقّريين**" من كبار العلماء، إذ يمكن إدراجهم ضمن فئة الأعلام العلماء المدّرسين بقيمتهم العلمية ومدى إسهامهم في نشر العلوم والمعارف، فقد كان طلبة العلم يستجيزونهم ويسعون لذلك دائبين، وفي المقابل فإنّهم كانوا يمنحون تلامذتهم في مختلف الحواضر الإسلامية ببلاد المغرب والمشرق التي حلّوا بها مدّرسين، الاجازات عنهم وخاصة في رواية الحديث، وذلك بعد معاينتهم واختبار قدراتهم العلمية، من ذلك إجازة الشيخ "**أبي عبد الله محمد المقّري**" لتلميذه "**أبي إسحاق ابراهيم الشاطبي**"، بحيث أجازه بجميع "ثلاثيات البخاري"[1] وأيضا "صحيح البخاري" و"الترمذي" و"النسائي"[2] و"موطأ الإمام مالك" و"الأحكام الصغرى" لـ"**عبد الحق**" في الحديث و"الشفا" لـ"**عياض**" و"شهاب القضاعي"[3] و"تيسير أبي عمروا الداني" و"الشاطبية" و"علوم الحديث" لـ"**ابن صلاح**"[4]، و"ابن الحاجب الأصلي" و"تسهيل ابن مالك"، و"الجزولية"[5] و"جمل الزجاجي"[6].

ونظرا لمكانة ومنزلة "**أبي عثمان سعيد المقّري**" عند المغاربة، فقد كتب إليه تلميذه "**أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي**" الشهير "**بابن القاضي**"، يستدعيه إجازة، فكان مما ورد في نص الخطاب: "... **وبعد فيطلب العبد الضعيف الوجل من ذنبه المختشى، من السيد الكامل أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري القرشي، الذي ملك أزمة العلوم، وحاز قصب**

---

[1] **ثلاثيات البخاري**: هي الأحاديث التي تكون متصلة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاثة رواة، وتنحصر الثلاثيات في صحيح البخاري، في اثني وعشرين حديثا، ابن مخلوف، المرجع السابق، ص489.

[2] **النسائي**: هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر، ينسب إلى نسأ، إحدى مدن خرسان، توفي بالرملة سنة303هـ، ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2 ، ص239.

[3] "**شهاب القضاعي**": كتاب" الشهاب في المواعظ والآداب" وصاحبه أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون، مؤرخ، مفسر، شافعي، تولى القضاء بمصر، وتوفي بها سنة545 هـ، من تأليفه "تفسير القرآن" و"الأنباء عن الأنبياء" و"تواريخ الخلفاء" وغيرها، السيوطي، حسن المحاضرة، ج1 ، ص403-555، المجاري، المصدر السابق، ص120.

[4] **ابن صلاح**: هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمان الشهر زوري، ولد سنة 577هـ، سمع من علماء الموصل وبغداد ونيسابور ودمشق، صنف وأفتى ونشر العلم وتخرج به كثيرون، و من مؤلفاته "طبقات الشافعية" و"الأمالي" وغيرها، توفي سنة643هـ، المجاري، المصدر السابق، ص113، ابن عماد، شذرات الذهب، ج5، ص221، الزركلي، الأعلام، ج4، ص 369.

[5] **الجزولية**: المقدمة الجزولية من المختصرات النحوية، وهي "لابن أبي الربيع الإشبيلي" (ت688هـ/1289م)، نزيل سبتة، يعتبر آخر أيمة المقرئين لكتاب سيبويه العارفين بغوامضه، وله اهتمام خاص بكتابي الجمل والإيضاح، ينظر عنه: محمد المنوني، ورقات، ص265، ص314.

[6] المجاري، المصدر السابق، ص121.

السبق في المنثور والمنظوم، أن يتفضل عليه بالإجازة العامة، الجامعة التامة، فيما لسيدنا من مروى ومقروء ومجاز ومسموع، وأن يتفضل بذكر مشيخته الأعلام من حماة الدين لأهل الإسلام..."[1].

كما أنشد له في ذلك نظمًا يتكون من ستة عشر بيتا، مما جاء فيه:

ولّما نأيتُم ولم أستطع أَسِيَر لحضرتكم بالقِـدَم

سَعَيْتُ إِلَيْكُم برجل الرسول وخَاطَبْتُكُم بلسان القلَمِ[2].

فنظّم له "**أبو عثمان سعيد المقّري**" إجازة أباح له فيها رواية مروياته في عشرين بيتا، لم تخلوا من التواضع المعتاد لدى العلماء[3]، جاء في مطلعها:

إلا مرحبا مثلما المسك نم وأهلا وسهلا كقطر الديم

وبشرا كنيل الغنا للعديم وكالبرء بعد الضنا والسقـــم

سليل ابن عافية أحمد رئيس العلوم ومبدي الحكم[4].

ثم يقول "**أبو عثمان سعيد المقّري**" مجيزاً إياه:

ولكن أجزتكم مكرها ولا بطل بل لأمر مهم

بما صح عنا وجاز لنا رواية كل بشرط متم

فسوف يجيئك رسم بذاك إلى أرض فاس وقيت الألم[5].

فمما يلاحظ أنّه أجازه إجازة عامة بناء على طلبه، ولكنّه لم يلّب رغبته بذكر شيوخه، وبإجازته بالحديث المسلسل بالأولية.

---

[1] أحمد المقّري، روضة الآس العاطرة الأنفاس، ص ص167-168، **ينظر**: الملحق رقم08، ص327.

[2] أحمد المقّري، روضة الآس، ص267.

[3] أحمد المقّري، المصدر نفسه ص ص268-269، فوزية لزغم، الإجازات العلمية، ص181، **ينظر**: الملحق رقم 09، ص328.

[4] أحمد المقّري، المصدر السابق، ص ص268- 269.

[5] أحمد المقّري، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

كما أشار "**أبو العباس أحمد المقّري**" إلى أنّ الشيخ "**أحمد ابن أبي القاسم التادلي**"[1]، أكدّ عليه أن يستجيز له عمّه "**أبا عثمان سعيد المقّري**" لحرصه على أنواع العلوم، والحصول على إجازة لرواية مرويات عالم محدث جليل القدر كالشيخ "**أبي عثمان سعيد المقّري**"، لكن ما تحسن الإشارة إليه أنّ "**أبا العباس أحمد المقّري**" لم يذكر شيئا عن نص طلب هذه الإجازة، كما أنّه لم يذكر شيئا عن إجازة عمّه لـ "**أبي القاسم التادلي**"، الأمر الذي جعل الباحثة "**لزغم فوزية**" ترجح بأن تكون هذه الإجازة إجازة بالرواية لأنّ الغرض منها الحفاظ على اتصال سند المرويات وليس إبراز المستوى العلمي للمجاز، على اعتبار أنّ "**أبا القاسم التادلي**" قريب السّن من "**أبي عثمان سعيد المقّري**" فضلا عن أنّه شاركه في الأخذ عن شيوخه[2].

3.خزانة الأسرة المقّرية:

أسلفنا الحديث عن المكتبات بتلمسان، ومنها المكتبات الخاصة التي كان يملكها العلماء والفقهاء في دورهم، لاسيما الأسر وبيوت العلم ذات الشهرة بتلمسان، أين كان لهم اهتمام واسع في جمع الكتب العلمية وترتيبها في خزائن داخل البيوت نتيجة صدى العملية التعليمية في المجتمع[3]، كسبيل للمحافظة عليها من جهة، وإسهاما في تشجيع عملية القراءة من جهة ثانية.

وتجسيدا لهذه القناعة كان العلماء أشدّ الناس حرصا على تكوين مكتبات خاصة في بيوتهم، تجمع في رفوفها مختلف العلوم النقلية وسائر الفنون، والأسرة **المقّرية** عندما احتضنت "**أبا عبد الله محمد المقّري**" كانت وارثة في جملة ما ورثت "**خزانة كبيرة من الكتب**"، والتي ساهمت بشكل فعال في تكوينه العلمي[4]، حيث أشاد هو بنفسه عن ذلك عندما تحدث عما لأجداده من ثراء مالي فقال: "**ها أنا ذا لم أدرك في ذلك إلا أثر نعمة.....ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب، وأسباب كثيرة تعين على الطلب** ..."[5]، الأمر الذي يؤكد أنّ خزانة الكتب كانت في سلفه.

---

[1] **أحمد التادلي**: هو أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي، صاحب زاوية الصومعة بتادلا، له مشاركة في العلوم والمعرفة بالتصوف، محمد حجي، **موسوعة أعلام المغرب**، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1996، ص ص1137-1138.

[2] فوزية لزغم، المرجع السابق، ص182.

[3] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص136.

[4] محمد أبو الأجفان، المرجع السابق، ص62، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص136.

[5] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص194، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص458.

كما يبرز لنا هذا النص أنّها كانت تحتوي على مجموعات كبيرة من الكتب في العلوم المختلفة، ومن دون شك أنّها ساهمت بدورها كوسيلة في نشر العلم وتوسيع أفاق المعرفة لدى الطلبة والباحثين وتثقيف المجتمع بمختلف شرائحه بتلمسان خلال العهد الزياني، وربما تكون أيضا قد ساهمت في تمتين العلاقة بينهم وبين علماء عصرهم من جهة، والطلبة من جهة ثانية، خاصة منهم الذين أعوزهم الفقر والحاجة على الشراء والاقتناء، الأمر الذي يوضح لنا أنّ هذه العلاقة لا تنطوي على أبعاد علمية فحسب، وإنّما تعكس لنا أيضا طبيعة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تأثرت بها فئة العلماء والطلبة، لاسيما في فترات غلاء أسعار الكتب أو ندرة بعضها، مما سمح بظهور تعاملات جديدة مثل أسلوب الإعارة بغرض النسخ أو القراءة[1].

ولاشك أيضا أنّها ساهمت في تمتين أواصر العلاقة بين علماء الأسرة **المقّرية** والوراقين، لاسيما وأنّ طبوغرافية تلمسان ساعدت على ذلك، حيث ازدهر فن النسخ خاصة نسخ المصاحف والكتب النفيسة القديمة وكتب الصحاح[2].

ومهما يكن من أمر، فإنّه زيادة على الدروس التي كان يلقيها العلماء المقّريين على من يجلس إليهم للأخذ عنهم وإجازتهم التي أجازوا بها تلامذتهم، ترك لنا علماء الأسرة **المقّرية** مجموعة من المصنفات في مختلف الفنون، هذا ما سنتطرق له لإعطاء صورة واضحة عن اهتمامات علماء الأسرة تدوينا وتأليفا.

---

[1] أحمد صديقي، **النخبة العالمة بين الدولة والمجتمع بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط**، ضمن كتاب النخبة في تاريخ الغرب الإسلامي ضوابط المفهوم وتجليات الأدوار، تنسيق وتقديم محمد البركة، مطبعة آنفو-برانت، ط1، فاس، 2015، ص121.

[2] فقد اشتهر من علماء تلمسان في ذلك "أبو عبد الله ابن مرزوق الجد" الذي امتلك حانوتا بالقيسارية لنسخ الكتب، ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص148، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص336، عبد الرحمن بلعرج، المرجع السابق، ص165.

ثانيا: علماء الأسرة المقّرية ونتاجهم الفكري:

مما لاشك فيه أنّه كان من أبرز مظاهر تطور الحركة العلمية بتلمسان خلال العهد الزياني إقبال علماء تلمسان على التأليف في ميادين مختلفة[1]، فكان من الطبيعي أن يشارك علماء الأسرة "**المقّرية**" أقرانهم من العلماء في إثراء المكتبة الإسلامية[2] -رغم ما شاب حركة التأليف في العهد الزياني من كثرة التآليف الرديئة-[3]، فقد ذاعت لبعض أفرادها شهرة واسعة في مجال الكتابة والتأليف بالنظر إلى ما وضعوه من مؤلفات متنوعة[4]، وعلى الرغم من أنّ تراثهم الفكري هذا قد تم تحقيق البعض منه، إلا أنّ أغلبه يبقى في عداد التراث الضائع، ولكن مع ذلك يمكن له أن يعطينا فكرة واضحة عن ذلك الإرث الحضاري الذي خلفّه علماء هذه الأسرة العلمية، والذي يعكس لنا باعهم الطويل في ميادين علمية شتى.

وقبل التطرق إلى أهم ما خلّفه علماء الأسرة **المقّرية** من نتاج فكري، حرّي بنا التنويه بملاحظات جديرة بالتوضيح حول مشاركتهم ومدى مساهمتهم في ميدان الكتابة والتدوين، إذ أهم ما نلمسه في ذلك هو تباين مساهمتهم في التأليف، فمن مجموع أربعة علماء من الأسرة عاشوا في الفترة الممتدة من القرن 07هـ/13م إلى القرن 16/10م نجد أنّ مشاركتهم في التأليف قد انحصرت في عالمين فقط، وهما "**أبو عبد الله محمد المقّري**"، الذي ألف حوالي 22 مؤلفا ما نسبته 95,65% من مجموع مؤلفات الأسرة، والتي وصفها حفيده في "**أزهار الرياض**" بقوله: «**التصانيف الشهيرة التي اقتادت المحاسن بزمام**»[5]، وأثبت عناوينها في "**نفح الطيب**"، كما جاء ذكر بعضها كذلك في مصادر أخرى، ويرى "**ابن عاشور**" أنّ تصنيف "**أبي عبد الله محمد المقّري**" لمؤلفاته كان في المرحلة الأخيرة من حياته، بحيث يقول: «**في هذه الحقبة التي بين**

---

[1] عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج3، ص493، محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، ص68.

[2] رصد عبد الجليل قريان في دراسته 327 مؤلفا لعلماء تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص ص297- 305، وذكر نبيل شريخي في دراسته أنّ عدد علماء تلمسان الذين ساهموا في التأليف هو 26 عالما بنسبة 38% من مجموع العلماء الذين عاشوا في القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م)، المرجع السابق، ص223.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص ص479-480، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص ص275-276.

[4] **ينظر**: الملحق رقم 16، ص336.

[5] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج1، ص5.

خروج المقّري من تلمسان حيا سنة (749هـ/1349م) ورجوعه إليها ميتا سنة (759هـ/1359م)، كان إنتاج المقّري وأثاره النافعة الذائعة التي كانت للعقل الإسلامي تراثا زكيا متنقلا في القرون، ...وكانت تآليفه العظيمة قد صدرت كذلك في تلك العشر السنين التي بين خروجه من تلمسان ووفاته»[1].

في حين نسجل ندرة التأليف عند "**شهاب الدين أحمد المقّري**" الذي ساهم بمؤلف واحد فقط، بنسبة 04,34% من مجموع مؤلفات الأسرة، وبالرغم من مكانة "**أبي الحسن علي المقّري**" في القضاء خلال النصف الثاني من القرن (08هـ/14م)، والاحتفاء الكبير الذي حظي به "**أبو سعيد عثمان المقّري**" خلال القرن (09هـ/15م)، فإنّهما لم يتركا لنا ثمرات تلك الجهود الفذة على شكل مؤلفات، وهذا ما يؤسف عليه، الأمر الذي يدعو للتساؤل هل كانت لهم مؤلفات وضاعت؟ بحيث أنّ كل مطّلع على الحركة العلمية النشيطة التي اتسمت بها تلمسان خلال الفترة يصل إلى الاقتناع بأنّ كثيرا من المؤلفات مازالت مفقودة، فكيف يعقل ألاّ يسهم "**أبو عثمان سعيد المقّري**" في حركة التدوين بوضع شروح على المسائل التي عالجها لطلابه أو يضع حواشي وتقاييد وتعاليق، وشهرته في التدريس كانت تغطي الآفاق.

ولربما أنّ البحث لم يهتد إليها بعد؟ أو لأنّهما أحجما عن التأليف أصلا؟ فإذا كان المغاربة بصفة عامة قد امتازوا بالجدّة والتفوق في العلوم، فإنّهم قد قصّروا تقصيرا كبيرا في ميدان التأليف[2]، وهذا استنادا إلى ما تناقله بعض الكتاب والمؤلفين من أنّ عناية المغاربة بالتأليف والتدوين قليلة، إذ يقول "**أبو عبد الله بن عبد الملك**": "**أنّه كان بفاس من الفقهاء الأعلام الأجلة أعيان الأنام ما ليس في غيرها من بلدان الإسلام إذ هي قاعدة المغرب ودار العلم والأدب، لكن أهلها أهملوا ذكر محاسن علمائهم وأغفلوا تخليد مفاخر خلفائهم**"[3]، كما ركّز "**اليوسي**" في محاضراته على ظاهرة قلة الميل عند المغاربة إلى تسجيل الأحداث التاريخية والقضايا اليومية وتدوين

---

[1] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص118.

[2] الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ج1، ص55، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص356.

[3] الحسن الشاهدي، المرجع نفسه، ج1، ص55.

ما له صلة بأخبار الرجال وانتاجهم فيقول: "**الاعتناء بالأخبار والوقائع والمسانيد ضعيف جدا في المغاربة، فغلب عليهم في باب العلم الاعتناء بالدراية دون الرواية وفيما سوى ذلك لا همة لهم**"[1]، ولعل سبب ذلك عدم توفر الاستقرار السياسي والأمني، إذ لم تكن تمر على بلاد المغرب الإسلامي عامة بما فيها تلمسان فترة وجيزة من الاستقرار حتى تدهم أركانها بفتن وحروب أخرى، وأنّ العلماء في هذه الظروف كانوا يكتفون بما يحصلونه من علوم دون تدوينها في كتب، خاصة المؤلفات الضخمة التي تحتاج إلى استقرار طويل، يأمن فيه المؤلف على حياته وحياة أفكاره وكتبه[2].

وربما سبب عدم وجود تأليف لهم راجع إلى كونهم أهل ثقافة شفوية رصينة، ولم يكن لهم جنوح قوي نحو الكتابة وتدوين الأفكار، أو ربما لاقتناعهم بمضار التأليف بناء على رأي "**أبي عبد الله محمد المقّري**" وشيخه "**الآبلي**" اللّذان كانا يريان في مجال العلم والمناقشة والأخذ والرد، بأنّ الاشتغال بالتأليف هو مضيعة للوقت وأقل قيمة من الاشتغال بتعليم الطلبة أو الأخذ عن الشيوخ، فيقول "**الآبلي**": "**إنّما أفسد العلم كثرة التآليف**"[3]، لكن بالرغم من ذلك كانت لهما مساهمات في الكتابة والتدوين.

ومهما يكن من أمر، فإنّه وبعد قيامنا بعملية مسح وإحصاء للمؤلفات التي تم تأليفها من طرف علماء الأسرة **المقّرية** خاصة "**أبو عبد الله محمد المقّري**"، تبين لنا أنّهم شاركوا في عدّة علوم، بحيث تم رصد لهم حوالي 23 مؤلفا موزعة على حقول المعرفة (العلوم الدينية، اللغوية، والعلوم الاجتماعية، والعقلية)، لكن ما يسترعي الانتباه أنّه تباين عدد المؤلفات التي ألّفت من طرف هؤلاء العلماء بين العلوم الأربعة[4]، فقد تم إحصاء لهم 11 مؤلفا في العلوم الدينية مما يتصل بالفقه وأصوله، والحديث والتفسير، و06 مؤلفات في العلوم الاجتماعية كالتصوف والتاريخ

---

[1] الحسن اليوسي، **المحاضرات في الأدب واللغة**، ، تح وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، ج1، دار الغرب الإسلامي، ص ص72-73.

[2] عبد الجليل قريان المرجع السابق، ص358.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص479، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص414، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص275.

[4] **ينظر**: الملحق رقم 20، ص339، و الملحق رقم 21، ص340.

والرحلات، وهو بذلك يحتل المرتبة الثانية، ثم تأتي في المرتبة الثالثة العلوم اللغوية وتتمثل في03 مؤلفات، ومؤلف واحد في العلوم العقلية وكذلك تم رصد مؤلفين متنوعة المحتوى، وربما يعزى هذا التفاوت في النسب إلى كون العلوم الدينية هي أول ما يتلقاه طالب العلم منذ حداثة سنّه في المؤسسات التعليمية، إضافة إلى تركيز العلماء على دراسة الفقه باعتباره من العلوم التي تمكن صاحبها من الارتقاء إلى المناصب والخطط الرفيعة كخطة القضاء، فضلا عن حظوة الفقيه بمكانة مرموقة في المجتمع.

هذا، وقد تم إحصاء لهم مختصر وأربعة شروح من مجموع الكتب المؤلفة في مختلف العلوم[1]، وعلى العموم من أهم مؤلفاتهم التي أمكن الوقوف عليها حسب فنون العلم نذكر في:

1. العلوم الدينية:

عرفت العلوم الدينية رواجا كبيرا بأقطار المغرب الإسلامي عامة وتلمسان بصفة خاصة التي نبغ فيها عدد كبير من العلماء والفقهاء، ويظهر لنا اهتمام علماء الأسرة بالعلوم الدينية من خلال سيطرة مؤلفاتهم في هذا الفن على انتاجهم العلمي.

- **الفقه[2] وأصوله:**

وهو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة، وما نصبه الشرع لمعرفتها من الأدلة[3]، وهو يبحث في جميع المسائل الدينية كالفرائض، والأحوال الشخصية والمعاملات الاقتصادية والاجتماعية[4]، أما أصول الفقه فهو

---

[1] **ينظر**: الملحق رقم 18، ص338.

[2] **الفقه**: لغة يعني العلم بالشيء والفهم له ويعني الحذق والفطنة، ابن منظور، لسان العرب، مج 10، ص305، سيف الدين محمد الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام**، تح عبد الرزاق عفيفي، ج1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 2003، ص19-20.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص363.

[4] عمر سليمان الأشقر، **تاريخ الفقه الإسلامي**، دار النفائس، مكتبة الفلاح، ط3، الأردن – الكويت، 1990، ص ص20- 52.

ضبط القواعد الأساسية التي يستطيع المسلمون بها فهم الأدلة الشرعية ليأخذوا منها الأحكام التفريعية، لذلك كان من أعظم العلوم الشرعية وأجلّها قدرا وأكثرها فائدة[1].

وبواقع تدخل الفقه في الشعائر والأحوال الشخصية والمعاملات، أضحت الحاجة ماسة له في المجتمعات الإسلامية أكثر من أي مادة علمية أخرى[2]، فاهتم علماء الأسرة **المقّرية** بعلم الفقه وأصوله شأنهم في ذلك شأن علماء تلمسان والحواضر الإسلامية الأخرى، إذ أمكن رصد لهم في هذا الفن 08 مؤلفات وهي في مجملها "**لأبي عبد الله محمد المقّري**"، بحيث نبغ في علم الفقه، وعدّ من أبرز العلماء الذين أنجبتهم المدرسة المالكية بتلمسان والمغرب الإسلامي عامة خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، فكانت له تصانيف عديدة في هذا الميدان أهمها كتاب "**القواعد**" الذي فرغ من تأليفه سنة (755هـ/1355م)[3].

وما ينبغي التنويه إليه أنّ هذا الكتاب يعد من أكثر مؤلفاته قيمة في ميدان الفقه، إذ يتجلى ذلك من خلال حرصه على التّحرر من التعصب المذهبي رغم تفقهه في مذهب مالك ونشأته في بيئة غلب عليها انتشار هذا المذهب، وسيتم التفصيل في هذا الكتاب لاحقا.

وألّف "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في الفقه أيضا كتاب "**الكليات الفقهية**"[4]، وهو القسم الثاني من كتاب "**عمل من طب لمن حب**"، ويشتمل على 525 كلية فقهية في غاية الإفادة والإجادة، وهي موزعة على كل الأبواب الفقهية (الطهارة، الصلاة، الجنائز، الزكاة، الصيام، الحج، الأطعمة، الجهاد، الإيمان، النّكاح، العبيد، البيوع، الإيجارات، الحجر والتوثيق والتفويض، التعدي والاستحقاق، العطايا والمرافق، الأقضية والشهادات، الدماء والحدود، الوصايا والفرائض)، بعضها خرج مخرج القواعد الفقهية العامة[5]، وبعضها خرج مخرج الضوابط الفقهية[1]، وقد عمد "**أبو عبد**

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص368.

[2] محمد المنوني، ورقات، ص294.

[3] أبو عبد الله المقّري، القواعد، ج1، ص149.

[4] أبو عبد الله المقّري، **الكليات الفقهية**، تح أبو الأجفان، الدار العربية للكتاب، تونس، 1997، مقدمة التحقيق، ص8.

[5] هي مجموع الكليات التي يمكن عدّها قواعد فقهية باعتبار أنّ ما يندرج فيها من فروع حقيقية أو حكما، موزع على أكثر من باب فقهي، وهذا ما يميز القاعدة الفقهية عمّا قاربها من الكليات مثل الكلية رقم 31: "كلّ ما تمحّض للعبادة أو غلبت فيه شائبتها، فإنّه يفتقر إلى نية وبالعكس، فإنّ اختلاف الحال باختلاف الرّجال"، فهذه الكلية هي قاعدة فقهية، لأنّ=

الله محمد المقّري" من خلال هذه الكليات إلى تلخيص أهم الأحكام وأصلحها في المذهب على المشهور والصحيح لتيسير تناول أهم مسائله، فهي تعين الطلبة على استيعاب الفروع وحفظ المسائل وتمهيد الطريق لمن أراد أن يتوسع.

ومن مؤلفاته في الفقه أيضا **"النظائر الفقهية"**، و**"مقالة في الطلعة المملكة"**، وحاشية على **"مختصر ابن الحاجب الفقهي"**، قال عنها "**أبو العباس المقّري** ": «**فيها أبحاث وتحقيقات لا توجد في غيرها، وقد وقفت عليها بالمغرب**»[2]، وكتاب **"تكميل التعقيب على صاحب التهذيب"**[3]، فضلا عن كتاب فقهي يشتمل على أكثر من مائة مسألة، قال عنه "**ابن الخطيب**": «**ضمنّها كل أصيل من الرأي والمباحثة**»[4]، وأكدّ "**أبو العباس المقّري**" أنّه غير القواعد سالف الذكر قائلا: «**هو غير القواعد بلا مرية** »[5].

ومن مؤلفاته في أصول الفقه كتاب **"عمل من طب لمن حب"**، الذي فرغ من تأليفه سنة (753هـ/1352م)[6]، وأصل تسمية هذا الكتاب مثل عربي قديم[7]، يقصد به عمل الطبيب الحاذق لشخص يحبّه ويجلّه، فالطبيب إذا عمل الدواء لشخص يحبه قد يفعل قصارى جهده في صناعته

=الفروع المندرجة ضمنها مبثوثة في جميع أبواب العبادات وكذا بعض المعاملات التي غلب فيها معنى التعبد، المقّري، الكليات الفقهية، ص82.

[1] وهي الكليات الفقهية المتضمنة لأحكام كلية شاملة لفروع من باب فقهي واحد، وعليه فالكلّية الضابط تكون في مستوى تجريده وشمولها أدنى من الكلية القاعدة، لعدو خروج مسائلها عن الباب الواحد، منها الكلية رقم 130: "كل ما هو غالب قوت البلد، فإنّ الفطرة تجري منه تجزئ فيه، وإلا فالأعلى"، فهذه الكلية فيها بيان ما تخرج منه زكاة الفطر وهو الغالب من قوت البلد، وهو مختلف بحسب الزّمان والمكان، ولكن مهما اختلفت تطبيقات هذه الكلية فإنّ مسائلها لا تخرج عن باب الزكاة، فكانت كلية ضابط بالمعنى الاصطلاحي للضوابط الفقهية، المقّري، المصدر السابق، ص108.

[2] أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص310.

[3] أحمد المقري، المصدر نفسه، ج5، ص276، المجاري، المصدر السابق، ص120.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص203.

[5] أحمد المقري، المصدر السابق، ج5، ص284.

[6] أبو عبد الله المقري، **عمل من طب لمن حب** ، تح أبي الفضل العمراني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص13، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص114.

[7] أبو عبد الله المقّري، المصدر السابق، ص11.

وإتقانه[1]، وقد ذكر "**أبو عبد الله محمد المقّري**" سبب تأليفه هذا الكتاب فقال: «**وكان الذي أثار عزمي إليه، وحمل همّي عليه أنّي رأيت محل ولدي بل خلاصتي وبقيّة من يعز على كبدي من قرابتي ... علي بن خالي ومحل والدي الشيخ الصالح ...أبي عبد الله محمد بن عمر المقّري ولع بكتاب (الشهاب)، وشرع يتكلم ببعض ألفاضه بين صبيان الكتاب، فخشيت أن لا يرجع عليه العناء بكبير فائدة** »[2].

فيتضح لنا من خلال قوله أنّه أراد أن يقوم بدور الطبيب الحاذق من أجل مداواة ومعالجة ابن خاله[3] مما ألمّ به، فكان هذا الكتاب من صنف التأليف للمبتدئين الذي تم فيه مراعاة تفاوت مستوى الطلبة الذين لم يتعمقوا في الدراسة والذين لم تسبق لهم دراية واسعة، وقد كان موضوعه فقهي أصولي محض جاءت مواضيعه متنوعة، وقد قسّمه إلى عدة أقسام:

- **القسم الأول**: يشتمل على الأحاديث النبوية، وهي نحو 500 حديث، استنبط منها الأحكام المتعلقة بالأبواب والمسائل الفقهية المختلفة.

- **القسم الثاني**: وهو قسم الكليات الفقهية الذي سبقت الإشارة له.

- **القسم الثالث**: وهو قسم القواعد الحكمية، حيث يشتمل على قواعد فقهية وأخرى أصولية وعددها مائتين وهي أكثر شمولا من الكليات السابقة.

- **القسم الرابع**: وهو قسم في الألفاظ الحكمية المستعملة في الأحكام الشرعية، أورد "**أبو عبد الله محمد المقّري**" فيها بعض الأقوال المشهورة لأئمة المذاهب مثل قول "**مالك**": «**لكل شيء وجه**» وقول "**أبو حنيفة**": «**إذا ضاق الأمر اتسع**» وقول "**الشافعي**": «**لكل مقام مقال**»[4]، فهو عبارة عن مدخل للاصطلاحات الفقهية من الأقوال والحكم المأثورة عن طائفة من الأعلام.

---

[1] أبو عبد الله المقري، القواعد، ص83.

[2] أبو عبد الله المقّري، عمل من طب لمن حب، ص35.

[3] **ينظر**: الملحق رقم 25، ص344.

[4] أبو عبد الله المقّري، المصدر السابق، ص158.

ويكتسي هذا الكتاب أهمية بالغة، إذ لا يمكن للمتخصص في الفقه أن يستغني عنه، ويظهر ذلك من خلال منهج "**أبي عبد الله محمد المقّري**" في كتابته، فقد أبرز فيه السبب الدافع لوضع هذا الكتاب، وانتقى الأحاديث من مختلف أبواب الشريعة التي شملت أبواب العبادات (الوضوء، الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج)، ثم أبواب المعاملات(الجهاد، النكاح، البيوع، الجنايات والحدود)، وكانت هذه الأحاديث التي انتقاها أغلبها صحاح مروية في الكتب المعتمدة كالصّحاح والسنّن، كما أنّه ذكر هذه الأحاديث مقرونة بمن أخرجها من الأئمة، وقد أشار أحيانا فيه إلى اختلاف الروايات والطرق، مما زاده قيمة، أثنى عليه "**أبو العباس المقّري**" بقوله: «**إنّه بديع في بابه... فوق ما يوصف**»[1]، وقال عنه "**أبو عبد الله المقّري**" نفسه في أبيات شعرية:

هَذَا كِتابٌ بَدِيعٌ فِي مَحَاسِنِهِ ضَمنتُهُ كُلُّ شيء خِلتُهُ حَسنا

فَكُلُّ مَا فِيهِ إْنِ مَرَّ اللَّبِيبُ بِهِ وَلَمْ يَشُمْ عَبِيرًا شَامَ مِنْهُ سنا

فَخُذْهُ و اشْدُدِ بِهِ كَفَّ الضَّنِينِ وُدْدِ حَتَى تُحَصِّلُهُ عَنْ جَفْنِكَ الوَسَنَا [2].

- **علم التفسير**[3]:

يتضح لنا اهتمام علماء الأسرة **المقّرية** بعلم التفسير من خلال رصد مؤلف لـ "**أبي عبد الله محمد المقّري**"، فقد كان "**يقوم أتم القيام على التفسير**"[4]، وله مراجعات في بعض مسائل التفسير مع معاصريه[5]، وقد ألّف في هذا الفن كتاب "**الجامع لأحكام القرآن و المبين لما**

---

[1] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص285.

[2] أبو عبد الله المقّري، عمل من طب لمن حب، ص33، **ينظر**: الملحق رقم23، ص342.

[3] **علم التفسير**: التفسير في الأصل هو الكشف والإظهار والبيان، وعلم التفسير هو علم يتناول تحديد معاني القرآن بحسب ما تقتضيه القواعد العربية ومبادئها وأصول الفقه والجدل وغيره من العلوم، والغرض منه حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة، فلذلك عدّ أشرف العلوم وأعظمها، ابن منظور، المصدر السابق، ج10، ص261، ابن خلدون، المقدمة، ص355، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص91، أبو أسامة شفيق محمد لامة، **مجالس العلم والمناظرة بالمغرب والأندلس على عهد المرابطين والموحدين**، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، ط1، الدار البيضاء، بيروت، 2014م، ص162.

[4] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص ص246-251.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص172.

تضمنه من معاني السنة وآي القرآن[1]، ولربما ما نلمسه حول مشاركة علماء الأسرة **المقّرية** في علم التفسير هو ضآلة التأليف في هذا الميدان.

- **أصول الدين**[2]:

شارك علماء الأسرة **المقّرية** في هذا الفن، إذ أمكن رصد لهم فيه مؤّلفين لـ **"أبي عبد الله محمد المقّري"**، الأول هو كتاب **"اختصار المحصل"**[3]، إذ كان الكتاب موضوع التلخيص مختصر **"محصل أفكار لمتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتعلمين"** لـ**"فخر الدين محمد بن عمر الرازي"** المعروف **"بابن الخطيب"** (ت606هـ/1209م)، والظاهر أنّه جمع بين مسائل الكلام والفلسفة، وهو منهج المتأخرين في هذا العلم[4].

أما الكتاب الثاني الذي ألّفه **"أبو عبد الله محمد المقّري"** في علم التوحيد، هو كتاب **"المحاضرات"**[5]، الذي تطرق فيه إلى أمهات المسائل العقائدية (الإلهيات[6] والنبوات[7] والسمعيات[8]) على المنهج الأشعري في تقريرها دون الخوض في التعقيدات الكلامية والفلسفية والمنطقية، وزاد على ذلك القول في الإمامة وتفصيل ما كان من الصحابة رضي الله عنهم في مسألة الخلافة[9]، وضمنّه فوائد وحكايات وكلمات ذات مواضيع مختلفة من مختلف الفنون[10]،

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص203، البغدادي، المصدر السابق، ج2، ص160، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص313.

[2] **أصول الدين**: ويطلق عليه علم الكلام أو التوحيد أو العقيدة، وهو يهتم بالاحتجاج للعقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرّد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وعلى هذا يكون علم الكلام هو العلم المتعلق بالأحكام الأصلية أو الاعتقادية، ابن خلدون، المقدمة، ص383، محمد المنوني، المرجع السابق، ص309، أبو أسامة شفيق محمد لامة، المرجع السابق، ص180.

[3] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص427، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص285.

[4] صابرة خطيف، المرجع السابق، ص327.

[5] أبو عبد الله المقّري، **كتاب المحاضرات**، تق وتح إكرام بولعيش، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، ط1، الرباط- تطوان، 2017.

[6] أبو عبد الله المقّري، المصدر نفسه، ص ص116- 199.

[7] أبو عبد الله المقّري، المصدر نفسه، ص ص200- 212.

[2] أبو عبد الله محمد المقّري، المصدر نفسه، ص ص213- 247.

[9] أبو عبد الله محمد المقري، المصدر نفسه، ص 248-260.

[10] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص427، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص114.

كما أورد مناظرات كثيرة للصحابة والتابعية وبعض العلماء من أهل السنة والجماعة، وهو يرّد على المتصوفة الذين يعتقدون أنّهم هم العارفون الواصلون القريبون من الله بالأدلة النقلية والعقلية[1]، قال عنه "**المقّري الحفيد**": «**وفيه من الفوائد والحكايات والإشارات كثير، وقد ملكت منه بالمغرب نسختين**»[2]، ولابأس هنا أن نورد نماذج مما جاء فيه، من ذلك: "**دع ما يسبق للقلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره**"[3]، ومنه أيضا: "**قيل لأديب: بم عرفت ربك؟، قال: بنحلة في أحد طرفيها عسل وفي الآخر لسع، والعسل مقلوب اللّسع**"[4]، وأيضا مما جاء فيه :أنّ "**مالك**" كان ينشد كثيرا: **وخير أمور الدّين ما كان سنّة وشر الأمور المحدثات البدائع**"[5]

وختم "**أبو عبد الله المقّري**" هذا الكتاب بقوله: «**فهذه جملة تراجم، وفيها مقنع لمن أراد المحاضرة، أو تنميق مجالس المناظرة**[6]»، وكان الفراغ من تأليفه هذا الكتاب سنة (757هـ/1357م)[7]، وبناء على هذا رجّح "**أبو الأجفان**" أن يكون تأليف هذا الكتاب قد تم في الأندلس، بعد أن جمع الكثير من المواد العلمية خلال حياته العلمية وأعانته الذاكرة أو التقييد على تدوينه عندما اتجه إلى الأندلس سفيرا فقام فيها بعد أداء الوظيفة بالتأليف والتدريس[8].

---

[1] أبو عبد الله المقّري، المصدر السابق، ص71، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص219، بنعلي بوزيان، المرجع السابق، ص127.

[2] أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص285.

[3] أبو عبد الله المقري، المحاضرات، ص128.

[4] أبو عبد الله المقري، المصدر نفسه، ص135، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص ص285-310.

[5] أبو عبد الله المقري، المصدر نفسه، ص225.

[6] أبو عبد الله محمد المقري، المصدر نفسه، ص260.

[7] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص ص309-310.

[8] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص116.

- **الحديث**[1]:

ازدهر الاشتغال بالدراسات الحديثية ببلاد المغرب الإسلامي وحواضره، منها حاضرة تلمسان خلال العهد الزياني، نظرا لاستمرار ملامح النهضة الحديثية الموحدية، وكذا رحلة العلماء إلى بلاد المشرق، وقد تناول بالخصوص أربعة علوم متفرعة من مادة الحديث وهي: مجموعة الأحاديث النبوية، كتب في فقه الحديث، علوم الحديث، السيرة النبوية[2].

وعلى ما يمكن أن يلتمح حول إسهامات علماء الأسرة **المقّرية** في العلوم الدينة، هو ضآلة تأليفهم في علوم الحديث رغم اهتمامهم بها في ميدان التدريس، وربما مرد ذلك أن التخصص الدقيق بمعناه الحديث لم يكن معروفا في عصرهم[3]، فنجد أنّ اسهامات "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في هذا المجال قد اقتصرت على قسم من "**أحاديث الأحكام**" التي تضمنّها مؤلفه "**عمل من طب لمن حب**" وقد سبقت الإشارة له، وهذا القسم يشتمل على 500 حديث من أحاديث الأحكام المسايرة لكل الأبواب الفقهية (الصلاة، الزكاة، الصوم....)[4]، لكن ما يمكن ملاحظته على هذا القسم، أنّ "**أبا عبد الله محمد المقّري**" اختصر فيه على متن الحديث دون أن يشير إلى راوي الحديث أو من أخرجه، وذلك مراعاة لمستوى الطالب، بحيث ألّفه لصبيات الكتاتيب وهم يحتاجون لذلك.

---

[1] **الحديث**: هو أصل من أصول التشريع الإسلامي، ومرتبته بعد القرآن في الاستدلال، وهو العلم الذي تعرف به آثار الرسول صلّى الله عليه وسلّم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، ويعبّر عنه بالسّنة، وبه تتضح أحكام القرآن وتفسيره، ابن خلدون، المقدمة، ص359، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص440، أبو أسامة شفيق محمد لامة، المرجع السابق، ص165،

[2] محمد المنوني، المرجع السابق، ص ص282-283.

[3] حول عناية علماء تلمسان بتدريس الحديث، **ينظر**: صابرة خطيف، المرجع السابق، ص ص315 -319.

[4] محمد المقّري، الكليات الفقهية، ص29، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص111.

2. العلوم اللغوية: (اللسان العربي) [1]:

أمكن رصد 03 مؤلفات لعلماء الأسرة **المقّرية** في العلوم اللسانية، منها مؤلفين لـ "**أبي عبد الله محمد المقّري**"، هما "**شرح لغة قصائد المغربي الخطيب**" في اللغة، وكتاب "**شرح التسهيل**" في النحو، ومؤلف واحد لـ "**أحمد شهاب الدين المقّري**" الذي ساهم في النحو أيضا، فألفّ كتاب "**التحفة المكّية**"، شرح فيه ألفية "**ابن مالك**"، وقد انتهى من تأليفه سنة (847هـ/1443م)[2].

فضلا عن ذلك كان لعلماء الأسرة **المقّرية** في الأدب مشاركات شعرية طريفة في مختلف الموضوعات، فقد كان "**أبو عبد الله محمد المقّري**" يقرض الشعر، والذي تضّمن في أغلبه حكما تنّم عن اتجاهه الصوفي[3]، وشعره على قلّته إما تذييل وتكميل لأبيات شعراء آخرين، غير أنّه يدّل على ذوق رفيع وحسن بلاغي متميز، وقد نقل لنا قصائده الشعرية حفيده "**أحمد المقّري**" في كتابه "**نفح الطيب**" وتلميذه "**ابن الخطيب**" في كتابه "**الإحاطة**" وتلميذه "**الشاطبي**" في كتابه "**الإفادات والانشادات**"، ونذكر من ذلك ما يلي:

خَالِف هَواكَ، وكُنْ لِعقلِكَ طَائِعًا تَجِدْ الحَقِيقةَ عِندَ طَرفِ النَّاظِرِ[4].

ومن شعره ما كان في الدعاء لله سبحانه وتعالى، حيث نظم قائلا:

مُنكسِرَ القلب بالخطايا يَدعُوكُ يَا مَانِحَ العَطَايَا

أقعدتَ الذنبَ عَن رَفيقٍ حَثوًا لرضوانك المَطَايَا[5].

---

[1] **العلوم الغوية**: أركانها أربعة هي: اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية للقائمين على الفقه، ذلك أنّ الأحكام الشرعية كلّها مستنبطة من الكتاب والسنة، ولا تقوم المعرفة بهما إلا لمن تمكن من أدوات التعامل مع هذه اللغة، ابن خلدون، المقدمة، ص383.

[2] عادل نويهض، المرجع السابق، ص309.

[3] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص118.

[4] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص339.

[5] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 120.

ومما قاله بشأن راوي "المدونة الكبرى":

لاَ تَعجَبنَّ لِظَبيٍ قَدْ دِهَا أَسَداً فقَدْ دِهَا أَسداً مِن قَبلُ سَحنُونُ[1] .

ومن منظوماته في التصوّف قوله:

أشيم البرق من بين الثنايا وأشْتَمُ العَبيرَ مِن الثناءِ.

فأَبدُو تارةً وأغيبُ أخرَى مُثارَ الشَّوقِ مَثْنِي الحَشَاءِ.

وكان أيضا يفكر فيما بعد موته، حيث وقف يوما بمقبرة يتساءل عن مكانه بها فقال:

كل ميت رأته عيني فإني ذلك الميت، إذا نظرت بقلبي

وجميع القبور قبري لولا جهل نفسي بما لها عند ربي[2].

وأنشد له "**الشاطبي**" أيضا هذه الأبيات:

أَنْبتَّ عُوداً بِنَعْمَاءٍ بدأْتَ بِهَا فَضْلاً وَأَلْبسْتَهَا بَعْدَ اللَّحىَ الوَرَقَا

فَظَلَّ مُسْتَشْعِراً مُسْتَدْثِراً أَرَجا رَيَّان ذَا بهجَةٍ يَسْتَوْقِفُ الَحدَقَا

فَلاَ تَشِنْهُ بمَكْرُوهِ الجَنىَ فَلَكَ عَوَّدْتَهُ مِنْ جَميلٍ مِنْ لَدُنْ خُلِقَا

وانْفِ القَذَى عَنْهُ، واثْرِ الدَّهْر مَنْبتَهُ وغذِّهِ بِرَجَاءٍ واسْقِهِ غَدَقَا[3].

ومما كتبه بخطه على نسخة من "**قواعده الفقهية**" من شعره ما يلي:

ناديت والقلب بالأشواق محترقٌ والنفس من حيرة الأبعاد في دهش

يا معطشي من وصال كنت أمله هل فيك لي فرج، إن صحت: واعطشي[4].

---

[1] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص214، أحمد المقري، المصدر السابق، ج5، ص339، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص299.

[2] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص120.

[3] الشاطبي، الإفادات والإنشادات، ص90، إنشاده رقم 8.

[4] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص399.

وحتى "**أبو عثمان سعيد المقّري**" هو الآخر كانت له مشاركة في الشعر، وقد لمسنا ذلك من خلال إجازته لـ "**ابن القاضي**" التي جاءت في شكل نظم، تضمنت عشرين بيتا[1]، وقد سبق الإشارة لها في إجازاته[2].

3. العلوم الاجتماعية:

تشتمل العلوم الاجتماعية على ميادين من الفنون في مقدمتها التاريخ وما يشتمل عليه من التراجم والمناقب والفهارس، وكذا السياسة والرحلات والتصوف، وقد اهتم علماء الأسرة **المقّرية** بهذه العلوم، نظرا لازدهارها بتلمسان، حيث اشتغلوا بالتاريخ وما يرتبط به من علوم، وبالتصوف نتيجة لسيطرة هذا التيار على فكر وعمل العلماء والفقهاء، وكذا لارتباطه بالعلوم الدينية، وقد بلغت مؤلفات علماء الأسرة في العلوم الاجتماعية 06 مؤلفات موزعة على ما بين التاريخ والتصوف.

- **التاريخ:**

وقد أدرك علماء تلمسان عامة مع مطلع القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي قيمة الكتابة التاريخية التي تمكنهم من تسجيل الأحداث التاريخية، ومن معرفة الوقائع الماضية وأخذ العبر منها[3]، ولهذا نجدهم ساهموا بأعمال هامة في التاريخ والتراجم[4]، وقد نبغ في هذا الميدان من علماء الأسرة **المقّرية** "**أبو عبد الله محمد المقّري**" الذي كان يقوم أتم القيام على التاريخ ويحفظ أخباره[5]، فقد قام بتأليف كتاب في سيرة السلطان "**أبو عنان المريني**"، جاء تحت عنوان "**المحرك لدعاوي الشر من أبي عنان**"[6]، كما قام بتأليف تلخيص في أصل نسبته وقراءته وأسماء شيوخه بعنوان "**نظم اللآلي في سلوك الأمالي**"، فهو عبارة عن برنامج له عرّف فيه برحلاته واستعراض مساره الفكري منذ حداثة سنّه، وإلى فترة متقدمة من حياته، وقد تراوحت هذه الرحلات بين طلب العلم، والحج والسياحة، كما تناول فيه التعريف بأسرته وشيوخه، على أنّ تركيزه كان على

---

[1] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص ص268- 269.

[2] **ينظر**: هذا الفصل من الدراسة، ص174.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص9.

[4] **ينظر**: نبيل شريخي، المرجع السابق، ص ص180-181.

[5] ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص188.

[6] لا تعرف نسخة منه فيما نعلم.

التعريف بشيوخه وما أخذه عنهم بتلمسان، وهو الأمر الذي يدفعنا للتساؤل، هل أنّ ذلك هو أصل الرحلة؟ أم أنّ حفيده "**أبا العباس أحمد المقّري**" الذي لخصه في كتابيه "**نفح الطيب**" و"**أزهار الرياض**"[1] هو الذي عمد على التركيز على هذه المرحلة من تواجده بتلمسان لأسباب أو لأخرى؟، كما للشيخ "**عبد الحي الكتاني**" في كتابه "**فهرس الفهارس**" ملخص لـ"**أبي عبد الله محمد المقّري**" عن كتابه يرويه عنه[2].

- **التصوف:**

يتلخص التصوف في العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخف الدنيا وزينتها والزهد فيها[3]، ويعتبره "**ابن خلدون**" من العلوم الشريعة الحادثة في الإسلام، وأصله مستمد من السلف ومن سبقهم من الصحابة والتابعين[4].

وقد برز من علماء الأسرة **المقّرية** في هذا الفن الإمام "**أبو عبد الله محمد المقّري**"، الذي كانت له مكانته في التصوف، حيث أشار "**ابن الخطيب**" إلى ذلك بقوله: "**يتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال، ويعتني بالتدوين فيها**"[5]، فهو في هذا الاتجاه كان ينطق بالحكمة ويوجه إلى طريق الخير والرشد، ملتزما في ذلك بطريق الشرع، متفقها في أحكامه، ومرد ذلك تأثره بكثيرة من شيوخه لاسيما شيخه "**ابن شاطر**"، الذي لم يخرجه تصوفه عن طريق الدّين، حيث نعت في ذلك بكونه: "**غير مخل بشيء من الحقوق الشرعية**"[6].

وقد أسهم "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في هذا المجال بكتاباته، كما كوّن تلاميذ في هذا المسلك الصوفي، أبرزهم "**محمد بن عباد الرندي**"، الذي قال عنه "**أبو العباس المقّري**": «**الشيخ الولي الشهير الكبير العارف بالله ... انّه ممن يفتخر مولاي الجد– رحمه الله– بكون مثله تلميذا له**»[7]، كما أخذ عنه الإمام" **الشاطبي**" بعض التقاليد الصوفية[8].

---

[1] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص ص12-74.

[2] الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص682.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص391، عبد المنعم الحنفي، المرجع السابق، ص859.

[4] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص391.

[5] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص195، ابن مريم، المصدر السابق، ص155، السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص24.

[6] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص272، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص131.

[7] أحمد المقّري، المصدر السابق،ج5، ص341.

[8] الشاطبي، **الفتاوى**، تحقيق أبو الأجفان، تونس، 1981، ص ص189-193، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص132.

أما مؤلفاته في هذا الميدان فقد تم رصد له 04 مؤلفات، وهي كتابه "**الحقائق و الرقائق**" الذي ظهرت فيه النزعة الصوفية الخالصة[1]، لكنه أيضا توجيهي ورائع[2]، قال عنه "**أبو عبد الله المقّري**" نفسه في مقدمته: «**هذا الكتاب شفعت فيه الحقائق بالرقائق، ومزجت المعنى الفائق باللفظ الرائق، فهو زبدة التذكير و خلاصة المعرفة، وصفوة العلم ونقاوة العمل، فاحتفظ بما يوحيه إليك فهو الدليل، وعلى الله قصد السبيل**»[3] وقال عنه "**الونشريسي**": «**لطيف الإشارة بديع المنزع وهو كثير بين أيدي الناس في تلمسان وفاس**»[4].

وقال "**ابن عاشور**" أيضا عن هذا الكتاب: «**هو يتناول الجزيئات السلوكية ويرجع بها إلى النظر في سير التكوين، وذلك هو ما عنونه بالحقائق، و يأخذ المعاني التنبيهية ويسبكها في قوالب حكيمة رائعة التفسير ويمزج التوجيه الوعظي بالأسرار التكوينية ولذلك رتب الكتاب حقيقة ورقيقة على التعاقب**»[5].

ويذكر بعض المؤرخين أن فترة تدوين هذا الكتاب و ترتيبه كانت أثناء انعزال "**أبي عبد الله محمد المقّري**" وخلوته بالأندلس[6]، ومهما كان من أمر فان هذا التأليف الأخير قد لقي اهتمام واسع من طرف الجمهور بالمغرب الإسلامي والأندلس ومن عامة الفقهاء المتصوفة الذين عمدوا إلى شرحه والتعليق عليه خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع والخامس عشر الميلاديين[7]، منهم الشيخ "**أحمد زروق**" (ت899هـ/1494م).

---

[1] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص48، محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية، ص197.

[2] رشيد زواوي، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب، ص337.

[3] أبو عبد الله المقّري، **الحقائق والرقائق**، اعتنى به عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، لبنان، (دت)، ص151، عبد القادر زمامة، الحقائق والرقائق، ص95.

[4] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص427، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص203، أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص ص284-328، بوزيان بنعلي، المرجع السابق، ص127.

[5] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص109.

[6] أبو الأجفان، المرجع نفسه، ص118.

[7] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص413، محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية، ص197.

- Ch.broseelard, op.cit. p404.

وألّف "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في التصوف أيضا "**رحلة المتبتل**" و"**إقامة المريد**"[1]، و"**لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض**"، وهو مؤلف على ديوان شعر صوفي "**لابن الفارض**"[2] (ت632هـ/1234م)، وقد جاء في شكل منظومة شعرية تشتمل على مائة وسبعة وسبعين بيتا[3]، مما جاء فيها:

وكم من مقام قمت عنك مسائلا أرى كل حي كـلَّ حيٍّ وميتٍّ

أتَيْتُ بفَارَاباَ أبَـا نـــصرٍ فَلَـمْ أَجِد عِندهُ عِلـــما يُبـرِدُ غُلتـي

ولم يدر ما قولي ابن سيناء سائلا السَّنا فقل كيف أرجو عنده برء علتي

فهل في ابن رشد بعد هذين مرتجـى وفي ابن طفيل لاحتثاث مطيتي[4].

4.العلوم العقلية[5]:

سجل علماء الأسرة **المقّرية** حضور في العلوم العقلية، بحيث كان "**أبو عبد الله محمد المقّري**" رحلة الوقت في القيام على العلوم العقلية، وكانت له مشاركة في الجدل والمنطق[6]، وقد ساهم بمؤلفه "**شرح جمل الخونجي** " في المنطق[7].

5.مواضيع مختلفة:

فضلا عن المؤلفات التي سبقت الإشارة لها، كان لعلماء الأسرة **المقّرية** مؤلفات أخرى في مواضيع مختلفة، منها كتاب "**التحف و الطرف**" لـ "**أبي عبد الله محمد المقّري**": قال عنه

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص203، أحمد المقّري، نفح الطيب،ج5، ص310، البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص160، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص313.

[2] **ابن الفارض**: هو أبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، الحمودي الأصل، المصري المولد والنشأة، كان مولده سنة (576هـ/1180م)، ووفاته سنة (ت632هـ/1234م)، صابرة خطيف، المرجع السابق، ص332.

[3] المجاري، المصدر السابق، ص120، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص404.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص214، أحمد نفح الطيب، ج5، ص328، أبو عبد الله محمد المقّري، المحاضرات، مقدمة التحقيق، ص73.

[5] وتسمى أيضا علوم الفلسفة والحكمة، وتنطبق على العلوم التي يقوم النظر فيها على العقل وحده، وتشتمل على أربعة علوم هي: المنطق، العلوم الطبيعية، العلوم الإلهية، التعاليم، ابن خلدون، المقدمة، ص318-415.

[6] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص195، وص202.

[7] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص254.

"**المقّري الحفيد**": «**قد وقفت على بعضه، فرأيت العجب العجاب**»[1]، وقال عنه "**الونشريسي**": «**غاية في الحسن والطرف**»[2].

ووقفنا على كتاب آخر لـ "**أبي عبد الله محمد المقّري**" هو "**بلوغ الآراب في لطائف العتاب**"[3]، قال فيه "**أبو عبد الله محمد المقّري**": «**هذا كتاب جمعته من جواهر كل كتاب، وسميته بلوغ الآراب في معرفة لطائف العتاب**»[4]، وهو يتضمن إحدى عشر فصلا[5]، جاء الفصل الأول منه في "**ذكر آدم عليه السلام**"، وتضمن الفصل الأخير منه "**في أخبار الصالحين وذكر المتقين رضي الله عنهم**"[6].

وفي الأخير ما يمكن أن نخلص إليه، أنّ علماء الأسرة **المقّرية** قد ساهموا في دفع الحركة العلمية ببلاد المغرب عامة وتلمسان بصفة خاصة من خلال انتاجهم الفكري -ولو انحصر أنّ ذلك في "**أبي عبد الله محمد المقّري**" فقط-، وهذا ما يظهر من خلال تداول هذه المؤلفات في حلق العلم، والاهتمام بها من طرف الطلبة والعلماء على حد السواء في دراستهم وبحثهم في المسائل العلمية، فقد جاء عن "**أبي العباس أحمد المقّري**" أنّ "**الحاشية**" التي ألّفها جدّه "**أبو عبد الله محمد المقّري**" على "**مختصر ابن الحاجب**" الفقهي وقف عليها بالمغرب الأقصى[7]، وهي كثيرة في أيدي الناس بتلمسان[8]، فضلا عن ذلك قد وجد كتاب جدّه "**عمل من طب لمن**

---

[1] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص285.

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص427.

[3] أبو عبد الله محمد المقّري، **بلوغ الآراب في لطائف العتاب**، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، تحت رقم 13820، ورقة رقم، تم تحقيق نسبة هذا الكتاب إلى "أبي عبد الله محمد المقّري" تحقيقا موثقا، بعد أن غاب ذكره عند المترجمين له جميعا، وكشف اللبس الذي وقع ذلك، من قبل: عبد الرزاق حسين، **المختار من نوادر الأخيار المنسوب خطأ لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن اسماعيل بن شريف بن نجاة المقّري الأبياري وتحقيق الجزء من بلوغ الآراب في لطائف العتاب لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقّري**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع50، السنة العشرون، كانون الثاني- حزيران 1996، ص ص150-219.

[4] أبو عبد الله محمد المقّري، المصدر السابق، ص180

[5] حقق الفصل الأول والفصل الأخير منه "عبد الرزاق حسين"، المرجع السابق، ص ص150-219.

[6] أبو عبد الله محمد المقّري، المصدر السابق، ص188، **ينظر**: الملحق رقم28، ص347.

[7] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص310.

[8] ابن مريم، المصدر السابق، ص163.

حبّ" بحضرة فاس عند بعض أولاد ملوك تلمسان، وقال عنه: "**أنّه فوق ما يوصف**"[1]، كما تداول العلماء كتاب "**الحقائق والرقائق**" في كل من تلمسان وفاس[2].

ناهيك عن الثناء الذي لحق بمؤلفاتهم نظير ما احتوته من معارف علميه، وهذا ما يبرز لنا من خلال تنويه كل من "**الونشريسي**" و"**محمد الفاضل ابن عاشور**" بأهمية كتاب القواعد لـ "**أبي عبد الله محمد المقّري**"، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، كما وصف القاضي "**إبراهيم بن فرحون**" (ت799هـ/1397م) هذا الكتاب قائلا: "**إنّه كتاب عزيز مفيد لم يسبق إليه**"[3]، ومن ذلك أيضا ما قاله "**أبو العباس أحمد المقّري**" عن كتاب جدّه "**الحقائق والرقائق**": "**هو من الحسن بمكان لا يلحق**"[4]، ويمكن أن نضيف إلى ذلك ما لحقها من إضافات وتأليف عليها من طرف أهل العلم في بلاد المغرب، من ذلك جمع الإمام "**أبي العباس الونشريسي**" حواشي "**أبو عبد الله محمد المقّري**" على "**مختصر ابن الحاجب**" في كتاب له "**درر القلائد وغرر الطرر الفوائد**"[5].

---

[1] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص285.

[2] ابن الخطيب، الاحاطة، ج2، ص203، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص427، أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص328.

[3] ابن فرحون، المصدر السابق، ص232.

[4] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص310.

[5] أحمد الونشريسي، **درر القلائد وغرر الطرر الفوائد**، تح أبي الفضل بدر العمراني الطنجي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان، 2004.

ثالثا: جهود علماء الأسرة المقّرية في خدمة المذهب المالكي:

من الثابت أنّ المذهب المالكي استعاد مكانته بحواضر المغرب الإسلامي عامة بما فيها تلمسان اثر سقوط الدولة الموحدية[1]، وأصبح محور العملية التعليمية بها فتوسعت دراسات العلوم الدينية مع الميل إلى التبسيط والتفريغ فيها، وغياب الإبداع وطرائق التحقيق والتعليل، والنزوع إلى التقليد وطلب العلم في المختصرات[2]، قال "**ابن خلدون**": "**إنّ اختصار الكتب في كلّ فن والتقيد بالألفاظ على طريقة العضد**[3] **وغيره، من محدثات المتأخرين والعلم وراء ذلك كلّه**"[4]، فقد سجّلت على فقهاء المالكية ببلاد المغرب الإسلامي عموما بعض الهفوات، منها ما يرجع إلى الطريقة التي كانوا يسلكونها في التدريس والافتاء، وبعضها يتصل بالمنهج الذي كانوا يسيرون عليه في التأليف، والبعض الآخر يعود إلى التشبث المطلق بالمذهب والتعصب له والجمود على كل ما ورد فيه حتى لو ثبت ضعف دليله[5]، وهذا الخلل المنهجي والقصور العلمي والانغلاق الفكري، هو الذي حمل بعض العلماء المتنورين ممّن كانوا يتّسمون بسعة الأفق وبعد النظر، وقوة الذاكرة، واتّساع الرواية والاطّلاع على المذاهب، الدّعوة إلى الاجتهاد[6] والتصّدي لذلك محاولين إصلاحه والحد من

---

[1] ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص ص20- 21، محمد المنوني، ورقات، ص293، شيخة جمعة، علماء تلمسان من خلال المصادر المشرقية، ص75.

[2] أبو عبد الله الشريف، المصدر السابق، ص41، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص239، علي الإدريسي، **جوانب من المشهد الفكري والعلمي في المغرب زمن ابن خلدون**، ضمن كتاب الأبنية الفكرية في الغرب الإسلامي زمن ابن خلدون، تنسيق بناصر البعزاتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدر البيضاء، 2007، ص23.

[3] **العضد**: هو عضد الدّين الإيجي من إيج بفارس عالم بالأصول وبالعربية (ت756هـ/1355م)، الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص295.

[4] ابن خلدون، المقدمة، ص471.

[5] أبو عبد الله الشريف، المصدر السابق، ص41، عمر الجيدي، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات عكاظ، (ب م)، (ب ت)، ص133، شيخة جمعة، المرجع السابق، ص82.

[6] **الاجتهاد**: لغة هو بذل الجهد واستفراغ الوسع في تحصيل الشيء، وجهد في الأمر إذا طلب حتى بلغ غايته في الطلب، أما في اصطلاح الأصوليين فهو مخصوص: « باستفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحسّ من النفس العجز عن المزيد فيه»، وعرّف بأنه: «بذل الفقيه وسعه في تحصيل الحكم الشرعي الظني»، والمجتهد هو «من يحوي علم الكتاب ووجوه معانيه، وعلم السنّة بطرقها، ومتونها، ووجوه معانيها، ويكون مصيبا في القياس، عالما بعرف الناس»، **ينظر**: الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح عبد السلام محمد هارون، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء، ط2، الكويت، 1994، ج7، ص539 وما بعدها، الجيلالي المريني، **الاجتهاد ومسائل الخلاف**، ضمن كتاب الاجتهاد الفقهي أي دور =

استفحال أمره، فكان من بين هؤلاء العلماء المجتهدين من الأسرة **المقّرية** الإمام "**أبو عبد الله محمد المقّري**"[1]، ويهمنا هنا أن نؤكد على اجتهاداته الفقهية.

1. النزعة الاجتهادية:

مسألة الاجتهاد في المذهب المالكي من المسائل التي وقع فيها الكثير من القول من غير أن يحسم فيها الخلاف، فبينما يذهب البعض إلى إثبات الاجتهاد في المذهب ويعدد طائفة من المجتهدين، يذهب البعض الآخر إلى أن المذهب المالكي لم ينبغ فيه مجتهد، ولم يعترف به فيه لمن ادعاه، لكن في الحقيقة يرجع أصل الخلاف إلى نوعية هذا الاجتهاد[2].

فما تحسن الإشارة إليه أنّ نزعة الاجتهاد بحواضر المغرب الإسلامي عامة ومدينة تلمسان خاصة لم تتعدى نطاق المذهب المالكي، إذ لم يكن من السهل على الفقهاء بلوغ درجة الاجتهاد المطلق والتحرر من أصول المذهب وفروعه[3]، فبالرغم من وجود فقهاء كثيرون في القرون المتأخرة ممن بلغوا رتبة عالية في الفقه تمكنهم من الاجتهاد، وتوفر لبعضهم ما لا يقل عن الأئمة السابقين علماً بأصول التشريع وطرق الاستنباط، إلاّ أنّهم لم يصلوا إلى درجة الاجتهاد المطلق، أو بالأحرى لم تكن لهم الجرأة الكافية للظهور بمظهر الاستقلال، وبالتالي يمكن تصنيفهم ضمن المجتهدين في إطار المذهب المالكي، لا يخرجون عن مبادئه ولا يعملون إلا بما يوافق مضامينه[4].

ومهما يكن من أمر، فقد أصبح الغالب على العلماء بتلمسان – عصر "**أبو عبد الله محمد المقّري**"– طابع التقليد والبعد عن الاجتهاد، والولوع بالرواية ونقل أقوال العلماء السابقين المجتهدين، أين ساد التقليد المطلق، وركن العلماء إلى ما وجد لديهم من فتاوى الأئمة السابقين[5]،

=وأي جديد، تنسيق محمد الروكي، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1996، ص55.

[1] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص420.

[2] عمر الجيدي، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط، 1993، ص281.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص380.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص378، عبد الرحمن كريب، **النزعة الاجتهادية في المدرسة المالكية التلمسانية خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي**: أبو عبد الله محمد المقري وكتابه القواعد، مجلة كان، ع14، ديسمبر 2011، ص54.

[5] محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، ص57، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص288، عبد الرحمن كريب، المرجع السابق، ص54.

وآل حال الطلبة والعلماء إلى التعصب المذهبي، فنجد "**ابن خلدون**" يصف الحالة التي انحدر إليها الفقه بقوله: "**ووقف التقليد في الأمصار عند هؤلاء الأربعة، ودرس المقلدون لمن سواهم، وسدّ الناس باب الخلاف وطرقه...، وعمل كل مقلد بمذهب من قلّده منهم بعد تصحيح الأصول، واتصال سندها بالرواية لا محصول اليوم للفقه غير هذا...**"[1].

وهو الأمر الذي حمل "**أبو عبد الله محمد المقّري**" إلى التصّدي لهذا النهج في نقده لما كان عليه معاصروه من العلماء، مستخدما نهج الاجتهاد[2]، أين كانت من بين أهم المسائل التي استوقفته وأخذت باهتماماته: الإغراق في التقليد والجمود على المذهب وترك طريق الاستدلال والفتوى وما آل إليه أمرها، والغلو في اختصار بعض المصنفات المبسوطة، وما جرى به عمل بعض الجهات.

- **ذمّه للتعصب المذهبي وشدّة التقليد:**

انتقد "**أبو عبد الله محمد المقّري**" ما كان عليه حال الطلبة والعلماء من شدة التقليد والتعصب إلى المذهب، وما نتج عنه من التفسيق والتكفير، وإيرادهم أحاديث الإخباريين، التي "**جمهور ألفاظها زور، وكثير من معانيه فجور**"[3]، الأمر الذي حمله على التحذير من هذه الظاهرة وبيان أخطارها[4]، فيقول: «**ولما غلب وصف التقليد في الناس، جنحوا إلى القيل والقال، إذ لم يسمع منهم إلاّ ما نقلوه عن غيرهم، لا ما رأوه من عند أنفسهم...، إنّها لإحدى كبر دواعي التقليد، فالتقليد مذموم، وأقبح منه تحيز الأقطار، وتعصبّ النظار...**»[5].

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص371.

[2] تحدث الدكتور أحمد بن عبد الله بن حميد عن المقري المجتهد ذاكرا أنه بلغ درجة الاجتهاد في حدود المذهب مستشهدا على ذلك بثلاث قواعد له فيها اختيارات وهي التي تحمل أرقام 82-85-393، كما تحدث عن تميزه بعقلية فقهية فريدة تجعله ينقد الكثير من أقوال الفقهاء مستشهدا على ذلك بالقواعد التي تحمل أرقام 35-11-275 .

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص484.

[4] أبو عبد الله المقّري، القواعد، ج1، ص82.

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص483.

فمما يظهر أنّه تميز بعقلية فريدة في نقد الكثير من أقوال الفقهاء التي لا تعتمد على نص شرعي لكونها غير مقبولة عقلا، إذ نجده يعتب على بعض الفقهاء إيغالهم في التعليلات البعيدة، والتي هي نوع من الخيالات يجب تطهير الشريعة منها[1]، فقد ندّد بالتقليد والتعصب كونه معصية لابتعاد العالم عن الحق معرضًا عن الحجة تعصبًا منه للمذهب الذي ينتمي إليه[2]، فيقول: "**واعلم أنّ أصل التقليد هو المعصية التي هي كالطبع لهذا النوع، لأنّه غلب عليه حب الخيال والوهم، وقل فيه طاعة الوعي والفهم**..."[3]، كما نجده يتصدى لبعض المواقف التقليدية المتّزمتة التي سادت عصره كظاهرة الجنوح إلى الأقوال المنقولة والفتوى بما أفتى به السابقون دون حفظ نصوص الكتاب والسنة والتفقه فيهما، فهو يرى في ذلك مضيعة لكثير من فروض العين من العلم، والواجب الاشتغال بحفظ الكتاب والسنة وفهمهما، والتفقه فيهما، والاعتناء بكل ما يتوقف عليه المقصود منهما، فإذا عرضت نازلة عرضها على النصوص، فإن وجدها فيها كفى أمرها، وإلاّ طلبها بالأصول المبينة عليها، فقد قيل: "إنّ النازلة أعين المفتي عليها"[4].

فضلا عن ذلك بيّن لنا "**أبو عبد الله محمد المقّري**" ما يؤدي إليه التعصب المذهبي من نتائج غير مرضية وعواقب وخيمة والتي تتمثل في قدح بعض العلماء وغيبتهم وحتى إلى تكفير وتفسيق البعض الآخر، وفي هذا خطر الابتعاد عن صفوف المسلمين، وفي ذلك محاولة منه إلى تغيير هذا الفكر ووضع حد لهذه الظاهرة الخطيرة، إذ يقول: «**حتى أفضى إلى اغتياب ميتٍ وإغضاب حيٍ، ثم إلى اختلال الدليل وتكليف التأويل، ثم إلى التفسيق والتكفير، والدخول في أمور التخليص منها عسير**»[5]، ولم يكتفي بالتنديد به بل وضع له قاعدة في كتابه "**القواعد**"[6] تؤكد على خطورته ووضع حد له.

---

[1] عبد الرحمن كريب، المرجع السابق، ص58.

[2] عمر الجيدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، ص100، سعاد رياح، المرجع السابق، ص241.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص483.

[4] أبو عبد الله المقّري، القواعد، ص ص188-189، القاعدة رقم224.

[5] الونشريسي، المصدر السابق ،ج2، ص 484.

[6] أبو عبد الله المقّري، القواعد، ج2، ص ص397- 399، القاعدة رقم 149، القواعد، تح الدردابي، ص155.

- **النقل عن غير المعتمد من المختصرات:**

من الأمور التي كان لها انتشار واسع في عصر "**أبو عبد الله محمد المقّري**" كثرة التآليف المختصرة[1] والنقل من المختصرات التي لا يُعرف أصحابها، فقد التزم الفقهاء بالاختصار وتوسعوا في تصنيف المتون والحواشي والمختصرات التي يحفظها الطالب عن ظهر قلب، فيها من الإيجاز ما يخل بالمعاني ويزيدها غموضا[2].

فنجده قد استنكر النقل من كتب مختصرة لمؤلفين غير مشهورين وترك الرواية بأسانيدها، بل ويحذر من الاعتماد عليها في الأحكام والإفتاء، لأنّها تؤدي إلى تصحيف وانقطاع سلسلة الاتصال ونقل الفتاوى من كتب غير مصححة، وعدم الاعتبار بالناقلين، حيث يقول في ذلك مجليًا عن رأيه، مندداً بهذا المنهج: «**ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها، ونسوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها...، ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال، فصارت الفتاوى تنفذ من كتب لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها...**»[3].

ففي الواقع هو لا يرى في كتب المختصرات بديلا عن كتب الأمّهات المعتمدة في المذهب، وذلك لأنّ المبالغة في اختصارها جعل منها رموزا وألغازا يصعب فكّها، ولذا حذّر طلبة العلم منها في عصره – الذين أنكبو على هذه المختصرات حفظا وفهما دون التمييز بين السقيم والسليم[4]– من أن يستّمروا في ذلك حتى لا يفنّوا أعمارهم في حلّ ألغازها وفهم رموزها دون تحصيل علم نافع، وأن يرجعوا إلى أخذ العلم من أصوله المعتمدة بالتصحيح، وفي هذا الصدد يقول:

---

[1] **الاختصار**: معناه ضم بعض الشيء إلى بعض، بقصد الإيجاز، والغرض منه إيراد المعاني الكثير بألفاظ قليلة، قال "ابن منظور: "اختصار الكلام بإيجازه، والاختصار في الكلام أن تدع الفضول وتستوجز الذي يأتي على المعنى"، لسان العرب، ج4، ص243.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص381، عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي، ص87-88، عمر الجيدي، محاضرات ي تاريخ المذهب، ص133، علي الإدريسي، المرجع السابق، ص24، ألفرد بل، الفرق الإسلامية، ص361.

[3] الونشريسى، المصدر السابق، ج2، ص ص479-480.

[4] الونشريسي، المصدر نفسه، ج2، ص479.

«...اقتصروا على حفظ المختصرات ما قلّ لفظه، ونزر حظه، وأفنوا أعمارهم في حل لغوزه، وفهم رموزه، ولم يصلوا إلى ردّ ما فيه إلى أصوله بالتصحيح، فضلاً عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح، بل هو حل مقفل وفهم أمر مجمل، ومطالعة وتقييدات، زعموا أنّها تستنهض النفوس فبينما نحن نستكبر العدول عن كتب الأئمة إلى كتب الشيوخ، أتيحت لنا تقييدات للجهلة بل مسودات المسوخ »[1].

ويتضح من خلال حديث "**أبي عبد الله محمد المقّري**" أنّه يستحيل فهم هذه المختصرات إلاّ إذا توفرت لها شروح وحواشي وهوامش[2]، والجدير بالتنويه أنّ رأيه" هذا حلّ محلّ الرضا والقبول عند مجموعة من العلماء، فكان أن أثبتوها في مؤلفاتهم وفي مواضع مختلفة[3]، كما كان لها أثر في تلامذته منهم "**ابن خلدون**" الذي يقول عن المختصرات ومؤلفيها: « **قصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوهم صعبا بقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها**»[4]، وكذا تلميذه "**الشاطبي**" الذي ينصح باعتماد كتب المتقدمين دون غيرها من الكتب المتأخرة لأنّها كما يقول: «**أنفع لمن أراد الأخذ بالاحتياط في العلم على أي نوع كان وخصوصا علم الشريعة، الذي هو العروة الوثقى والوزر الأحمى**»[5].

- **رفضه الاحتجاج بعمل أهل قرطبة:**

لاحظ "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في بيئته المغربية اعتماد بعض علماء الأندلس والمغرب عمل أهل قرطبة- أي أن يكون الحكم بقضاء قرطبة - وجعلوه مسلكا للاحتجاج به، حيث ورد في أحكام بعض القضاة قولهم: «**هذا ما جرى به عمل أهل قرطبة**»[6].

---

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص480.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص381، ألفرد بل، المرجع السابق، ص361.

[3] الونشريسى، المصدر السابق، ج2، ص479، السراج، الحلل السندسية، ج3، ص619.

[4] ابن خلدون، المقدمة، ص472.

[5] الشاطبي، الموافقات، ص58.

[6] أبو عبد الله المقّري، المصدر السابق، ج1، ص83، عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي، ص309، سعاد رياح، المرجع السابق، ص244.

فقد رفض "**أبو عبد الله محمد المقّري**" هذا الرأي واستنكره، إذ اعتبره جمودا يقضي على تعاليم الإسلام بالتبديل والتغيير فيه حتى لا يبقى منه إلاّ القول دون العمل، فجاء عنه في ذلك قوله: «**وعلى هذا الشرط**[1] **ترتب إيجاب إتباع عمل القضاء بالأندلس ثم انتقل إلى المغرب، فيما نحن ننازع الناس في عمل المدينة، وتصيح بأهل الكوفة مع كثرة من نزلها من العلماء الأمة مثل "علي" و"ابن مسعود" ومن كان معهما :ليس التكحل في العينين كالكحل، سنح لها بعض الجمود ومعدن التقليد:**

الله أخّر موتي فتأخرت حتى رأيت من الزمان عجائبا»[2].

فالواضح أنّه كان يرى بأنّ هذا المسلك وما فيه من الجمود يجعل العادة تحل محلّ الشرع والدّين الصحيح، وفي هذا خطر على الإسلام وأهله[3]، فيقول في ذلك رغبة منه في تغيير الوضع: «**يا لله ويا للمسلمين ذهبت قرطبة وأهلها، ولم يبرح من الناس جهلها ...ألا ترى خصال الجاهلية ...مما نهي عنه وحذّر منه، كيف لم تزل من أهلها وانتقلت إلى غيرهم مع تيسر أمرها، حتى كأنّهم لا يرفعون بالدّين رأسا، ويجعلون العادات القديمة أسّا**»[4].

وبناء على موقف "**أبي عبد الله محمد المقّري**" هذا، فقد استنتج بعض الباحثين أنّه كان يدعو من خلاله إلى إحداث عمل خاص يناسب الأوضاع الاجتماعية لبلاده مع التزام أسس المذهب المالكي، ولكن دعوته لم تؤت أكلها إلا بعد وقت طويل[5].

---

[1] أي اشتراط الولاة على القضاة أن يكون الحكم بقضاء قرطبة.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص ص482-483.

[3] سعاد رياح، **منهج الإمام المقّري في الفتوى من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي**، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007، ص245.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص ص482-483.

[5] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص154.

2. التقعيد الفقهي[1]:

التقعيد جهد علميّ كسائر الجهود العلمية المتعلقة بموضوعات مختلفة، يكتسي الطابع المنهجي في تدوين وتصنيف العلوم، وتعدّ عملية التقعيد في علم الفقه من أهم المباحث التي حظيت باهتمام العلماء في مختلف المذاهب منذ العصور الأولى[2]، من ذلك فقهاء المدرسة المالكية بتلمسان، فكانت عنايتهم تتجه إلى تأصيل الأصول وتقعيد القواعد، فانكبوا على دراسة فتاوى علماء المالكية، وبحثوا في الأدّلة ومصادرها، مستخلصين قواعد عامة يقع تقريرها أصلا من أصول المذهب، وتتجلى لنا جهودهم في هذا الفن الاجتهادي من خلال ما أنتجه من مؤلفات علم بارز من أقطاب تلمسان عامة والأسرة **المقّرية** على وجه الخصوص وهو "**أبو عبد الله محمد المقّري**"، الذي يعدّ من كواكب أعلام فقهاء القواعد الفقهية في المذهب المالكي، أين نجده قد ساهم في هذا الفن من خلال كتابه "**القواعد**"، الذي يعدّ ثاني[3] الكتب عند المالكية في القواعد أهمية وشهرة، ومن أهم ما أنتجته المدرسة المغربية، نظرا لما اشتمل عليه من قواعد المذهب وضوابطه الفقهية، فقد أشار "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في أول هذا الكتاب على أنّه يشتمل على 1200 قاعدة[4] من أمهات القواعد الفقهية، فقال: «... **قصدت إلى تمهيد ألف قاعدة**

---

[1] **التقعيد الفقهي**: هو عمل عملي فقهي ينتهي بالقضية إلى صياغة الفقه قواعد وكليات تضبط فروعه وجزئياته، فالقاعدة هي حكم كلي، والتقعيد هو إيجادها واستنباطها من مصادرها، عمر الجيدي، المرجع السابق، ص259، عبد الرحمن كريب، المرجع السابق، ص57، نور الدين بوحمزة، المرجع السابق، ص409.

[2] نور الدين بوحمزة، **جهود المالكية في القواعد الفقهية (كتاب القواعد للمقري أنموذجا)**، أعمال الملتقى الخامس للمذهب المالكي "فقه النوازل في الغرب الإسلامي، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الثقافة، عين الدفلى، 18-19-20 ربيع الثاني 1430/14-15-16 أفريل 2009، ص407.

[3] فالأول هو كتاب الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) لمؤلفه "أبو العباس أحمد ابن أبي العلا بالقرافي (ت684هـ/1285م)، يعدّ هذا الكتاب من أروع ما أنتجه الفقه الإسلامي، لأنّه امتاز ببيان الفروق بين القواعد، جمع فيه خمسمائة وثمانية وأربعين قاعدة، **ينظر**: ترجمته: التنبكتي، الديباج، ص ص62- 67، ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص188.

[4] **القاعدة في اللغة**: الأساس، أي أصل الشيء وقوامه، وفي العرف: الأصل والضابط والقانون، أما اصطلاحا، فقال عنها "السبكي": "هي الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها وقال "أبو عبد الله محمد المقّري": "كل كلي هو أخص من الأصول وسائر المعاني العقلية العامة، وأعم من العقود وجملة الضوابط الفقهية الخاصة"، فهي الحكم العام الذي يشمل أصول الشرع ويجري علي فروعة، فالقاعدة الفقهية هي الأصل الفقهي أو الكلية الفقهية التي تندمج فيها وتخرج=

ومائتي قاعدة، هي الأصول القريبة لأمهات مسائل الخلاف المبتذلة والغريبة، رجوت أن يقتصر عليها من سمت به الهمّة إلى طلب المباني وقصرت به أسباب الأصول عن الوصول إلى مكامن النصوص من النصوص والمعاني»[1]، لكن قواعد هذا الكتاب زادت على هذا العدد، إذ أنّها تصل إلى نحو 1250 قاعدة، وقد أشار "**أبو عبد الله محمد المقّري**" إلى هذه الزيادة في خاتمة كتابه، إذ قال: "**قد أتيت على ما قصدت زائدا على ما شرطت تكميلا لما أردت**"[2].

والمتصفح لكتاب "**القواعد**" يتضح له أنّ منهج "**أبي عبد الله محمد المقّري**" فيه امتاز بـ:

– ترتيب قواعد الكتاب حسب أبواب الفقه (الطهارة، الصلاة، الصوم...)، إلاّ أنّه أحيانا يضع قاعدة في باب والأنسب لها باب آخر، فقد أورد مثلا قاعدة في باب الصيام والأنسب لها باب الأيمان[3].

– يبدأ كل قاعدة مستقلة بلفظ "**قاعدة**" وقد يدمج قاعدتين في قاعدة واحدة، مع الإشارة إلى ذلك[4].

– عمد إلى المقارنة بين فروع المذهب الأربعة، ومناقشة من سبقه في مقاصد الشريعة الإسلامية و قواعدها الفقهية وفروق أحكامها، وربط الفروع بقواعدها الشرعية وعمل على بيان ما نشأ من الخلاف المذهبي في أصل هذه القواعد[5].

=عليها فروع وجزئيات فقهية كثيرة، تاج الدين السبكي، **الأشباه والنظائر**، تح عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض،ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1991، ص11، أبو عبد الله المقّري، القواعد، ص 77، عمر الجيدي، المرجع السابق، ص260، عبد الله علي شعبان، **القواعد والضوابط الفقهية وتطبيقاتها من خلال كتاب "التوصيح" لخليل بن إسحاق المالكي**، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2014، ص ص42-47.

[1] أبو عبد الله المقّري، القواعد، تح الدردابي، ص77.

[2] أبو عبد الله المقّري، المصدر نفسه، ص551.

[3] أبو عبد الله المقّري، المصدر نفسه، ص234، القاعدة رقم351.

[4] أبو عبد الله محمد المقّري، المصدر نفسه، تح أحمد بن حميد، ج1، ص432، القاعدة رقم 186.

[5] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص103، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص379.

– أورد في كتابه **"القواعد الفقهية"** بنوعيها، **"قواعد كلية"** مثل "لكل مقام مقال"[1]، و**"قواعد خلافية"** وهي التي أختلف فيها، وقد نتج عن ذلك خلاف في المسائل الفرعية، سواء بين الأئمة الثلاثة (أبي حنيفة والإمام مالك والشافعي) أو داخل المذهب نفسه، ومثال **" القواعد الخلافية"** بين الأئمة الثلاثة: **"تبدل محل النجاسة إلى الطهارة باستعمال الماء شرعي عند مالك ومحمد، حسّي عند النعمان"**[2]، ومثال **"القواعد الخلافية"** داخل المذهب المالكي **"اختلف المالكية في المقدم من الأصل والغالب عند التعارض"**[3].

– استدل في وضع القاعدة على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهو بهذا يحسن الاستدلال ويورده ببراعة فائقة، مما يكشف عن ملكة فقهية ممتازة وإحاطته بكتاب الله وسنة نبّيه صلى الله عليه وسلّم حفظا وفهما[4]، إلاّ أنّه يقتصر في ذلك على محل الاستدلال دون تحديد وجهه، إذ يترك للقارئ المجال لإدراك وجه الاستدلال، فهو يفترض فيه أنّه مؤهل لاستخراج وجه الاستدلال بنفسه[5].

وما يلاحظ على أسلوب **"أبي عبد الله محمد المقّري"** في كتابه **"القواعد"** أنّه تميز بالدّقة والاختصار مع محاولة أداء المعاني الكثيرة في عبارات مقتصرة[6].

وبالنظر إلى القواعد الفقهية التي ساقها **"أبو عبد محمد الله المقّري"** يمكننا استخلاص جملة من الأمور التي لها أهمية بالغة في دراسة تطور هذا العلم، جديرة بالإشادة والتنويه:

أنّ هذا الكتاب يعد من أكثر مؤلفاته قيمة في ميدان الفقه، إذ يظهر ذلك من خلال حرصه على التّحرر من التعصب المذهبي وعلى بيان أراء الأئمة المالكية في المسائل التي يعرض لها مقارنة بآراء أئمة المذاهب الثلاثة في غالب القواعد، إلاّ أنّنا نجده منصفا في ترجيحاته لا يتعصب لمذهب دون الآخر، ولم يكتفي بعدم تعصبه في قواعده، بل وضع قواعد في ذم التعصب والتحذير

---

[1] أبو عبد الله المقري، القواعد، ج2، ص424، القاعدة رقم 177، القواعد، تح الدردابي، ص168.

[2] أبو عبد الله المقّري، نفسه، ج1، ص 213، القاعدة رقم 1، القواعد، تح الدردابي، ص78.

[3] أبو عبد الله المقري، المصدر نفسه، ج1، ص225-227، القاعدة رقم 16، القواعد، تح الدردابي، ص89.

[4] محمد كريب، المرجع السابق، ص57، عبد الحق حميش، **جهود المدرسة المالكية في علم القواعد الفقهية**، أشغال الملتقى الدولي التاسع للمذهب المالكي، تقعيد الفقه المالكي وتقنينه، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الثقافة، ولاية عين الدفلى، 27-28 جمادى الثانية 1434هـ/07-08 ماي2013، ص 243.

[5] أبو عبد الله المقري، القواعد، ج2، ص 414، القاعدة رقم 168، المصدر نفسه، تح الدردابي، ص164.

[6] أبو عبد الله محمد المقّري، المصدر نفسه، ج1، ص 265، القاعدة رقم 39، المصدر نفسه، تح الدردابي، ص100.

منه، فقال: قاعدة: "**لا يجوز التعصب إلى المذاهب بالانتصاب للانتصار بوضع الحجاج، وتقريبها على الطرق الجدلية مع اعتقاد الخطأ أو المرجوحية عند المجيب، كما يفعله أهل الخلاف، إلا على وجه التدريب على نصب الأدلة...فالحق أعلى من أن يعلى، وأغلب من أن يغلب**"[1].

إضافة إلى تأسيسه بعض القواعد، فلم يكن ناقلا فقط بل عمد إلى إدخال قواعد جديدة بالاعتماد على الكتاب والسنّة في الاستدلال، وهذا ليس بالأمر المتيسر، بل يتطلب مقدرة علمية عالية لا ينالها إلاّ قلة من فحول العلماء[2]، ومما زاد هذا الكتاب قيمة أنّه زوّده ببعض النصائح القيّمة الموجّه للعلماء وطلاب العلم خاصة والمسلمين عامة[3]، وهذه ميزة العالم العامل الذي تظل قضايا أمته عالقة بذهنه لا يستطيع البعد عنها، فنجده مثلا يحذرهم من إكثار المسائل الافتراضية النادرة وإضاعة الوقت بحفظ آراء الرجال وأقوال السابقين، وأنّ الأولى التأصيل والاشتغال بكتاب الله وسنة نبّيه صلى الله عليه وسلّم، إذ الخير كل الخير في حفظهما والتفقه فيهما[4].

فهو بذلك قد ابتكر طريقة جديدة في خدمة الفقه، وهي خلاصة نظره الاجتهادي وعمله النقدي لأقوال الفقهاء ونظرتهم إلى بعض المسائل، ومن ثمّ يكون قد ترك موسوعة فقهية جامعة لعلم الفقه، قال "**الونشريسي**" عن هذا الكتاب: «**إنّه كتاب غزير العلم، كثير الفوائد، لم يسبق إلى مثله، بيد أنّه يفتقر إلى عالم فتاح** »[5]، وقال "**المنجور**" عن قواعده: «**إنّها جليلة القدر عظيمة الشأن**»[6]، وقال عنه "**محمد الفاضل ابن عاشور**": «**كتاب عجيب الاختراع، بعيد المنزع قصد فيه استخلاص المبادئ الكلية التي أقيمت على النظريات الفقهية في كل**

---

[1] أبو عبد الله محمد المقّري، المصدر السابق، تح الدردابي، ص154، القاعدة رقم 148، المصدر نفسه، تح أحمد بن حميد، ص398.

[2] **ينظر**: أبو عبد الله محمد المقّري، المصدر نفسه، ص239، قاعدة رقم 360.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص480، محمد الجيدي، محاضرات، ص303، عبد الرحمن كريب، المرجع السابق، ص57.

[4] **ينظر**: أبو عبد الله المقّري، المصدر السابق، ص ص188-189، القاعدة رقم224.

[5] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص427، أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص284، محمد بوزيان بنعلي، من نوادر المخطوطات التعريف بالمقري، ص125.

-Ch.broseelard, tombeaux des famiiies, p404

[6] نقلا عن الدردابي، مقدمة التحقيق القواعد، ص54.

باب من أبواب الفقه، وأثبت ما في تطبيق تلك المبادئ على جزئياتها من اختلاف الأنظار، فقارن مقارنة حكيمة في نطاق القواعد بين فروع المذاهب الأربعة، وكان بذلك مبتكرا طريقة جديدة في خدمة الفقه»[1].

ومهما يكن من أمر، فإنّ كتاب "**القواعد**" لـ "**أبي عبد الله محمد المقّري**" يعدّ من الكتب التي تركت أثراً واضحاً عند العلماء بعده[2]، وليس ذلك بغريب، خاصة وقد تفوّق "**أبو عبد الله محمد المقّري**" على المؤلفين الآخرين في هذا الفن من المالكية في تنويع القواعد وترتيبها، فجاء على هذا ثناء العلماء عليه مستفيضاً[3].

3. دورهم في المناظرات والمناقشات العلمية:

تعد المناظرات العلمية أحد الأنشطة الفكرية المهمة في البلاد الإسلامية، فهي شكل من أشكال التفوق والتطور العلمي[4]، وهي تتناول الفقه المالكي بالدرجة الأولى، فضلا عن التفسير والتصوف والكلام واللغة والنقد الأدبي وغير ذلك من المسائل المطروحة للنقاش والجدال[5].

وقد شكّلت المناظرات مظهرًا من مظاهر النشاط الفكري بتلمسان، أين كانت تتم هذه المناظرات بين علماء تلمسان أو بينهم وبين نظرائهم من علماء الحواضر الإسلامية في المجالس العلمية التي احتضنتها المساجد والمدارس وقصور السلاطين[6].

---

[1] رشيد زواوي، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب، ص 328.

[2] بحيث استفاد منه أحمد الونشريسي" (ت914هـ) في كتابه "إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك"، و"علي بن قاسم الزقاق" (ت912هـ) في منظومته الفقهية "المنهج المنتخب"، كما اشتمل شرح "أحمد المنجور"(ت975هـ) على منظومة "الزقاق" على عدد كبير من قواعد "أبو عبد الله محمد المقّري"، واستفاد أيضا منه "محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي" الشهير "بالحطاب" (ت954هـ) في كتابه "مواهب الجليل".

[3] **ينظر**: ابن الخطيب، الإحاطة، ج5، ص195، النباهي، ،المصدر السابق، ص169، ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص232.

[4] قاسمي بختاوي، **واقع التعليم بالمغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي**، دورية كان التاريخية، ع 29، سبتمبر، 2015، ص ص132- 136.

[5] محمد المنوني، المرجع السابق، ص389، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص412.

[6] نبيل شريخي، **المناظرات والمناقشات العلمية لعلماء تلمسان في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين- الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين**، مجلة كان التاريخية، ع13، سبتمبر 2011، ص62.

ومن الثابت أنّه كان لعلماء الأسرة **المقّرية** حضور علمي بمشاركتهم في تلك المناقشات العلمية التي جرت في موطنهم تلمسان، أو في مدن المغرب الإسلامي الأخرى، فمّمن كان من بين علمائها طرفاً في هذه المناظرات والمناقشات العلمية "**أبو عبد الله محمد المقّري**"، الذي كانت له مشاركات في بعض المناقشات والمباحثات التي أثيرت في مجلس السلطان "**أبي تاشفين**"، رغم صغر سنّه، أين فسح له المجال للإدلاء بدلوه بكل حرية وشجاعة[1]، ومن بين مواضيع بعض المناظرات والمراجعات التي شارك فيها نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- **مذاكرة حول رتبة "ابن القاسم الاجتهادية"، هل هو مقيد النظر أو مطلق الاجتهاد؟:**

ذكر "**أبو عبد الله محمد المقّري**" أنّه شهد مجلساً بين يدي السلطان "**ابن تاشفين**"، ذكر فيه "**أبا زيد ابن الإمام التلمساني**" أنّ "**ابن القاسم**"[2] مقلّد مقيّد النّظر بأصول مالك، ونازعه "**أبو موسى عمران المشدّالي**" وادّعى أنّه مطلق الاجتهاد، واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه أو يبلّغه عنه لما ليس من قوله، وأتى من ذلك بنظائر كثيرة، فقال: "فلو تقيّد بمذهبه لم يخالفه لغيره"، فاستظهر في ذلك بنصّ لـ "**شرف الدّين التّلمساني**"، مثّل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد "**ابن القاسم**" بالنّظر إلى مذهب "**مالك**"، و"**المزني**" إلى "**الشافعي**"[3]، و"**محمد بن الحسن**"[4] في مذهب "**أبي حنيفة**"، فقال "**أبو موسى عمران المشدالي**": "**هذا مثال، والمثال لا تلزم**

---

[1] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص218، أزهار الرياض، ج5، ص ص18-19.

[2] **ابن القاسم**: هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي المصري، أخذ عن الإمام مالك والليث بن سعد ومسلم ابن خالد وغيرهم، وعنه أصبغ وسحنون وابن الحكم ويحي ابن الليثي، توفي سنة 191هـ، القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص433.

[3] **الشافعي**: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس، ولد سنة 150هـ/768م بغزة في فلسطين، وفق بين مدرسة مالك في الحديث ومدرسة أبي حنيفة في استعمال الرأي، مؤسس علم أصول الفقه وأول من ألّف فيه ودونه، وله مؤلفات منها: الأم، والإملاء، والرسالة وغيرهاتوفي بمصر سنة 204هـ/820م ودفن بمقابر قريش، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص ص 2393-2418، ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 176، ابن عماد، شذرات الذهب، ج2، ص9.

[4] **محمد بن الحسن**: هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني الكوفي الحنفي، صاحب أبي حنيفة، له مصنفات كثيرة منها، الجامع الكبير، الجامع الصغير، الحجة على أهل المدينة، توفي سنة (189هـ)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص184.

صحته"، فصاح **"أبو زيد"** وقال لـ **"أبي عبد الله بن عمر"**[1]: **"تكلم"**، فقال: **"لا أعرف ما قال هذا الفقيه، والذي أذكره من أهل العلم أنّه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل"**.

فقال **"أبو موسى"** للسلطان: **"هذا كلام أصولي محقق"**، حينها تدخل **"أبو عبد الله محمد المقّري"**، قال: "فقلت لهما – **وأنا يومئذ حديث السّن**": ما أنصفتما الرجل، فإنّ المثل كما تؤخذ على جهة التحقيق، كذلك تؤخذ على طريق التّقريب، ومن ثمّ جاء ما قال هذا الشيخ، أعني ابن أبي عمرو، وكيف لا، وهذا سيبويه يقول: "وهذا مثال ولا يتكلّم به"، فإذا صحّ أنّ المثال قد يكون تقريبا، فلا يلزم صحّة المثال، ولا فساد الممثّل لفساده، فهذان القولان من أصل واحد"[2].

- **مذاكرة في تكملة "البدر بن محمد بن مالك"[3]، لشرح "التسهيل" لأبيه:**

تذاكر **"أبو عبد الله محمد المقّري"** يوما مع شيخه **"إبراهيم ابن حكم السلوى"** في تكملة **"محمد بن محمد بن مالك"** لشرح التسهيل لأبيه، ففضّل **"أبو عبد الله محمد المقري"** شرح الأب على تكملة الابن، وخالفه شيخه مفضلا تكملة الابن، فقال **"أبو عبد الله محمد المقّري"** على البديهة:

عهود من الآباء توارثها الأبنا

فردّ عليه شيخه بديهة أيضا:

بنوا مجدها لكن بنوهم لها أبنى[4].

- **مباحثة حول تكرار "مَنْ" في قوله تعالى: ﴿سَواءٌ مِنكُم مَن أَسَرَّ القَولَ وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾[5] دون ما بعدها:**

---

[1] **أبو عبد الله محمد بن أبي عمرو**: هو حاجب السلطان أبي تاشفين، ولاه بجاية سنة (754هـ)، محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ص140.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص214-215، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص351، التنبكتي، كفاية المحتاج، ص269، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص218، أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج1، ص18.

[3] **البدر بن محمد بن مالك**: هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك نحوي، ابن ناظم الألفية محمد بن مالك ، له شرح على ألفية والده و"المصباح " في علوم البلاغة وسواها توفي سنة (686هـ/1287م)، ابن ثغري البردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 373، السيوطي، بغية الوعاة، ص96، أحمد المقرّي، نفح الطيب، ج2، ص ص233-234.

[4] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص37، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص227.

[5] سورة الرعد، الآية 10.

قال "**ابن الحكم**": "لولا تكرارها أوّلاً لتوهم التضاد بتوهم اتحاد الزمان، فارتفع بتكرار الموضوع، أما الآخر فقد تكرر الزمان، فارتفع توهم التضاد، فلم يحتج إلى زائد على ذلك"، في حين قال "**أبو عبد الله محمد المقّري**": "فهلاَّ اكتفى بسواء عن تكرار الموضوع، لأن التسوية لا تقع إلاّ بين أمرين، وإنّما الجواب عندي أنها تكررت أولاً على الأصل لأنّهما صنفان يستدعيها كل واحد منهما أن تقع عليه، ثم اختصرت ثانياً لفهم المراد من التفصيل بالأوّل مَعَ أمنِ اللبس، وقد أجاب الزمخشري بغير هذين فأنظره"[1].

هذا، وقد ذكر "**أبو عبد الله محمد المقّري**" نفسه أنّه لما رحل إلى تونس حضر دروس فقيهها وقاضي الجماعة بها "**أبو عبد الله بن عبد السلام**" وأكثر مباحثته[2]، فمما لاشك فيه أنّ هذه المباحثات دّلت على الباع العلمي لـ"**أبي عبد الله محمد المقّري**"، مما مكنّه من مراجعة أساتذته وغيره ممن سبقت الإشارة لهم.

[1] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص227.

[2] أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص251.

الفصل الثاني

دور علماء الأسرة المقّرية في الوظائف السياسية والخطط الدينية:

أولا: المشاركة السياسية لأعلام الأسرة المقّرية.

ثانيا: دورهم في الخطط الدينية.

كان لبعض علماء الأسرة **المقّرية** حضور في الحياة السياسية ومختلف الوظائف الدينية بتلمسان، مما يدفع إلى المبادرة بتساؤل، هل كانت هذه المشاركة وليدة المصلحة الخاصة تحكمها المرامي التي يرومها كل عالم من تبوء المناصب، وما توفره من جاه ومال وسلطة ؟ أم من باب الاقتناع بالرسالة المنوطة بهم تجاه السلطة السياسية كونهم فقهاء، وهي رسالة تقوم على النصح والتقويم وتفادي الخروج عن الطاعة والعصيان؟

أولا: المشاركة السياسية لأعلام الأسرة المقّرية:

1. علاقة علماء الأسرة المقّرية بالسلطة السياسية الزمنية:

شكّلت قاعدة اهتمام السلاطين والأمراء بالعلماء أحد أهم الظواهر في العالم الإسلامي عامة وبلاد المغرب خاصة، وهذا إيمانا منهم بأنّ تثبيت الحكم وتقدّم العلوم لا يتحقق إلا باعتماد الدولة على كفاءتها العلمية، يقول "**الشوكاني**" في ذلك: "**ولا يمكن حصر عدد من يتصل من أهل العلم والفضل بسلاطين قرن من القرون بل بسلاطين بعض القرون في جميع الأرض ونحن نعلم علما يقينا أنّه لابد لكل ملك وإن كانت ولايته خاصة بمدينة من مدائن الإسلام، فضلا عن قطر من الأقطار، فضلا عن كثير من الأقطار أن يكون معه جماعة ممن يلي المناصب الدينية، وإلا لم يستقم له أمره ولا تمت له ولايته ولا حصلت له طاعة ولا انعقدت له بيعة، يعلم هذا كل عاقل من المسلمين فضلا عن أهل العلم منهم**"[1].

فيبدوا أنّ سلاطين الدول التي حكمت بلاد المغرب الإسلامي قد أدركوا حجم الدعم الذي قد يقدمه هؤلاء العلماء إن أمكّنهم احتواؤهم، فسعوا للتقرب منهم بشتّى الوسائل[2]، وفي ظل هذه الوضعية السياسية تحددت العلاقة القائمة بين السلطة والعلماء في الدولة الإسلامية من خلال مساندة العلماء للسلطة، بحيث أضحت حاجة الملوك إلى الفقهاء أكثر من حاجة الفقهاء إلى

---

[1] الشوكاني، **رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين**، تح محمد الصغير العبادلي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2004، ص85.

[2] أبو حمو موسى، واسطة السلوك، ص85، عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص81، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص300، صابرة خطيف، المرجع السابق، ص84، خليل إبراهيم الكبسي، **دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة**، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، (ب م)، 2004، ص91، الفصل الأول من الباب الأول من الدراسة، ص63.

الملوك، وقد صرّح بهذا بعض السلاطين عندما قال عن أحد الفقهاء: "**نحن بحاجة إليه أكثر مما هو بحاجة إلينا**"[1]، وتدعم هذا الارتباط بتوّليهم لبعض الخطط الدينية والسلطانية[2].

وبالتالي تظهر لنا العلاقة القائمة بين علماء الأسرة **المقّرية** والسلطة السياسية الزمنية في تلمسان من خلال توليهم لعدد من المناصب التي تشرف عليها الدولة كالخطابة والإمامة والقضاء والتدريس والسفارة وغيرها، ويمكن رصد الوظائف التي أوكلت إليهم من طرف السلطة والتي شغلوها في مختلف الحواضر المغربية من خلال الجدول الآتي:

الفقيه	الوظائف السلطانية	المصدر
أبو عبد الله محمد المقّري (ت759هـ/1358م)	• التدريس. • البيعة. • السفارة. • القضاء. • الإفتاء.	ابن مريم، البستان، ص155، ابن فرحون، الديباج، ص383، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 420، ابن خلدون، التعريف، ص60، الشاطبي، الإفادات والانشادات، ص22، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5،ص340،ص399،ص208.
أبو الحسن علي المقّري(كان حيا سنة777هـ/1375م).	• القضاء.	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص121.
أبو عثمان سعيد المقّري	• التدريس. • الإمامة. • الخطابة. • الإفتاء.	ابن مريم، البستان، ص155،ص165.

[1] سليمان ولد خسال، **جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633هـ/922هـ**، أطروحة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، قسم الشريعة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2008م، ص218.

[2] **الخطط الدينية والسلطانية**: فرّق ابن خلدون بين الخطط الدينية والسلطانية، فالأولى هي المختصة بالخلافة كالصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة، وهي كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة، أما الخطط السلطانية فتشتمل على الوزارة والكتابة والحجابة، ابن خلدون، المقدمة، ص175، ص ص189-200.

يتبين لنا من خلال الجدول، أنّه تنوعت الوظائف السلطانية التي شغلها علماء الأسرة **المقّرية** وذلك لتعدد مواهبهم ولإمكانيتهم العلمية، فعادة ما كانت تسند هذه الوظائف إلى الفقهاء الذين بلغوا درجة من العلم[1]، فيظهر أنّ القضاء الذي يعتبر من أهم الخطط الدينية والإدارية والسياسية في نفس الوقت كونه أحد الفروع الأساسية للإمامة الكبرى[2]، كان أحد المناصب التي شغلها أفراد الأسرة "**المقّرية**"، فنظرا لأهمية هذا المنصب الاجتماعية وكونه ركنا أساسيا في دعم واستمرار أي كيان سياسي عند قيامه بدوره المنوط به، فقد استمد سلطته من الحاكم مباشرة، بحيث استوجب الأمر أن يشرف السلطان على تعيين القضاة من أهل العلم والاستقامة[3]، أين حرص سلاطين دول المغرب الإسلامي على إيجاد هيئات قضائية تتولى النظر في مختلف القضايا والنوازل[4]، ويتجسد لنا هذا في الأسرة **المقّرية** في شخص "**أبي عبد الله محمد المقّري**" الذي ولاه السلطان "**أبو عنان**" منصب قضاء الجماعة بفاس من سنة(749هـ/1348م) إلى غاية سنة (756هـ/1355م)[5]، وربما أيضا قضاء مرسى هنين على نحو ما انفرد بذكره أحد الباحثين[6]، ثم تولى قضاء العسكر في حملة "**أبو عنان**" على قسنطينة سنة(758هـ/1358م)[7]، وكذلك بالنسبة لـ "**أبي الحسن علي المقّري**" (769هـ-777هـ/1367م-1375م)[8] الذي يرجح أنّه عيّن من قبل السلطة الزمنية القائمة، وربما تتمثل في السلطان "**أبي حمو موسى الثاني**" استنادا إلى الفترة التي تولى فيها القضاء.

---

[1] خليل ابراهيم الكبسي، المرجع السابق، ص111، صابرة خطيف، المرجع السابق، ص66.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص176، النباهي، المصدر السابق، ص ص2-3، الونشريسي، **كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية**، تح محمد الأمين بلغيث، لاقوميك، (ب م)، (ب ت)، ص 38- 39-41، صابرة خطيف، المرجع السابق، ص173، نبيل شريخي، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية، ص79.

[3] محمد فتحة، المرجع السابق، ص28، نبيلة عد الشكور، **القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية**، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2011، ص18، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص202.

[4] نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص 18-19.

[5] ابن فرحون، المصدر السابق، ص382، ابن خلدون، التعريف، ص60، الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص37، عادل نويهض، المرجع السابق، ص312، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص80، نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص205.

[6] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص81.

[7] ابن خلدون، التعريف، ص63، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص425.

[8] ابن خلدون، المصدر السابق، ص121.

وفضلا عن تولي علماء الأسرة "**المقّرية**" منصب القضاء، نلاحظ أنّهم قد شغلوا خطة الخطابة والتي تعد من بين الخطط الهامة بالدولة الزيانية، كونها وظيفة إعلامية مهمتها الأساسية التأثير في المستمع بما يرتجي من أراء أو صدّه عنها[1]، وما يعكس أهميتها علاقتها الوثيقة بالسياسة والسلطة الحاكمة ببلاد المغرب، فبالإضافة إلى أنّ السلطان هو من يقوم بتعيين الخطباء أو تأخيرهم، فقد أعتبر ما يقوم به الخطيب من الدعاء باسم السلطان والثناء عليه وأمر الناس بطاعته في الخطبة خدمة جليلة تقّدم للبلاط السياسي، وهو ما يعبّر عن سيادة الدولة وبسط نفوذها على الأقاليم التي تدعو في منابرها لهذا السلطان أو ذاك[2]، وقد أسندت هذه الخطة إلى "**أبي عثمان سعيد المقّري**" من علماء الأسرة **المقّرية**، الذي تولى الخطبة بالمسجد الأعظم بتلمسان مدة خمس وأربعين سنة[3]، كما تصدى للفتوى بتلمسان مدة ستين سنة[4]، أين كانت مزاولة الفتيا بالمساجد العظام لا تتم إلا برخصة من السلطان[5].

ومن خلال الجدول يتبن لنا أيضا أنّه غالبا ما شغل عالما واحدا من علماء الأسرة **المقّرية** عدة مناصب أخرى إلى جانب القضاء والخطابة كالتدريس، وهذا أمرا طبيعيا يتفق مع ما ذهب إليه أحد الباحثين من أنّ العلماء: "**إذا قعدوا للتدريس في دور بنتها لهم الدول وتقاضوا أرزاقهم منها، لأصبحوا في عداد خدّمها وحواشيها**"[6]، فقد امتد نفوذ السلطة الزمنية بتلمسان سواء زيانية كانت أم مرينية، عبر العلماء الذين ولتهم منصب الخطابة والقضاء إلى الجهاز التعليمي[7]، أين عملت السلطة السياسية على إدخال السياسة في العمل التربوي والجهاز التعلمي، بحيث كان إشراف الدولة على التعليم واضحا وجلّيا، فقد شكّل تنافس السلاطين في هذه الفترة على بناء المدارس السلطانية وإشرافهم عليها واستقدام العلماء للتدريس فيها، وجها من أوجه تلك العلاقة القائمة بين السلطة والجهاز التعليمي[8].

---

[1] صابرة خطيف، المرجع السابق، ص 156، محمد أبو زهرة، **الخطابة أصولها التاريخية في أزهى عصورها عند العرب**، دار الفكر العربي، (ب م)، (ب ت)، ص9.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص215، نبيل شريخي، المرجع السابق، ص95.

[3] محمد مخلوف، المرجع السابق، ص295.

[4] محمد مخلوف، المرجع نفسه، ص295.

[5] ابن خلدون، المقدمة، ص176.

[6] نبيل شريخي، المرجع السابق، ص99.

[7] صابرة خطيف، المرجع السابق، ص164.

[8] نبيل شريخي، المرجع السابق، ص96.

ولاشك أنّ علماء الأسرة **المقّرية** على غرار أمثالهم من علماء المغرب قد حضوا بتنافس وسعي السلاطين في ضّمهم إلى حضرة دولتهم، فأهم ما نلمسه من خلال الجدول أنّ الحضور المريني كان واضحا في هذا الميدان منافسة للزيانيين[1]، فبعدما صار المغرب الأوسط عرضة لتدخلات الحفصين والمرينيين واستطاع "**أبو عنان**" أن يدخل تلمسان، حاول تحسين علاقته بالفقهاء، فراح ينظمهم في بلاطه ويوقف عليهم المدارس ويسند إليهم الوظائف، وهو ما نلمسه من خلال علاقته بالفقيه "**أبي عبد الله محمد المقّري**" الذين استخلصه إلى جانبه، بعد اصطحابه معه إلى فاس، فجعله من خواصه المقّربين ونظّمه في مجلسه العلمي، كما قام ببناء "**المدرسة المتوكلية**" برسمه سنة (750هـ/1349م)[2] وعيّنه للتدريس بها، ولعل هو ما يعكس لنا تلك العلاقة القائمة بين السلطة السياسية والجهاز التعليمي أكثر بالنسبة لعلماء الأسرة **المقّرية** من خلال تدريس العلماء في المدارس التي أقامها السلاطين، وذلك بعد استدعائهم أو بناء المدارس لهم[3].

ورغم تعدد الأمكنة التي كان علماء تلمسان يلقون فيها دروسهم، فقد احتضنت المدارس والمجالس السلطانية والمساجد لما في ذلك من علاقة مباشرة بالسلطة السياسية – إذ لم يكن جلوس علماء تلمسان للتدريس في المساجد ليتم لولا أنّ الدولة قد سمحت بذلك، كما أنّ تعيين الأساتذة بالمساجد السلطانية يرجع للسلطة الحاكمة- دروس علماء الأسرة **المقّرية** ومجالسهم العلمية، فالتقوا بها مع طلبتهم وزائريهم[4].

هذا، وأهم ما يلاحظ أيضا أنّه قد تولى بعض فقهاء الأسرة **المقّرية** إضافة إلى المناصب الدينية مناصب إدارية كمنصب السفارة والذي اضطلع به "**أبو عبد الله محمد المقّري**"، أين كان إسناد السفارة إلى الفقهاء يعكس مكانتهم العلمية والثقة التي وضعها فيهم السلاطين، فمثل

---

[1] صابرة خطيف، المرجع السابق، ص 135.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ص ص255-227، محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية، ص ص58-59، محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينين، ص51.

[3] نبيل شريخي، المرجع السابق، ص ص96-97.

[4] أما عن دور علماء تلمسان في الحياة السياسية ببلاد المغرب من خلال وظيفة التدريس فإنّ تدريسهم كان علميا محضا يكاد يخلو من التعرض للسياسة، إلاّ ما تعلق ببعض الفتاوى التي تعرض عليهم، **ينظر**: نبيل شريخي، المرجع نفسه، ص193.

هذه المهمة تتطلب الصدق والأمانة والإخلاص، إضافة إلى العلم، وهذه الأمور تتوفر في العلماء[1] من ذلك علماء الأسرة **المقّرية** وهم أهل لها.

مما لاشك فيه أنّ الأهمية التي أولاها السلاطين لعلماء الأسرة **المقّرية** قد ارتكزت على بعض الأسس وهي كسب الصفة الشرعية بما أنّهم قادرون على إضفاء مثل هذه الصفة ثم الاستفادة من مكانتهم العلمية والعملية، وقد تجسد ذلك من خلال استجابتهم لطلبها فيما كلّفتهم به من مهام إدارية وعلمية، فضلا عن رصيدهم الأسري والشرف.

2. دور علماء الأسرة المقّرية في الوظائف السياسية:

اقتضت العلاقة التي قامت بين العلماء والسلطة السياسية ببلاد المغرب الإسلامي عامة وبتلمسان على وجه الخصوص ما بين القرون (7هـ و10هـ/13م و16م) إلى تقديم العلماء خدمات استفاد منها السلطان أو البلاط الذي عمل على تقريب هذا العالم وضمّه إليه، ولم تنحصر تلك الخدمات بما جادت به قريحتهم من علم وفقه فحسب، بل اقتحموا عالم السياسة بأعمال وأداء وأدوار[2]، فما هي الأدوار السياسية التي قام بها علماء الأسرة **المقّرية؟**

أ. أبو عبد الله محمد المقّري وأداء البيعة:

يعتبر نظام البيعة[3] من أهم مقومات الدولة الإسلامية، بحيث اختص به الإسلام على سائر الأنظمة السياسية، فقد حثت عدة نصوص قرآنية على البيعة منها قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[4]، الأمر الذي يدلّ على أهمية وجود السلطان أو الأمير على

---

[1] خليل الكبيسي، المرجع السابق، ص121، سليمان ولد خسال، المرجع السابق، ص373.

[2] نبيل شريخي، المرجع السابق، ص76.

[3] **البيعة**: تعني اجتماع أهل الحل والعقد من المسلمين، فيعقدوا الإمامة لأفضلهم دينا وتقى ورأيا وعلما، بحيث جاء عن "القلقشندي" في معنى البيعة بأنّها: "أن يجتمع أهل الحل والعقد...فيعقدوا الإمامة لمن يستجمع شرائطها"، فيلتزم فيها الإمام على العدل والسير على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلّم في كل أمر ونهي، وفي المقابل يلتزم المبايعون بالسمع والطاعة في غير معصية الله تعالى[3]، وأن يوفوا بعهودهم نحوه بما تقتضيه ظروف إمامته لهم عند قيامه بمهام أمورهم، فيلزمهم تنفيذ ما يوكل إليهم من مهمات ومسؤوليات ولو كان ذلك بدون أجر مادي، وفي هذا الصدد جاء عن "ابن خلدون" بأنّها: "العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما كلفه به من أمر على المنشط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيدا للعهد"، القلقشندي، المصدر السابق، ج9، ص292، ابن خلدون، المقدمة، ص176.

[4] سورة الفتح، الآية 10.

الناس، فلا انتظام لأمر الدين والدنيا إلاّ بأمير مطاع، ولا أمير مطاع إلاّ برضا الجماعة واختيارهم، ودلالة الرضا مبايعته على ذلك[1].

وهناك ملاحظة يتوجب الإشارة إليها وهي أنّ الكيفية التي تتم بها المبايعة قد تكون إما باختيار أهل الحل والعقد[2] من الأمة للخليفة أو الإمام، أو أن يستخلف هذا الأخير إمام سابق، أو عن طريق ولاية العهد، وقد يتولى الخلافة أو الإمامة شخص بغير مشاورة أو استخلاف أو ولاية عهد وذلك عن طريق الغلبة والقوة كما حدث في فترات من التاريخ الإسلامي عامة وبلاد المغرب على وجه الخصوص.

فلما كانت بلاد المغرب الإسلامي مسرحا للصراعات العسكرية والتي وصلت إلى حدّ التقاتل فيما بين المسلمين بسبب التنافس على الملك والرغبة في توسيعه، فقد اضطر خلالها أهل المغرب إلى تقديم الولاء للسلطة الحاكمة ومبايعة السلطان على تولّي أمورهم، متحملين في ذلك تبعات التنافس الحاصل بين السلاطين، وهذا حفاظا على وحدة الأمة وسداً للفراغ السياسي الذي قد تقع فيه الدولة بفقدانها السلطان الذي يحكمها.

وربما هذا ما نلمسه من خلال ما حدث بين السلطان المريني "**أبي الحسن**" وابنه "**أبي عنان فارس**"، هذا الأخير الذي ولّي أميرا على تلمسان وعلى المغرب الأوسط خلفًا لوالده "**أبي الحسن المريني**" الذي عزم على احتلال افريقية بغية إحياء الإمبراطورية الموحدية وقد تحقق له ذلك سنة (748هـ/1347م)[3]، بيد أنّ الوضع لم يستقر له، إذ سرعان ما انفجرت ضدّه ثورة في كل من القيروان وتلمسان سنة (749م/1348م)، مُنيّ فيها "**أبو الحسن المريني**" بهزيمة نكراء، الأمر الذي شكّل فرصة سانحة لابنه "**أبي عنان**" في وراثته في تولي الحكم، أين قام على إثر ذلك بخلع والده ونقض بيعته[4].

---

[1] أحمد محمود آل محمود، **البيعة في الإسلام تاريخها وأقسامها بين النظرية والتطبيق**، دار الرازي، (ب م)، (ب ت)، ص8.

[2] **أهل الحل والعقد**: هم علماء المسلمين وأشراف الأمة وأعيانها أو هم العلماء والرؤساء ووجوه الناس، أحمد محمود آل محمود، المرجع نفسه، ص20.

[3] لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص129، عبد الرحمن الجلالي، المرجع السابق، ج2، ص164، محمد الطمار، المرجع السابق، ص 141، مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص431.

[4] ابن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص ص98-99، السلاوي، الاستقصاء، ج3، ص ص170- 171.

وبناء على ذلك يظهر لنا أنّ السلطان "**أبو عنان**" استولى على الحكم عن طريق الغلبة، فأعلن عن نفسه سلطانا للمغرب ودعي لنفسه في نفس السنة[1]، ولم يكن هذا السلطان أقلّ من والده في توظيف الفقهاء إلى جانبه، إذ كان هذا السلطان بشهادة أحد معاصريه "**من دهاة السلاطين ممن اشتهر بالحزم والكفاية والعزم**"[2]، فحتى تهوى قلوب أهل تلمسان إليه قام السلطان" **أبو عنان المريني**" بتقريب العلماء وتجميل مجلسه بهم ومن بين هؤلاء العلماء الإمام "**أبو عبد الله محمد المقّري**"، الذي اصطفاه وخلطه لنفسه ضمن علمائه المقربين، وندبه لكتابة بيعته بعدما نقض بيعة أبيه سنة (749هـ/1348م)[3].

ولربما يمكن تحديد بعض الأسس التي اعتمد عليها السلطان "**أبو عنان فارس**" في اختيار "**أبي عبد الله محمد المقّري**" لكتابة البيعة في:

أولا: مكانته العلمية والعملية بتلمسان، فقد رجع إلى بلده بحظ وافر من العلم منقطعا لخدمته[4]، وقد أشار "**ابن مرزوق**" إلى مكانته هذه بقوله: "**وعوارفه معروفة عند الفقهاء مشهورة بين الدهماء**"[5]، كما جاء عن "**ابن الخطيب**" في نفس الصدد: "**مشار إليه بالعدوة المغربية اجتهادا وذؤبا وحفظا وعناية واطلاعا ونقلا**"[6]، فمن الطبيعي أن يحرص السلطان المريني "**أبو عنان**" على إظهار احترامه وتقديره له، إذ ليس من الأمور العملية أن تكون علاقته به وبغيره من العلماء سيئة وبه حاجة ماسة إلي تأييده وتعاونه، والاستفادة من مكانته وإمكاناته العلمية والعملية.

ثانيها: قوة شخصية "**أبي عبد الله محمد المقّري**"، والتي نلمسها في ثقته بنفسه واحترامها، واعتزازه بكرامته وإجلاله لعلمه وتمسكه بمبدأ العدالة، وهذا ما جسّدته لنا بعض المواقف لـ "**أبي**

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص121، ابن الشماع، المصدر السابق، ص 98، الناصري، المصدر السابق، ج3، ص ص170-171، عطاء الله دهنية، المرجع السابق، ج3، ص399، أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي (خلال القرنين 7و8هـ)، ج3، ص30-32 .

[2] مجهول، زهر البستان، ص12، ابن الأحمر، روضة النسرين، ص38، ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص117.

[3] التبكتي، كفاية المحتاج، ص 327، ابن خلدون، التعريف، ص60.

[4] ابن فرحون، المصدر السابق، ص222، ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص195، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص208.

[5] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص420، أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص276.

[6] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص191.

عبد الله محمد المقّري" في حياته العملية، الأمر الذي فرض على السلطان المريني احترامه وتقديره له وصون هيبة علمه.

وثالثها: أنّ جلّ العلماء من ذوي الشأن قد صحبوا والده إلى إفريقية سنة (748هـ/1347م)، وقد قدّرهم البعض نحو أربعمائة عالم من أعلام المغربين[1]، جاء عن "**ابن مرزوق**" في هذا الصدد: "**فاجتمع بحضرته أعلام، ثم ضّم لهم من كان بتلمسان وأحوازها، حين استيلائه عليها، ثم استمر هذا العمل في دخوله بلاد افريقية ولم يزل على هذا إلى أن توفي رضي الله عنه**"[2]، فلم يتردد هو الآخر في توظيف السلطة العلمية لإضفاء المشروعية على حركاته المغاربية[3].

ورابعا: أنّه لم يسبق له التعامل مع والده بعد، وبمعنى آخر لم يكن له في عنقه بيعة لأبيه[4].

أما خامسا: فلربما الأمر راجع إلى نسبه الشريف، بحيث عمد الحكم المريني بمجرد قيامه إلى احتواء نخبة الشرفاء وتقريبهم واجزال لهم العطاءات[5]، وهذا بحثا عن المشروعية من السلطان نظرا لغياب المشروعية الدينية[6]، وكذلك الاستعانة بهم في تزكية سياستهم العسكرية والمالية، والتسلح ضد الحفصيين ببيعة أشراف الشرق والحاجة إلى مساندة الأشراف المغاربة ضد الخصم العبد الوادي[7]، فشكّل استقطاب الشرفاء وتمتيعهم بامتيازات هامة الوسيلة المثلى لكسب رضا الرعية وتأييد العصبيات الكبرى ضد الحركات المناوئة، وسبيلا يضمن لهم تزكية مشاريعهم السياسية ومباركة خياراتهم.

وانطلاقا من أهمية البيعة في الحفاظ على بنية المجتمع الإسلامي، بحيث أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأنّ طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من

---

[1] أبو عبد الله المقّري، القواعد، ج1، ص28، ابن الشماع، المصدر السابق، ص122، ابن مرزوق، المسند، ص ص260-270، الناصري، الاستقصا، ج3، ص171، محمد المنوني، المرجع السابق، ص458، روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص306.

[2] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص260، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص127-128.

[3] مصطفى نشاط، **الحملات المرينية على بلاد المغرب بين السلطتين السياسية والعلمية**، ضمن كتاب السلطة العلمية والسلطة السياسية بالمغارب، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 2012، ص166.

[4] صابرة خطيف، المرجع السابق، ص120.

[5] محمد القبلي، المرجع السابق، ص75.

[6] خليل الكبيسي، المرجع السابق، ص108، رضا بن النية، الشرف والسلطة في المغرب الأوسط الزياني، ص176.

[7] محمد فتحة، المرجع السابق، ص ص237-239، محمد القبلي، المرجع السابق، ص104، ص ص109-111.

حقن الدماء وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلاّ إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجب طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته[1] استنادا لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾[2]، فقد كتب "**أبو عبد الله محمد المقّري**" البيعة بتلمسان وقرأها على الناس في يوم مشهود[3]، ولربما أنّه لولا توفر شروط الإمامة[4] في السلطان "**أبي عنان**" ما كان "**أبو عبد الله محمد المقّري**" ليكتب البيعة ولا أدّل على ذلك من قول "**أبي عبد الله محمد المقّري**" نفسه: "...**أنت أهل الخلافة إذ بعض الشروط قد توفرت فيك والحمد لله**"[5].

هذا، وإذا ما نظرنا إلى المصادر التي بين أيدينا نجدها شحيحة من حيث المعلومات حول عملية البيعة هذه، بحيث اقتصرت على ذكر تاريخ البيعة فقط ومكانها دون الاهتمام بعدد المبايعين، وصيغة المبايعة، ونقصد من ذلك الألفاظ التي تشتمل عليها والشروط اللازم الرضا بها، لأنّ البيعة هي العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على وجه العموم بأن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه في كل ما يكلّفه به من أمور الدنيا والدين التي لا تتناقض مع تعاليم الإسلام[6]، وعن صيغة البيعة يقول "**ابن خلدون**": "**وصارت البيعة مصافحة بالأيدي**"[7] ثم قال: "**واستغنى بها عن مصافحة أيدي الناس التي هي الحقيقة في الأصل**"[8]، "**فابن خلدون**" يرى أنّ المصافحة هي الأصل لكن الخلفاء استغنوا عنها بالصيغة أو الكتابة.

---

[1] **ينظر**: أحمد محمود آل محمود، المرجع السابق، ص23 .

[2] سورة النساء، الآية 59.

[3] ابن خلدون، التعريف، ص60، التنكبتي، نيل الابتهاج، ص421.

[4] ذكر العلماء شروط كثيرة، اتفقوا على بعضها واختلفوا في البعض الآخر، ومنها: (الحرية والبلوغ، العقل، الإسلام، العدالة، العلم والاجتهاد، الحكمة والرآي، الجرأة والشجاعة، سلامة الجسم والحواس، الانتساب إلى قريش)، **ينظر**: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ص6-27، ابن خلدون، المقدمة، ص ص153-157.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص162.

[6] ابن خلدون، المقدمة، ص176، المهدي بوعبدلي، **البيعة والشورى في الإسلام وتطورها عبر التاريخ**، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع28، الجزائر، 1975، ص ص71-72.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ص167.

[8] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص168.

وبالرجوع إلى موضوع البيعة للسلاطين خلال هذه الفترة، فإننا نجد رسالة وحيد عن بيعة أهل غرناطة للسلطان "**محمد بن أبي الحجاج**" (755هـ-760هـ)[1]، ولربما يمكن اعتبارها نموذج لبيعة "**أبي عبد الله محمد المقّري**" للسلطان "**أبو عنان**" خاصة وأنّ هذا الأخير كان معاصرا لسلطان غرناطة المذكور، وهذه البيعة تحدد ثلاثة عناصر: **الأول**: ذكر اتفاق أرباب الشورى على بيعة هذا الأمير، و**الثاني**: ذكر الطوائف المبايعين وهم الخاصة والجمهور والرؤساء، وحملة العلم وغيرهم، و**الثالث**: ذكر شروط البيعة وهي السمع والطاعة وملازمة السنّة والجماعة[2].

وبالنظر إلى مكانة "**أبي عبد الله محمد المقّري**" العلمية واجتهاداته الفقهية، يمكن لنا أن نتصور أنّه قد راعى في كتابته للبيعة الأصل فيها، الذي هو إثبات حق الأمة على الخليفة بأن يسير وفق منهج كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلّى الله عليه وسلّم، وحق الخليفة على رعيته بأن تسمع له وتطيع إذا التزم ذلك المنهج الذي وطنّ نفسه للسير عليه، فإن خالف أو أمر بمعصية فلا طاعة له، إلى جانب ذلك قد وضّح لنا "**القلقشندي**" وبعض من كتب عن نظام الحكم في الإسلام الأمور التي كانت تراعى عند كتابة البيعة[3]، والتي يمكن أن يكون "**أبو عبد الله محمد المقّري**" قد أخذها بعين الاعتبار ومن جملتها:

1. ذكر الأسباب التي أدت إلى هذه البيعة والتي منها أسباب خلع السلطان السابق.
2. التنبيه على ضرورة وجود الإمام وأمس الحاجة إليه، وأنّه لا يمكن أن يستقيم أمر الرعية إلاّ به وأنّ الاجماع قد قام عل وجوب نصبي الإمام.
3. الإشارة إلى أنّ السلطان صاحب البيعة قد استوفى شروط الإمامة واجتمعت فيه كالعلم والشجاعة والرأي والكفاية[4].

---

[1] حول نص الرسالة **ينظر**: أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج3، ص ص 432-440.

[2] أحمد عزاوي، المرجع نفسه، ص56.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص ص276- 277.

[4] يرى ابن خلدون أن الكفاية هي: أن يكون جريئا على إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها، كفيلا بحمل الناس عليها، عارفا بالعصبية وأحوال الدهاء، قويا على معاناة السياسة، ليصح له بذلك ما جعل إليه من حماية الدين وجهاد العدو وإقامة الأحكام وتدبير المصالح، ابن خلدون، المقدمة، ص155، وقال "ابن الأزرق": "إنّ الكافي الآن من شرو ط الإمامة بعد الذكورية والحرية والبلوغ والعقل أربعة: النجدة لئلا يضعف عن إقامة الحدود واقتحام الحروب، والكفاية لئلا يخفى عليه وجوه الرأي والسياسة، وسلامة الأعضاء والحواس، والقدرة على تنفيذ أوامره وأحكامه..."، بدائع السلك، ج1، ص94.

4. التنبيه على أفضّلية صاحب البيعة وتقدّمه في الفضل واستيفاءه الشروط على غيره، خروجا من الخلاف في جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل.

5. الإشارة إلى أن اختيار المرّشح قد تم عن طريق أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس، الذين تيّسر حضورهم على الوجه المعتبر.

6. التنبيه على سبب خلع الخليفة السابق، إذ لا يصح خلع الإمام بدون سبب شرعي صحيح.

7. يذكر في ما كتب أنّ صاحب البيعة قد قبل بها ووافق عليها، لأنّه لا يصّح إجباره على قبول البيعة، إلاّ إذا كان لا يصلح للإمامة غيره فعندئذ يجبر عليها.

8. يذكر أنّ هذه البيعة لم تقترن ببيعة أخرى لغيره ولم تسبق بأخرى لعدم جواز إقامة إمامين في وقت واحد.

9. يبين للسامعين أنّه بمجرد البيعة تجب الطاعة والانقياد له، كما تجب على كافة الأمة تفويض الأمور العامة إليه، وطاعته فيما وافق حكم الشرع وإن كان جائرا.

10. أن يذكر في مقدمة الكتاب اسم الخليفة ولقبه أو لقب الخلافة كالمتوكل.

ب.أبو عبد الله محمد المقّري ومنصب السفارة:

في ظل الصراعات العسكرية التي كانت دول المغرب الإسلامي والأندلس مسرحا لها خلال القرنين الثامن والتاسع الهجري، إذ كانت مجالا خصبا للحروب والفتن وما ينجر عنها، فإنّه ينكشف لنا عن جانب آخر من الحضور السياسي للعلماء بصفة عامة لدى السلطة السياسية، والذي يظهر بشكل جلّي من خلال مشاركتهم في الكثير من الأحيان في التخفيف من تأزم العلاقات بين الدول، وتوفير جو من الاستقرار في بلاد المغرب الإسلامي[1]، أين نلمس ذلك بشكل أوضح من خلال توليهم لمناصب دبلوماسية كالسفارات التي أسندت لعدد من هؤلاء العلماء سواء باتجاه المرينيين أو الحفصيين أو بني الأحمر وحتى نحو بلاد المشرق، والتي اختلفت أغراضها، منها ما كان للصلح أو حمل الهدايا الملكية، بالإضافة إلى مرافقة ركب الحجيج، وحمل الرسائل وغيرها.

فمنصب أو وظيفة السفارة أو الرسل تعد من الوظائف السياسية التي عرفتها أقطار المغرب الإسلامي والأندلس، أين أستخدم نفوذ العلماء من قبل سلاطين الدول في الوفود والبعوث

[1] صابرة خطيف، المرجع السابق، ص170.

الدبلوماسية[1]، وهذه المهمة كانت تسلم لمن تتوفر فيهم النباهة والفطنة وقوة الحجة، لأنّهم يمثلون السلطة في سفاراتهم تلك[2]، وهذا دليل على تغلغل نفوذ الفقيه في السلطة والثقة التي يحظى بها من قبلهم، ذلك أنّ العلماء مهيؤون بطبعهم أكثر من أي طبقة أخرى للقيام بمهمات السفارة، فإنّ تدرجهم طول فترات طلبهم من أستاذ إلى أستاذ يكسبهم انضباطا مفرطا أمام من يتقدمهم خبرة ومركزا، وإنّ ممارستهم اليومية لآداب المعاملة والمخاطبات وحفظهم لأخبار الماضين جعل منهم عنصراً مرغوبا في الاستئناس بحديثه[3]، فكانت الوفود الرسمية يترأسها في الغالب عالم كبير له شهرة عالية لضمان نجاح البعثة.

وبالنظر إلى المكانة العلمية التي حظي بها "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في البلاط المريني عهد السلطان "**أبا عنان فارس**" والتي تعدّت شهرته فيها الحدود القطرية للدولة الزيانية والمرينية، وتبعا لما أوردته المصادر التاريخية فقد حمل الإمام "**أبو عبد الله محمد المقّري**" صفة سفير دولة "**أبو عنان فارس**"، الذي أوفده في مهمة سياسية رسمية، تمثلت في الذهاب في سفارة إلى الأندلس لتسليم رسالة إلى سلطان غرناطة آنذاك "**الغني بالله النصري محمد بن يوسف بن الأحمر**"، فامتنع "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في بادئ الأمر ولم يقبل إلا بعد لأي، إذا وافق في الأخير على القيام بتلك المهمة[4].

وصل " **أبو عبد الله محمد المقّري**" إلّى الأندلس سفيرا في أوائل جمادي الثانية من عام (756هـ/1355م) كما ذكر "**ابن الخطيب**" حيث قال: «**ثم لما أخر عن القضاء أستعمل بعد لأي في الرسالة، فوصل الأندلس أوائل جمادي الثانية من عام ستة وخمسين وسبعمائة**»[5]، إلاّ أنّ "**أحمد المقّري**" الحفيد يذكر في "**نفح الطيب**" نقلا عن "**ابن الخطيب**" أنّه وصل الأندلس في جمادي الثانية من عام (757هـ/1356م)[6]، وهذا التاريخ يوافق ما ذكره "**ابن خلدون**"

---

[1] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص97.

[2] رضا بن النية، المرجع السابق، ص180.

[3] عبد الهادي التازي، جامع القرويين، ج2، ص447، جمال ولد خسال، المرجع السابق، ص 376.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص196.

[5] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص196.

[6] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص209.

من تاريخ عزل " **أبو عبد الله محمد المقّري**" عن القضاء، الذي أفادنا أن تاريخ ذلك كان آخر سنة (756هـ/1356م)[1]، ممّا يوحي بأنّ تاريخ الوصول إلى غرناطة كان سنة (757هـ/1556م).

كما يفيدنا "**الشاطبي**" وهو تلميذه أنّه وصل إلى غرناطة عام (757هـ/1356م)، حيث كان يحضر مجلسه العلمي فقال: «**حضرت يوما مجلسا بالمسجد الجامع بغرناطة مقدم الأستاذ القاضي أبي عبد الله المقّري في أواخر ربيع الأول عام سبعة وخمسين وسبعمائة**»[2]، وبناء على ذلك يرجح "**أبو الأجفان**" التاريخ الذي ذكره "**الشاطبي**" لوصول "**أبي عبد الله محمد المقّري**" غرناطة، لأنه عايش الحدث من جهة ويوافق التاريخ الذي ذكره "**ابن خلدون**" من جهة ثانية[3].

هذا عن تاريخ وصول "**أبي عبد الله محمد المقّري**" إلى غرناطة، فعند وصوله إلى هذه الأخيرة سلّم الرسالة إلى سلطان غرناطة وقضى غرضها وأدّى المهمة التي أنيطت به[4]، ولا شك أنّ إيفاد "**أبي عبد الله محمد المقّري**" للرسائل يكشف لنا عن مكانته وحظوته لدى السلطة المرينية ومدى الثقة التي توسمتها فيه.

غير أنّ المصادر التاريخية شحيحة في الكشف عن غرض الرسالة ومضمونها، إلاّ أنّ "**أحمد بن حميد**" محقق كتاب "**القواعد**" "**للأبي عبد الله محمد المقّري**" يرى بأنّها تتعلّق بشأن التعاون الحربي بين بني مرين سلاطين المغرب الأقصى وبني الأحمر سلاطين غرناطة، بهدف ردّ هجمات النصارى القشتالين على بني الأحمر في تلك الفترة[5]، حيث استولوا على كل مدن الأندلس كاشبيلية وقرطبة وطليطلية وبلنسية وغيرها، ولم يبق آنذاك إلاّ غرناطة في يد بني الأحمر[6].

---

[1] ابن خلدون، التعريف، ص60.

[2] الشاطبي، الإفادات والإنشادات، ص22، و ص126.

[3] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص83.

[4] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، ص ص162-163.

[5] أبو عبد الله المقّري، القواعد، مقدمة التحقيق، ص29، أغلب السفارات التي كانت بين دولة بني مرين و بين بني الأحمر، كانت بهدف طلب النجدة لما كان يعانيه مسلمو الأندلس من أخطار النصارى خاصة من مملكتي قشتالة وأراغونة، حول هذه السفارات **ينظر**: عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج7، ص ص59- 71، السلاوي، المرجع السابق، ج3، ص ص32-57.

[6] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص167، محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص ص217-226، روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص433.

ج.أبو عبد الله محمد المقّري الجدّ بين الوصل والقطيعة السياسية:

لم تكن الصورة السلمية التي كانت تمثلها السلطة اتجاه "**أبو عبد الله محمد المقّري**" ثابتة، ولكن متغيرة لتغير أحوال تلك السلطة، وتحولت العلاقة بينهم إلى علاقة توتر، فالمنزلة التي حظي بها عند السلطان المريني لم تشفع له من السخط عليه من قبله، فكان العزل من الوظائف إحدى الإجراءات التعسفية التي اتخذها السلطان "**أبو عنان**" للتخلص من "**أبي عبد الله محمد المقّري**"، فقد أقدم هذا السلطان الأخير على عزل "**أبي عبد الله محمد المقّري**" من قضاء مدينة فاس سنة (756هـ/1355م)[1] وامتحنه في ذلك وعزله من منصبه، وهذا راجع إلى أنّ هذا السلطان الأخير لم يطق صبرا أمام صرامة "**أبي عبد الله محمد المقّري**" وقوّته وتنفيذه للحق، فقام بعزله عن منصب القضاء بفاس، وولّى مكانه "**أبا عبد الله الفشتالي**"[2]، وقد عزا "**ابن خلدون**" هذا العزل إلى كون "**أبي عنان**" سخط عنه لبعض النزعة الملوكية والتدخل في شؤون القضاء أو المساس بمبدأ الاستقلالية التي كان "**أبو عبد الله محمد المقّري**" حريصا عليها[3]، وفي ذلك يقول "**ابن خلدون**": «**فلم يزل قاضيا بها – فاس- إلى أن سخطه لبعض النزعات الملوكية فعزله وأدال منه بالفقيه أبي عبد الله الفشتالي آخر سنة ست وخمسين**»[4].

وقد كانت هذه أوّل محنة يتعرض لها "**أبو عبد الله محمد المقّري**"، غير أنّها لم تؤثر عليه لأنّه لم يكن طالب دنيا أو سلطة، وإنّما هي التي تأتي إليه، إذ السلاطين هم الذين كانوا يثقون به ويجلّونه فوّلوه هذه المناصب، وربما كان يجنح نحو التخلي عن هذه المناصب إعفاءً لنفسه مما قد يتحمل تحت الإكراه[5]، حيث ذكر "**النباهي**" هذا الموقف فقال: «**وقام بوظائف القضاء أجمل قيام ثم إنّه كره الحكم بين الناس، وتبّرم من حمل أمانته ورام الفرار عنه لنفسه فتنشب في انتظامه وتوجه عليه الإنكار من سلطانه ثم إنّه ترك بعد عناء شديد لشأنه** »[6].

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص195-196، ابن خلدون، التعريف، ص60.

[2] **أبو عبد الله الفشتالي**: محمد أحمد الفاسي الإمام الفقيه الفردي الموثق، قاضي الجماعة بفاس، توفي سنة (777هـ/1375م)، النباهي، المصدر السابق، ص128.

[3] نصر الدين بن داود، أسر العلماء، ص255، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص206.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ص60.

[5] نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص206.

[6] النباهي، المصدر السابق، ص126.

كما علّق "**أبو الأجفان**" على هذه المحنة بقوله: «**وبذلك يستهدف المقّري إلى منحة ليخرج منها قويّ العزيمة سليم الصدر غير متأسفا على ما فرط من يديه، والدليل هو ما سيتضح لنا قريبا من عزوفه عن المناصب السلطانية ورغبة عنها**»[1]، إذ يستنتج من خلال هذا أنّه عرضت على "**أبو عبد الله محمد المقّري**" بعض المناصب غيرها بعد ذلك لكنّه رفضها، إذ يشير "**أبو الأجفان**" دائما إلى أنّه أسندت إليه سلطة القضاء ليس في فاس فقط، وإنّما في مرسى مدينة هنين معتمدا في ذلك على ظهير[2]، وبناء على عدم وجود أي إثبات لتوليه هذا المنصب، فيرجح أن يكون قد اعتذر عنه وطلب إعفاءه منه ربما لأنّه رآه إجراءً تأديبيا، فتوليتّه القضاء بهنين بعد فاس توحي بالحطّ من مكانته وتدل على مدى سخط السلطان وغيظه[3].

هذا، وبعد انتهاء "**أبي عبد الله محمد المقّري**" من مهمة السفارة التي كلّفه بها "**أبو عنان**" لدى "**ابن الأحمر**" سلطان غرناطة وخلال عودته إلى المغرب وبالتحديد حينما وصل إلى مالقة، بدا له البقاء في الأندلس والعدول عن العودة إلى المغرب وترك خدمة "**أبي عنان**"[4]، فانفصل عن رفاقه في الرحلة، ومن مالقة عاد إلى غرناطة أين آثر أن ينقطع للعبادة وأن يتفرغ لخدمة العلم ويتخلى عن كل الوظائف الدينية والسياسية، حيث يقول في ذلك تلميذه "**ابن الخطيب**" :«**إلى ملازمة الإمرة، فتقاعد وشهر غرضه، وبت في الانتقال طمع من كان في صحبته لما قضى غرض الرسالة وأبرم عقد وجهته واحتل مالقة في منصرفه، بدا له في نبذ الكلفة، واطرح وظيفة الخدمة، وحل التقييد، أقبول على شأنه فخلى بينه وبين همة وترك ما انتحله من الانقطاع إلى ربه**»[5].

إذ استقر هناك بغرناطة بمدرستها الشهيرة "المدرسة النصرية" أين أعتكف بها للزهد والتبتّل والعلم والعبادة[6]، كما حرص على لقاء العلماء واستجارتهم والاستفادة منهم وربط سنده بسلاسل

---

[1] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص81.

[2] مخطوط بمكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا، يحتفظ بوثيقة هذا الظهير للوحة 289 من المجموع رقم 1140، نقلا عن أبو الأجفان، المرجع نفسه، ص81.

[3] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص82.

[4] أبو عبد الله المقّري، القواعد، تح أحمد بن حميد، ج 2، ص29.

[5] ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص196.

[6] ابن الخطيب، **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تحقيق محمد كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2003، ص 202.

رواياتهم[1]، إذ يفيدنا في ذلك حفيده "**أحمد المقّري**" من خلال ما نقله عمّا كتبه "**أبو عبد الله المقّري**" بخطه على كتابه القواعد ونصه: « **الحمد الله تعالى جدّه قرأت صدر كتاب (زهرة البساتين) للقاسم بن الطيلسان ثم سمعت ثلاثة أحاديث من أوّله بل حديثا وأثراً وإنشاداً من الشيخ الخطيب الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عباس الأنصاري، ثم تناولت منه جميع الكتاب المذكور أجازينه بحق سماعه لبعضه، وتناوله لجميعه من جده محمد المذكور بحق أخذه له مؤلفه صهره القاسم المذكور، وذلك بالمسجد الجامع من مالقة المحروسة، قال ذلك وكتبه محمد بن أحمد المقّري في متم عشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعمائة** »[2].

هذا وقد انقطع "**أبو عبد الله محمد المقّري**" عن الناس تماما فلا يكاد يخرج إلاّ للصلاة أو قضاء الحاجة[3]، حيث كان يساعده ويعطف عليه من الناحية العلمية الأمير النصري "**محمد بن يوسف بن الأحمر**" الذي أكرمه وأجرى عليه راتبا من ديوان الأعشار الشرعية وأمر بالعناية بأحواله على فراغ باله لما بدا له من الإخلاص وتبلج صبح الزهاد والانقطاع إلى الله[4]، فبقي بغرناطة مدة سنتين وامتنع عن الرجوع إلى فاس.

فلما بلغ ذلك السلطان "**أبا عنان**" أثار حفيظته، وراح يرمي الإمام "**أبا عبد الله محمد المقّري**" بأوصاف شنيعة بقصد الحط من شأنه، ربما لما أظهره من زهد وانقطاع للعبادة، فقد كان يرى أنّ هذا التبتل وهذا الزهد ما هو إلاّ ضرب من التظاهر الخادع وسواس وحيرة صادفته، فاتبع هواه مدّعيا ما أظهره من الصلاح، فخان الأمانة وحاد عن الرشد[5].

فبعث إليه يهدده ويتوعده وينكر على صاحب الأندلس الغني بالله "**محمد الخامس بن الأحمر**" تمسكه به واتهمه بالتواصل مع "**أبي عبد الله محمد المقّري**" على الرجوع إلى فاس[6].

---

[1] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص84.

[2] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص ص263-264.

[3] أحمد المقّري، نفسه، ج5، ص209، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص196، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص421، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص163.

[4] ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص ص201-202.

[5] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 86.

[6] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 196.

وقد بذل السلطان المريني "**أبو عنان فارس**" جهداً لإعادته إلى حضرته، حيث أرسل إليه يستقدمه منه، ولأنّه تلاحقت رسائله في طلب عودته، قام "**ابن الأحمر**" بتكليف كاتبه "**ابن الخطيب**" بأن يخط خطابا لـ "**أبي عنان**" يستشفع فيه لـ "**أبي عبد الله محمد المقّري**" ويبين فيه إخلاصه في إعلانه التصوف ورغبته الأكيدة في الزهد والانقطاع للعبادة[1] وأخيرا استطاع "**ابن الأحمر**" أن يشفع له، فحصل له على خطاب أمان من السلطان "**أبي عنان**"[2].

فعاد على إثر ذلك "**أبو عبد الله محمد المقّري**" إلى فاس محفوفا بعالمين جليلين وهما قاضي الجماعة بغرناطة "**أبا القاسم الشريف السبتي**" (ت760هـ/1359م)[3] والفقيه المحدث "**أبو البركات محمد بن الحاج البلفيقي**"(ت770هـ/1369م)، يحملان معهما رسالة "**لأبي عنان**" يتشفعان فيهما للإمام "**المقّري**" ويذكران لـ "**أبي عنان**" مزاياه ويشرحان فيها له حالة وظرف انقطاعه للعبادة بغرناطة، فقبل السلطان "**أبي عنان**" الشفاعة وعفا عنه وكان ذلك عام (757هـ/1357م)[4]، وقد حضر "**ابن خلدون**" هذه الحادثة إذ كان موجودا في مجلس "**أبي عنان**" يوم قدوم عالما الأندلس ومعهما "**أبو عبد الله محمد المقّري**" فقال يصف ذلك: «**حضرت بمجلس السلطان يوم وفادتهما سنة سبع وخمسين وكان يوما مشهودا ...**»[5].

وبعد عودة "**أبي عبد الله محمد المقّري**" من الأندلس إلى فاس استقر في مكانه بباب السلطان، بحيث يفيدنا "**ابن خلدون**" في ذلك بقوله: «**واستقر القاضي المقري في مكانه بباب السلطان، عطلا من الولاية الجراية**»[6].

---

[1] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص210، ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص ص199-204، أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج3، ص ص473-474، **ينظر**: الملحق رقم 6، ص322-323.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص196-197، أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج3، ص ص275-278، **ينظر**: الملحق رقم07، ص324-325.

[3] **أبو القاسم الشريف السبتي**: هو محمد بن أحمد بن عبد الله الحسني السبتي الشهير بالشريف الغرناطي أبو القاسم كان مولده سنة (697هـ)، له تآليف منها "رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة"و "شرح على مقصورة حازم القرطاجني، توفي سنة (760هـ)، النباهي، المرقبة العليا، ص171.

[4] ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص204، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص197-200، ابن خلدون، التعريف، ص61، أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص478.

[5] ابن خلدون، التعريف، ص 61.

[6] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص61.

فكانت هذه المحنة الثانية التي يتعرض لها الإمام "**أبو عبد الله محمد المقّري**" بعد عزله عن القضاء من قبل السلطان "**أبي عنان**"، إذ يرجع حفيده "**أحمد المقّري**" أسباب ذلك إلى ما يسميه آفة مخالطة الملوك وتحكمهم بأحوال الناس فيقول: «**هذه آفة مخالطة الملوك، فإن مولاي الجدّ المذكور، كان نزل عن القضاء وغيره، فلمّا أراد التخلي إلى ربه لم يتركه السلطان أبو عنان كما رأيت**»[1].

هذا، وقد تعرض "**أبو عبد الله محمد المقّري**" إلى محنة أخرى عدّت محنة ثالثة في حقه وسببها خصومة عائلية بين "**أبي عبد الله محمد المقّري**" وبين بعض أقاربه، أبَى فيها "**أبو عبد الله محمد المقّري**" من الحضور إلى مجلس القاضي "**الفشتالي**" الذي عُين مكانه، فأمر "**أبو عنان**" أكابر الوزعة بأن يسحبه إلى مجلس القاضي ليحطّ من شأنه فأجبر بذلك على الحضور وتم تنفيذ الحكم فيه، فعدّها الناس محنة أبتلي بها " **أبو عبد الله محمد المقّري**"[2].

فمما يظهر أنّ حال السلطان "**أبي عنان**" إزاء "**أبي عبد الله محمد المقّري**" كان متقلبا، فما أن يرضى عنه حتى يسخط عنه مرة أخرى وحتى " **أبو عبد الله محمد المقّري**" نفسه أدرك ذلك، حيث نلمس هذا من خلال ما جاء عن "**النباهي**" بقوله :"**وقد سألته يوما عن حالة فأجاب ببيتين لأبي عمران بن عبد الرحمن وهما :**

حَالِي معَ الدَّهرِ فِي تقلُّبِهِ كَطائرٍ ضَمَّ رجلَه شركُ

هِمَّتُهُ في فِكَاكِ مُهجتِهِ يَرومُ تَخليصَها فتُسبَكُ"[3].

إنّ هذه التقلبات من السلطان "**أبي عنان**" ليست جديدة وممارسة لا تخفى على أحد، فقد استفتح سلطانه بالانقلاب على والده وقتله وتشريد إخوته ونفيهم، وعند استلائه على تلمسان قتل أحد كبار فقهائها وعلمائها وهو "**أبو عبد الله الناصري السلوي**"[4]، والسلطان "**أبو عنان**" هو السبب في تشريد "**ابن مرزوق الخطيب**" الذي اضطر إلى اللجوء إلى أمير الأندلس ليشفع له[5]، ونفس الأمر فعله مع "**أبي عبد الله الشريف التلمساني**" الذي أبدى

---

[1] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص 214.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص61.

[3] النباهي، المصدر السابق، ص170.

[4] قتل يوم فتح تلمسان، قتله بعض أشياع السلطان لذنب أسلفه في خدمة أخيه أبي علي بسجلماسة قبل انتحاله العلم، كان السلطان توعده عليه، فقتل بباب المدرسة، ابن خلدون، التعريف، ص60.

[5] ابن الخطيب،كناسة الدكان، ص ص158-162.

شجاعة في مواجهة هذا السلطان[1]، و هذا السلطان أيضا هو الذي امتحن "**ابن خلدون**" وسجنه لمدة سنتين، وبالتالي لم يسلم "**أبو عبد الله محمد** "**المقّري**" هو الآخر من تقلبات السلطان "**أبي عنان**"، وقد كتب فيه "**أبو عبد الله محمد المقّري**" تأليفا بعنوان: "**المحرك لدعاوي الشر من أبي عنان**"[2].

في مقابل ذلك نرى أنّ الأسباب التي اتخذها السلاطين كحجج للسخط ومعاقبة العلماء لم تكن في الحقيقة إلا تهما افتقرت في كثير من الأحيان للأدّلة الكافية، ولم تكن لتبلغ مثل تلك ردود الفعل القاسية من طرف السلطة السياسية.

فبعض المحن التي تعرض لها عدد من العلماء تؤكد أنّ الهدف الرئيسي من محاولة السلطة احتوائهم هو توظيفهم لصالحها أو ردعا لهم وليس في كل الحالات إيمانا بمكانتهم أو تقديسا لهم لعظم سلطتهم على النفوس وقوة نفوذهم في رجال الدولة[3]، وعلى هذا الأساس فإنّ "**أبا عبد الله محمد المقّري**" كان يرّوض نفسه على الصبر في الفترات التي يكون فيها مخالطا للملوك، مدركا غرضهم من العطاء إذا أعطوا ، وبفضل العلماء على أهل السلطة[4]، فهو في ذلك يقول: "**التفت إلى مواهب الملوك تجدْهم إنّما يُوسّعون فيما قد يسترجعون، فأما العلماء وكل من يعطي بحق فإنّما يُعطون بقصدٍ ﴿لا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إِلى ما مَتَّعنا بِهِ أَزواجًا مِنهُم ﴾[5] واصبر نفسك دونهم فعن قريب تنصرف عنهم**"[6].

ثم إنّ "**أبا عنان**" كأنّما حاول التكفير عن إساءته لـ" **أبي عبد الله محمد المقّري**"، فوّلاه قضاء العسكر عندما أرادا الارتحال لفتح قسنطينة وذلك سنة (758هـ/1358م)[7]، فصحب "**أبو عبد الله محمد المقّري**" الجيش في هذه الحملة التي حققت أهداف "**أبي عنان**"، غير أنّ ذلك

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص66-68.

[2] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، ص 165.

[3] صابرة خطيف، المرجع السابق، ص60.

[4] محمد أبو الأجفان، المرجع السابق، ص88.

[5] سورة الحجر، الآية 88.

[6] عبد القادر زمامة، الحقائق والرقائق، ص102.

[7] ابن خلدون، التعريف، ص63، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 425.

لم يدم طويلا، حيث مرض "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في طريق العودة إلى فاس وتوفي عند مقدمه هذه الأخيرة[1].

يظهر مما سبق أنّ العلاقة التي ربطت بين "**أبي عبد الله محمد المقّري**" والسلطة السياسية الزمنية والتي تراوحت بين الرضا والتقريب أو التوتر والاختلاف، قد حكمتها الظروف وأثرت في طبيعتها الأحداث الجارية سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو دينية أحيانا، كما أنّ معظم العلماء الذين توترت علاقاتهم مع السلطة السياسية هم أنفسهم الذين نالوا علوّ المنزلة والحظوة عند هذه السلطة.

3.المواقف السياسية لعلماء الأسرة المقّرية:

لاشك أنّ العلاقة المتينة التي ربطت بين علماء تلمسان عامة والسلطة السياسية في بلاد المغرب الإسلامي، أعطت صورة واضحة عن مواقف هؤلاء العلماء مع السلطة السياسية القائمة، فنجد منهم من قدّم الولاء التام والواضح للسلطة، في حين امتنع فريقا آخر منهم عن ذلك ورفضوا التقرب من السلطان وتجنبوا العلاقة معه، كما ندم آخرون على علاقتهم بالسلطة السياسية[2].

أما بالنسبة لعلماء الأسرة **المقّرية** فما يمكن أن نلمسه من خلال تجربة "**أبي عبد الله محمد المقّري**" السياسية مع السلطان "**أبي عنان**"، نجد أنّه كان من المعارضين بشدة للعلاقة القائمة بين العلماء والسلاطين، بحيث اعتبر هؤلاء السلاطين قد جعلوا من العلماء في معظمهم خدّما يسخرّونهم في أعمالهم، وإذا قضوا مآربهم منهم صرفوهم وطردوهم[3]، ولعل مرد رأيه هذا إلى ندمه في قربه من السلطان نفسه ورغبته في قطع صلته به.

الأمر الذي يوضح لنا أنّ رفض العلاقة بالسلطان قد أخذ عدّة مظاهر وسلوكات أبداها علماء الأسرة **المقّرية** تجاه السلطة من ذلك تهرّبهم من لقاء السلطان، فرغم المناخ السياسي المرعب الذي جسّدته السلطة السياسية في شخص السلطان "**أبي عنان**"، لم يستنكف "**أبو عبد الله محمد المقّري**" عن الهروب واللجوء إلى بني الأحمر بغرناطة عندما أرسله السلطان "**أبو عنان**" برسالة إلى سلطانها سنة (757هـ/1356م)، حيث حاول الابتعاد عن دواليب الدولة

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص63.

[2] عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص ص101- 109، نبيل شريخي، المرجع السابق، ص71.

[3] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص277، نبيل شريخي، المرجع السابق، ص71.

والاستقرار بالأندلس لكن دون جدوى، وعلّق حفيده "**أبو العباس المقّري**" على هذه الحادثة بقوله: "**هذه آفة مخالطة الملوك، فإنّ مولاي الجدّ...كان نزل عن القضاء وغيره، فلّما أراد التخلي إلى ربّه لم يتركه السلطان أبو عنان**"[1].

هذا، وقد كانت للإمام "**أبي عبد الله محمد المقّري**" مواقف متقدمة في مجالات عديدة، ومن أهم هذه المواقف التنديد بالممارسات السياسية الظالمة أي بالمفهوم الحديث "الحكم المطلق"، فهو يرى أنّ أنظمة حكم السلاطين أقرب إلى الملك منها إلى الخلافة، وأنّ ساستهم هم سلاطين أكثر ممّا هم خلفاء، فهو يرى أنّ النظام الملكي مناف للشريعة الإسلامية، وإنّما الذي يوافق مبادئ الإسلام هو الخلافة المبنية على الشورى، كما يدل عليه الصحابة في عهد الخلفاء الراشدين الذين تولوا انتخابهم تلقائيا، كما استدل على أنّ مصائب المسلمين جاءتهم من النظام الملكي[2]، إذ ينقل عنه "**أبو العباس المقّري**" قوله في ذلك: "...**تعدد ملوكهم لاتساع أقطارهم واختلاف أنسابهم وعوائدهم حتى غلبوا بذلك على الخلافة، فنزعت من أيديهم وساروا في الملك بسير قلبهم**"[3]، ومع ذلك نجده قد وافق على كتابة البيعة للسلطان "**أبو عنان**"، فلماذا هذا الموقف منه؟

لاشك أنّ غايته الأولى من المشاركة السياسية إنما كانت لتحقيق مصالح المسلمين الحقيقية والحفاظ على المصلحة العامة والوحدة الإسلامية، ولا يكون ذلك إلاّ بطاعة أولياء أمور المسلمين وعدم الخروج عليهم، امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾[4]، ولعل ما يجّسد موقف "**أبي عبد الله محمد المقّري**" هذا تقعيده لمثل هذه القضية في كتابه القواعد، فقد جاء عنه في القاعدة الواحدة والثمانون بعد المائة "**يجب ضبط المصالح العامة، ولا تنضبط إلاّ بتعظيم الأئمة في نفوس الرعية، ومتى اختلف عليهم أو أهينوا تعذرت المصلحة العامة، فمن ثمّ أوجبنا تقديمهم في الصلاة حتى على صاحب**

---

[1] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج2، ص214.

[2] أحمد المقّري، نفسه، ج5، ص ص277- 278، فايزة بوسلاح، المرجع السابق، ص185، نبيل شريخي، المرجع السابق، ص76.

[3] أحمد المقري، المصدر السابق، ج5، ص278.

[4] سورة النساء، الآية 59.

المنزل وولي الميت، لأنّ تأخيرهم يخلّ بأبهتهم"[1]، وجاء في القاعدة المئتين: "**عناية الشرع بدرء المفاسد أشدّ من عنايته بجلب المصالح، فإن لم يظهر رجحان الجلب قدم الدرء**"[2].

أما بالنسبة لشروط تولي منصب الخليفة، حسبما يبدوا أنّ "**أبا عبد الله محمد المقّري**" لا يكاد يختلف فيها مع ما نصّ عليه بعض فقهاء السياسة الشرعية[3]، باستثناء شرط النسب القرشي الذي يعدّ من أهم الشروط التي أكثر العلماء فيها الحديث والخلاف[4]، فنجده لا يرد هذا الشرط للنصوص الدالة عليه[5]، وإنّما يشترط العمل به متى تحقق واقعا وبشكل قطعي، فلعله يحاول من خلال ذلك إيجاد معادلة تجمع بين ما نصّت عليه السياسة الشرعية وبين متغيرات الواقع، فهو بذلك يرى أنّ الأمراء من قريش والولاية لهم ما دام ذلك ممكن تنفيذه، أما إذا تعذر ذلك في مثل الواقع الذي يعيشه من تمزق وتفرق المجتمع والتبعثر إلى دويلات وقبائل، فإنّه يلزم كل دولة أن يتولى أمرها أمير أو سلطان يبايعنه على السمع والطاعة، ولا أدّل على رأي "**أبي عبد الله محمد المقّري**" هذا موقفه مع السلطان "**أبي عنان**" أثناء شرحه حديث "**الأئمة من قريش**".

فقد كان من عادة السلطان "**أبي عنان المريني**" قراءة بعض كتب الحديث منها "**صحيح مسلم**" بحضرة أكابر فقهاء فاس وخاصتهم، ومن ثم يتولى "**أبو عبد الله محمد المقّري**" شرحها، وحدث أن وصل في شرحها إلى قراءة حديث "**الأئمة من قريش**"، فقال الناس: «**إن أفصح بذلك استو غر قلب السلطان وإن وري وقع في محضور**» فجعلوا يتوقعون ذلك، فلما وصل إلى شرح الحديث قال بحضرة السلطان والجمهور: «**إن الأئمة من قريش**»[6] ثلاثا، وقال بعد كل كلمة: «**وغيرهم متغلب**»، ثم نظر إلى السلطان وقال: «**لا عليك فإنّ القرشي اليوم**

---

[1] أبو عبد الله المقري، القواعد، تح أحمد بن حميد، ج2، ص429، القواعد، تح الدردابي، ص171.

[2] أبو عبد الله المقري، المصدر نفسه، ج2، ص443، القواعد، تح الدردابي، ص177.

[3] ابن الأزرق، المصدر السابق، ج1، ص ص94- 96، ابن خلدون، المقدمة، ص ص153-157.

[4] أحمد محمود آل محمود، المرجع السابق، ص188، سليمان ولد خسال، المرجع السابق، ص266.

[5] نصّ الرسول صلى الله عليه وسلّم على أنّ الأئمة من قريش، فقال عليه الصلاة والسلام: "إنّ هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحدا إلاّ كبَّهُ الله على وجهه ما أقاموا الدّين"، محمد اسماعيل البخاري، **صحيح البخاري** وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تق أحمد محمد شاكر، دار ابن الهيثم، ط1، القاهرة، 2004، كتاب المناقب، باب مناقب قريش، رقم الحديث 3500، ص313.

[6] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأحكام، رقم 7139، ص830.

مضنون، أنت أهل للخلافة إذ توفرت فيك بعض الشروط والحمد لله »، ولمّا انصرف لمنزله بعث له السلطان ألف دينار[1].

فيظهر أنّ "**أبا عبد الله محمد المقّري**" قد أجاب السلطان "**أبو عنان**" بأنّ النسب القرشي لم يعد أمراً يقينيا وإنّما أصبح من المظنونات، ومما يعضدّ هذا الرأي البرهان الذي اعتمده "**ابن حزم**" عندما قال: "**وهو أنّ الذي كلّفوا به من معرفة جهة الأفضل ممتنع محال، لأنّ قريشا متفرقون في البلاد من أقصى إلى أقصى الأندلس إلى أقصى اليمن وصحارى البربر إلى أقصى أرمينية وأذربيجان وخرسان، فما بين ذلك من البلاد بمعرفة أسمائهم ممتنع، فكيف معرفة أحوالهم؟ فكيف معرفة أفضلهم؟**"[2].

هذا، وقد كان "**أبو عبد الله محمد المقّري**" يرى أنّ الملوك محرومون من نعمة الأمن والحرية، وهو مما لا يحسدون عليه، إذ يقول في ذلك[3]: "**الملك أبو الدنيا، وهو مع ذلك محبوس فيها، تبهم عليه الأبواب، ويستدعي الحراس والحجاب، فإذا خرج حدقت إليه الألحاظ، وأحدقت بجهاته الحفاظ، أي حظٍّ حظُّ من فقد نعمة ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾**[4].

وما تحسن الإشارة إليه أنّ "**أبا عبد الله محمد المقّري**" نفسه، قد أورد في مؤلفاته الكثير من مواقفه سواء مع شيوخه أو مع خاصة المجتمع[5]، والتي تنّم عن قوة شخصيته في إبداء رأيه واستقلال مواقفه حتى لو كان ذلك في حضرة السلاطين، ومن بين المواقف التي أثرت عنه موقفه من "**الشرف**" الذي جنح إليه كبار علماء منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي[6]، فكان "**أبو عبد الله محمد المقّري**" ممن تحّمس له، بحيث كان يأنف من الوقوف لنقيب الأشراف عند دخوله مجلس السلطان "**أبي عنان**"، أين كان إذا دخل مزوار الشرفاء بفاس[7] هذا

---

[1] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص426.

[2] أبو محمد علي ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تح ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، ج7، دار الجبل، بيروت، 1985، ص7.

[3] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص312.

[4] سورة الملك، الآية 15.

[5] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص ص 12-86.

[6] محمد القبلي، المرجع السابق، ص127.

[7] **المزوار**: هو الرئيس أو نائب الملك، ومزوار الشرفاء هو كبيرهم الذي يقصد بالزيارة، أبو عبد الله المقّري، القواعد، ج1، ص 92، أحمد حدادي، **معجم الألفاظ الحضارية في عصر بني مرين**، مكتبة الطالب، ط1، وجدة، 2011م، ص ص191-192.

المجلس الذي كان "**أبو عبد الله محمد المقّري**" يبث فيه العلم، قام له السلطان وجميع من في مجلسه إجلالاً له ما عدا "**أبا عبد الله محمد المقّري**"، الأمر الذي ترك أثرا في نفس المزوار، حيث قام بشكاية "**أبي عبد الله محمد المقّري**" إلى السلطان، هذا الأخير كان أن ردّ عليه قائلا: «**إنّ هذا الفقيه وارد علينا، نتركه على حاله إلى أن ينصرف**»[1]، وكان أن عاد المزوار مرة أخرى ودخل المجلس، فقام له السلطان ومن معه كالمعتاد، ما عدا "**أبا عبد الله محمد المقّري**"، فالتفت المزوار إليه قائلا: «**أيّها الفقيه مالك لا تقوم لي كما يفعل السلطان نصره الله ، وأهل المجلس إكراما لجدّي وشرفي، ومن أنت حتى لا تقوم لي**»، فنظر إليه "**أبو عبد الله محمد المقّري**" وأجابه على عدم القيام له كما يفعل السلطان وجميع من في المجلس قائلا: «**أما شرفي فمحقّق بالعلم الذي أنا أبثه ولا يرتاب فيه أحد، وأمّا شرفك فمظنون، ومن لنا بصحّته منذ أزيد من سبعمائة عام، ولو قطعنا بشرفك قطعا لأقمنا هذا من هنا– وأشار إلى السلطان أبي عنان– وأجلسناك مجلسه، فسكت المزوار**»[2].

فلاشك أنّ هذا الموقف إن دلّ على شيء فإنّما يدّل على ثقته بنفسه واعتزازه وتعظيمه لشرفه العلمي من جهة، وشجاعته وقدرته في الإبداء عن رأيه من جهة ثانية.

وبالنظر إلى الوظائف التي أسندت لعلماء الأسرة "**المقّرية**" كالإمامة والخطابة والقضاء والتدريس، يظهر أنّهم تعاملوا مع السلطة السياسية القائمة على أساس الأمر الواقع، وعلى أساس تحقيق مصالح المسلمين الحقيقية، فمن دون شك أنّهم وجدوا في تلك الوظائف التي أسندت لهم فرصا سانحة لإسداء النصح والمشورة خاصة في أمور الدين وما تعلق بمصلحة عامة الناس[3].

فيبدوا أنّ جلّ علماء الأسرة **المقّرية** آثروا التدريس بالدرجة الأولى على غيره من الوظائف السلطانية بهدف صيانة العلم وحفظه وإعزازه، فكان الاجتهاد بضرورة الابتعاد عن أبواب

---

[1] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص426، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص281، ابن مريم، البستان، ص162، الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص119.

-Ch. broseelard , op.cit, p403.

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص426، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص281، ابن مريم، البستان، ص162، الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص119.

-Ch. broseelard , op.cit, p403.

[3] هو في الغالب ما طبع العلاقة التي ربطت السلطة السياسية بالعلماء، أين كانت هذه الفئة تسهر على تنفيذ الشرع من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مصطفى نشاط، المرجع السابق، ص155.

السلاطين[1]، أين رأى "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في بعض العادات السائدة بين السلاطين انحرافا سياسيا، وهذا ما يظهر من خلال ما أبداه من آراء إزاء تدخل الملوك والسلاطين في شؤون التعليم، حتى ذهب إلى أنّ ذلك لا يخدم التعليم بل يفسده ويضعفه، فهم بذلك لم يسلكوا بالمسلمين طريقة الجادة، بحيث كان بعضهم يجمع حوله العلماء ويجزل لهم العطاء ويقتنصهم بذلك اقتناصا للتباهي، وكان هؤلاء العلماء يتهافتون على أبواب السلاطين والحكام طمعا في عطاياهم، وهم شرّ العلماء كما وصفهم "**أبو عبد الله محمد المقّري**"، إذ تناسوا رسالتهم الحقيقة إزاء هؤلاء الملوك في تقديم لهم النصح والإرشاد امتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلّم: "**الدين نصيحة، ثلاثا. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله وكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**"[2]، فهو يرى أنّه من واجب العلماء نصيحة أئمتهم بمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وإعلامهم بما غفلوا عنه وبما لم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتأليف قلوب الناس لطاعتهم، مقارنا بينهم وبين علماء السلف فقال في ذلك: «**واعلم أنّ شرّ العلماء علماء السلاطين، وللعلماء معهم أحوال**»[3].

كما يظهر أنّ "**أبا عبد الله محمد المقّري**" كان ينظر إلى ما يجري في الأمة من مفاسد وانحرافات، أنّه قد يكون ممّا قصّه القرآن والأخبار من أمر اليهود والنصارى، وأنّه لولا انقطاع الوحي لنزل في هذه الأمة أكثر مما نزل فيهم، لكثرة التفرق والتنازع، فيقول: «**وقد قصّ علينا القرآن و الأخبار عن أمرهم ما شهدنا أكثر منه فينا ...يشير إلى افتراق هذه الأمة على أكثر مما افترقت عليه بنوا إسرائيل**»[4].

ولّما كانت المدارس بالمغرب الإسلامي عموما مؤسسات رسمية تابعة كلّها للدولة دون غيرها، أين أصبحت منحة الطالب مشروطة بانتسابه لمدرسة من المدارس، فأضحى نتيجة ذلك التعليم الحر التقليدي بالمساجد مهددا ككيان واتجاه[5]، فإنّ هذه النتائج التي ترتبت فعلا عن سياسية المدارس وآلت بالعلم والتعليم والمتعلم إلى وضعية قد وقف عندها "**أبو عبد الله محمد**

---

[1] سليمان ولد خسال، المرجع السابق، ص195.

[2] مسلم، صحيح مسلم، ص321.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص ص480- 481.

[4] الونشريسي، المصدر نفسه، ج2، ص ص480- 481.

5 محمد القبلي، المرجع السابق، ص 90.

المقّرى" وفصّل فيها عكس شيخه "**الآبلي**" الذي أوجز فيها القول، فهو يرى أنّ بناء المدارس يجذب الطلبة بكثرة نتيجة الإغراءات والجرايات التي تقدم لهم من قبل الدولة والأوقاف، وأنّهم لا يأخذون العلم إلاّ من العلماء الذين لهم علاقة بالسلاطين إذ يعنيهم في هذه المدارس هؤلاء السلاطين، وهو يرى أيضا بأن إشراف الدولة على هذه المدارس يجعل الدارسين يتقيدون بالاتجاه العام والرسمي لها ولا يمكنهم الحياد عن ذلك[1]، حيث يقول في ذلك: «**أما البناء فإنّه يجذب الطلب إلى ما يترتب فيه من الجرايات فيقبل بهم على من يعينه أهل الرياسة للأُجَرَاءِ والأفراد منهم أو من يرضى لنفسه الدخول في حكمهم ويصرفهم عن أهل العلم حقيقة الذين لا يدعون إلى ذلك، وإن دعوا لم يجيبوا وإن أجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم**»[2].

ففي الواقع أنّ الرأي الذي أدلى به "**أبو عبد الله محمد المقّري**" ما هو إلاّ وصفا دقيقا لمسلسل التبعية التعليمية التي ترتبت عن المدارس الرسمية[3]، فمن الواضح أنّ هذا الوصف إدانة صريحة للخطة المدرسية الرامية إلى إخضاع التعليم لإدارة الحكام، ومن جهة أخرى يعكس غيرة واضحة على المهنة وحرمتها وعلى مستوى التعليم ببلاد المغرب.

ثم إننا نجد علماء الأسرة **المقّرية** توجهوا بدرجة ثانية إلى خطة القضاء والفتوى، ولعل ذلك راجع إلى أنّ هذه الخطة تتناسب ومؤهلاتهم العلمية، إذ لا يصلح لمثل هذه المهام إلاّ من كان فقيها لغويا عالما[4]، وأخذهم في ذلك واجب الأمر بالمعروف والنهي عن النكر إلى تنفيذ الحق الصادق لهذه الخطط، ودفعهم إلى أن يقولوا ما يعتقدون صوابا إرضاء لله تعالى ونصرة لدينه، فالقول بالحق يعتبر أمانة صعبة في ذمة المقّربين للحكام من أهل الشورى والعلم ونحوهم، بل هي أمانة في عنق كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر[5]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى**

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص382.

[2] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص275، الونشرسي، المصدر السابق، ج2، ص479، التنبكتي، المصدر السابق، ص414.

[3] محمد القبلي، المرجع السابق، ص91.

[4] سليمان ولد خسال، المرجع السابق، ص199.

[5] أحمد محمود آل محمود، المرجع السابق، ص ص76-77.

بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1]، ولهذا نجد "**أبا عبد الله محمد المقّري**" لما تولى قضاء فاس قام بأعبائها علما وعملا وحمدت سيرته ولم تأخذه في الله لومة لائم[2]، و الأمر نفسه بالنسبة لـ"**أبي الحسن علي المقّري**"[3] وكذلك بالنسبة لـ "**أبي عثمان سعيد المقّري**" الذي كان بقائه ما ينيف عن خمسة وأربعين سنة في الإمامة والخطابة على أصالة وعلّو منصب وجلالة.

[1] سورة النساء، الآية 135.

[2] المقّري، نفح الطيب، ج5، ص166.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص121.

ثانيا: دورهم في الخطط الدينية:

جاء عن "**ابن خلدون**" أنّ أهمية العلماء والفقهاء تأتي في أي المجتمع من خلال تأطيرهم لشؤون الرعية في مجال العبادات أو المعاملات أو العلم أو التدريس بشكل عام، ومن خلال إشرافهم على الخطط الدينية بوجه خاص والمختصة بالخلافة كالإمامة والفتيا والقضاء والعدالة والحسبة، وهي كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة[1]، ولاشك أنّ علماء الأسرة **المقّرية** قد قاموا بذلك الدور في مختلف الفترات التاريخية التي عاشوا فيها، إذ تنوعت الوظائف الدينية التي شغلوها بالحواضر الإسلامية عامة، وفيما يلي عرض لأهم الوظائف التي تولوها ودورهم فيها.

1. دورهم في الفتوى والخطابة:

لمنصب الإفتاء[2] أهمية بالغة ومكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي، بحيث تعدّ وظيفة الافتاء أعلى وظيفة يتولاها العالم باعتبارها من مصالح المسلمين في أديانهم[3]، فحاجة الناس إلى المفتين عظيمة، إذ ليس بالإمكان الاستغناء عنهم، فقد ألزم الله سبحانه من لا يعلم أحكامه أن يسأل عنها ويتعلمها ليعمل بها بقوله تعالى: ﴿**فَاسأَلوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لا تَعلَمونَ**﴾[4]، وفي المقابل أوجب على أهل العلم أن يبيِّنوا ما عندهم من العلم، ويعلّموه للناس بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾[5]، وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[6].

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص175، **ينظر** أيضا: ابن الأزرق، بدائع السلك، ج1، ص39.

[2] **الفتوى**: ما أفتى به الفقيه، والفتح في الفتوى لأهل المدينة، وهي إخبار عن حكم شرعي في المسألة المسؤول عنها لا على سبيل الإلزام، ابن منظور، المصدر السابق، ج15، ص148، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص1218، عمر الجيدي، محاضرات في المذهب المالكي، ص94.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص176.

[4] سورة النحل، الآية 43.

[5] سورة آل عمران، الآية 187.

[6] أحمد بن حنبل، **المسند**، كتاب: الجهاد، باب: الترغيب في الجهاد وفضل الشهادة، دار الفكر، بيروت، (ب ت)، أبو داود، **سنن أبي دواد**، حكم على أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (ب ت)، باب كراهية منع العلم، ص658.

وبناء على ذلك أُثبِت للعلماء خصيصة فاقوا بها سائر الأمة، لما هم بصدده من أمر الفتوى، يقول صلى الله عليه وسلم:(العلماء ورثة الأنبياء)[1]، واستنادا إلى هذا الحديث فإنّ المفتي قائم في الأمة مقام النبي صلى الله عليه وسلم[2]، لأنه يبيّن للمستفتي ما فهمه من النصوص التي جعلها الله أدّلة عليه، لمن لا يستطيع فهمه منها مباشرة، كما أنّ عمله لا يقتصر على مجرد نقل معاني النصوص وإنما يتجاوزها، فينظر في حال المستفتي وصورة النازلة، فيعرف الحكم عند تحقيق مناطه فيها، بما أنّه يجتهد أحيانا بالاستنباط، فيكون مبلغا ومخبرا عن الله تعالى كالنبي صلى الله عليه وسلم[3]، ومن هنا تتأكد أهمية الفتوى وخطرها، ولعل ما يبرز خطورتها أكثر، ذلك أن هذا المنصب تولاه سبحانه وتعالى بنفسه إذ يقول: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ**﴾[4].

ولما كان الإفتاء عظيم الخطر، بعيد الأثر في حياة الفرد و الأمة، فقد كان على أولي الأمر (السلطان) رد الفتيا إلى من هو أهل لها وإعانته على ذلك[5]، إذ أنّها تحتاج لدرجة عالية في العلم والتعمق في مسائل الفقه، فالفقيه على الحقيقة هو من له أهلية تامة يمكنه أن يعرف الحكم بها، من أمهات مسائل الأحكام الشرعية الفروعية العملية، بالاجتهاد، و التأمل، وحضورها عنده، فضلا على أن تكون له معرفة قوية للقرآن وعلومه وعلوم الحديث والقياس ونحو ذلك، كما يجب أن يكون على قدر كاف من اليقظة والمعرفة بأحوال الناس، ومكرهم وخداعهم حتى لا يقع في هذا المكر[6].

هذا، وتتطلب أيضا قوة الشخصية والنزاهة والصلاح والشجاعة في الرأي والثبات على قول الحق[7]، كما كانت شهرة العالم بين الناس في هذه الأمور من بين عوامل ترشيحه لهذه الوظيفة[1]،

---

[1] أبو داود، المصدر السابق، باب فضل العلم، ص655.

[2] أبو اسحاق ابراهيم الشاطبي، **الموافقات**، شرح عبد الله دراز، ج4، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 2003، ص178، ابن الأزرق، بدائع السلك، ج1، ص241.

[3] الشاطبي، المصدر السابق، ج4، ص ص178- 179.

[4] سورة النساء، الآية 176.

[5] ابن خلدون، المقدمة، ص176.

[6] عمر الجيدي، المرجع السابق، ص ص96-97، محمد سليمان الأشقر، **الفتيا ومناهج الإفتاء**، مكتبة المنار الإسلامية، ط1، الكويت، 1976، ص42.

[7] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 398، وقد عرفنا "**أبو عثمان بن الصلاح** "(ت643هـ) بالشروط التي تضمن للمفتي بلوغ هذا المستوى بقوله: "أما شروطه وصفاته فهي أن يكون مكلّفا مسلما ثقة مأمونا منزها من أسباب الفسق وسقطات المروءة، لأن من لم يكن كذلك فقوله غير صالح للاعتماد، وإن كان من أهل الاجتهاد، ويكون فقيه النفس سليم=

فقد ذكر "**القرافي**" عن "**الإمام مالك**" قول: «**لا ينبغي للعالم أن يفتي حتى يراه النّاس أهلا لذلك، ويرى هو نفسه أهلا لذلك** »[2].

ومهما يكن من أمر فقد استأثرت الأسر العلمية الكبرى بوظيفة الإفتاء وقلّما خرجت عنها، من ذلك الأسرة **المقّرية**، بحيث سمح إلمام علمائها بالفقه لهم بالتصدّر للفتوى، وهذا ما يظهر من خلال إجابتهم على مختلف الأسئلة والقضايا الواردة إليهم من مختلف شرائح المجتمع ومن شتى أنحاء المغرب، والتي احتوت بعضها كتب النوازل، يذكر منها "المعيار" **للونشريسي** و"الدرر المكنونة " **للمازوني**، كما كان حضور فقهاء الأسرة **المقّرية** في منصب الإفتاء عند السلطان دليلا آخر على فقههم وعلمهم إضافة إلى ما يظهره ذلك من حسن العلاقة مع البلاط السياسي[3]، وممن تولى وظيفة الإفتاء من علماء الأسرة **المقّرية**:

أ.دور أبو عبد الله محمد المقّري في الفتوى:

لما كان الإمام "**أبو عبد الله محمد المقري**" فقيها مجتهدا، من كبار علماء المذهب المالكي بالمغرب[4]، فقد قال عنه "**أبو عبد الله بن مرزوق الجد**": "**كان صاحبنا المقّري معلوم القدر، مشهور الذكر، ممن وصل إلى درجة الاجتهاد المذهبي، ودرجة التخيير والتزييف بين الأقوال**"[5]، فكان من الطبيعي يقصده الخاصة والعامة بالاستفتاء لمعرفة أحكام الله تعالى فيما نزل بهم من الوقائع والنوازل التي شغلت بالهم وحيّرتهم، فبيّن لهم الحق من الباطل والصحيح من الفاسد، وأرشدهم إلى ما فيه صلاحهم في الأولى والآخرة.

وبذلك أثرت عن "**أبي عبد الله محمد المقّري**" فتاوى فقهية قيّمة تعتبر سجلا ناطقا بآرائه الفقهية، ولِما يحدث في عصره من وقائع ومستجدات، يظهر فيها منهجه الفقهي في تطبيق

=الذهن رصين الفكر، صحيح التصرف والاستنباط متيقظا"، أبي عمرو عثمان ابن الصلاح، **أدب المفتي والمستفتي**، دراسة وتح الموفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب، ط1، (ب م)، 1986، ص35.

[1] أبو القاسم محمد البرزلي، **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتي والحكام**، تح محمد الحبيب الهيلة، ج4، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2002، ص 55، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 398.

[2] شهاب الدين القرافي، **الفروق المسمى بـ أنوار البروق في أنواء الفروق**، نشر وزارة الأوقاف السعودية، المملكة العربية السعودية، 2010، ج2، ص100.

[3] سبق وأن أشرنا إلى علاقة "أبو عبد الله محمد المقري" بـ "السلطان أبو عنان".

[4] ابن خلدون، التعريف، ص247، **ينظر**: الفصل الأول من الباب الثاني من الدراسة، ص199.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص155، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص279.

القواعد الأصولية والفقهية، وكذا المقاصد الشرعية التي استقرأها من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد كانت فتاويه تجيب المستفتين فيما استُشكل عليهم من نوازل وحوادث، تحمل بين طيّاتها توضيحا لبعض المسائل العلمية في مجال الاجتهاد، وتقويما لسلوك الفرد والمجتمع من أجل الإصلاح والتجديد ونبذ الفساد والجمود، وبهذا كانت هذه الفتاوى أداة ناجحة من أدوات التبليغ والإرشاد، تفتح آفاقا واسعة للاتصال بعامة الناس وخاصتهم[1].

وبما أنّ الإمام "**أبا عبد الله محمد المقّري**" عرف عنه نبذه التّعصب لمذهب من المذاهب أو لرأي من الآراء دون حجّة، كما كان يدعو إلى ترك المسائل الافتراضية التي لا تنفع الناس وتفتقر إلى دليل تستند إليه، وانطلاقا من ذلك كان منهجه في فتاويه يتجلى فيما يلي:

- الاعتماد على الدّليل والبرهان والتعليل والتوجيه، حيث كان يحرص على تدعيم أقواله بأدّلة سواء كانت عقلية أو نقليه، فكان بذلك ملتزما بآداب وضوابط المفتي النزيه[2].

- احترام أراء العلماء والسابقين له، فلم يتعرض في فتاويه لمن خالفه الرأي من المفتين في المسألة بالتخطئة ولا الاعتراض، واكتفى بذكر جوابه وأقصى ما يذكره قوله :"**فخالفته**"[3] .

- الالتزام بمذهب الإمام "**مالك**"، حيث التزم في الغالب من فتاويه بالمشهور والمعتمد في المذهب، ليس تعصّبا منه للمالكية وإنما تثبتا منه وتحقيقا للأقوال الراجحة والصحيحة وإتباعه للحق أينما كان، تطبيقا منه لمنهج الفتوى وعملا بقول العلماء :"**لا تجوز الفتوى بغير المشهور و المعتمد في المذهب**"[4].

- اعتماده على المصادر الأصلية كمورد للفتوى، لاسيما تلك التي لها قيمة علمية كبيرة والتي هي لأئمة لهم مكانتهم العلمية، إضافة إلى اعتماده على مصادر عديدة، ونقله منها أقوالا لكبار الفقهاء في معظم المسائل التي يذكرها.

- ومما يلاحظ وهو ينقل هذه الأقوال أنّه لم يكتف بالنقل فحسب بل كان كثيرا ما يدلي برأيه المستقل في المسألة ويعلّق عليها ويرجح ما يراه صوابا[5].

---

[1] عن فتاوي "أبو عبد الله محمد المقّري" **ينظر**: الونشريسي، **المعيار**، ج1، ص153، 191، 202، 305، 443، ج2، ص60، 443، 466، 478، ج3، ص8، 248، ج5، ص189، 195، ج6، ص361، 376، 573، ج7، ص25، 446، ج9، ص268، 270، ج10، ص310، 368، ج11، ص126، 265، 383، ج12، ص76، 333،226، 338.

[2] سعاد رياح، المرجع السابق، ص256.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج5، ص196، وج2، ص60.

[4] سعاد رياح، المرجع السابق، ص257.

[5] في تعليقه على قول ابن الحاجب في مسألة الوصية بالثلث، الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص270.

- اتصافه بالأمانة والعمق في البحث والتحقيق والتّحري، حتى كانت كل هذه الصفات هي السّمة الغالبة على فتاويه وأرائه مما يضفي عليها قوة ومصداقية ولهذا قال عنه "**النباهي**": «**كان هذا الفقيه في غزارة الحفظ وكثرة مادة العلم عبرة من العبر...** »[1].

- التزامه بضوابط الفتوى وآداب المفتي في فتاويه، حيث لم يكن مائلا في الفتوى مع المستفتي أو متساهلا معه لإرادة الباطل، بل كان صريحا جاهرا بالحق جريئا مقدّما للجواب الذي يرى فيه إحقاقا للحق ولو فيه تغليظ للسائل إن اقتضى الأمر معه ذلك[2].

إضافة إلى ما تميز به منهج "**أبي عبد الله محمد المقّري**" في الفتوى، فقد كان يلجأ دائما في تقرير الأحكام إلى الاستدلال مستندا في ذلك على:

- **القرآن الكريم والسنّة النبوية**: فكان أول ما يعتمد عليه **أبو عبد الله المقّري** في الاستدلال نصوص الوحي القرآني من كتاب الله ومن ذلك استدلاله بالآية الكريمة﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾[3]، كما كان يستدل بسنّة نبّيه صلى الله عليه وسلم، فقد استشهد بها في مواضع كثيرة من فتاويه وأرائه ممّا يدل على تمسكه بالسنّة وفهمه لمدلولها، ومن ذلك استدلاله بحديث: "لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً شِبْراً وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ " قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ :"فَمَنْ؟"[4]، وذلك عند إنكاره عن أهل زمانه، تعينّهم الذابح على الجزارين[5].

- **القياس** :كان يستعمل القياس في بعض الأحيان عندما ينعدم النص الذي يستند إليه في استنباط حكم النازلة مثل مسألة "الجلوس على الحرير"، فحكم بالجلوس على الحرير مثل لباسه، إذ اللّباس يراد به التغطية والافتراش فقال: «**كلا الأمرين سمي لباسًا**» واستدل بالآية الكريمة السابقة[6].

---

[1] النباهي، المصدر السابق، ص ص169- 170.

[2] سعاد رياح، المرجع السابق، ص258.

[3] سورة البقرة، الآية 187.

[4] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة، ص850.

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص126.

[6] سورة البقرة، الآية 187.

كما أنّه كان يرجع إلى مقاصد الشريعة المستفادة من نصوص الكتاب والسنّة مما شرع ليستدل بها على الحكم المستنبط، ومن ذلك قوله: « **بجواز بعض المعاملات لأنّها تحقق مصلحة وينتفي فيها الضرر**»[1].

- **العرف والعادات السائدة:** كان يستدل بالعرف والعادة السائدة التي لا تخالف نصًّا من كتاب الله وسنّة نبّيه أو أصلا من أصول الشريعة، فكان يتحرى الدّقة والحذر فيما ينتشر بين الناس من العادات، حتى أنّه كان لا يسلم بما ينتشر بينهم على أنّه من خوارق العادات لتضليل الناس، ومن ذلك قصة المرأة التي وردت تلمسان في القرن الثامن الهجري وتدّعي أنّها لا تأكل ولا تشرب، فأنكر "**أبو عبد الله محمد المقّري**" وطلب التّثبت من أمرها وشدة التحّري لأحوالها[2].

وما تجدر الإشارة إليه هنا أنّ فتاويه كانت تنطلق من أسئلة موجّهة إليه ومسائل تعرض أمامه يكون نصّها قصيرا تارة وقد يطول أحيانا أخرى، ويختلف أسلوبها بين البساطة في الطرح وبين الدّقة والرجحان، أما الجواب فيتميز هو الآخر بالطول تارة وبالقصر تارة أخرى حسب ما يقتضيه السؤال وحال السائل، والتزم بإيضاح الفتوى للسائل بما يفيد وزيادة موضحا له ذلك غاية التوضيح، ويعود ذلك إلى مستوى المستّفتى وهذا دليل على التزامه بآداب الفتوى.

- **موضوعات فتاويه وأهميتها:**

يظهر من خلال مصادر النوازل مثل "**المعيار**" و"**الدرر المكنونة**"، أنّ موضوعات فتاويه كانت عبارة عن مسائل شغلت الأوساط العامة من مجتمعه، الأمر الذي دفعهم إلى الاستفتاء في مواضع مختلفة، ومن المواضيع التي تضمنّتها فتاويه هي الموضوعات الفقهية من عبادات وطهارة وصلاة وزكاة ونكاح وطلاق، وكذلك أبواب المعاملات، وكان للعادات والبدع المنتشرة حظ في فتاويه، ومن بين فتاويه نذكر:

- فتوى "**أبو عبد الله محمد المقّري**" لـ "**أبي عنان**" "**عمن لزّمته يمين على نفي العلم فحلف جهلا على البتّ، هل يعيد اليمين أم لا ؟**".

فكان نصّ فتوى "**أبي عبد الله محمد المقّري**": « أجبته بإعادتها، بعد أن أفتوه من حضره من الفقهاء بأن لا تعاد لأنّه أتى بأكثر مما أمر على وجه يتضّمنه، فقلت: اليمين على وجه

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج5، ص191.

[2] أحمد المقّري، نفح الطيب،ج5، ص305.

الشك غموس، قال "**ابن يونس**": والغموس الحلف على تعمد الكذب أو على غير يقين، ولاشك أنّ الغموس محرّمة منهي عنها والنهي يدل على الفساد، ومعناه في العقود عدم ترتب أثاره عليه فلا أثر لهذه اليمين ويجب أن تعاد، وقد يكون من هذا اختلافهم فيمن أدّتها السكوت فتكلمت: هل يختبر بذلك والأجزاء هنا أقرب لأنّه الأصل والصمات رخصة لغلبة الياء، فإن قلت: البت أصل ونفي العلم إنّما يعتبر عند تعذره »[1].

- فتوى "**أبو عبد الله محمد المقّري**" "**فيمن أوصى بثلث ماله واشترط أنّه لا يرجع في وصيته**":

فكان جوابه: «بطلان الوصية التي أوصى بها رجل عند سفره لمن أسلفه مع اشتراط عدم الرجوع فيها، وذلك لأن السّلف إذا كان للوصية فقد جرّ نفعا، وإن كان قبلها فهو هدية مديان، وكلاهما منهي عنه، والنهي يدل على الفساد إلا بدليل، والأصل عدمه، ومعنى الفساد في العقد عدم ترتب أثره عليه وهذا ما يوجب بطلان الوصية أصلا،فكيف بعد الرجوع فيها»[2].

- فتوى "**أبو عبد الله محمد المقّري**" "**بثبوت الشّرف من جهة الأمّ**" وهي مسألة وقع فيها خلاف بين فقهاء عصر، فكان له فيها موقف وسط بين الطرف المثبت للشرف والطرف النافي له.

ونص فتوى "**أبي عبد الله محمد المقّري**" في هذا هو كالتالي: « اختصاص اسم الشّرف بمن لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ولادة حادث بعد مضي ثلاثة من القرون المثنى عليها، والحكم على الشيء فرع عن تصوره وهذا لا يتحقق فإن كان اسما لسبب الولادة منه بالأم اعتبارا بأصله، إذ لا ولادة له على أحد إلاّ بذلك لقوله تعالى: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ**﴾[3]، وبذلك أفتى فقهاء بجاية الذين درجوا من أهل زماننا وإن كان اسما لرجوع النسب إليه لم يثبت بها، لأنّه في الأصل على خلاف الأصل فلا عليه، وبه أفتى فقهاء تونس ممن ذكر، وكان الأول أقرب لولا أنا نسمع فيما مضى بدخول أحد من ولد بنات علي وغيره في ذلك مع ولد بنيه، حتى وقعت

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج10، ص310، أبو زكرياء المازوني، الدرر المكنونة، ص335.

[2] الونشريسي، المصدر نفسه، ج9، ص 268، المازوني، المصدر نفسه،ج3،ص 261.

[3] سورة الأحزاب، الآية 40.

المسألة بتلمسان فاختلف فيها فقهاؤها وكتبوا إلى غيرهم فوقع الأمر على ما ذكرت لكم ولم يتحقق مدلوله فتلحق به وقوله عليه السلام :" **ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ** "[1] أولى من قول الشاعر :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد»[2].

ب. دور أبو عثمان سعيد المقّري في الفتوى والخطابة:

وبرز من الأسرة **المقّرية** أيضا في مجال الافتاء "**أبو عثمان سعيد المقّري**" الذي تولى هذا المنصب بتلمسان، وبقي مفتيا بها نحو ستين سنة[3]، فحافظ بذلك على منزلتهم العلمية ودرجتهم الرفيعة، بحيث تمكن من التصدى للفتوى في سن مبكرة، إذ يذكر الباحث "**بن داود نصر الدين**" أنّ سنّه كان عند توليه الفتوى 23 سنة، أي في الفترة الممتدة من سنة (951هـ/1544م) إلى سنة (1011هـ/1602م)[4]، في حين ذكر الأستاذ "**أبو القاسم سعد الله**" أنّه يكون قد تولى الفتوى بتلمسان حوالي سنة (966هـ/1559م)[5]، معنى ذلك أنّ سنّه كان حين ذاك 32 سنة، وبما أنّه بقي في الفتوى ستين سنة فالراجح أنّ سنّه كان أنذاك 23.

ومهما يكن من أمر، فلاشك أنّ ثقافته ومكانته الاجتماعية والعلمية -إذ كان ذا ثقافة واسعة-، هي التي أهلته للتصدي للفتوى بتلمسان، ولعل ما يوضح لنا جانبا من ذلك ما وصفه به ابن أخيه "**أبي العباس المقّري**" بقوله: "**سيدنا ومولانا شيخ الشيوخ، وخاتمة أهل التثبت والرسوخ، ملحق الاحفاد بالأجداد، المبرز على النظر والأنداد، مفتي تلمسان وأصقاعها، ومعتمد أهل أقطارها وبقاعها، عمنا سيدي سعيد بن أحمد المقّري، صب الله عليه شآبيب رضوانه**"[6]، ويقول أيضا في موضع آخر: "**شيخ الإسلام، مفتي الأنام، الخطيب الإمام، ملحق الأحفاد بالأجداد**"[7].

---

[1] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، كتاب الصلح، باب الصلح في الدّية، ص 315.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج12، ص 226.

[3] محمد مخلوف، المرجع السابق، ص295، الحفناوي، تعريف الخلف، ج1، ص426، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص201.

[4] نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص201.

[5] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص384.

[6] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج2، ص309.

[7] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج3، ص331.

وبالنظر إلى مدة بقائه في الفتوى (حوالي ستين سنة) وهي مدة طويلة جدا، فلعل ذلك يدّل على باعه الكبير في علوم الفقه والشريعة[1]، كما يكشف عن تفوقه العلمي وبقاء مكانته الاجتهادية على صدارة علماء تلمسان حتى أنّه وصل إلى درجة الرئاسة العلمية، يقول في ذلك "**ابن القاضي**": "**ووصل إلى درجة رياسة بلده**"[2].

لكن ما تحسن الإشارة إليه أنّه رغم مكوث "**أبي عثمان سعيد المقّري**" ستين سنة في منصب الإفتاء، إلاّ أنّنا لم نقف على فتاويه في كتب النوازل، ويجهل سبب ذلك، فلربما أنّها لم تسجل **!**، الأمر الذي صعبّ علينا استنتاج طريقته في الفتوى و منهجه في الإجابة، بالإضافة إلى عدم معرفة المواضيع التي تضمنتها فتاويه.

وبحكم أنّ الإفتاء يدخل في كل ما يكون مطلوبا لرب العباد من العباد، أو موضوعا من رب العباد للعباد، ذلك أنّ الإفتاء هو تبليغ وإخبار عن أحكام الشريعة لمن سأل عنها، فالراجح أنّ فتاوى الإمام "**أبي عثمان سعيد المقّري**" كانت حول المسائل والموضوعات التي شغلت بال أهل تلمسان وأذهانهم في الفترة التي عاش فيها، وطرأت في حياتهم، ودفعتهم للاستفتاء والتي كان معظمها راجعا إلى المسائل الفقهية المعروفة في أبواب العبادات: كالطهارة ، والصلاة ، والصيام، والزكاة، وكذا أحكام الأيمان، ونوازل النكاح، والطلاق، بالإضافة أبواب المعاملات التي تتشعّب مجالاتها وتتنوّع، ومنها: نوازل البيوع، والشفعة، والإجارة، والكراء، ونوازل الشركة، والقسمة، ونوازل الوقف (الأحباس) ، وأيضا نوازل الجنايات، والميراث وغيرها مما شغل بال المغاربة عامة[3]، والتي من دون شك أنّها كانت ترفع الحرج عن الناس قصد تيسير أمور دينهم ودنياهم، ولربما ذلك ما نلمسه من خلال قول "**أبي العباس المقّري**": "**فهو شيخ أولئك الأعلام الذين ورثوا العلم عن غير كلامه، وعمروا ربوع المجد وتفياوا ظلاله وارشدوا إلى سبيل الهدى وازاحوا عن الضلالة، وعمرت أرضهم بكل مجد وجلالة**"[4].

ولما كان المذهب الذي يفتي به علماء المغرب هو مذهب الإمام مالك، لأنّه المذهب الذي كان يتبعه جميع السكان[5]، فمن دون شك أنّ "**أبا عثمان سعيد المقّري**" قد حاول إيجاد حلول

---

[1] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ص166.

[2] ابن القاضي، درة الحجال، ص432.

[3] **ينظر**: في ذلك كتب النوازل مثل المعيار للونشريسي، والدرر المكنونة للمازوني، وفتاوى البرزلي وغيرها.

[4] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج3، ص47.

[5] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص399.

عملية دقيقة في القضايا التي كانت تفرضها الحياة اليومية، بناء على منهج الإمام مالك، الذي يحرص على الابتعاد عن كل ما فيه تجريد وتعقيد ذهني مما ليس تحته عمل[1]، فقد أثبت المذهب قدرته على التكيف مع الأحوال المتغيرة بالمغرب لإحداثه مناهج في التعامل مع النص، مكّنته من معالجة المشاكل الناتجة عن الظروف الاجتماعية والسياسية المستجدة ولمراعاته أعراف الناس ومصالحهم، وتلبيته حاجاتهم سواء كانت ضرورية أو حاجية أو تحسينية، مما جعل مذهب مالك مرنا يتصف بواقعية أكثر ومرونة أوسع ساهمت في بقائه قويا وحيويا.

هذا، وقد تولى "**أبو عثمان سعيد المقّري**" إلى جانب منصب الإفتاء، وظيفة الخطابة التي تعد من الوظائف الأساسية بالمسجد، كون صلاة الجمعة فرض عين عند الجمهور، وخطبة الجمهة ركن من أركانها، والامر نفسه بالنسبة لصلاة العيدين.

فقد خطب "**أبو عثمان سعيد المقّري**" على منبر الجامع الأعظم بتلمسان مدة خمس وأربعين سنة[2]، ومن دون شك هذا راجع إلى تمكنه من أدوات الخطابة وإكتسابه عدة من مؤهلات علمية تمثلت في مكانته الأدبية والعلمية والخلقية، الأمر الذي جعله يصل إلى درجة الرئاسة العلمية بتلمسان[3].

2.دورهم في القضاء:

تعتبر خطة القضاء[4] من أشرف وأجلّ الخطط الشرعية وأرفعها شأنا في الدولة الإسلامية[5]، فضلا عن كونها من أهم وأخطر خطط الدولة الدينية والسياسية باعتبارها من الوظائف الداخلة تحت الخلافة[6]، نظرا لأهميتها الاجتماعية، ففيها الحكم على أرواح الناس وأموالهم

---

[1] عمر الجيدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، ص30.

[2] ابن مخلوف، المرجع السابق، ص295.

[3] ابن القاضي، درة الحجال، ص432.

[4] **القضاء**: في اللغة هو الحكم والفراغ، والقطع والفصل، وسمي القضاء حكما لما فيه من الحكمة التي توجب وضع الشيء في محله؛ ولأنه يكف الظالم عن ظلمه، أما اصطلاحا: هو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام، **ينظر**: محمد الخطيب الشربيني، **مغني المحتاج**، ج4، دار الفكر، بيروت، ص372.

[5] محمد فتحة، المرجع السابق، ص32، خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص203، خالد بلعربي، **بنية الجهاز القضائي بالمغرب الأوسط في العهد الزياني**، دورية كان التاريخية، ع12، 2011، ص106.

[6] النباهي، تارخ قضاة الأندلس، ص ص 2-3، ابن خلدون، المقدمة، ص 176.

وأعراضهم[1]، ناهيك عن كونها ركنا أساسيا في دعم واستمرار أي كيان سياسي وذلك عند القيام بدوره المنوط به[2]، فقد جاء عن "**ابن خلدون**" في ذلك قوله: "**هو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة، لأنّه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع إلا أنّه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة، فكان لذلك من وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها**"[3].

وتظهر خطورة القضاء في الأشخاص الذين يتولون هذه الخطة وأثر ذلك على نفوس الرعية[4]، بالإضافة إلى خطورة ما يتعرضون له من قضايا تهم الدماء والأموال والحلال، إلى جانب تعلّقِه بالعدل أو الظلم[5]، جاء عن "**ابن قيم الجوزية**" عن ذلك قوله: "**ولخطر القضاء جاء في القاضي من الوعيد والتخويف ما لم يأت نظيره في المفتي... فكلاهما أجره عظيم وخطره كبير**"[6]، ولعله الأمر الذي دفع بالكثير من العلماء إلى الامتناع عنه خوفا من عدم القدرة على القيام بمتطلباته، وتقديرا منهم لخطورته[7]، إذ يشهد تاريخ القضاء في الإسلام أنّ كثيرا من العلماء كانوا يرفضون وظيفة القضاء بل اعتبروها محنة وبلوى تصيبان صاحبها[8].

---

[1] قال عنها "أحمد بن يحي الونشريسي": "هي الولاية الثالثة من الولايات المتقدّمة، ولا خفاء في جلالتها، وكونها أعظم قدرا وأعلاها ذكرا، وأجّلها خطرا، لا سيما إذا جمعت له الصّلاة، وأما حكمته فرفع التّهارج وردّ التواثب وقمع المظالم، ونصر المظلوم، وقطع الخصومات والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر"، كتاب الولايات، ص ص38-40.

[2] صابرة خطيف، المرجع السابق، ص174، محمد فتحة، المرجع السابق، ص32، نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص202، نبيل شريخي، المرجع السابق، ص79.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص176.

[4] يقول "ابن رضوان يوسف المالقي" في ذلك: "ومن ذلك تولية الأعمال أهل الحرص عليها لأنّه لا يخطها إلاّ لصّ حريص على جمع الدنيا نابذ لدينه ومروءته، فيجوز في النفوس والأموال فتفسد نيات الرعية بسببه"، **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، تح على سامي النشار، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1984، ص419.

[5] النباهي، المصدر السابق، ص2، محمد فتحة، المرجع السابق، ص35، سليمان ولد خسال، المرجع السابق، ص211.

[6] ابن قيم الجوزية، **أعلام الموقعين عن ربّ العالمين**، تح المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 2004، ص ص37-39.

[7] النباهي، المصدر السابق، ص ص 11-12، الغبريني، عنوان الدراية، ص99، محمد فتحة، المرجع السابق، ص32، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص401، ص498.

[8] محمد فتحة، المرجع السابق، ص 32.

ونظرا لخطورة القضاء فقد كان اختيار القضاة يراعي مجموعة من الشروط[1]، إذ كان لابد أن تتوفر في الشخصية القضائية النزاهة عن الطمع، والحلم عن الخصم، والاستقامة، والشجاعة والجرأة التي تقطع المنازعات والخصومات[2]، مستشيرا لأولي العلم والفقه، فضلا عن شرط العدالة وهي معتبرة في كل ولاية، والعدالة أن يكون صادق اللهجة ظاهر الأمانة عفيفا عن المحارم، متوقيا للمآثم[3].

ويبدو أنّ الإمام أو السلطان كان يشرف بنفسه على تعين القضاة ببلاده[4]، حيث يتولاها قضاة معينون مباشرة من قبل السلطان بموجب ظهير سلطاني بعد البحث في كفاءتهم ومؤهلاتهم العلمية[5]، أو يعين شخصية كبيرة من الفقهاء والعلماء الأكفاء لمنصب كبير في القضاء ويجعل له توليّة غيره وإنابته عنه في جهات مختلفة من مملكته عندما يتوفر فيه ما يشترط عليه[6].

وقد نالت الأسرة **المقّرية** حظوة وشرف منصب القضاء، بحيث تقّلد عدد من علمائها منصب القضاء، فبرز منهم:

أ.أبو عبد الله محمد المقّري ودوره في القضاء:

تولّى "**أبو عبد الله محمد المقّري**" منصب "**قاضي الجماعة**"[7]، وهو منصب سامي يتولى صاحبه أعلى رتبة في مجال القضاء، يقول "**النباهي**": "**وأجلّه قضاء قاضي الجماعة**"[8]، بحيث يرجع إليه سائر القضاة بالنظر[9]، وقد تولاه "**أبو عبد الله محمد المقّري**" بفاس لمدة سبع سنوات من سنة(749هـ/1348م) إلى سنة(756هـ/1355م)[10]، بتعيين من طرف السلطان "**أبي**

---

[1] تتمثل الشروط الأساسية فيمن يتولى القضاء في: الإسلام، الذكورة، الحرية، البلوغ، سلامة حواس السمع والبصر واللسان، **ينظر**: ابن رضوان، المصدر السابق، ص324 وما بعدها، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ص55-65، النباهي، المصدر السابق، ص4، البرزلي، المصدر السابق، ج4، ص6، الونشريسي، كتاب الولايات، ص42.

[2] **ينظر**: أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص 149.

[3] الماوردي، الأحكام السلطانية، ص66.

[4] محمد فتحة، المرجع السابق، ص32.

[5] محمد فتحة، المرجع نفسه، ص32، خالد بلعربي، تلمسان من الفتح، ص297.

[6] نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص45، محمد فتحة، المرجع السابق، ص32، شهرزاد رفاف، أبو عثمان سعيد العقباني، ص42.

[7] قاضي الجماعة عند المغاربة يقابلها قاضي القضاة عند المشارقة، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص385.

[8] النباهي، المصدر السابق، ص21.

[9] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص79.

[10] أبو الأجفان، المرجع نفسه، ص 80، نصر الدين بن داود ، المرجع السابق، ص205.

عنان المريني" خلفا لقاضيها الشيخ **"المعمر أبا عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي"** الذي أقاله السلطان من عمله نظرا لكبر سنّه[1]، وهو ما يوضح لنا أنّ تعيّن قاضي الجماعة في حواضر المغرب الإسلامي كان يتم من قبل السلاطين بعد توفر الكفاءة والقدرة والمؤهلات العلمية والإدارية فيه[2]، كما كان يتم صرفه أيضا عن عمله وتعويضه بآخر بأمر سلطاني[3]، وهو ما يعكس لنا خطورة هذا المنصب لتعرض صاحبه باستمرار لانعكاسات الأحوال السياسية ولتغير مزاج السلاطين.

وتنحصر وظيفة **"قاضي الجماعة"** في النظر في الخصومات والفصل في المنازعات في جميع القضايا الشرعية في مركز الدولة وحاضرتها، لذلك كانت الأحكام التي تصدر عنه تكتسي أهمية بالغة، لأنّها تعتبر شبه ملزمة لجميع القضاة في المدن والقرى[4]، كما كان لقاضي الجماعة هذا تأثير مستمر على السلطان لاسيما في الظروف الاستثنائية، ناهيك عن الأدوار التي كان يعهد له بها السلطان مرارا وتكرارا في سير شؤون الدولة، فقد كان يكلّف بمهام توفيقية وبسفارات لدى الدول[5].

هذا، ويشير **"أبو الأجفان"** إلى أنّه أسندت إلى **"أبي عبد الله محمد المقّري"** سلطة القضاء ليس في فاس فقط، وإنّما في مرسى مدينة هنين، معتمدا في ذلك على ظهير[6] يتضمن إسناد منصب القضاء إلى **"أبي عبد الله محمد المقّري"** في مرسى مدينة هنين ويعلن ما يستحقه بمقتضى ذلك من الرعاية الموجبة إقرارا للعدل وإرضاء الله سبحانه وتعالى، غير أنّه ليس هناك ما يثبت مباشرته لهذا المنصب بعد قضاء فاس، لأنّ هذا الظهير خال من التاريخ، كما يشير أيضا

---

[1] التنبكتي، المصدر السابق، ص 419، ابن فرحون، الديباج، ص382، ابن خلدون، التعريف، ص60، الزركلي، الأعلام، ج7، ص37، عادل نويهض، المرجع السابق، ص312.

[2] أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص64، محمد فتحة، المرجع السابق، ص32، نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص52، روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص136.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص178، محمد فتحة، المرجع السابق، ص33، ص37، نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص53.

[4] خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص207، خالد بلعربي، تلمسان من الفتح، ص297، روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص ص133-134.

[5] روبار برونشفيك، المرجع نفسه، ج2، ص136.

[6] مخطوط بمكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا، يحتفظ بوثيقة هذا الظهير للوحة 289 من المجموع رقم 1140، نقلا عن أبو الأجفان، المرجع السابق، ص81.

إلى عدم وجود إثبات لتوّلي "**أبي عبد الله محمد المقّري**" هذا المنصب فعلا بهنين، إذ قد يكون اعتذر عن ذلك وطلب إعفاءه منه[1].

كما تولى "**أبو عبد الله محمد المقّري**" قضاء العسكر[2] لنفس السلطان سنة (758هـ/1358م)، وذلك عند حملته لفتح قسنطينة[3]، بحيث يلتزم القاضي بموجب هذا المنصب مصاحبة العساكر والجنود في تنقلاتهم ليفصل الخصومات التي قد تقع بينهم أو بينهم وبين غيرهم[4]، وقاضي العسكر لا يختلف عن بقية القضاة من حيث تكوينهم وصفاتهم[5]، لكن ما تحسن الإشارة له أنّ "**أبو عبد الله محمد المقّري**" لم يدم طويلا في هذا المنصب، بحيث مرض في طريق العودة إلى فاس وتوفي عند مقدمه هذه الأخيرة[6].

ومهما يكن من أمر فقد توفرت في "**أبي عبد الله محمد المقّري**" جملة من الشروط والمؤهلات مما حددته كتب الأحكام السلطانية والفقه[7]، الأمر الذي مكنّه من تولي هذا المنصب ونذكر منها:

- اطّلاعه الواسع في ميدان الفقه خاصة العلم بالأحكام الشرعية ويدّل على ذلك مؤلفاته في هذا الميدان.

- التحلي بالآداب الشرعية مثل النزاهة والاستقامة والتزام الصدق والأمانة والشجاعة والجرأة ونلمس ذلك من خلال ما قام به السلطان "**أبو عنان**" من عزل "**أبي عبد الله محمد المقّري**" عن منصب قاضي الجماعة بفاس، نظرا لصرامته وقوته وتنفيذه للحق.

---

[1] أبو الأجفان، المرجع السابق، ص82، نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص52، تم الإشارة في المبحث الأول من نفس الفصل إلى أنّ اعتذاره عن هذا المنصب ربما لكونه رآه إجراءً تأديبيا، فتوليتّه القضاء بهنين بعد فاس توحي بالحطّ من مكانته وتدل على مدى سخط السلطان وغيظه.

[2] وهو المتحدث في الأحكام والأشغال السلطانية، وله مجلس يحضره بدار العدل في الحضرة، أحمد حدادي، المرجع السابق، ص165.

[3] ابن خلدون، التعريف، ص63، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص425.

[4] نبيلة حساني، المرجع السابق، ص82.

[5] محمد فتحة، المرجع السابق، ص45.

[6] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص226، ابن خلدون، التعريف، ص62، ابن مريم، المصدر السابق، 155.

[7] الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 65-66، النباهي، المصدر السابق، ص4، البرزلي، المصدر السابق، ج4، ص6، ابن رضوان، المصدر السابق، ص324.

- البعد عن التعصب والهوى والمطامع الشخصية، حيث يظهر ذلك من خلال مواقفه وأرائه الإصلاحية[1].

- تنقلاته بين حواضر المغرب الإسلامي كتونس وبجاية وفاس والأندلس، الأمر الذي مكنّه من حضور مجالس غيره من القضاة.

- **طريقته في القضاء:**

اشتهر "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في قضائه بالحزم والمهارة القضائية، حيث استقل بالقضاء أعظم استقلال فأنفذ الحكم وأعلن كلمة الحق ولم تأخذه في الله لومة لائم، إذ حمدت سيرته فيه وأحبتّه الخاصة والعامة على حد تعبير معاصريه[2]، وصارت الأحكام التي يصدرها يستشهد بها في مختلف القضايا والنوازل، فهي حجّة لصدورها عن عالم حافظ واسع الاطّلاع، له أهلّية الترجيح بين الأقوال.

وقد وصف لنا تلميذه "**ابن الخطيب**" سيرته في القضاء وعدله في إنفاذ الحكم وصبره في تدقيق التحقيق ورزانته في الاستماع إلى الخصوم بكلّ رفقة وحكمة في التحري والبحث عن الحقيقة، بعد أن حضر بعض مجالسه القضائية بفاس فقال: «**فاستقل بذلك أعظم استقلال وأنفذ الحكم وألان الكلمة وآثر التسديد، وحمل الكلّ وخفض الجناح، فحسنت عنه القالة وأحبته الخاصة والعامة، حضرت بعض مجالسه للحكم، فرأيت من صبره على اللّدد، وتأتيه للحجج، ورفقه بالخصوم، ما قضيت منه العجب**»[3].

وكذا ينقل لنا "**أحمد بابا**" في "نيل الابتهاج" عن "**الونشريسي**" قوله: «**لما تولى قضاء فاس قام بأعبائه علماً وعملاً وحمدت سيرته ولم تأخذه في الله لومة لائم**»[4].

كما أبرز "**النباهي**" مكانة "**أبي عبد الله محمد المقّري**" وثبات شخصيته في أداء وظيفة القضاء وقدرته في تحمل مشقتها فقال: «**كان هذا الفقيه رحمه الله في غزارة الحفظ وكثرة مادة العلم عبرة من العبر، وآية من آيات الله الكبر، قلّما تقع مسألة إلا ويأتي بجميع ما**

---

[1] فافة بكوش، المرجع السابق، ص133.

[2] ابن خلدون، التعريف، ص62، النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص128، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص195.

[3] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص195.

[4] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 420، ابن مريم، المصدر السابق، ص 155.

للناس فيها من الأقوال ويرجح ويعلل، ويستدرك ويكمل قاضيًا ماضيًا عدلاً جذلاً»[1]، ونوهّ أيضا "**يحي ابن خلدون**" بمكانته في القضاء بقوله: «**من العلماء الأعلام وقضاة العدل والدين والجزالة**»[2].

- **نماذج من أقضيته:**

فصل القاضي "**أبو عبد الله المقّري**" في مجموعة من القضايا اختلفت مواضيعها، ومن خلال مصادر النوازل والمازونية سوف نورد نموذجين من أقضيته:

- **النموذج الأول:** فصل القاضي "**أبو عبد الله المقّري**" في مسألة "تحبيس حصة من عقار لا ينقسم" فحكم بما يلي:" بأن يباع جميعه ويتّاع من ثمن نصيب الحبس عوضه حبسًا، وهذا الحكم هو الجاري على مذهب ابن القاسم، وأصله أنّ ما لا ينقسم لا ينقسم بل يباع ".[3]

- **النموذج الثاني:** طرحت على القاضي "**المقّري**" مسألة "رجل أشهد على نفسه أن طلّق زوجته طلقة صادفت آخر الثلاث، وأنّه حرّمها تحريما أبدا، تقديما لأصل التأسيس على التأكيد ولا يلزمه ذلك إلا بتقدير التعليق بالنكاح، فوجب تقديره على ذلك تقديرا لأجل الحمل على الفائدة دون العبث، لأنّ أمر النيّة لا يصدق في إرادة غير الظاهر ومن لبسَ على نفسه لبسًا جعلنا لبسه عليه"[4].

ب.أبو الحسن علي المقّري ومكانته في القضاء:

تولى "**أبو الحسن علي المقّري**" منصب قاضي حضرة تلمسان في زمان "**يحي ابن خلدون**"[5]، وكان قاضي الحضرة يشغل منصب الموثق الملكي، ويتم تعينه من قبل السلطان نفسه بمشورة قاضي الجماعة، ويعد قاضي الحضرة نائبا لقاضي الجماعة ويلقب بقاضي تلمسان[6]، وبما أنّ"**أبو الحسن علي المقّري**" تولى قضاء حضرة تلمسان زمن "**يحي ابن خلدون**" معنى ذلك أنّه

---

[1] النباهي، المصدر السابق، ص169، ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص195.

[1] التنبكتي المصدر السابق، ص128.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 121.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص 446.

[4] الونشريسي، المصدر نفسه، ج4، ص ص116-117.

[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص121.

[6] ابراهيم بحاز، مدخل إلى القضاء عند الزيانيين، ص63.

تولى هذا المنصب عهد السلطان الزياني "**أبي حمو موسى الثاني**" أي في الفترة الممتدة من (769هـ/1367م) إلى (777هـ/1375م).

وانطلاقا من المعايير التي حددتها كتب الأحكام السلطانية والفقه[1] في اختيار القضاة، يظهر لنا أنّه تم توليه لهذا المنصب بناء على عدة اعتبارات منها:

- انتمائه إلى تلمسان، فقد كان القاضي في العهد الزياني يختار من بين أبناء البلد الذي ينتمي إليه كون ذلك من الأمور المستحبة فقها[2]، وهذا حتى يكون على دراية ومعرفة بأحوال الناس وعاداتهم المحكمة شرعا على أكثر من مذهب بما فيها المذهب المالكي[3]، فضلا عن توليه اختيار الشهود أو العدول الذين قد تصبح مهمتهم رسمية بعد تزكيتهم من لدن القاضي، كما يمكنه إقصاء من يطعن فيه مقدرة وأخلاقا أو نزاهة، لذلك كان لابد أن يكون معروفا عندهم ويثقون فيه، ويعرفون فضله وعلمه[4].

- المكانة العلمية، أين عدّ العلم مرتكزا أساسيا في متولي هذه الخطة[5]، خاصة العلم بالأحكام الشرعية التي يفصلون الدعاوى بموجبها، ويقيمون العدل على أساسها ويضعون الحدود والحقوق بين الناس[6]، ولعل "**أبا الحسن علي المقّري**" كان من المعروفين بسعة الاطلاع وغزارة العلم، عارف بالنوازل، بحيث يصفه "**يحي ابن خلدون**" بأنّه: "**من أهل العلم والدين**"[7].

- المكانة الأخلاقية، بحيث أبدى منظري السياسة الشرعية أهمية خاصة للضوابط الأخلاقية التي يجب أن تتوفر في قاضي الحضرة[8]، حتى تتحقق القاعدة الثالثة من قواعد الملك وأركانه وما يحتاج

---

[1] الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ص65-66، النباهي، المصدر السابق، ص4، البرزلي، المصدر السابق، ج4، ص6، ابن رضوان، المصدر السابق، ص324.

[2] الونشريسي، كتاب الولايات، ص43، صابرة خطيف، المرجع السابق، ص192.

[3] صابرة خطيف، المرجع السابق، ص192، خالد بلعربي، بنية الجهاز القضائي، ص107.

[4] يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص208، نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص 147، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص107

[5] النباهي، المصدر السابق، ص4، البرزلي، المصدر السابق، ج4، ص 6، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص66، ابن رضوان، المصدر السابق، ص 324.

[6] نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص145، خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص205، صابرة خطيف، المرجع السابق، ص186، خالد بلعربي، بنية الجهاز القضائي، ص107.

[7] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص121.

[8] الماوردي، المصدر السابق، ص66، النباهي، المصدر السابق، ص5، البرزلي، المصدر السابق، ج4، ص7، ابن رضوان، المصدر السابق، ص324.

إليه الملك في قوام سلطانه وهي قاعدة العدل، هذا الأخير الذي يعدّ من الشروط الأساسية في متولي القضاء[1]، فلابأس هنا أنّ نذكر ما جاء عن السلطان "**أبي حمو موسى الثاني**" في وصية لولي عهده في كيفية اختيار القضاة بقوله: "**أما قضاتك فيجب أن تتخذ قاضيا من فقهائك أفضلهم متانة في الدين، وأرغبهم في مصالح المسلمين، لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا يسمح لظلامه ظالم، ولا يغتر برشا، ولا يعلق دلو هو منه برشا، يساوي بين الشريف والمشروف، والقوي والضعيف، عالما بتنفيذ الأحكام، مفرقا بين الحلال والحرام، قاضيا بالعدل، آخذا بالفضل، موجزا في الفصل**"[2]، فبالنظر إلى هذه المعايير الأخلاقية في متولي القضاء، تظهر لنا المكانة الأخلاقية التي تميز بها "**أبو الحسن علي المقّري**" ومن ذلك ما وصف به من نبل أخلاقه عدالة ودينا وفضلا، فقد كان حسب شهادة معاصره "**يحي ابن خلدون**": "**خير فاضل ...متحرّي الصواب في أحكامه**"[3]، وختم "**يحي ابن خلدون**" بالقول: "**بارك الله فيه**"[4]، مما يدّل على معرفته المباشرة به، وأنّه قام بأعباء القضاء علما وعملا ولم تأخذه في الله لومة لائم.

– المكانة الأسرية، بحيث تعدّ من الشروط المستحبة لمن تولى القضاء[5]، وتظهر مكانة "**أبو الحسن علي المقّري**" انطلاقا من مكانة ابن عمه "**أبي عبد الله محمد المقّري**" بوصفه من كبار فقهاء تلمسان سواء على مستوى الإفتاء أو التأليف أو التدريس، وبالنظر إلى مكانته في القضاء الذي تولاه بالبلاط المريني وقد سبق الحديث عنه، وعن هذه المكانة الأسرية يقول عنه "**ابن خلدون**" بأنّه: "**خيّر فاضل على هدي السلف الصالح**"[6].

يتضح جليا من خلال ما سبق ذكره مكانة علماء الأسرة المقّرية في **القضاء**، فهم يمثلون بحق نماذج من قضاة حواضر المغرب الإسلامي عموما، إذ كانوا مضرب المثل في العدالة وإحقاق الحق وإبطال الباطل، ولا يخافون في الله لومة لائم.

---

[1] ابن رضوان، المصدر السابق، ص324.

[2] أبو حمو موسى، واسطة السلوك، ص ص61- 62.

[3] يحي ابن خلدون، المرجع السابق، ج1، ص121.

[4] يحي ابن خلدون، المرجع نفسه، ج1، ص 121.

[5] النباهي، المصدر السابق، ص5، البرزلي، المصدر السابق، ج4، ص7، ابن رضوان، المرجع السابق، ص324، صابرة خطيف، المرجع السابق، ص194.

[6] يحي ابن خلدون، المرجع السابق، ج1، ص121.



دور أعلام الأسرة المقّرية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

أولا: دورهم في الحياة الاجتماعية.

ثانيا: دور الأسرة المقّرية في الحياة الاقتصادية من خلال الشركة التجارية.

مما لاشك فيه أنّ أعلام الأسرة **المقّرية** لم تقتصر مشاركتهم على الجانب العلمي والسياسي والديني فحسب، فقد كانت لهم مساهمات غيرها، حيث سجلوا حضورهم في مجالات أخرى لاسيما الحياة الاجتماعية والاقتصادية لتلمسان، لذلك سنحاول من خلال مباحث هذا الفصل إبراز مدى مشاركتهم في الحياة الاجتماعية ثم دورهم في الحياة الاقتصادية.

أولا: دورهم في الحياة الاجتماعية:

لاريب أنّ العلماء بصفة عامة، سواء بتلمسان أو في باقي الأقطار الأخرى هم دعامة المجتمع وركيزته الأساسية، فهم المحدد للسير العادي لجملة من القضايا التي تعترض أفراد المجتمع، والمدافعون عن المثل الأخلاقية له، وذلك بالدعوة والممارسة لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالحفاظ على المصالح العامة للمجتمع، ومن ثمة فعلماء الأسرة المقّرية قد ساهموا إلى حد ما في الوضعية الاجتماعية والأخلاقية التي تعيش على وقعها تلمسان وسائر حواضر المغرب الإسلامي، ومنه يكون السؤال المطروح ماهي أهم الخدمات الاجتماعية التي قدّمها علماء الأسرة المقّرية لأفراد مجتمعهم؟ وللإجابة على هذا السؤال كان لابد لنا من الكشف عن مكانتهم الاجتماعية التي تبوؤها بين أفراد المجتمع.

1. المكانة الاجتماعية لعلماء الأسرة المقّرية:

تبوأ علماء وأفراد الأسرة المقّرية منزلة مرموقة في المجتمع، أين تمتعوا بنفوذ قوي في الأوساط الاجتماعية، حتى أنّه لا يمكننا حصر مكانتهم في حيز مكاني ولا زماني، فقد جاء عن "**ابن حمادوش**" قوله: "**بيت مروءة لا تنكر، وحضرة حسب و نسب، وهي من نار على علم أظهر...**»[1]، كما جاء عن مفتي الحجاز "**عبد الرحمن المرشدي**" وهو بصدد ذكر أخلاق "**أبي العباس أحمد المقّري**" ما نصه: "**وجمع فيها من الكمالات الموروثة والمكتسبة، ما كان برهانا أثبت به نسبه الكريم وحسبه، وإنّه من بيت سيّدت على الجوزاء دعائمه**"[2].

فضلا عن ذلك شكّل أعلام الأسرة **المقّرية** طبقة اجتماعية متميزة، وهذا ما نلمحه من خلال ما أبداه علماء عصرهم من تنويه بهذه المنزلة التي حظوا بها، وما أفصح به كل من ترجم لهم

[1] ابن حمادوش، المصدر السابق، ص239.

[2] أحمد المقّري، رسائل المقّري، ص157.

أحيانا بشكل صريح عن مقامهم بين أبناء مجتمعهم، وما لحقهم من احترام وتقدير من قبل أفرد المجتمع.

ويكفي للوقوف على مدى الاحترام والتقدير الذي كان يكّنه أهل مجتمعهم لهم، ما لحقهم من ثناء في حياتهم وحتى عقب وفاتهم، من ذلك ما أثنى به "**أبو عبد الله ابن مرزوق الجد**" على "**أبي عبد الله محمد المقّري**" بعد وفاته بقوله: "**كان صاحبنا معلوم القدر، مشهور الذكر.....وتبعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ما يرجى به النفع يوم اللقاء، وعوارفه مشهورة بين الدهماء**"[1].

وقد استحق "**أبو عبد الله محمد المقّري**" منزلة من التقدير عند علماء فاس، لدرجة أن صنّف أحدهم مؤلفا في ترجمته، أسماه" **الزهر الباسم**" جاء في صدره أبيات في مدح "**أبو عبد الله محمد المقّري**" منها:

إذا ذُكِرْتِ مَفَاخِرُ أهلِ فَاس ذُكِرْنَا مَن أَتَي مِن تِلمسانَ

وقُلنَا هَلْ رأيتُم فِي قُضاةٍ شَبيهًا للفَقِيهِ العَدلِ ثَانِي

ونَفسُ العِلمِ إنْ شَانَتْ لِشخصٍ فَمَا لِلمَقّري فِي العِلمِ شَانِي[2].

و ولعل الأمر نفسه بالنسبة لـ "**أبي الحسن علي المقّري**"، فلاشك أنّه هو الآخر موقرا مبّجلا في مجتمعه، وربما ما يوضح لنا جانبا من ذلك ما جاء عن "**يحي ابن خلدون**" بقوله: "**خيّر فاضل**"[3].

ومما لاريب فيه أنّ هذه المكانة كانت نتيجة ما حازوا عليه من علم شرعي ومتانة دينهم وورعهم واستقامتهم وصلاحهم، فقد كان من ثمار الأسباب الأخلاقية والعلمية التي تحلوا، أن أصبحوا يمثلون سلطة حقيقية في المجتمع، ما جعل أفراده يقدّرونهم ويحترمونهم، شأنهم في ذلك شأن علماء المجتمع الإسلامي[4]، بل ويعدّون تصرفاتهم وأقوالهم النموذج الحقيقي الذي ينبغي الاقتداء به بما يمثله من شرعية دينية، وذلك لما للشعور الديني من أثر في حياة الناس، وبناء على ذلك استطاع

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص155، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص279.

[2] الونشريسي، المعيار، ج5، ص340، أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5،ص340.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص121.

[4] خليل إبراهيم الكبسي، المرجع السابق، ص104، سليمان ولد خسال، جهود فقهاء المغرب العربي، ص379.

جلّة علماء الأسرة **المقّرية** أن يكسبوا ثقة العامة بتمسّكهم بتعاليم الشريعة، وترفعهم عن صغائر الأمور وابتعادهم عن شهوات الدنيا، فضلا عن قيامهم بأمور الدين من تشريع وعبادات وغيرها، فقد كان قيام "**أبي عبد الله محمد المقّري**" بأعباء القضاء علماً وعملاً فرصة لتقرّبه من الناس وكسب ودّهم، فأحبّته العامة والخاصة بين الناس[1]، ولعل الأمر نفسه بالنسبة لـ "**أبي الحسن علي المقّري**"[2].

فقد عامل علماء الأسرة المقّرية أفراد مجتمعهم معاملة تليق بهم كعلماء، إذ يظهر من خلال الأنشطة والأعمال التي كانوا يقومون بها ومن خلال مخالطتهم لأفراد مجتمعهم، أنّهم تحلو بسّمو الأخلاق التي جعلت منهم مكرّمين ومحبوبين في المجتمع، فقد اجتمعت عدة صفات لدى علماء الأسرة **المقّرية**، منها ما تميزوا به من الورع والتقوى والحلم والخلق الكريم والتواضع والشجاعة في الإعلان عما يروّنه صواباً، ولعل ما يوضح لنا جانبا من هذه الصفات، ما سجّله "**أبو يحي المطغري**" عن تواضع "**أبي عبد الله محمد المقّري**" بقوله: «**أمر أبو عنان الفقيه المقّري بإقراء التفسير بحضرة العلماء، فأبى وقال:" أبو عبد الله الشريف أحق به مني" فقال السلطان:" أنت تعلم علوم التفسير"، فقال "أبو عبد الله المقّري": "الشريف أعلم بها مني، فلا يسعني الإقراء بحضرته" فعجبوا من إنصافه، ففسر الشريف بحضرة كافة العلماء، ونزل السلطان عن دست الملك، وجلس معهم على الحصر**»[3].

وهناك ملاحظة يتوجب الإشارة إليها هي أنّ تولي علماء الأسرة المقّرية لمناصب عليا ووظائف مختلفة في الدولة لم يمنعهم على التواضع للناس، من ذلك ما ذكره "**ابن القاضي**" أنّ القاضي "**أبا عبد الله محمد المقّري**" لما تولى قضاء الجماعة بفاس "**ألان الكلمة وخفض الجناح**"[4]، فضلا عن ذلك كان "**مسلوب التصنع**"[5].

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص195، ابن مريم، المصدر السابق، ص155، التنبكتي، المصدر السابق، ص420.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص121.

[3] محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ص146.

[4] ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص43.

[5] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص94.

وربما كان لتواضعهم أنّهم لم يلبسوا فاره اللباس، وفي نفس الوقت لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى كونهم خصّوا أنفسهم بلباس معين، باستثناء الإشارة التي تخص لباسهم للخرقة الصوفية، فقد لبسها كل من "**أبي عبد الله محمد المقّري**" على يد "**أبو العباس أحمد بن محمد ابن مرزوق**"(ت741هـ/1340م)[1]، فجاء عنه في ذلك قوله: "**كساني محمد خرقة التصوف بيده، كما كساها إياه الشيخ بلال بن عبد الله الحبشي**[2] **خادم الشيخ أبي مدين**"[3] و"**أبو عثمان سعيد المقّري**"[4] الذي درّس التصوف على يد "**حاجي الوهراني**" (ت951هـ/1544م) مما يوضح لنا أنّهم لبسوا الصوف على عادة المتصوفة.

وما تحسن الإشارة له أنّ المنزلة التي تبوأها علماء الأسرة **المقّرية** لا يمكن تفسيرها بناء على مكانتهم العلمية وسلوكهم الاجتماعي فحسب، وإنّما حدّدتها عوامل أخرى، من ذلك تعدد الوظائف وتنوع الأنشطة التي شغلوها سواء بتلمسان أو بغيرها من حواضر بلاد المغرب، الأمر الذي يفسر لنا في مضمونه المستوى المعيشي والمكانة الاجتماعية التي حظوا بها في المجتمع.

فقد كان لتولي علماء الأسرة **المقّرية** العديد من المناصب في فترات مختلفة، أثر إيجابي على تعاظم تأثيرهم في شتى الجوانب الاجتماعية وارتقاء مكانتهم بين الناس، ولعل أهمها القضاء الذي كان على جانب كبير من الأهمية، كما أنّ متوليه كان يقابل بالاحتفاء والتعظيم من قبل الناس، فلاشك أنّ تولي بعض أفرادها منصب القضاء مثل "**أبي عبد الله محمد المقّري**" و"**أبي الحسن علي المقّري**"، كان له انعكاس مؤكد على مكانتهم الاجتماعية، فقد كان جانبهم مهاب واحترامهم واجب من قبل الحاكمين والرعية على حد السواء، اعتبارا لأهمية خطتهم واطلاعهم

---

[1] **أبو العباس ابن مرزوق**: ولد سنة (681هـ) قرأ القرآن على الشيخ يوسف بن يعقوب بن على الصنهاجي، وأخذ الفقه عن أبي الحسن الصغير، وعن الحضرمي عبد المهيمن وعن ابني الإمام، وغيرهم، حجّ وجاور المدينة ومات حاجاً سنة 741هـ، يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1،ص115، ابن مريم، المصدر السابق، ص27، نصر الدين بن داود، علماء أسرة المرازقة، ص ص33-39 .

[2] **بلال الحبشي**: ولد سنة (559هـ)، من خدام الشيخ أبي مدين شعيب، حيث خدمه 15 عاما إلى أن توفي، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص242.

[3] أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص242.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص385.

الواسع في مجال الشرع[1]، وخطورة ما يتعرضون له من قضايا تهم الدماء والأموال والحلال والحرام من المعلوم سلفا، كما أنّ هذ التقدير والاحترام كان مرتبط بمدى استقامتهم وتمسكهم بأهداب العدالة، وقد نوّهت المصادر التاريخية بسمعتهم الطيبة في هذا المجال، وخوفهم من الله وعدم ترددهم في قول الحق مهما كلّفهم من أضرار ومتاعب[2]، من ذلك ثناء "**لسان الدين ابن الخطيب**" على شيخه "**أبي عبد الله محمد المقّري**" عند جلوسه لقضاء الجماعة بفاس وذكر مآثره في هذه الخطة فقال: «**فاستقل بذلك أعظم استقلال وأنفذ الحكم وألان الكلمة وآثر التسديد، وحمل الكلّ وخفض الجناح، فحسنت عنه القالة وأحبته الخاصة والعامة، حضرت بعض مجالسه للحكم، فرأيت من صبره على اللّدد، وتأتيه للحجج، ورفقه بالخصوم، ما قضيت منه العجب**»[3].

والأمر نفسه بالنسبة لـ "**أبي الحسن علي المقّري**" الذي جاء عن معاصره "**يحي ابن خلدون**" في وصف نبل أخلاقه من عدالة وفضل ودين بقوله: "**خيّر فاضل على هدي السلف الصالح، متحري الصواب في أحكامه**"[4].

ولاشك أنّ تولي "**أبي عثمان سعيد المقّري**" لمنصب الخطابة مدة تزيد عن 45 سنة بتلمسان، ما يدل على علو مقامه ورفعة شأنه، والأمر بدوره يعبر عن رضا أفرد المجتمع التلمساني عليه، كونّهم لم يطلبوا عزله من وظيفته.

هذا، ولعل ما يبرز لنا أيضا جانبا من المكانة الاجتماعية المرموقة لأفراد الأسرة **المقّرية** بين شرائح المجتمع الأخرى، هو مصاهرتهم للأسر المتنفذة، المعروفة بعلمها وصلاحها، وهو ما كان متعارف عليه بالمجتمع التلمساني خلال العهد الزياني، أين كانت المصاهرة تخضع في كثير من

---

[1] النباهي، المصدر السابق، ص2، محمد فتحة، المرجع السابق، ص37.

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص420، ابن مريم، المصدر السابق، ص155، النباهي، المصدر السابق، ص128، وعن مكانتهم في القضاء **ينظر**: الفصل الثاني من الباب الثاني من الدراسة، ص251 وما بعدها.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص195 .

[4] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص121.

الأحيان إلى الفئوية والطبقية، بحيث كانت مصاهرة العلماء والأسر المشهورة بالعلم والصلاح والدين والشرف مما تحبذه الأسر العلمية الكبرى بتلمسان[1].

فقد كانت تربط الأسرة **المقّرية** علاقة مصاهرة مع بيوتات تلمسانية عريقة، تماثلها في الجاه والعلم، من ذلك المصاهرة التي جمعتهم بأسرة المرازقة[2]، فقد كان "**أبو عبد الله محمد المقّري**" خالاً للشيخ "**محمد بن أحمد بن مرزوق**" (ت781هـ/1379م)، وهذا ما يظهر من خلال قول ابنه "**أبي عبد الله**" عن "**المقّري الجد**" ما نصّه: "**العلامة المحقق الصالح القاضي العدل أبو عبد الله المقري من أخوال والدي ومن أشياخ أشياخي**"[3].

كما ذكر لنا "**أبو العباس أحمد المقّري**" في كتابه "**نفح الطيب**" وجها أخر للقرابة بين الأسرتين، وذلك عند تعريفه بـ "**محمد ابن مرزوق الكفيف**" (ت 901هـ/1495م) فقال: "**والد أمي جدي أحمد، لأني أحمد بن محمد بن أحمد، فوالدة الجد أحمد بنت الكفيف المذكور**"[4]، وجاء عنه أيضا في موضع آخر قوله: "**بنو مرزوق وهؤلاء لهم رئاسة في العلم بتلمسان، توارثوها سلفا عن خلف....ولهم على جدّنا أحمد ولادة، فإنّ أم جدي أحمد بنت الفقيه العلامة سيدي محمد بن مرزوق المعروف بالكفيف**"[5].

وجاء عن "**القادري**" في "**نشر المثاني**" أنّ "**أبا عثمان سعيد المقّري**" كان قريبا بالمصاهرة من "**أحمد الونشريسي**"[6]، ومن دون شك بقيت تربط الأسرة **المقّرية** علاقة المصاهرة مع البيوتات العريقة حتى في القرون اللاحقة[7].

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص288.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه،ج1، ص289.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص8.

[4] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص419.

[5] أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج4، ص342.

[6] أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص384، هامش رقم 117.

[7] من ذلك علاقة مصاهرة التي ربطت "أبو العباس أحمد المقّري" مع بيوتات عريقة، حيث بنى بعدّة نساء، أين تزوج من ابنة مفتي تلمسان وفاس "محمد بن عبد الرحمن ابن جلال الدين التلمساني"، وبفاس تزوج بنت القدياري المغربية، أما في مصر فتزوج من بيت السادات الوفائيين، وكذلك مصاهرة "محمد شقرون المقّري" لـ "عبد الرحمن المرتضى" حفيد "سعيد قدورة" أحمد المقّري، رحلة المقّري، ص10، ص230، الافراني، صفوة من انتشر، ص144.

هذا، وقد كان للحالة المادية التي كانت عليها الأسر **المقّرية** هي الأخرى أثر على مكانتهم الاجتماعية، فقد عاشت الأسرة بتلمسان ميسورة الحال، أين استطاع بعض أفرادها الذين كانوا من كبار التجّار تبوأ مكانة اجتماعية ومادية مريحة، نظرا للأرباح الطائلة التي كانوا يجنونها من نشاطهم التجاري واحتكارهم لطريق السودان، بحيث ترك لنا "**أبو عبد الله محمد المقّري**" نصّا هاما يلقي ضوءً على وضع الأسرة وحالها وإرثها المادي[1]، وربما نلمس ذلك أيضا من خلال ما عبّرت به بعض المصادر عن الوضع المادي المريح لفئة التجار بصفة عامة، فيذكرهم "**الونشريسي**" بقوله: "**أكابر التجار ذوي الأموال الطائلة**"[2]، ومن دون شك اجتهدوا نتيجة ذلك في شراء العقّارات وبناء الدّور والقصور وشراء العبيد والخدم، ونافسوا بذلك أصحاب المناصب العليا من ذوي الدخل الكبير، فضلا على أنّهم اشتهروا بلباسهم الجميل وبأناقتهم الفائقة، وتميزوا بسخائهم المفرط في هذا المجال[3].

ولابد من الإشارة هنا إلى أنّ أفراد الأسرة **المقّرية** تمكنوا بفضل أموالهم من الارتقاء إلى أعلى مستويات السلّم الاجتماعي، وهذا ما يظهر من خلال بنائهم لعلاقات جيدة مع السلطة السياسية سواء بمملكة مالي، أو بتلمسان[4].

أما عن وضعهم المادي كونهم شغلوا مناصب إدارية كالقضاء والخطابة والتدريس، فليس لدينا ما نحدد من خلاله وضعهم المادي قطعا، إلا أنّ "**ابن خلدون**" ذكر أنّ: "**القائمين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والإمامة والخطابة والآذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب**"[5]، لكن في المقابل قد نوّهت بعض المصادر بسعة حال القضاة والفقهاء بتلمسان، منهم

---

[1] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص205.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص ص 5-6.

[3] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص21، مارمول، المصدر السابق، ج2، ص300، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص267.

[4] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص206.

[5] ابن خلدون، المقدمة، ص318.

"**ابن مرزوق الخطيب**" الذي ذكر أنّ هؤلاء أصحاب أموال وثروة أكثر من أن توصف[1]، فقد كان القضاة يتقاضون مرتّباتهم من بيت المال[2]، إلا أنّنا لا نملك معطيات دقيقة حول مرتب القاضي وقاضي الجماعة بتلمسان، باستثناء ما أشار إليه "**ابن خلدون**" حول الوضع المادي للقاضي بقوله: "**أنّ دخله كفاء خرجه**"[3]، مما يوضح لنا أنّ مرتبه الشهري يكفي لسدّ حاجياته الضرورية لا غير، أما قاضي الجماعة بفاس خلال المدة نفسها، فكانت أجرته تقدر بمثقال من الذهب يوميا[4]، إلى جانب بعض الامتيازات من كسوة وإقطاع ومؤونة[5].

وأمام ما ذكرته المصادر من امتناع عدد من القضاة من أخذ الأجرة، أين عدّوا المال الذي يتقاضاه نظرائهم من القضاة مالا حراما[6]، فلا نملك ما نستدل عليه من أنّ علماء الأسرة **المقّرية** القضاة هل امتنعوا عن ذلك أم لا؟ لكن مع ذلك أشار "**ابن الخطيب**" إلى أنّ الأمير النصري "**محمد بن يوسف ابن الأحمر**" قد أجرى راتبا على "**أبي عبد الله محمد المقّري**" من ديوان الأعشار وأمر بالعناية بأحواله عندما انقطع إلى عبادة الله بغرناطة[7]، وربما الأمر الذي يوحي لنا بأنّ "**أبو عبد الله محمد المقّري**" كان يتقاضى مرتبا بالدولة المرينية، فلولا ذلك لما قبل الراتب الذي أجراه عليه "**ابن الأحمر**"، وما يدّعم رأينا هذا ما جاء عن "**ابن خلدون**" من أنّ "**أبا عبد الله محمد المقّري**" بقي عطلا من الجراية بعد عزله من منصبه قضاء الجماعة بفاس بقوله:

---

[1] ذكر مجموعة من القضاة منهم "أبو عبد الله المدخس" وإخوته، و"بني اللجام" وإخوانهما، و "ابن حسون"، "ابن الجلاب" وغيرهم، ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص ص172-173.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج10، ص212.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص318.

[4] كان القاضي في تونس في أواسط القرن 14/08م، يتحصل على مرتب شهري يقدر بخمسة عشر دينارا، إضافة إلى بعض الامتيازات الأخرى مثل علف بغلته، محمد فتحة، المرجع السابق، ص38، برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص133.

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ج10، ص221، محمد فتحة، المرجع السابق، ص38.

[6] ذكر "حسن الوزان" إلى أنّ القضاة الشرعيين لا يتقاضون أي أجر أو تعويض، وأنّ ذلك غير جائز لهم من الناحية الشرعية، المصدر السابق، ج1، ص199.

[7] ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص ص201- 202.

"**واستقر القاضي المقّري في مكانه بباب السلطان عطلا من الولاية والجراية**"[1]، فضلا عن ذلك أنّ الدولة المرينية كانت تفرض زمن قوّتها مرتبا لقضاتها أينما وجدوا، وجارتها في ذلك باقي بلدان المغرب الإسلامي[2].

ومهما يكن من وبناء على ما جاء عن "**ابن خلدون**" و"**ابن مرزوق**" وحتى "**أبي عبد الله محمد المقّري**" ، يمكن لنا أن القول أن علماء الأسرة **المقّرية** كانوا ميسوري الحال، ومّما يدّعم رأينا هذا منزلهم بتلمسان، الذي يدّل على سعة حالهم، كما يلاحظ أنّهم لم يكون كلّهم يعتمدون في كسب رزقهم على مهنة المشارطة في المدارس والمساجد وغيرها، بحيث أشارت إحدى الدراسات إلى أنّ "**أبا عثمان سعيد المقّري**" كان صاحب ثروة[3]، ويرجح أنّ ثروته هذه لم يجمعها من المناصب التي تولاها كالتدريس والخطابة، بل قد يكون جمعها من التجارة التي ربما يكون قد مارسها بطريقة غير مباشرة على عادة بعض العلماء في وقته[4]، خصوصا وأنّ أسلافه قد امتهنوا التجارة.

وبحكم المكانة الاجتماعية هذه التي حظي بها علماء الأسرة **المقرية**، ووضعيتهم المادية والاجتماعية الميسورة، يجعلنا نتساءل عن أهم الخدمات والمساعدات التي قدّومها لأفراد مجتمعهم؟

---

[1] ابن خلدون، التعريف، ص61.

[2] محمد فتحة، المرجع السابق، ص39.

[3] فوزية لزغم، المرجع السابق، ص232.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص386.

2. خدماتهم الاجتماعية:

لاشك أنّ مخالطة فقهاء وصلحاء تلمسان عامة[1] وعلماء الأسرة **المقّرية** بصفة خاصة لأفراد مجتمعهم ومعاملتهم، أدت إلى اطّلاعهم على أحوالهم ومعرفة مشاكلهم وحاجتهم وما يشغل بالهم، وبحكم مكانتهم ووضعيتهم المادية والاجتماعية، إضافة إلى ما اتصفوا به من صفات الورع والتواضع للناس، فقد تباينت أدوارهم تجاه الفئات العامة والمحتاجة من أفراد مجتمعهم.

فلاريب أنّ علماء الأسر **المقّرية** قد أسهموا في تنشيط الحياة الاجتماعية، بحيث جعلوا من المناصب التي شغلوها وسيلة لتقديم خدمات لأفراد مجتمعهم، حسب ما يتيحه لهم كل منصب أو وظيفة، فمن دون شك أنّهم لم يدّخروا جهدا في الاهتمام بأفراد مجتمعهم وحلّ مشاكلهم، وهو ما يجسد العلاقة العضوية التي جمعت في الغالب بينهم وبين أفراد مجتمعهم، حيث يبرز لنا ذلك من خلال "**أبي عثمان سعيد المقّري**" الذي يكون من دون شك قد اتخذ من منبر الخطبة بجامع تلمسان مدة 45 سنة، فرصة لنصح الناس وإصلاح أحوالهم، إضافة إلى ما كان يقدمه من علم.

ويتجلى ذلك أيضا من خلال مزاولتهم للإفتاء الذي جعل منهم مقصد أفراد المجتمع طلبا لفتواهم في القضايا الاجتماعية وغير الاجتماعية التي تصادفهم وايجاد الحلول الدينية لكل ما يعرض عليهم من مشاكل ونوازل، وقد ضرب علماء الأسرة في هذا الميدان الحيوي، وأسهموا في معالجة مختلف القضايا التي كانت تطرح عليهم من مختلف شرائح المجتمع، وهو ما تكشف عنه بجلاء بعض النصوص التي نقلت لنا فتاويهم[2]، وقد سبق وأشرنا إلى دورهم في الفتوى ونماذج من ذلك[3].

كما يظهر أنّهم قدّموا من خلال جهاز القضاء خدمات لأفراد مجتمعهم، لاسيما المتقاضين منهم أمامهم، وقد أثنت المصادر التاريخية على علماء الأسرة **المقّرية** القضاة وذكرت مآثرهم في هذه الخطة، من ذلك ثناء "**لسان الدين ابن الخطيب**" على القاضي "**أبي عبد الله محمد المقّري**" عند جلوسه لقضاء فاس بأنّه "**أنفذ الحق وألان الكلمة وآثر التسديد**"[4]، كما نقل لنا جانبا من مجلس قضائه صوّر لنا فيه معاملته للناس بقوله: "**فرأيت صبره على اللّدد وتأتيه**

---

[1] بختة خليلي، المرجع السابق، ص28، نبيل شريخي، المرجع السابق، ص140.

[2] مثل الونشريسي، المصدر السابق، المازوني، المصدر السابق، أحمد المقّري، رسائل المقّري، ص 398، ص422، ص424.

[3] حول نماذج من فتاويهم **ينظر**: الفصل الثاني من الباب الثاني من الدراسة، ص246 ، والملحق رقم11، ص330.

[4] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص195.

للحجج ورفقه بالخصوم"[1]،كما لم يكن "**أبو عثمان سعيد المقّري**" بالرجل المتواري عن الناس بل كان مشاركا في الحياة العامة.

إضافة إلى ذلك فقد نالت فئة الفقراء والمحتاجين اهتمام كبير لدى علماء الأسرة **المقّرية**، أين نجدهم قد سعوا إلى تحسين أوضاعهم سواء ماديا أو معنويا ولم يبخلوا عليهم، ومثال على ذلك "**أبو عبد محمد الله المقّري**" الذي كان يعطف على الفقراء ويساعدهم، فقد أفادنا "**أبو العباس أحمد ابن قنفذ**" أنّه رأى بفاس، امرأة صالحة متصوفة شهيرة باسم "**المؤمنة التلمسانية**"[2]، وكان "**أبو عبد الله محمد لمقّري**" -رحمة الله- يزورها ويسعى في قضاء حوائجها[3].

3. جهود علماء الأسرة المقّرية في إصلاح أوضاع المجتمع:

مما لاشك فيه أنّ المجتمع المغربي بما في ذلك المجتمع التلمساني، عرف كغيره من المجتمعات الإسلامية بعض السلوكات المنحرفة التي قام بها بعض أفراده أثناء حياتهم اليومية، الأمر الذي يكشف عن بعض مظاهر التفسّخ الأخلاقي التي كانت رائجة في المجتمع المغربي، فكانت من الأسباب التي حملت العلماء على تقويم هذا الاعوجاج ومحاربة هذه السلوكات المنحرفة وبالتالي إصلاح المجتمع.

ولم يكن علماء الأسرة **المقّرية**، بمنأى عن أوضاع مجتمعهم، بحيث سُجلت لهم جهود في إصلاح أوضاع عصرهم وتنبيههم إلى ما يجهلون من أمور دينهم وما يقعون فيه من أخطاء منكرة وذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر امتثالا لقوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[4]، وفي ذلك تبرز

---

[1] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص195.

[2] **المؤمنة التلمسانية**: إمرة متصوفة صالحة فقيرة، انتقلت إلى مدينة فاس لطلب العلم، فعكفت على قراءة القرآن، ومجالسة كبار الفقهاء ومناقشتهم في المسائل الشرعية والفقهية والأخلاق، من ذلك قاضي الجماعة بفاس "أبي عبد الله المقّري"، و"أبو العباس أحمد الخطيب، و"أبو القاسم الشريف التلمساني" وغيرهم، وكانت هذه المرأة على درجة كبيرة من الزهد والتقشف، والعبادة والورع، وكان قوتها من غزل ونسيج يدها، تتميز بدراية واسعة للفقه، وتتحدث كثيرا مع جلسائها على المعاملات والأدب والأمور الفقهية الأخرى، ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، ص ص80- 81، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص295، الحسن الشاهدي، أدب الرحلة، ج2 ص340

[3] ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص81.

[4] سورة آل عمران، الآية 104.

شخصية الإمام "**أبو عبد الله محمد المقّري**" الذي تميز بنظرة ثاقبة وأفق واسع، إذ كان ينظر إلى مشاكل عصره -لاسيما العلمية[1] - منها باهتمام بالغ، معالجا لكثير من القضايا، متجها للعادات التي سادت عصره بالنّقد البنّاء الذي يدّل على عمق تفكيره وروحه الإصلاحية الغيورة على تعاليم دينها وقيّم مجتمعها بأسلوب بليغ مؤثر وعبارات في قمّة البيان، فقد استنكر بعض البدع والعادات السيئة الجارية آنذاك لخروجها عن المنهج الإسلامي ومن هذه البدع "**عادة تعيين الذابح على الجزارين**" مقابل أجر ولا يسمح بذلك لغيره، فيقول: «**من البدع المستحسنة عادة المستقبحة عبادة، تعيين الذابح على الجزارين واختياره من أهل الدّين والفضل وحملهم عليه حتى إنّ من تولى الذبح لنفسه منهم ولو كان من أهل الخير يخاف العقوبة...**»[2].

فقد اعتبر "**أبو عبد الله محمد المقّري**" ذلك تضييقا على الناس وشبّهه بفعل اليهود الذين يحصرون الذبح على كهنتهم، فشدّدوا على أنفسهم وعلى غيرهم، مستدلا بقوله صلّى الله عليه وسلّم: "لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً شِبْراً وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ "قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى قَالَ :"فَمَنْ"؟[3]، فهو في ذلك يحذر المسلمين من تقليد غيرهم من اليهود والنصارى التقليد الأعمى، دون نظر أو روية، ثم يدعوهم إلى التّحلي بروح الشريعة السمحة القائمة على اليسر ورفع الحرج عن الناس.

ومن البدع التي ثار عليها "**أبو عبد الله محمد المقّري**" أيضا ورام تغيير منكرها إجماع الطلبة في فاس في بعض المساجد على الرّقص وضرب المعازف والمبادرة بختم القرآن قبل الفجر، فقد استنكر استخفاف الأمة وعدم تعظيمها لشعائر الله خاصة الصلاة، التي تجرأ عليها هؤلاء بإدخال الإيقاع في التكبير عند التسميع، فخرجوا بها عن هيئتها وقد سُكتَ لهم قبل هذا عن اللعب في الآذان فتجرؤوا ولعبوا في الصلاة[4] فهو يقول في هذا: «**وقد بلغني عن بعض مساجد**

---

[1] من ذلك رأيه في طرق تحصيل العلم والدراسة، والنقل عن غير المعتمد من المختصرات، **ينظر**: الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص ص479- 480، التنبكتي، المصدر السابق، ص414، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، 275.

[2] الونشريسى، المصدر السابق، ج11، ص ص126- 127.

[3] البخاري، المصدر السابق، ص850.

[4] الونشريسي، المصدر السابق ، ج2، ص ص266-267.

فاس، أنّ الطلبة يجتمعون في حصونها على الرّقص وضرب الصيران...استخفوا اللعب في الآذان، فجرأهم على اللعب بالصلاة والقرآن، وربّ فتنة فادت محنة... فترى المسمع يطوّل في تكبيرة الإحرام ثم ينوع صوته بالتكبير بحسب اختلاف هيئات الإمام، وقد يكبّرون من غير حاجة إما لقصد القربة أو لإظهار الأبهة، سكت لهم عن اللعب في الآذان فلعبوا في الصلاة » [1].

فضلا عن ذلك استنكر "**أبو عبد الله محمد المقّري**" استنكارا شديدا عادة نداء الملوك بـ: "**يا مولاي**"، رغبة منه في تغيير منكرها، فقد كان يرى أنّها عادة يتنافى لفظها مع ما يحب الله تعالى من نداء ولا يجد المرء معه ما ينادي به ربّه مستدلا بعدة أحاديث تنهى عن ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم:" **لا يقل العبد لسيده مولاي فانّ مولاكم الله**"[2]، فهو يرى أنّ تعليم بعض العلماء أبناءهم أنّ ينادوهم بسيدي ومولاي من قبيل تحسين الشيطان، وفيه استكبار على الولد وتنزيل له منزلة العبد فيقولّ: «**الواجب توقير أسماء الرّب بالتفرد حتى يرد الإذن البيّن، والوقوف عند موجب العلم والعمل** »[3].

إضافة إلى هذا فقد أورد "**الشاطبي**" في إفاداته وكذا "**أبو العباس أحمد المقّري**" في نفحه عادة أخرى من العادات التي استنكرها "**أبو عبد الله محمد المقّري**" وهو عادة المشارقة في التسمية **بقاضي القضاة** [4]، حيث انتقد "**أبو عبد الله محمد المقّري**" ذلك[5] مستدلا بقول النّبي صلّى الله عليه وسلّم :" **أَخْنَعُ الأَسْمَاءِ عِنْدَ الله رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاَكِ**"[6].

هذا، وقد تواصل اهتمام علماء الأسرة **المقّرية** بأوضاع مجتمعهم، إذ يظهر لنا ذلك من خلال مواقفهم من بعض القضايا التي شغلت بال أفراد مجتمعهم والتي تباينت الآراء حولها، من ذلك

---

[1] الونشريسي، المصدر نفسه، ج 2، ص ص266-267.

[2] مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد، ص1765.

[3] الونشريسى، المصدر السابق ،ج2، ص ص506- 507.

[4] **قاضي القضاة**: أرفع وظيفة دينية ينفذ صاحبها القضايا ويشرف على القضاء وتعيين القضاة، وقد ظهر هذا المنصب لأول مرة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد ببغداد سنة 170هـ، خالد بلعربي ، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية، ص297.

[5] الشاطبي، الإفادات والإنشادات، ص ص161-162، الإفادة رقم 87، أحمد المقّري، نفح الطيب،ج5، ص 270.

[6] أبو عبد الله محمد البخاري، المصدر السابق، ص729.

ظاهرة ادعاء النسب الشريف التي برزت من بين أهم الظواهر الاجتماعية وحتى السياسية التي عرفتها دول المغرب الإسلامي، أين أضحت فئة الأشراف تمثل فئة اجتماعية ذات قيمة رفيعة في المجتمع، تتمتع بالاحترام والتقدير في وقت ظهرت فيه مؤلفات تدعوا لإكرامهم والاعتناء بهم، كونهم حفدة الرسول صلى الله عليه وسلّم، ونظرا لارتباط عدد منهم بالسلطة السياسية، فقد حصلوا نتيجة ذلك على حصانة سياسية وامتيازات مادية من خلال اعتناء الدولة بهم، فقد أصدرت الظهائر السلطانية في حقّهم، وأدّرت الرتب عليهم[1]، الأمر الذي كان له انعكاسات خطيرة تمثلت انتحال النسب الشريف طمعا في الحصول على تلك المكاسب.

ومن ثمّ شكّلت مسألة الشرف أهمّ القضايا التي شغلت النخب العلمية ببلاد المغرب الإسلامي، فقد أثارت نقاشا كبيرا بين علمائه، بحيث تباينت حولها نظرة العلماء كظاهرة اجتماعية، فقد كان من علماء الأسرة **المقّرية** "**أبو عبد الله محمد المقّري**" من أشدّ المعارضين لفكرة الشرف، وهذا ما يظهر من خلال الموقف الذي سجّله مع نقيب الأشراف بمجلس السلطان المريني "**أبي عنان**" بفاس، أين حاول نقيب الأشراف أن ينال من خلال الشرف منزلة اجتماعية، وفرض الاحترام والتوقير على أفراد المجتمع بفضله[2]، لكن "**أبو عبد الله محمد المقّري**" عارضه في ذلك، ليس هذا فحسب وإنّما استدّل في موقفه بحجة منطقية تدحض ما أراد نقيب الأشراف أن يناله من منزلة اجتماعية، تمثلت في إقراره بعدم صحة الشرف بعد مرور سبعة قرون، نظرا لانعدام ما يثبت ذلك، وفي المقابل قدّم شرف العلم كبديل للشرف السلالي.

هذا، وهناك ملاحظة يتوجب الإشارة إليها بخصوص الشرف، تتعلق بقضية ثبوته من جهة الأم من عدمه، بحيث أثارت هذه المسألة الخلاف بين فقهاء المغرب الإسلامي[3]، وقد أبدى "**أبو عبد الله محمد المقّري**" تحفظا من إبداء رأيه حول هذه قضية[4]، بل نجده يعرض مختلف الآراء المتعارضة في هذه المسألة، بحيث جاء عنه في ذلك قوله: «اختصاص اسم الشّرف بمن لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ولادة حادث بعد مضي ثلاثة من القرون المثنى عليها، والحكم على الشيء

---

[1] محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة، ص75، عمر بلبشير، خطاب الشرف في المغرب الأوسط، ص110.

[2] عن موقف "أبو عبد الله محمد المقّري" مع نقيب الأشراف **ينظر**: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص426، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص281، الفصل الثاني من الباب الثاني من الدراسة، ص233.

[3] حول آراء الفقهاء في قضية إثبات الشرف من قبل الأم، **ينظر**: الونشريسي، المصدر السابق، ج12، ص ص 207- 224

[4] الونشريسي، المصدر نفسه، ج12، ص ص226-227.

فرع عن تصوره وهذا لا يتحقق فإن كان اسما لسبب الولادة منه بالأم اعتبارا بأصله، إذ لا ولادة له على أحد إلاّ بذلك لقوله تعالى: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ** ﴾[1]، وبذلك أفتى فقهاء بجاية الذين درجوا من أهل زماننا وإن كان اسما لرجوع النسب إليه لم يثبت بها، لأنّه في الأصل على خلاف الأصل فلا عليه، وبه أفتى فقهاء تونس ممن ذكر، وكان الأول أقرب لولا أنا نسمع فيما مضى بدخول أحد من ولد بنات علي وغيره في ذلك مع ولد بنيه، حتى وقعت المسألة بتلمسان فاختلف فيها فقهاؤها وكتبوا إلى غيرهم فوقع الأمر على ما ذكرت لكم ولم يتحقق مدلوله فتلحق به وقوله عليه السلام :" **ابْنِي هَذَا سَيّدٌ** "[2] أولى من قول الشاعر :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد»[3].

وبالتالي يظهر لنا من خلال ما سبقت الإشارة إليه، أنّ المكانة الرفيعة التي تبوأها علماء الأسرة **المقّرية** في المجتمع وما صاحبها من سمو الأخلاق، من ذلك التواضع لجميع أفراد المجتمع، كان له الأثر الإيجابي على الوضعية الاجتماعية، أين سمح لهم ذلك بالاحتكاك بأفراد مجتمعهم، ومن ثمّ الاهتمام بهم وقضاء حاجياتهم حسب مقدرتهم، ولم يكن اشتغالهم بوظائف مختلفة ليبعدهم عن الاهتمام بشؤون المجتمع، فكثيرا ما سخّر بعضهم المناصب التي شغلوها كالقضاء والإفتاء وحتى التدريس، فضلا عن ذلك قدّموا خدمات جليلة لأفراد المجتمع، بحيث سعى البعض منهم جاهدا إلى إصلاح المجتمع بمحاربة بعض السلوكات اللاأخلاقية والمنحرفة التي وقع فيها بعض أفراد المجتمع.

---

[1] سورة الأحزاب، الآية 40، ص399.

[2] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، كتاب الصلح، باب الصلح في الدّية، ص315.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج12، ص226.

ثانيا: دور الأسرة المقّرية في الحياة الاقتصادية من خلال الشركة التجارية:

من الثابت أنّ الحضور العام لأفراد الأسرة **المقّرية** بتلمسان لم ينحصر في الجانب العلمي والحياة السياسية والدينية والاجتماعية فحسب، بل امتد إلى الجانب الاقتصادي، أين اشتغل أفرادها بالتجارة التي مالت إليها بعض الأسر التلمسانية، فأسسوا في ذلك شركة تجارية رسمت خطوط التواصل بين تلمسان وبلاد السودان الغربي.

1.الشّركة التجارية المقّرية وعوامل قيامها:

بالرجوع إلى المبادلات التجارية لتلمسان التي سبقت الإشارة إليها بصدد تعرضنا للتجارة الخارجية للمدينة، يتضّح لنا أنّ نشاط تجارها قد تعدّى الإطار المحلي إلى العالم الخارجي، والسّر في هذا أنّ الموقع الجغرافي لتلمسان جعل منها ممراً حيويا لا مفر منه بالنسبة للمبادلات التجارية الدولية، فكان من الطبيعي أن تسير قوافل التجار في كل الاتجاهات محملة بمختلف السلع[1].

ومن اللافت للنظر أنّه رغم ازدهار المبادلات التجارية بين تلمسان وبلدان المغرب الإسلامي، بحيث أنّها كانت تدّر على أصحابها أموالاً طائلةً، إلاّ أنّها كانت أقّل أهمية من المبادلات التجارية التي كانت تربط تلمسان مع ممالك السودان الغربي[2]، والسبب في ذلك تجارة الذهب التي عادت عليها بثروة عظيمة[3].

---

[1] خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص249، بشاري لطيفة، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، ص57، علوي مصطفى، المرجع السابق، ص89.

[2] **السودان الغربي**:كلمة السودان تطلق على الأقوام التي تسكن الصحراء الكبرى، أصبحت بلادهم تعرف بالسودان، والسودان الغربي وهو ميدان ممالك غانا ومالي وصنغاي، يعرف اليوم بإفريقيا الغربية إذ يمتد من نهر النيجر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص33، رجاء العودي عدوني، **دلالات البعد الإفريقي في الهوية المغاربية**، ضمن كتاب التواصل العلمي بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، تنسيق ماء العينين النعمة علي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس بالرباط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2016، ص137، مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص35.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص216.

ومع تقدم الحركة التجارية بين تلمسان والسودان الغربي، وُجدَ تجار شكّلوا دور الوسطاء بين شمال إفريقيا وجنوب الصحراء[1]، وتمثل هؤلاء في جاليات شبيهة باللوبيات[2] التجارية في الوقت الحاضر أو شركات تجارية، هذه الأخيرة التي تعددت وجوهها في المبادلات التجارية والتي يعرّفها بعض المعاصرين لهذه الفترة بأنّها الشّركة للربح والكسب ابتغاء الفضل[3]، وتكون بين شخصين أو أكثر يستثمران ويعملان، فتقسم الأرباح بينهم وفقا لقيمة استثمار كلّ منهما، وتقسم الشّركة إلى ثلاثة أقسام: شركة الأبدان، وشركة الوجوه وشركة الأموال[4].

ولعل الشركة التجارية "**المقّرية**" تمثل النموذج المشهور من شركات الأموال بتلمسان، وهي من بين أهم الشركات التجارية في المغرب الإسلامي على العهد الزياني، ففي بداية استقرار الأسرة "**المقّرية**" بتلمسان اشتغل أفرادها بالتجارة التي كانت مزدهرة كثيراً مع الأقاليم الصحراوية الجنوبية في إطار تجارة القوافل الصحراوية[5]، أين اشتهر أفراد الأسرة التّجار بتوظيف استثمارات كبرى في أعمال تجارية واسعة لاسيما تجارة الذهب، الأمر الذي جعل منها شركة تجارية مملوكة لمجموعة من الأفراد، بحيث عمد الإخوة "**المقّري**" وهم بين أبناء "**يحي بن عبد الرحمن**" (الجدّ الرابع "**لأبي**

---

[1] **الصحراء**: كلمة الصحراء في "لسان العرب" تعني الأرض المستوية في لين وغلظ دون القُفّ، وقيل: هي الفضاء الواسع، زاد ابن سيده: لا نبات فيه، وأصحر المكان أي اتسع، وأصحر الرجل: نزل الصحراء، ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص ص280- 281.

[2] **اللوبيات**: هي جماعات ضغط مشكّلة من أصحاب الأموال والنفوذ التجاري، تمارس سيطرتها على تجارة بعض السلع المهمة كالقمح والسكر وغيرها، نور الدين شعباني ، **علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي**، رسالة ماجستير في تاريخ العلاقات بين السودان الغربي والمغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005- 2006، ص133.

[3] محمد فتحة، المرجع السابق، ص318.

[4] تتفرع منها ثلاثة أقسام: شركة مضاربة وتعني القراض وفيها يدفع صاحب المال لشخص مبلغا من المال يتّجر فيه، فيكون على الطرف الأول رأس المال، في حين يكون على الطرف الثاني العمل، وعادة ما يأخذ صاحب المال الثلثين تعويضا عن المخاطر الاقتصادية، فيما يأخذ العامل الثلث تعويضا له عن المخاطر الجسدية، وقد تختلف هذه النسب بحسب اتفاق الطرفين عند عقد الشراكة، أما القسم الثاني فيتمثل في شركة مفاوضة وفيها يجوز فعل كل واحد من الشركيين على صاحبه، ويتمثل القسم الثالث في شركة العنان وهي شركة بين شخصين أو أكثر في قدر من المال يوزع عليهم حسب أسهم معينة، ويكون الربح والخسارة بينهم بحسب أسهمهم، ويكون الشريك ملزما بالحصول على موافقة وترخيص شركائه فيما يقوم به من أنشطة، فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص62، محمد فتحة، المرجع السابق، ص318.

[5] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ج2، ص159، مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص ص483-484، مختار حساني، تاريخ الجزائر، ج5، ص272.

عبد الله محمد المقّري")[1] وعددهم خمسة أنفار: "**أبو بكر**" و"**محمد**" و"**عبد الرحمن**" و"**عبد الواحد**" و"**علي**"، إلى عقد شراكة تجارية عائلية بينهم خلال القرن (07هـ/13م) فيما ملكوه وفيما يملكونه على السواء والاعتدال[2]، وقد تم توزيع هذه الشركة إل عدد من الوكالات التجارية تتمركز في الاسواق التي تتميز بأهميتها الاقتصادية في الواحات الصحراوية[3].

وما نلمسه حول الشركة التجارية "**المقّرية**" أنّها احتكرت طريق السودان[4]، بحيث خلق أفراد الشركة فروعا عبر مراكز التجارة الصحراوية ومنافذها[5]، فاستقر اثنان منهم ("**أبو بكر**" و"**محمد**") بتلمسان وهي المقر الرئيسي للشركة، واستقر أخوهما الأكبر "**عبد الرحمن**" بسجلماسة ففتح بها مكتبا تجاريا[6]، أما الشقيقان الأصغران ("**عبد الواحد**" و"**علي**") فاستقرا بقرية إيوالاتن في الصحراء فشيدوا بها دارا ومتجرا[7].

وما تحسن الإشارة إليه أنّهم اقتسموا الأدوار والمهام فيما بينهم، فتمثلت مهمة المقيمين بتلمسان في استقبال السلع الأوربية المطلوبة في بلاد السودان وذلك حسب قائمة يحددها له الصحراوي أي المقيم بإيولاتن، وهذا ما عناه "**أبو عبد الله محمد المقّري**" بقوله: "**بما يرسم له الصحراوي من السلع**"[8]، في حين يقوم الصحراوي بتصدير السلع السودانية إلى تلمسان، أما مهمة الخامس المقيم بسجلماسة فكانت تنسيقية تمثلت في مكاتبتهم بقيمة الربح والخسارة، كما تركزت على دراسة الأسواق العالمية والأسعار السائدة ومعرفة السلع المطلوبة أو الزائدة عن الحاجة، وجمع المعلومات عن الأحداث التي تؤثر على التجارة، وبذلك يكون "**السجلماسي**" على رأي "**المقّري**": "**كلسان الميزان، يعرفهما بقدر الخسران والرجحان، ويكاتبهما بأحوال التجار**

---

[1] **ينظر**: الملحق رقم 12، ص331.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص192، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص205.

[3] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص ص205- 206، مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج5، ص272، **ينظر**: الملحق رقم05، ص321.

[4] Marçais (G), tlemcen ville d'art et Histoire, p42,
- Barges, tlemcen ancienne capital, p215.

[5] محمد فتحة، المرجع السابق، ص319.

[6] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص205.

[7] أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص205.

[8] أحمد المقّري، نفسه، ج5، ص205.

وأخبار البلدان"، وبناء على هذا الوصف الدقيق الذي كان يقدمه السجلماسي يتم تحديد زمن انطلاق الرحلة التجارية لتجار الشركة ومقدار السلع المتبادلة وفقا لقيمة الربح التي قد تتحقق.

فالظاهر أنّ الشركة **المقّرية** كانت تحتوي على تنظيم لا يختلف كثيرا عن التنظيم الذي تعرفه الشركات الكبرى اليوم، خاصة فيما يتعلق بدراسة حاجة المنطقتين: تلمسان وبلاد السودان، والاهتمام بالعرض والطلب ومعرفة أحوال السوق، ولعله الأمر الذي ساعد على ازدهارها وتطورها إلى جانب جملة من العوامل الأخرى التي ساهمت بدورها على قيام الشركة المقّرية ومنها:

أ.النظرة الإسلامية للتجارة:

اهتم أفراد الأسرة **المقّرية** بهذا النشاط الاقتصادي انطلاقا من تعاليم الدين الإسلامي الذي حثّ على ممارسة التجارة[1]، يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[2]، ويقول صلى الله عليه وسلّم: "**عليكم بالتجارة فإنّ فيها تسعة أعشار الرزق**"[3]، كما حثّ الإسلام على الرحلة التجارية في كثير من المواضع كقول الله تعالى: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[4] .

وفي نفس الوقت نهى الإسلام عن إدخال الحرام فيها كأكل الربا والغش والتحايل، وهذا لقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[5].

وقد أشار "**ابن خلدون**" إلى هذه النقطة أيضا عندما تناول التجارة من الناحية الخلقية والاجتماعية، بحيث دعا إلى إعلاء شأن التجار، ونّدد بجرائم الغش والتطفيف في المكيال

---

[1] وردت كلمة التجارة في القرآن الكريم في عدة مواضع، منها مثلا سورة النور، الآية37، سورة فاطر، الآية 29، سورة التوبة، الآية 24 وغيرها.

[2] سورة الصف، الآية 10.

[3] أبو الفضل العراقي، **المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**، اعتنى به أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ج1، مكتبة دار طبرية، ط1، الرياض، 1415هـ،1995، كتاب أداب الكسب، باب فضل الكسب والحث عليه، رقم 1588، ص418.

[4] سورة الجمعة، الآية 10.

[5] سورة البقرة، الآية 275.

والميزان[1]، كما يظهر من خلال كتب النوازل أنّ الشريعة الإسلامية سهّلت تطبيق عمليات التبادل التجاري، بحيث قدّم الفقهاء مجموعة من التسهيلات المتعلقّة بالشراكة[2] والتسليف[3] والتوكيل[4]، فمدّت التجار بكل ما يلزم لتفعيل التبادل التجاري، وبالتالي كان هناك إقبال كبير من طرف سكان تلمسان على التجارة، لاسيما وأنّ بعض فقهاء تلمسان وعلمائها مارسوا العمل التجاري فضلا عن نشاطهم العلمي والفكري[5]، كالفقيه "**أبي إسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي**"(ت680هـ/1280م) والعالم "**أبي عبد الله محمد بن مرزوق**"[6].

ب.دور القوى السياسية والعوامل الجغرافية:

فقد ساهمت القوى السياسية ببلاد المغرب الإسلامي عامة وبتلمسان خاصة في دعم الحركة التجارية مع ممالك بلاد السودان الغربي، أين قام سلاطين الدولة الزيانية بدور لا يستهان به في تشجيع تجارة القوافل الصحراوية للتجار مع بلاد السودان الغربي[7]، فعلى الرغم من أنّ التجارة مع السودان كانت تقوم في أساسها على المبادرة الخاصة مثلما هو الأمر بالنسبة للشركة **المقّرية**، إلاّ أنّ هذه المبادرة مع ذلك لم تكن تتم بمعزل عن الدولة التي باركتها، نظرا لإدراك سلاطينها أهمية التبادل التجاري مع السودان الغربي منذ وقت مبكر لاعتقادهم أنّ ثروة الدولة تكمن في امتلاك أكبر كمية من الذهب[8]، إضافة إلى ما كانت تجنيه الدولة من ورائها من أرباح هائلة عن طريق الرسوم الجمركية التي فرضتها على التجار المارين على أرضها، الأمر الذي اقتضى مواصلة دعم الحركة التجارية مع ممالك بلاد السودان الغربي.

فقد قام سلاطين بني زيان بدور هام في ربط علاقات سياسية وتجارية مع ممالك السودان من خلال القوافل التجارية التي كانت تنطلق من تلمسان أو تعبرها في اتجاه بلاد السودان الغربي

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص309.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص319.

[3] الونشريسي، المصدر نفسه، ج6، ص207.

[4] الونشريسي، نفسه، ج6، ص131، ص186.

[5] خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص243.

[6] خالد بلعربي، المرجع نفسه، ص243.

[7] عباس كريم، **الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي**، مجلة كلية التربية الأساسية، ، جامعة بابل، ع4، 2010، ص47، خالد بلعربي، **تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،جامعة غرداية، ع15، 2011، ص 37، ص38.

[8] لطيفة بشاري، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، ص119.

عبر الطرق الصحراوية، فحاولوا جهد الإمكان أن يوفروا لها الظروف الأمنية الضرورية لاستمرارها بتأمين الطريق وحفر الآبار ووضع العلامات وغيرها[1].

وما تجدر الإشارة إليه أنّ سلاطين بني زيان سعوا لتوفير مناخ آمن يسمح للتجار بمزاولة أنشطتهم من خلال حركة تبادل السلع وتوزيعها، وذلك بفرض النظام وبسط الأمن في ربوع الدولة[2]، وإقامة مراكز الحراسة وتمويّن المسافرين والتجار، ومنح العاملين بها الاقطاعات، وهو ما يكون قد ساهم في عودة الأمن لبعض المناطق التي كانت تعرف بأنّها بؤر اللصوصية[3].

ولربما ما يوضح لنا جانبا من ذلك حرص السلطان "**يغمراسن**" على توثيق العلاقات التجارية مع ممالك السودان الغربي كمملكة مالي ومملكة سنغاي، فقد كان رجلا ذكيا تنبّه إلى ما تجلبه التجارة لبلده من خير، وبناء على ذلك عمل على توفير الأمن والحماية للتجار[4]، فخصص لهم حراسا يقومون بحراستهم كالشرطة التي كانت تقوم بمراقبة البدو الرحل، والقيام باستخبارات سريعة ومسبقة لإبلاغ القافلة بهذه التحركات حتى تحتاط لنفسها وتقوم بتنظيم دفاعها، ولضمان سير القوافل التجارية كلّف القبائل المجاورة للطريق بحراسة القوافل التجارية من اللصوص وقطاع الطرق[5].

ونجد كذلك السلطان "**أبا حمو موسى**" هو الآخر قد أدرك أهمية التجارة الصحراوية، وهذا ما نلمسه من خلال قوله: "**لولا الشناعة لم أنزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلّع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع ومن سواهم يحمل منها الذهب، ومنه ما يغير العوائد ويجر السفهاء إلى المفاسد**"[6]، وبناء على ذلك حرص على تأمين البوادي من العناصر المتمردة والقبائل الثائرة بالجزء المجاور للصحراء[7].

---

[1] ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص17، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو الزياني، ص94، بختة خليلي، المرجع السابق، ص25.

[2] خالد بلعربي، تجارة القوافل، ص ص37- 38، محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص30.

[3] محمد فتحة، المرجع السابق، ص ص307-308، محمد بن ساعو، المرجع نفسه، ص31.

[4] ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص17، محمد الطمار، المرجع السابق، ص94، بختة بخليلي، المرجع السابق، ص25.

[5] خالد بلعربي، المرجع السابق، ص263، يحي بوعزيز، تاريخ افريقيا الغربية الإسلامية، ص49، مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص151.

[6] أحمد المقّري ، نفح الطيب، ج5، ص206.

[7] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص8.

ومن المؤكد أيضا أنّ الحكام أنفسهم ساهموا في هذه الحركة التجارية الدؤوبة مع السودان سواء بإرسال قوافلهم الخاصة أو بالاشتراك مع تجار كبار، وهذا ما يظهر من خلال محاولة السلطان "**يغمراسن بن زيان**" الاستيلاء على سجلماسة التي تعتبر أهم مراكز عبور القوافل التجارية في طريق جنوب الصحراء[1]، ودخوله في صراع مع بني مرين من أجل السيطرة عليها ، فاستولى عليها سنة (662هـ/1224م)، لكن الأمير "**يعقوب بن عبد الحق المريني**" احتلها سنة(673هـ/1274م)[2].

وما تجدر الإشارة إليه أنّه صادف حرص سلاطين حرص بني زيان على توفير الأمن والحماية للتجار حالة مماثلة ببلاد السودان، أين حرص ملوكها كذلك على توفير الأمن للقوافل القادمة من بلاد المغرب[3]، ويشهد على ذلك "**ابن بطوطة**" الذي زار بلاد السودان سنة (753هـ/1352م)، فذكر خصال ملوك بلاد السودان بقوله: "**فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم، فهم أبعد الناس عنه، وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها، ولا المقيم من سارق ولا غاصب، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان، ولو كانت القناطير المقنطرة، إنّما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه (كذا) مستحقه**"[4].

ولاشك أنّه كان لذلك كلّه أثر على تطور مكانة الشركة "**المقّرية**"، فبفضل تقدير ملوك السودان للغرباء تذللت لهم المسالك ومكنّتهم من ربط علاقات طيبة مع حكام وملوك المناطق التي وصلت إليها قوافلهم، وفي ذلك جاء عن "**أبي عبد الله محمد المقّري**": "**فلما استوثقوا من الملوك، تذللت لهم الأرض للسلوك**"[5]، أين نجدهم قد تعاملوا مباشرة مع ملوك مالي الذين أحسنوا استقبالهم وشجعوهم على ممارسة التجارة في بلادهم، وهذا ما عناه "**أبو عبد الله محمد المقّري**" بقوله: "**ثم اتصل بملكهم فأكرم مثواه ومكنّه من التجارة بجميع بلاده**"[6]، فقد

---

[1] أحمد عزاوي، قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدي والمريني، ص154.

[2] لطيفة بشاري، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، ص119، أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص151، محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص ص28- 34.

[3] خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 263.

[4] محمد بن عبد الله ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992م، ص674.

[5] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص206.

[6] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص ص205- 206.

تبادلوا الرسائل مع "**منسى موسى**" الذي خاطب بعضهم "**بالصديق الأحب والخلاصة الأقرب**"[1]، كما كان يطلب منهم تزويده بما يحتاجه من بضائع، وهذا ما يظهر من خلال قول "**أبو عبد الله محمد المقّري**" أيضا: "**ثم صار يكاتب من بتلمسان ليستقضي منهم مآربه فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة**"[2].

هذا ، وقد كان للجغرافيا وأهميتها دور في ازدهار المبادلات التجارية مع السودان الغربي، فتلمسان عاصمة الدولة الزيانية كانت بحكم موقعها الجغرافي تتحكم في الطرق التجارية المتجهة منها نحو السودان الغربي، مما سمح لتجارها بإقامة علاقات تجارية نشطة مع الواحات الصحراوية عبر الطريق، ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل امتد نفوذ التجار الزيانيون إلى السودان الغربي، أين نجد أنّ بعض العائلات التلمسانية استقرت هناك وقامت بدور هام في ربط العلاقات التجارية مع السودان الغربي[3] مثلما هو الأمر بالنسبة للأسرة **المقّرية** التي استقر بعض أفرادها بإيولاتن واتخذوا هناك "**الحوائط**[4] **والديار وتزوجوا النساء واستولدوا الإماء...**"[5].

ج.دور المنافسة التجارية:

فقد برزت في المجتمع التلمساني إلى جانب الأسرة المقّرية، أسر تلمسانية أخرى مارست النشاط التجاري واشتهرت بالغنى ويسر الحال مثل عائلة "**ابن النجار**" التي اشتهرت بحياكة الصوف والتجارة فيه مع بلدان مختلفة مشرقا ومغربا، فكان التجار يقصدون صوفهم من كل الأقطار لاقتناء كميات كبيرة منها، كما كان ملوك افريقية والمغرب يفضّلونها على غيرها، وبفضل التجارة أصبحت عائلة "**النجار**" تملك ثروة هائلة بتلمسان وبمدن أخرى مثل مكناس وفاس حيث يوجد عقبهم[6]، وفضلا عن عائلة "**النجار**" نجد عائلة "**المرازقة**" وعائلة "**العقباني**" قد جمعت هي الأخرى بين العلم والتجارة، وكانت لهم علاقات حسنة مع أمراء تلمسان وملوك بلاد السودان

---

[1] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص206.

[2] أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص206.

[3] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص135.

[4] **الحوائط**: جمع حائط وهو البستان، ويقصد به في هذا مزرعة من النخيل، فيروز آبادي، القاموس المحيط، ص597، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج6، ص205.

[5] أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص205.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص214.

الذين شجّعوها على ممارسة التجارة في بلادهم[1]، وقد ذكر لنا "**ابن بطوطة**" عددا من التجار التلمسانيين الذين التقى بهم أثناء رحلته، الذين كانوا مقيمين بمالي منهم "**محمد الفقيه الجزولي**" الذي اكترى له دارا هناك، وصهره الفقيه "**المقّري عبد الواحد**" وابنه، والشيخ "**اللبناني التلمساني**" الذي كان مقربا من "**منسى سليمان**" (حوالي سنة هـ/1341-1360م)[2].

فكان من الطبيعي أن يشتغل أفراد الأسرة **المقّرية** بالتجارة وخاصة تجارة الذهب الذي كان السودان الغربي مصدره، إدراكا منهم أهمية هذه الثروة العظيمة من جهة، وأهمية التجارة البعيدة من جهة ثانية، ذلك أنّ نقل السلع من الأماكن البعيدة والخطيرة يؤدي إلى أرباح كثيرة عكس السلع القريبة والمتداولة فأرباحها قليلة[3]، وهذا ما أكدّه "**ابن خلدون**" بقوله: "**لهذا نجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالا لبعد طريقهم ومشقته واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش...**"[4].

د.دور الخبرة التجارية:

بحيث أنّ ازدهار أو ضعف التجارة مرتبط بمدى قوة وخبرة التجار ومقدرتهم في التعامل التجاري مع التجار الأجانب ومعرفتهم للحركة اليومية والسنوية لسكان المنطقة التي يتعاملون معها تجاريا، ومدى ارتباطهم بما يدور حولهم من أحداث، وفي هذا الصدد يقول "**لمبار موريس**": "**إنّ التاجر هو الأساس الذي يقوم عليه الازدهار الاقتصادي، وهو الذي يميل إلى المغامرة واستكشاف الأسواق في البلدان البعيدة، وهو الذي سيكشف موارد الذهب في السودان**"[5]، ويضيف "**ابن خلدون**": "**أنّ التاجر البصير بالتجارة لا ينقل إلا السلع التي تعم الحاجة إليها والتي يحتاجها كل من الغني والفقير والسلطان والسوقة، إذ في ذلك نفاق**

---

[1] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص121.

-Goudray, **relations commerciales de Tlemcen avec le Sahara et le Soudan**, dans bulltetin de la Société de géographie d'Alger, 2éme année, 1887, p247.

[2] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص444، لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص121.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص321، بزاوي الكبير، **التجارة من خلال كتابات ابن خلدون**، ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، مطبعة فضالة، المغرب، 1995، ص38.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ص321.

[5] نقلا عن جميلة بن موسى، **تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن (9م إلى 11م)**، منشورات بلوتو، ط1، جسر قسنطينة، الجزائر، 2011م، ص51.

سلعته"[1]، ولاشك أنّ الخبرة التجارية بالنسبة لتجار الشركة **المقّرية** تظهر لنا من خلال مراعاتهم للسلع المطلوبة عند جميع فئات المجتمع، وهذا ما نلمسه من خلال البضائع التي كان يصدرها تجار الشركة من تلمسان إلى السودان والتي لم تكن عشوائية، بل كان يتم انتقاؤها بشكل منظم يأخذ بعين الاعتبار متطلبات السوق السودانية وحاجيات السكان عامة، مما يدل على أنّ هذا التنظيم يحتوى على أسس الشركات الكبرى اليوم، فقد كان تجار الشركة **المقّرية** المستقرين بأسواق الصحراء يحددون لهم الأسعار الرائجة ويرسمون لهم السلع المطلوبة التي ينبغي أن يعدّوها ويرسلوها إلى الصحراء لكثرة الطلب عليها ويتكفلون مقابل ذلك بشراء سلع الصحراء المطلوبة لهم في الشمال[2].

ولعل ما أهلّ أفراد الشركة **المقّرية** للعمل التجاري من جهة، وساهم في ازدهار التجارة مع بلاد السودان من جهة أخرى، الجرأة التي تميز بها تجارها وقدرتهم على المجادلة واللجاج، ونستّدل على ذلك من خلال فرض هيبتهم عند الباعة وحمل الحكام على انصافهم، وهذه شروط لابد منها لمباشرة التاجر نشاطه التجاري، إلى جانب إحاطتهم بتعاليم دينهم الخاصة بالمعاملات التي تميز المباح من المحظور، إضافة إلى تحاشي الضرر وأن يكون المبيع منتفعا به، وأساس هذا التعامل هو الابتعاد عن أكل الربا والغش والتحايل، وفي هذا الصدد يشير "**حسن الوزان**" إلى صفات التجار قائلا: "**هم أناس منصفون مخلصون جداً وأمناء في تجارتهم، يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه، أهم أسفارهم التجارية هو الذي يقومون به إلى بلاد السودان**"[3]، ويضيف "**مرمول**": "**أناس طيبون أوفياء في تجارتهم، معتزون بالنظم والحضارة وحسن التدبير، مهذبون مع الأجانب...**"[4].

وعليه يمكن القول أنّ تجار الشركة **المقّرية** شكّلوا إلى جانب العوامل الأخرى عاملا من عوامل تطور تجارتهم وازدهارها بشكل كبير مع السودان الغربي، وتحسن الإشارة هنا إلى أنّ عملية التبادل التجاري بين تلمسان والسودان الغربي تطّلبت منهم القيام برحلة تجارية بهدف تصريف منتجات تلمسان وتزويدها بالناقص من السلع، وفي المقابل تحقيق متطلبات السوق السودانية.

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص321.

[2] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص205 ، مصطفى علوى، المرجع السابق، ص89.

[3] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص21.

[4] مرمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص300.

وبناء على ذلك ارتأينا التنويه بالرحلة التجارية للشركة **المقّرية**، ولاكتشاف أسرار هذه الرحلة لابد لنا من الاجابة عن التساؤل التالي: ماهي أهم التنظيمات التي عرفتها الرحلة التجارية للشركة المقّرية قبل البدء في السفر وفي أثنائه؟ وماهي أهم المراكز والمحطات التجارية التي تمر بها قبل أن تحطّ رحالها بالسودان الغربي؟

2. الرحلة التجارية للشركة المقّرية:

قبل الإجابة عن السؤال المطروح لابد من الإشارة إلى أنّ المصادر التاريخية التي بين أيدينا لم تذكر كل ما يتعلق بالرحلة التجارية للشركة **المقّرية** والتنظيم الذي عرفته، سوى تلك المعلومات التي أشار إليها "**أبو عبد الله محمد المقّري**" والتي ذكرها إليها الحفيد في كتابه "**نفح الطيب**"، أو ما أشار إليه "**ابن بطوطة**"[1] أثناء تعرضه للتجارة الصحراوية، وهذه المعلومات على الرغم من قلّتها سمحت لنا بأن نضع تصورا وعليه يمكن الاجابة عن تساؤلنا.

أ.إعداد القافلة وتنظيمها:

لاشك أنّ حديثنا عن التجارة الصحراوية أو الرحلة التجارية لأفراد الشركة **المقّرية** بين تلمسان وممالك السودان الغربي، يدفعنا للحديث عن القافلة وتنظيمها، بحيث نظمت التجارة الصحراوية في شكل قوافل تجارية ومنها تجارة الشركة **المقريّة**، ونستدل على ذلك من خلال بعض الإجراءات التنظيمية التي باشرت بها رحلتها أثناء اجتيازها لمفاوز الصحراء وهذا مما يتم تفصيله لاحقا، فلظروف بيئية واعتبارات أمنية كان لا يمكن لتجار الشركة **المقّرية** أن يقوموا برحلة خارج القافلة، التي كانت تضم مجموعة متعددة من التجار الذين لا تربط بينهم سوى مصلحة الطريق[2]، فهي الوسيلة الوحيدة لربط طرفي الصحراء، أين كانت تتحرك مجموعة من القوافل الصغيرة القادمة من الشمال بمختلف أصناف التجار المغاربة في وقت معين من السنة وفي مكان محدد، لتتجمع في

[1] اعتمدنا على "ابن بطوطة" باعتبار أنّ رحلته كانت معاصرة تقريبا للرحلة التجارية للأسرة المقّرية.

[2] يمينة بن اصغير حاضري، **الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري من القرن 4هـ/10م إلى القرن 11هـ/17م**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، قسم العلوم الإنسانية المركز الجامعي غرداية، ع16، 2012، ص223.

منطقة تشكل مركز انطلاق القافلة الكبرى باتجاه السودان الغربي[1]، ويرتبط منطلق القافلة الكبرى بالمركز وأهمية المراكز[2].

وربما كان تجار الشركة **المقّرية** -على غرار تجار تلمسان- يقومون برحلة تجارة مرة في السنة آخذة طريقها من تلمسان[3]، إذ كانت مدينة "تيزل" الواقعة جنوبها منطقة انطلاق القوافل باتجاه "سجلماسة" غربا و"ورقلة" في الوسط ومنها إلى بلاد السودان الغربي[4]، ويشير إلى ذلك " **ابن خلدون**" بقوله: "**فلا بد لهم في كل سنة من رحلة... إلى قصور توات وبلد تمنطيط، ومع ناجعتهم تخرج قفول التجار من الأمصار والتلول حتى يحطوا بتمنطيط، ثم يبذرقون منها إلى بلاد السودان**"[5].

وتشير بعض الدراسات إلى أنّ القافلة كانت تجتاز الصحراء في فصل الشتاء، تفاديا لمخاطر الصحراء الطبيعية كالزوابع الرملية التي تتسبب في هلاك الانسان والحيوان معا والتي تكثر خاصة مع نهاية فصل الربيع وبداية فصل الصيف، إضافة إلى الحرارة المفرطة التي تفوق قدرة تحمل الإنسان[6]، وهو ما دفع "**ابن حوقل**" إلى تحديد الفصل المناسب لذلك بقوله: "**وبين بلاد المغرب... وبلد السودان مفاوز وبراري منقطعة قليلة المياه متعذرة المراعي، لا تسلك إلاّ في الشتاء**"[7]، فيما اعتبر العبور في فصل الصيف مستحيلا، وقد يكون انطلاق القافلة في بداية

---

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص133، زهرة طموح، **تنظيم القافلة خلال القرن 19**، ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج2، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، مطبعة فضالة، المغرب، 1995، ص294.

[2] جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص62، زهرة طموح، المرجع السابق، ج2، ص294.

[3] مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج5، ص261، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص261، عبد الكريم حساين، المرجع السابق، ص95.

[4] عبد الله شريط، **مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص133، مصطفى علوي، المرجع السابق، ص 89، حسن العماري، **العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا**، دورية كان التاريخية، ع9، سبتمبر 2010، ص35

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص77.

[6] حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص76، جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص62، الحسن العماري، المرجع السابق، ص35، مزاحم علاوي، **حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع15، 2011، ص126، محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص83.

[7] ابن حوقل، المصدر السابق، ص100.

الخريف أيضا لانخفاض درجة الحرارة وتجنب الهلاك من العطش مع ضمان وجود الكلأ للإبل، وفي هذا يقول "**الادريسي**": "**إنّ القافلة تنطلق في سيرها في زمن الخريف**"[1].

ولاشك أنّه قبل بداية الرحلة التجارية نحو بلاد السودان الغربي، كان لابد على تجار القافلة عامة وتجار الشركة **المقّرية** على وجه الخصوص من الاستعداد لها بهدف إيصال بضائعهم بأقل الخسائر ولأماكن بعيدة، أين وضع القائمون بهذه المهمة مجموعة من القوانين التي تلائم الطرق الصحراوية سواء على المستوى اللوجستي أو على المستويات التنظيمية وبعض الجوانب الأخرى[2]، فقد أصبح من الضروري على تجار الشركة **المقّرية** اتخاذ تنظيم محكم لوضع نقاط الانطلاق وربطها بمراكز التموين وتوفير ضروريات الحياة التجارية من مؤن وماء وتأمين الطريق ومراسلات منظمة مع أهم النقاط التجارية، يقول "**أبو عبد الله محمد المقّري**" في ذلك: "**ثم اشتهرت على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة، فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجارة، واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير**"[3].

فمن الواضح أنّ التجارة الصحراوية اكتسبت مع الوقت قوانين متعارف عليها تخضع للظروف البيئية والحالة الأمنية للطرق كما تخضع أيضا لثقل الحمولة وقيمتها، فقد اهتمت القوافل التجارية العابرة للصحراء باتجاه بلاد السوادن بأهمّ التفاصيل المتعلقة بالرحلة كشراء الجمال، باعتبارها أهم وسيلة لعبور الصحراء، كون أنّ الجمل قادر على قطع الفلاة دون كلل أو ملل ومقاومة قسوة الطبيعة الصحراوية بالإضافة إلى قدرته على تحمل العطش، إذ يمكنه أن يبقى عدة أيام دون ارتواء[4]، فقد ضرب الله تعالى لنا بها المثل في كتابه العزيز بقوله: ﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾[5].

---

[1] الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص107.

[2] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص77، علي ياسين حامد خليفة، **ذهب افريقيا جنوب الصحراء ودوره في التجارة العربية الاسلامية منذ القرن الرابع حتى القرن التاسع الهجري**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1987، ص 80، الحسن العماري، المرجع السابق، ص35.

[3] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص205-206.

[4] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص77، جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص ص42-48.

-Godinho (V. Mgalhaes), **L'économie de L'Empire Portugais aux XVet XVI siécles**, Paris, 1969, p100.

[5] سورة الغاشية، الآية17.

وكانت تقع مهمة توفير الإبل[1] على عاتق التجار، فكان لابد لهم من اقتناء الاعداد المطلوبة منها، وكانت تختلف أثمانها تبعا لمجموعة من المقاييس كالياقة البدنية ومجال استغلالها[2]، والمهم أنّ سعرها كان رخيصاً، ومع ذلك فإنّ كان كراؤها جاريا به عند القبائل الصحراوية، هذه الأخيرة التي كانت تلجأ إلى الاهتمام بها وتسمينها ثلاثة أشهر قبل انطلاق القافلة لكي تكون في كامل قواها الجسمانية قبل السفر[3].

بقي أن نذكر أنّ القوافل التجارية كانت تحتاج إلى الأدلاء الذين لا يمكن أن يستغنى عنهم في الرحلة إلى السودان الغربي، فقد كان الاهتداء إلى الطريق من أصعب الأمور التي تواجه المسافرين في الصحراء[4]، يقول "**ابن بطوطة**": "**فبلاد الهكار... كثيرة الحجارة، طريقها وعر...**"[5]، ويقول "**حسن الوزان**" عن الصحراء التي تفصل السودان الغربي وبلاد البربر والتي يسميها بصحراء صنهاجة بأنّها: "**شديدة الجفاف وعرة...**"[6]، كما يصف الصحراء التي تفصل السودان الأوسط (أين توجد مملكة الكانم) وشمال افريقيا والتي يسميها صحراء كبير بأنّها: "**أكثر وعورة ووحشة وأنّها تؤدي بمن يقطعها من التجار إلى موت وفقدان دوابهم**"[7]، كما أنّ امتداد أطراف الصحراء الواسعة يزيد من صعوبة السير في الاتجاه المرغوب فيه، فنجد "**ابن خلدون**" لا يكتفي بوصف سعتها وصعوبتها، بل يذهب إلى اعتبارها حاجزا بين السودان وبلاد البربر[8].

---

[1] كان عدد الجمال المشاركة في القافلة قد يصل إلى ثلاثة آلاف جمل محملة بمختلف أنواع السلع، أما متوسط القافلة فألف جمل، وكلّما كان حجم القافلة أكبر كلّما تمكن المسافرون من مواجهة الصعوبات، أما القوافل في الطرق الفرعية فقد يصل عدد جمالها إلى عشرين أو ثلاثين جملا، علي حامد خليفة، المرجع السابق، ص81، محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص83.

[2] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص699، حسن العماري، المرجع السابق، ص35.

[3] جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص63، محمد زنبير، **المغرب في العصر الوسيط**، الدولة، المدينة، الاقتصاد، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الرباط، 1420هـ/1999م، ص414، مزاحم علاوي، المرجع السابق، ص126.

[4] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص79.

[5] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص445.

[6] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص148.

[7] حسن الوزان، المصدر نفسه، ج2، ص150.

[8] ابن خلدون، العبر، ج5، ص197.

وبناء على ذلك كان التجار يقومون وبشكل جماعي باختيار الدليل أو ما يسمى "بالتكشيف"[1] حسب "**ابن بطوطة**"، وكان اختيار الدليل يخضع لعملية صعبة، إذ كان يتطلب فيه عدة شروط منها الذكاء والقدرة والشجاعة المعترف بهم، وأنّه يعرف كيف يتوجه تبعا للشمس أو النجوم، وأن يكون على دراية بالمراعي وآبار الصحراء النادرة ومسالكها الوعرة[2]، بالإضافة إلى معرفة رؤساء المناطق التي تعبرها القافلة وحدود نفوذهم والسلوك الشخصي المتبع في كل منطقة، وعادة ما يكون من عناصر تلك القبائل من أهل البدو لما لهم من الجرأة والقوة والمعرفة بأحوال الصحراء، وفي هذا الصدد يقول "**ابن حوقل**": "**من أوصاف هذه القبائل، المعرفة بأوضاع البر وأشكاله والهداية فيه والدلالة على مياهه**"[3]، ومن هذه القبائل مسوفة[4]، إذ يذكر "**لمبارد موريس**" قائلا: "**إنّ دبلوماسية كبار التجار تؤدي إلى عقد معاهدة مع البدو الرحل أسياد الصحراء، من أجل حماية القافلة طول الرحلة، طبعا حمايتها من الاعتداءات ونقص الماء، ومن هذه القبائل على غرار مسوفة نجد لمتة، لمتونة، جزولة**"[5].

ونظرا لأهمية الدليل إذ يعتبر أهم شخصية في القافلة، فحياتها وبعدها عن المجازفة يرتبط إلى حد بعيد بقدرته وكفاءته، فهو مسؤول عن حمايتها من كل المخاطر عدا الطبيعية منها مثل الزوابع والجفاف، بالإضافة إلى أهمية المهام الملقاة على عاتقه في الأخذ بيد القافلة إلى غاية المكان المقصود فإنّه كان يكترى بأثمان مرتفعة، وهذا ما يوضحه لنا "**ابن بطوطة**" فذكر أنّ ثمن الكشّاف الذي اكترته قافلته من تغازي إلى إيوالاتن كان بمائة مثقال من الذهب[6].

---

[1] **التكشيف**: اسم يطلق على كل رجل من مسوفة، يكتريه أهل القافلة على حد قول ابن بطوطة، للقيام بتسهيل الرحلة للقافلة وتحضير وسائل الراحة لها في المحطات التجارية كإيولاتن، وقد يتعرض للموت بسبب المخاطر التي تواجهه في مهمته، ابن بطوطة، المصدر السابق، ص675.

[2] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص79، جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص83، علي حامد خليفة، المرجع السابق، ص ص81-83، زهرة طموح، المرجع السابق، ص296.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص98.

[4] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص441، حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص86، جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص64.

-Lombard (M),**Les métaux dans bancien mond du Ve au XIe siècle**, Paris etudes économiques médiévales Mouton et Cie 1974, p223

[5] Lombard(M), op. cit, p223.

[6] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص442.

ما تحسن الإشارة إليه أنّه لم يكن يتم تعيين الكشّاف دليلا للقافلة فحسب، وإنّما يتم تعين دليل من النوع الثاني وهو الذي يستبق القافلة إلى أرض السودان، ويختار من نفس القبائل التي تمتاز بالقوة والمعرفة لطرق الصحراء ومجاباتها[1]، فيقوم هذا الدليل بحمل الرسائل التي يرسلها التجار إلى أصحابهم، لاكتراء لهم الديار لإقامة تجار القافلة، والخروج للقائهم بالماء واستقبال القافلة أربعة أيام في الصحراء[2].

وفي الأخير هناك الخفارة وهم حراس مسلحون ينتدبون للحراسة والدفاع عن القافلة، نظرا لما كان يعترضها من المخاطر[3]، وإلاّ فكان عليها أن تسلك الطريق الذي اعتاد الجيش الرسمي السير فيه عندما يكون في حالة تنقل[4].

فضلا عن ذلك فقد برزت الحاجة إلى الماء كعنصر مهم لديمومة حياة القافلة، فقبل بداية الرحلة كان التجار يتزودون بالماء، ومن أجل ذلك كان يتم شراء القرب[5] لنقل المياه، ثم يجدد كلما سنحت الفرصة، إذ تملأ عند كل بئر تصل إليه القافلة، أو يتم شراءه عندما يشتد عطش طاقم القافلة[6].

هذا وقبل انطلاق القافلة يخضع تجار القافلة لرئيس تكون له عليهم سلطة مطلقة، ولا يمكن لأحد من المسافرين أن يبتعد عن القافلة خاصة في الصحراء، وإذا فعل تاه وكان الموت نهايته[7]، وقبل مسير القافلة كان تجار الشركة **المقّرية** يستعملون الطبل للإعلان عن الرحيل، وربما ذلك لكثرة عدد رجال القافلة فاستعمل الطبل لجمعهم، كما اتخذوا راية تتقدمهم عند المسير، وهذا لتميز قافلتهم التجارية عن القوافل الأخرى[8].

---

[1] جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص64.

[2] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص675، جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص64.

[3] محمد فتحة، المرجع السابق، زهرة طموح، المرجع السابق، ص299، ص307، بن ساعو، المرجع السابق، ص84.

[4] روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص ص247-248.

[5] **القربة**: هي وعاء يصنع من جلد الماعز في الغالب، وأحيانا من جلد الغنم، فتخاط جميع الفتحات بإحكام، ما عدا فتحة الرقبة، وتملأ بالماء من فتحة لها وتستعمل للتفريغ، وتسمى أيضا أسقية، ابن بطوطة، المصدر السابق، ص441، لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص79.

[6] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص676.

[7] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص80.

-Godinho, op. cit, p117.

[8] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص205.

وبعد تحضير كل الضروريات يبدأ الانطلاق في السفر الذي يدوم شهريين تقريباً، لأنّ التجار يتوقفون للراحة وللبيع والشراء أثناء مرورهم ببعض القرى والأسواق[1]، علما أنّ القائمون على القوافل يختارون المسلك الذي تتخلله بعض المراعي وتنتشر على طوله الآبار، الأمر الذي يسبب بطء في سير القافلة لانشغال الإبل بالارتزاق[2].

ونظراً لصعوبة المسلك باتجاه بلاد السودان كان اختيار فترة مسير القافلة من أهم الأمور التي كان التجار يولونها اهتماما كبير من أجل تفادي المخاطر واجتياز الصحراء بأمان، فكانت الفترة المحددة لذلك هي وقت السحر وتستمر حتى طلوع الشمس واشتداد حرها فتتوقف، ثم تستأنف المسير بعد العصر إلى أن يحل الظلام، لتبدأ الرحلة من جديد عند بزوغ الفجر، فقد أشار "الادريسي" بشكل واضح إلى أنّ هذه الطريقة هي نمط "**سفر التجار الداخلين إلى بلاد السودان، لأنّ الشمس تقتل بحرّها من تعرض للمشي في القائلة عند شدّة القيظ وحرارة الأرض**"[3]، كما أنّ "**التجاني**" ذكر أنّ القافلة التي كان على متنها بدأت في السير من ثلث الليل الأخير[4]، في حين القافلة التي كان ضمنها "**ابن بطوطة**" فكانت تسير بعد صلاة العصر وتقضي الليل كلّه في السير ولا تتوقف إلاّ في الصباح[5]، فهذه الاشارات أعطت توضيحا دقيقا للفترات الزمنية التي كانت القافلة تحددها لبداية السفر أو توقفه.

يبدوا مما سبق أنّ عملية سير القافلة التجارية وتسييرها بالنسبة لتجار الصحراء عامة والتجار المقّريين لصفة خاصة لم يكن أمراً سهلاً ، فعملية مثل هذه تطرح عددا من المشاكل، فبالإضافة إلى تلك المرتبطة بالأمن والتنقل والمرور في وعبر مراكز لا تتحكم فيها أي خارجة عن النفوذ السياسي الذي انطلقت منه، هناك مشاكل مرتبطة بطول الرحلة التي تستمر عادة شهريين إيابا، كالظروف المناخية ومشكل الماء، وهذا ما سنوضحه.

---

[1] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص79، جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص65.

[2] لطيفة بشاري، المرجع نفسه، ص78، محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص84.

-Godinho, op. cit, p113-114.

[3] الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص107.

[4] أبو محمد عبد الله التجاني، **رحلة التيجاني**، تقديم حسن الحسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981، ص154.

[5] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 676.

ب. مخاطر الرحلة التجارية:

- **مخاطر مناخية:** وتتمثل في الرياح والعواصف، بحيث شكّلت الرياح القارية الجافة والعواصف الرملية الفجائية أشدّ الأخطار التي تتعرض لها القافلة، وذلك لما تلحقه بها من أضرار جسيمة فهي تحمل معها ذرات الرمل الدقيقة وتدفع بها إلى أجزاء جسم الإنسان فتصيبه كالسكاكين الحادة، ويكون لها ألما مريعا، وإذا تراكمت ذرات الرمال حول الواقف قبرته في بضع دقائق، لذا لابد من سرعة الحركة أثناء هبوب العاصفة[1].
- **الضياع:** فمن الأخطار المألوفة عبر الصحراء الضياع، بحيث لا تظهر بها الطرق ولا آثارها، وسطحها عبارة عن رمال تنقلها الريح فتصنع منها كثبانا في مكان ثم تنقلها إلى آخر، والنتيجة الحتمية للضياع هي الموت، وقد كان الخوف منها يستبد بنفوس المسافرين مما جعلهم يلقون مسؤولية ذلك على الشياطين[2]، يقول في ذلك "**ابن بطوطة**": "**تلك الصحراء كثيرة الشياطين، فإن كان التكشيف منفردا، لعبت به واستهوته حتى يضل عن قصده فيهلك...**"[3].

ولتفادي هذا الخطر لجأ التجار إلى المحافظة على وحدة القافلة وذلك بوصل ذيل الجمل الأول برأس الجمل الثاني بحبل، ولا بد أن يكون الجمل الأول قد تدّرب قبل ذلك[4].

- **مشكل الماء:** فقد تمثل الخطر الطبيعي والرئيسي الذي كانت تواجهه القوافل التجارية أثناء عبورها الطويل والشاق للصحراء في ندرة نقط الماء وبعد المسافات بينها، بحيث كان من النادر الحصول على الماء كل يوم، وربما لا يعثر عليه إلاّ بعد أسبوع أو أسبوعين، وهو ما دفع "**الادريسي**" إلى تبيان مقدار المسافات بين أماكن التزود بالماء فيها فقال: "**يتزود بالماء فيها من يومين إلى أربعة إلى خمسة وستة أيام**"[5]، وهو ما ينطبق على الصحراء المحصورة بين سجلماسة وتكرور[6].

---

[1] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص83، جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص45، محمد زنبير، المرجع السابق، ص415، خالد بلعربي، تجارة القوافل، ص39.

[2] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص83، محمد زنبير، المرجع السابق، ص415.

[3] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص441.

[4] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص83.

[5] الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص19.

[6] الادريسي، المصدر نفسه، ص19.

ويشير "**حسن الوزان**" في هذا الصدد أيضا إلى أنّ الماء بصحراء صنهاجة لا يوجد إلاّ على مسافة سفر ستة أيام أو سبعة، وفوق ذلك فهو مالح أحيانا[1]، ويعطينا أمثلة عن ندرة المياه في تلك المناطق منها المنطقة الممتدة من ايوالاتن إلى تمبكتو التي لا يوجد بها الماء إلاّ على بعد مائة ميل أو مائتي ميل، وكذا الطريق الرابط بين سجلماسة وتمبكتو حيث لا يعثر عليه طيلة مائتي ميل أي حوالي 320كلم[2]، وهو ما يفسر هلاك الناس عطشا في الصحراء، فقد ذكر "**ابن بطوطة**" أثناء رحلته من تغازي إلى إيوالاتن حدثا من هذا النوع فقال: "**ولقد لقينا قافلة في طريقنا، فأخبرونا أنّ بعض الرجال انقطعوا عنهم، فوجدنا أحدهم ميتا تحت شجرة...وعليه ثيابه، وفي يده سوط وكان الماء على نحو ميل منه**"[3].

ولعل الحاجة إلى الماء دفعت بالتجار عامة وتجار الشركة **المقّرية** خاصة إلى البحث عن مصادر المياه وقيامهم بحفر الآبار على أطراف الطرق تأمينا لحياتهم[4]، وتسوير المعرضة منها لخطر الزوابع الرملية وترميمها من الداخل بواسطة عظام الإبل الهالكة ثم يغطونها بجلودها للمحافظة عليها[5]، كما حاولوا تخزين مياه الأمطار في الأماكن التي تتوفر بها، حيث تنمو الأشجار ذات جذوع ضخمة يستنقع فيها ماء المطر فتصبح كأنّها بئر ويشرب الناس من ذلك الماء[6]، إلاّ أنّ الاعتماد على مثل هذا الماء يعتبر مغامرة، باعتبار أنّ توفره يبقى رهن الصدف، فالمطر في الصحراء لا ينزل بانتظام وكمياته متذبذبة، وسرعان ما يتبخر لشدّة الحرارة، وغياب الصدفة الحسنة يتسبب في هلاك رجال القافلة[7].

---

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص75- 76.

[2] حسن الوزان، المصدر نفسه، ج2، ص170.

[3] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص442.

[4] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص205 ، جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص40، مزاحم علاوي، المرجع السابق، ص126.

[5] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص442، حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص78، لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص83، حسن العماري، المرجع السابق، ص35.

[6] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص441، علي حامد خليفة، المرجع السابق، ص82.

[7] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص ص82- 84، محمد زنبير، المرجع السابق، ص182، جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص69، خالد بلعربي، تجارة القوافل، ص39.

• **قطاع الطرق**: فضلا عن الاخطار الطبيعة التي كانت تعترض القوافل التجارية، فإنّها كانت تتعرض لمضايقات قطاع الطرق الذين كانوا ينشطون بكثرة في طرق الصحراء[1]، فلما كانت المسافة التي تقطعها القوافل التجارية عبارة عن مفاوز قليلة المياه والمراعي أي عبارة عن كثبان رملية، فغالبا ما كانت تشكل مأوى للمعتدين الذين ينظّمون غارات مفاجئة على القوافل وتجردها من محتوياتها وثرواتها[2]، وعلى الأغلب كان يحدث هذا أثناء العودة، أين تكون القافلة محملة بالتبر[3].

فقد شكّل الطريق الرابط بين تلمسان وفاس وأنجاد[4] مأوى للمعتدين من الأعراب الذين ينشطون في فصل الشتاء، منتهزين في ذلك فرصة رحيل القبائل العربية المكلفة بحراسة الطريق إلى الجنوب[5]، زيادة على ذلك كانت بعض القبائل الرحل تنتشر حول الطريق التجاري في المنطقة الممتدة بين جبال الأطلس الصحراوي وبين بلاد السودان لتأخذ ما تحتاجه من القافلة[6].

وأمام هذه الصعوبات والمخاطر التي تعترض القوافل التجارية في رحلتها من تلمسان إلى ممالك السودان الغربي، فإنّه يجدر بنا التساؤل هل شكّلت فعلا هذه المخاطر أو بالأحرى الصحراء حاجزاً أمام الرحلة التجارية للشركة **المقّرية** بين تلمسان وبلاد السودان الغربي؟ أم أنّها على العكس من ذلك تمثل حلقة وصل بين المنطقتين وعامل من العوامل المؤثرة في علاقاتهما وبالتالي عامل ازدهار التجارة الصحراوية؟

ج.الطرق والمراكز التجارية:

من الواضح أنّ القوافل التجارية عامة وقافلة الشركة **المقّرية** على وجه الخصوص كانت تتحدى مخاطر الطريق من قطاع الطرق وندرة المياه والزوابع الرملية، ولعل هذا راجع إلى كثرة الأرباح التي كانت تجنيها من التجارة الصحراوية، فقد كان الهدف الرئيسي منها الحصول على الذهب.

---

[1] محمد زنبير، المرجع السابق، ص415.

[2] يذكر موني أنّ: "تلك الغارات كانت تتم بعد اختفاء المغيرين داخل البئر وقطع حبل الدلو ليحرموا القافلة من التزود بالماء، وبالتالي هلاكها بالعطش، ثم يتم السطو على ممتلكاتها"، نقلا عن جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص70.

[3] جميلة بن موسى، المرجع نفسه، ص69.

[4] **أنجاد**: مبتدأ مملكة تلمسان غربا، وهي عبارة عن سهل قفر وعر يابس لا ماء فيه ولا شجر، أما اليوم فهي إقليم من أقاليم المغرب الأقصى الشرقية وإليه تنتمي مدينة وجدة التي تبعد نحو أرعين ميلا جنوب البحر المتوسط، وبنفس المسافة عن مدينة تلمسان، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص10-12.

[5] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص84.

[6] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص445، لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص84.

والحديث عن الرحلة التجارية للشركة **المقّرية** عبر الصحراء يقودنا حتما للحديث عن الطرق التجارية التي ربطت تلمسان بممالك السودان الغربي، فبالرغم من أنّ الصحراء شكّلت فضاء طبيعيا عظيم المخاطر، إلا أنّ ذلك لم يقلل من ازدهار التجارة الصحراوية[1]، ومن دون شك راجع ذلك إلى الطرق والمسالك التي رسمتها القوافل التجارية عبر العصور[2]، فأضحت تلك الطرق الرابط الحقيقي بين عدة مدن مغاربية عموما والسودان الغربي والتي منها تلمسان.

ومهما يكن من أمر، فقد كان يميز التبادل التجاري الصحراوي لمدينة تلمسان وجود شبكة من المسالك التي ترتبط بها مع المسالك المارة ببلاد السودان الغربي، فكانت القوافل التجارية تقطع رحلاتها من تلمسان في اتجاه بلاد السودان على ثلاث مراحل[3].

فالمرحلة الأولى هي التي تربط تلمسان بسلجلماسة أو بتوات، أين كانت القوافل التجارية تأخذ طريقها من تلمسان عبر طريقين رئيسين، أولهما طريق تلمسان – سجلماسة، وتبلغ المسافة بينهما حوالي عشرة مراحل[4]، والثاني تلمسان – توات، والراجح أنّ القافلة التجارية التي كانت تضم تجار الشركة **المقّرية**، كانت تعبر بلاد السودان عبر سجلماسة، وذلك لأنّه آمن من اللصوص رغم أنّه أطول هذا من جهة[5]، ومن جهة ثانية لأنّ تجار الشركة **المقّرية** كانوا يتخذون من سجلماسة نقطة لالتقاء سلعهم المتبادلة[6]، فكان لابد لهم من عبور هذا الطريق، فكانت تخرج القوافل التجارية من تلمسان نحو وجدة، وتقطع منطقة أنجاد التي سبق وأنّ أشرنا إلى أنّها لا تخلو من المخاطر خاصة قطاع الطرق، ومنها إلى تازا ففاس التي تفصلها عن تلمسان حوالي عشرة أيام، ومنها إلى صفراوي وتادلا وأغمات وريكة ودرعة ثم إلى سجلماسة[7].

---

[1] محمود بوعياد، جوانب من الحياة الاقتصادية، ص34، عمرو الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص236.

[2] بشاري لطيفة، المرجع السابق، ص71.

[3] بشاري لطيفة، المرجع نفسه، ص72.

[4] بشاري لطيفة، نفسه، ص73، خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص261.

[5] مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص149، لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص73، خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص262.

-Coudray, op. cit, p231.

[6] أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص205.

-Maquet (Jaques), Les civilisation Noires, p221.

[7] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص73، خالد بلعربي، الدولة الزيانية، ص261، مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص149.

أما المرحلة الثانية فهي التي تربط مدينة سجلماسة بمدن السودان الغربي والتي تعد آخر مرحلة بالنسبة للتجار **المقّريين** القادمين إلى السودان الغربي، فمن سجلماسة كانت القوافل التجارية تأخذ طريقها إلى تغازي مدينة الملح ويقدر طول الطريق بمسيرة خمسة وعشرين يوما[1]، ثم تصل إلى إيوالاتن أول عمالة السودان الغربي، فتمتد المسافة من سجلماسة إلى إيوالاتن نحو شهرين كاملين[2].

وبالتالي نستطيع أن نقول المسلك الذي مستعملا لدى تجار الشركة **المقّرية** كان يبدأ من سجلماسة ثم تغازي فإيوالاتن أول أراضي السودان الغربي[3]، وهو المسلك الذي كان رائجا لدى القوافل التجارية في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي[4].

ولعل ما يسترعي الانتباه حول طرق القوافل التجارية هذه أنّها سمحت بنشأة بعض المراكز التجارية الهامة على طول وأطراف المحاور التجارية العابرة للصحراء، فلّما كان الهدف الرئيسي للتجار المغاربية عامة وتجار الشركة **المقّرية** على وجه الخصوص بعد تغلغلهم في الصحراء الوصول إلى المدن السودانية، أصبحت بعض المناطق في الطرق المؤدية إليه مستقراً لهم يمارسون من خلالها أعمالهم التجارية[5]، ويظهر ذلك من خلال ما جاء عن "**أبي عبد الله محمد المقّري**" بقوله: "**فكان عبد الرحمن بسجلماسة وعبد الواحد وعلى ....بإيوالاتن، فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار وتزوجوا النساء واستولدوا الأماء....**"[6]، فتطورت هذه المناطق تدريجيا بفضل التجارة إلى محطات تنزل بها القوافل التجارية للراحة والتزود فيها بالمؤن والمواد التجارية المختلفة وتعمل على إعادة توزيعها وترويجها[7]، ثمّ شكّلت أسواقا تجارية تستقطب تجار شمال الصحراء

---

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص441، في حين ذكر البكري أنّ القوافل تسير مدة شهرين من سجلماسة إلى تغازة، المصدر السابق، ص149.

[2] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص673.

[3] **ينظر**: الملحق رقم 05، ص321.

[4] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص674- 677، الشيخ الأمين عوض الله، **تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي**، ضمن كتاب "تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر"، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد 1984، ص76، مزاحم علاوي، المرجع السابق، ص124.

[5] خالد بلعربي، تجارة القوافل، ص38.

[6] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص205.

[7] الحسن العماري، المرجع السابق، ص36.

وجنوبها، وتبرم فيها الصفقات التجارية المهمة، كما شكّلت أيضا سوقا استهلاكية للمواد التي يصدرها السودان الغربي[1]، فيظهر من خلال النص السابق "**لأبي عبد الله محمد المقّري**" أنّ أهم المراكز التجارية للشركة **المقّرية** هي:

- **سجلماسة:**

شكّلت سجلماسة مركزا تجاريا مهما في طريق القوافل التجارية المؤدية إلى بلاد السودان الغربي[2]، يقول عنها "**ابن حوقل**": "**أنّها كانت مركزا تجاريا هاما وبها أرباح متوافرة ورفاق متقاطره، وأهلها قوم سراء مياسير وأبنيتها كأبنية الكوفة**"[3].

ولعل هذه الأهمية التي اكتسبتها سجلماسة كممر تجاري للقوافل كان بفضل موقعها على الطريق الرابط بين مدن البحر الأبيض المتوسط وبلاد السودان الغربي، فهي تقع على بعد 200ميل أي حوالي 320 كلم إلى الجنوب الشرقي من فاس، كما تعدّ أقرب مدن المغرب إلى مصادر الذهب الموجودة بغانة[4]، بالإضافة إلى جرأة أهلها على دخول تلك الأراضي رغم صعوبتها[5].

فقد شكّلت مدينة سجلماسة منطلق القوافل إلى الشمال والشرق والجنوب، وأصبحت عبارة عن ميناء صحراوي تجتمع فيه مختلف البضائع المتبادلة بين منطقة البحر الأبيض المتوسط وبين بلاد السودان[6]، وقد اتخذ تجار الشركة **المقّرية** منها نقطة التقاء سلعهم المتبادلة بين مدن الشمال والسودان[7]، فتطورت نتيجة ذلك مكانتها إلى أن أصبحت من المدن المغربية القليلة التي تضرب فيها السكة الذهبية[8].

لكن ما تحسن الإشارة إليه أنّ الدّور الذي قامت به سجلماسة تراجع عمّا كان عليه من قبل، ولعل هذا راجع إلى تقلص دور السلطة المرينية في مراقبة المناطق الحيوية التي أصبحت تحت سيطرة

---

[1] الحسن العماري، المرجع السابق، ص35.

[2] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص153، الحسن العماري، المرجع السابق، ص36، عباس كريم، **الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي**، مجلة كلية التربية الإسلامية، جامعة بابل، ع4، أيلول 2010، ص51.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

[4] الاصطخري، المصدر السابق، ص ص34- 35، نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص110.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص90، نور الدين شعباني، المرجع السابق، 110.

[6] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 58.

[7] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص205.

-Maquet (J), Les civilisation noires, p221.

[8] نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص111.

عرب المعقل، فتأثر نتيجة ذلك نشاط الطريق التجاري المار عبرها، حيث فقد أهميته منذ أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وتوجهت مقابل ذلك القوافل التجارية نحو الجنوب الغربي للمغرب الأقصى، أين اضطلعت بعض المراكز الجديدة بالدور الذي كانت تقوم به سجلماسة في التجارة الصحراوية[1].

- **تغازة:**

تقع قرية تغازة جنوب مدينة سجلماسة بحوالي خمسة وعشرون يوما، فقد شكّلت هي الأخرى محطة للقوافل التجارية القادمة من سجلماسة ومن توات وطرابلس وغدامس وعين صالح في اتجاه بلاد السودان[2].

اشتهرت قرية تغازة بالملح الذي كان يشكّل مادة لبناء المنازل بها[3]، حيث كان تجار السودان يصدّرونه منها إلى مختلف مدن بلاد السودان[4]، وكذلك التجار المغاربة كانوا يأخذون منها الملح إلى السودان[5]، ولعله يرجع الفضل إلى الملح في إحداث الطريق الذي يمر بها ليصل بين مدن المغرب وبين مدن بلاد السودان، وكانت مدن الشمال تمونها بما تحتاجه من مواد غذائية[6].

وما تحسن الإشارة إليه أنّ قرية تغازة كانت تابعة لقبيلة مسوفة، وبسبب اهتمام السودانيين عادة بمعدن الملح فقد ضمتها امبراطورية سنغاي في عهد "**الحاج أسكيا محمد**" من سنة (899هـ/1493م) إلى سنة (935هـ/1528م)، وفي عهد السعديين قام المغاربة بضمها إلى ملكهم بالمغرب الأقصى وفرضوا عليها زكاة المعدن[7].

---

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص121، مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص153، الحسن بولقطيب، المرجع السابق، ج2، ص86، الحسن العماري، المرجع السابق، ص36.

[2] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص ص59- 60.

[3] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص69.

[4] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص60.

[5] الشيخ الأمين، المرجع السابق، ص64، عباس عبد الكريم، المرجع السابق، ص51

[6] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص60.

[7] لطيفة بشاري، المرجع نفسه، ص60، عباس عبد الكريم، المرجع السابق، ص51.

- **إيوالاتن:**

وتعرف أيضا بولاتة[1]، يذكر "**ابن بطوطة**" إيوالاتن بأنّها أول عمالة السودان[2]، قام بتأسيسها تجار غانة الملقبين ب(الونغازة) في مكان يدعى (بيرو) شمال غانة[3] في طريق القوافل القادمة من سجلماسة على مسيرة حوالي شهريين منها[4]، وهي تبعد عن تمبكتو غربا بحوال 450كلم، وعن المحيط الأطلسي شرقا بحوالي 900كلم، ولعل هذا الموقع الجغرافي جعل منها مركزا تجاريا يقصده التجار المغاربة[5]، وأغلب سكانها من مسوفة، أين كانوا يمارسون مهنة أدلاء القوافل التجارية في الصحراء[6]

ولما كانت إيوالاتن تعد المحطة النهائية لعابري الصحراء، بحيث عوضت الدّور الذي كانت تقوم به أودغست المندثرة والمسيطرة على موقعها من طرف عرب المعقل، الذين أضحوا يشكّلون خطراً على القوافل[7]، أصبحت تابعة لإمبراطورية مالي، كما استقرا بها اثنان من أسرة **المقّري** كما سبق الإشارة إلى ذلك من قبل "**عبد الواحد**" و"**علي**"، فأقاموا علاقة مباشرة مع ملك مالي " **منسى موسى**" (1307م/1332م) عندما هاجم المدينة "**منسى علي**" ملك التكرور، فأمنّهما "**موسى**" وسهّل لهما أنشطتهم التجارية، وصارا يمونانه بما يحتاجه من بضائع[8]

وما تحسن الإشارة إليه أنّه منذ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) وبداية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي)، أخذت المدينة تضمحل، حيث تم الاستيلاء

---

[1] يحدد موقعها اليوم بموريطانيا، رجاء العودي عدوني، المرجع السابق، ص139.

[2] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص676.

[3] تم اختيار هذا المكان لأغراض أمنية، فوجوده على الحدود بين السافانا والصحراء الكبرى وعلى بعد شهريين من سجلماسة جعلها المدينة الأقرب من بلاد المغرب، كما جعلها هذا الموقع بمثابة مفترق طرق كثيراً ما يعبره التجار وأهل السودان الذاهبون للحج، نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص119.

[4] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص676، لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص60، نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص110.

[5] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص162.

[6] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص62.

[7] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص676.

[8] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص206، لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص62، مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص271.

عليها من طرف الطوارق عام (838هـ/1433م)، الذين فضّلوا تطوير تمبكتو على حسابها[1]، فبدأ التجار بمن فيهم المغاربة يتخلون عنها ويتوجهون نحو تمبكتو وغاو[2]، حتى إذا زارها "**حسن الوزان**" في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وجدها قد أصبحت عبارة عن مملكة صغيرة متواضعة الإمكانيات[3]، ثم اضمحلت أكثر في عهد مملكة سنغاي.

3.أثر الشركة المقّرية على الحياة العامة بتلمسان والمناطق الصحراوية:

من المؤكد أنّه كان للشركة **المقّرية** أثر في تمتين الروابط والصلات التجارية بين تلمسان والسودان الغربي، فقد كان لها الفضل الكبير في تموين المنطقتين بما تحتاجه من سلع، بحيث أفادنا "**أبو عبد الله المقّري**" ببعض المعلومات حول التنظيم الذي اعتمدته الشركة فيما يخص دراسة حاجة المنطقتين: تلمسان وبلاد السودان الغربي، والاهتمام بالعرض والطلب ومعرفة أحوال السوق[4]، أين لجأ تجار الشركة إلى ممالك السودان الغربي لجلب النادر من السلع، والتي كانت في الحقيقة موجهة للتصدير نحو أوربا، في حين شملت صادرتهم نحو السودان سلعا وبضائع متنوعة غير منتجة ببلاد السودان وذلك حسب ما يرسم لهم من السلع المطلوبة، وكان بعض هذه السلع مغربية والأخرى مشرقية، فضلا عن السلع المستوردة من أوربا حملها تجار الشركة **المقّرية** عبر الطرق التجارية التي تربط تلمسان بالسودان الغربي.

فمن بين أهم السلع التي استوردتها الشركة **المقّرية** الجلد[5]، ولاشك منها جلود الماعز المدبوغة التي يصنع منها الخفاف للملوك، والتي كان قسم منها يوجه للتصدير نحو أوربا[6]، بالإضافة إلى جلود أخرى كجلود الفنك واللمط[7].

---

[1] نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص110.

[2] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص62.

[3] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص162.

[4] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص206.

[5] أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص205.

[6] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص204.

[7] **اللمط**: هو حيوان يقول عنه "ابن سعيد المغربي" أنّه يشبه الغزال، لكنه أغلظ منه ويصبر على العطش، ويصنع من جلده الدرق التي تعد أمتن وأشدّ الدرق، وقد اشتهرت به مدينة نول في جنوب المغرب الأقصى، المصدر السابق، ص113.

وعلى غرار تجار بلاد المغرب جلب تجار الشركة **المقّرية** العاج[1] الذي كان يجلب من مناطق الغابات الجنوبية الاستوائية حيث يعيش حيوان الفيل وحيد القرن[2]، ويؤكدّ "**حسن الوزان**" أنّ سكان غانا أجهدوا أنفسهم في اصطياد الفيلة الموجودة بالمناطق المطلة على نهر النيجر والممتدة بينه وبين بحيرة تشاد، ليبيعوا أنيابها للتجار المغاربة[3]، الذين كانوا يستخدمونه في ميادين عديدة مثل الترصيع وحشو المنابر، كما يدخل في صناعة الأثاث الفخم، وكان الأوربيون يقبلون على شرائه لاستخدامه في صناعة تحف المعابد والتماثيل وأيادي المقاعد والعصي، وفي بعض الأحيان يطحن ليدخل في بعض المواد الطبية[4].

وإلى جانب ذلك أيضا كان تجار الشركة **المقّرية** يبعثون من الصحراء الجوز الذي يأتى به من منطقة الغابات وراء الصحراء، وكان يباع بكثرة في تلمسان[5]، وريش النعام الذي اشتدّ عليه الطلب من قبل أهل الطبقات العليا في المجتمع الزياني والمغربي عامة، بعد أن باتوا يتخذون منه مراوح للتهوية أو للزينة في البيوت والقاعات، كما استعملوه في حشو الأرائك والمخدات[6]، وكان يصدر جزء هام منه إلى أوربا خاصة ميروقة[7].

وقد شكّل التبر أهم السلع التي استوردها تجار الشركة **المقّرية** من بلاد السودان الغربي، الذي كان متوفرا بمنطقة غاو وأودغست وغانة التي تعتبر أهم المدن الممونة للذهب، إذ يشير "**البكري**" إلى أنّ أفضل ذهب بلاد غانا ما كان بمدينة غيراو[8] [9]، واتفق كل من "**الادريسي**"

---

[1] أحمد المقّري، المصدر السابق، ج5، ص205.

[2] لطيفة بشاري، المصدر السابق، ص229.

[3] حسن الوزان، المصدر السابق، ص258.

[4] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص229.

[5] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص205.

[6] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص230.

[7] Dofour, op.cit, p135.
- Dhina (A), Les etats, p367

[8] **غيراو**: تقع إلى الغرب من مدينة كومبي صالح، وتبعد عنها بحوالي 50كلم، الحميري، الروض المعطار، ص 427.

[9] البكري، المصدر السابق، ص176.

و"**ابن سعيد**" على أنّ سكان غانا جمعوا الذهب من جزيرة ونقارة[1] بعد انحسار مياه الفيضانات عنها[2].

وفي المقابل تنوعت صادرات الشركة **المقّرية** نحو بلاد السودان الغربي، فقد حمل تجار الشركة عددا من المواد الأساسية، ولاشك أنّ الملح كان في مقدمة هذه السلع، باعتباره أهم سلعة افتقدها السودانيين، فقد شكّل حاجة مهمة لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة لهم، أين كانت أهميته لا تقل عن أهمية الذهب بالنسبة للمغاربة، لذلك لم يبالوا في مبادلته بالذهب وزنا بوزن[3]، والتحكم في هذه المادة كان يعني بكل سهولة احتكار الذهب الآتي من الجنوب[4]، ويبرز "**الوزان**" هذه الأهمية والحاجة الماسة التي جعلت شعوب المنطقة يقايضونه بمعدن نفيس هو الذهب بقوله: "**عندما يأكلون الخبز فإنّهم يمسكون بقطعة ملح في يدهم فيلحسونها مع كل مضغة حتى لا يستهلكوه بكثرة**"[5].

ولربما أنّه زيادة على الملح قام تجار الشركة **المقّرية** على غرار تجار بلاد المغرب عامة بنقل سلع أخرى نحو السودان الغربي كالحلي الزجاجية، يقول "**ابن بطوطة**": "**والمسافر لا يحمل معه إلاّ قطع الملح وحلي الزجاج**"[6]، وكذلك التوابل وأنواع الأقمشة والحاجات المعدنية المستخدمة لديهم في حياتهم اليومية من مصنوعات المغرب، كزينة يتحلون بها أو كعملة يتعاملون بها[7]،

---

[1] **ونقارة**: تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة كومبي صالح، حددها في المنطقة المحصورة بين المصبات إلا أنّ الدراسات الحديثة تحددها في المنطقة المحصورة بين المصبات العليا لنهري السنغال والنيجر، ويرى الباحثين أنّ ونقارة هي مناجم منطقة بامبوك وبيور، وظلت منطقة ونقارة مجهولة ولم يعرف بها لأهميتها كمنجم للذهب، الحميري، المصدر السابق، ص611، محمد علي ياسين حامد، المرجع السابق، ص ص80- 84، مزاحم علاوي، المرجع السابق، ص134

[2] الادريسي، المصدر السابق، ص24، ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص93.

[3] عباس عبد الكريم، المرجع السابق، ص53.

[4] الحسن العماري، المرجع السابق، ص37.

[5] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص280.

[6] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص68.

[7] ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص577، ص ص692- 695، الادريسي، المصدر السابق، ص39، ابن سعيد، المصدر السابق، ص114، حسن الوزان، المصدر السابق، ص97، نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص126، مزاحم علاوي، المرجع السابق، ص127، عباس عبد الكريم، المرجع السابق، ص53.

-Dhina, op.cit, p366.

بالإضافة إلى القمح، فقد قيل أنّ أغلب قمح السودان وشعيره من المغرب[1]، فضلا عن الكتب التي شكّلت هي الأخرى أهم أصناف التجارة في السودان الغربي، والتي كانت تباع بأسعار مرتفعة خاصة في المراكز الثقافية كتمبكتو وجنى التي كانت تتلقف كل ما يأتي به التجار من مختلف أنواع الكتب[2].

ومما لاشك فيه أنّ تجارة الشركة **المقّرية** مع المناطق الصحراوية قد وفّرت لتلمسان عموما مداخيل كبيرة، حيث شكلت تجارة الذهب التي كانت رائجة ببلاد السودان الغربي[3]، دورا هاما في الاقتصاد الزياني فقد أعتبر عمود صادراتها[4]، فلاشك أنّها ساهمت في إثراء تلمسان والتلمسانيين لدرجة أن أصبح فيها أمراؤها قادرين على منح قروض لغيرهم[5]، وربما كان لها الفضل أيضا في الرفاهية التي عرفها السودانيين من خلال استيرادهم للذهب الذي شكّل تصديره بالنسبة للسودانيين عاملا كبير الأهمية في تاريخهم، إذ جلب لهم التجار وأخرجهم من عزلتهم، فكان له الفضل خلال العصر الوسيط في قيام تلك الامبراطوريات بها[6].

ومن أثر الشركة **المقّرية** على الحياة الاقتصادية بتلمسان أيضا وحتى بلاد السودان أن تطورت بها صناعات مختلفة مثل صناعة المعادن والأقمشة وأصبحت سوقا للمنتوجات السودانية[7]، بحيث يرى "**قودينهو**" أنّ وصول الذهب إلى مدن المغرب الإسلامي دفع سكانه إلى القيام بحركة تصنيعه قائمة على المواد التي يقبل عليها أهل السودان[8].

---

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص453، لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص197، مزاحم علاوي، المرجع السابق، ص127، نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص126.

[2] علي حامد، المرجع السابق، ص105، عباس عبد الكريم، المرجع السابق، ص54.

[3] الزهري، المصدر السابق، ص ص121- 122، علي حامد، المرجع السابق، ص93، عبد الكريم حساين، المرجع السابق، ص95.

[4] المقري، نفح الطيب، ج5، ص205، مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج5، ص272، بودواية مبخوث، العلاقات الثقافية والتجارية، ص328.

[5] نلمس ذلك من خلال الرسالة التي كتبها "أبو تاشفين الأول" إلى جاك الثاني" ملك أراغونة يقول فيها: "إذا قبلتم بشروطنا سوف ينعقد السلام بيننا وبينكم، وإذا كنتم بحاجة إلى أن نقرضكم الذهب سنفعل"، لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص119، عطاء الله دهينة، الجزائر في التاريخ، ص487.

-Dhina, Les Etats de l'occident, p503.

[6] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 218، نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص121.

[7] لطيفة بشاري، المرجع نفسه، ص 218.

[8] Godinho, OP. cit, p111.

ومما لاشك فيه أنّ أثر الشركة **المقّرية** لم يقتصر على الجانب الاقتصادي لتلمسان فحسب، بل تعاده إلى جانبها الاجتماعي، أين ساهموا في تشكيلة المجتمع التلمساني من خلال تجارة العبيد التي شكّلت إحدى أهم السلع المستوردة من السودان[1]، نظراً لكثرة الطلب عليها وذلك لاستعمالهم في الجيش كمحاربين وفي بعض الصناعات والحرف والأعمال الفلاحية كالحرث، كما استخدموا كخدم في المنازل[2].

هذا، ونتيجة للتنظيم الجيد الذي عرفته الشركة التجارية **المقّرية** فقد أصبحت تتحكم في الطرق التجارية التي تربط بين تلمسان والسودان الغربي، حيث سمح لها الموقع الذي بسطت عليه نفوذها، أن تدخل ضمن دائرة التجارة الدولية إذ كان التجار يتجهون من تلمسان في الشمال باعتبارها معبراً لكل التيارات الجنسية القادمة من أوربا نحو سجلماسة، ومنها نحو الصحراء[3]، فكان من أثر ذلك أن ازدهرت التجارة بين الأقاليم الثلاثة ونمت أرباح الشركة **المقّرية** وتضاعفت أموالها حتى فاقت الحد، ولعلّ أهم عامل ساهم في ذلك هو تقربهم من ملوك تلك المناطق، إذ وصّلوا صلتهم بهم واستوثقوا منهم، ممّا مكنّهم من ممارسة تجارتهم في جميع الجهات والنواحي، فتذللت لتجارتهم الوسائل والسبل، وفي ذلك يقول "**المقّري**": «**واتصل أحد الأخوين بملك التكرور[4] ولاطفه، وتقرّب منه فمكّنه من ممارسة التجارة في جميع مملكته...فنمت أرباحهم وتضاعفت حتى فاقت الحد، وكادت تفوت الحصر والعد**»[5]، فلم تكن المخاطر المحدقة بالتجار المقّريين خاصة والمغاربة بصفة عامة بالكثافة والخطورة لتمنعهم من التجارة، بينما كانت الامتيازات التي يحصلون عليها قد ساعدتهم على تنمية رؤوس أموالهم، وهو ما أشار إليه "**ابن خلدون**" بقوله: "**نجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالا لبعد طريقهم ومشقتة واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف**

---

[1] محمد الشريف، المرجع السابق، ص155، الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ج2، ص95.

[2] مرمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص300.

[3] نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء، ص274.

[4] هم قبيل من السودان تنتسب إليهم بلاد تكرور في أقصى جنوب المغرب وأهلها أشبه بالزنوج، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص399.

[5] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص193.

والعطش"[1]، ولم تقتصر هذه الأهمية على تجار الشركة **المقّرية** فقط، بل كانت مصدر رزق للقبائل الصحراوية التي كانت تقوم بحماية وإرشاد القوافل.

فضلا عن ذلك ساهمت الحركة التجارية للشركة **المقّرية** وبشكل فعال في استمرار وتطور المناطق الصحرواية كسجلماسة وايوالاتن نتيجة استقرارهم بها، ولما قدموه لها من أهمية اقتصادية[2]، مما كان له أثر كبير على حياة سكانها لتصبح مع الوقت مراكز تجارية تقصدها القوافل للبيع والشراء والتزود بما تحتاجه لإكمال طريقها نحو مراكز أخرى، كما أنّهم جسدوا في ذلك جزءا هاما من الكثافة البشرية لها مساهمين في مختلف التنمية العمرانية والاجتماعية، وهذا ما نلمسه من خلال ما أشار إليه "**أبو عبد الله محمد المقّري**" بقوله: "**اتخذوا بها الحوائط والديار ، وتزوجوا النساء واستولدوا النساء**"[3]، وربما هو الأمر الذي يوضح لنا أنّ تأثيرهم لم يقتصر على التقنيات التجارية والحياة المادية فقط، بل لامس الكثير من المظاهر الحضارية والمعتقدات الجماعية للمجتمع السوداني، فحضور أفراد من الأسرة **المقّرية** بالمناطق الصحراوية وزواجهم من السودانيات كان مناسبة لخلق اختلاط دائم في الدماء، فساهم ذلك بلا شك في إدماج المغاربة في المجتمع السودان وتعلم لغتهم، وفي المقابل كانت لهم مساهمة في نشر الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية وتتطور العلوم الدينية ببلاد السودان، وذلك بفضل قوتهم التجارية وإشعاعها وتمثيلها للحضارة الإسلامية، وبما أنّ الكتابة أحد النقاط الهامة في جميع المعاملات التجارية، فقد عمل من دون شك التجار المقّريون على تعليمها للسودانيين بهدف التعامل معهم.

4.نهاية الشركة المقّرية:

لاشك أنّ حالة الازدهار تلك التي عرفتها الشركّة **المقّرية** لم تستمر في القرون اللاحقة، بحيث تراجع نشاط الشركة ودخلت مرحلة الاضمحلال خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، فحين ولد "**الجد**" "**أبو عبد الله محمد المقّري**" لم يبقى منها إلاّ القليل من جملتها خزانة كبيرة من الكتب، وقد عبّر عن ذلك بقوله: «**فلم يزل حالهم في**

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص321.

[2] محمد الشريف، تاريخ المغرب المريني، ص156.

[3] أحمد المقّري، نفح الطيب، ج6، ص205.

نقصان إلى هذا الزمن فها أنا ذا لم أدرك من ذلك إلاّ أثر نعمة، اتخذنا فضوله عيشا، وأصوله حرمة ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب وأسباب كثيرة تعين على الطلب»[1].

وإذا ما حاولنا مناقشة أسباب تراجع نشاط الشركة **المقّرية** لا بد لنا من العودة إلى ما ذكّره "**المقّري**" دائما بقوله: "**ولما درج هؤلاء الأشياخ جعل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم ولم يقوموا بأمر التثمير وصادفوا توالي الفتن ولم يسلموا من جور السلاطين**"[2].

فيظهر من خلال قوله أولا: أنّ كثرة الأرباح التي حققها مؤسسو الشركة **المقّرية** لم تدم مع الأبناء، فمما يبدوا أنّ هذه الأرباح لم تكن توجه للاستثمار في قطاعات منتجة، بحيث أخذوا ينفقون مما ترك لهم آبائهم دون العمل على الاستثمار والتنمية، فلاشك أنّ جزءا منها كان يصرف في اقتناء العقارات وبناء الدّور والقصور وشراء العبيد والخدم تقليدا للأمراء والحكام[3]، والجزء الآخر يصرف في الحاجيات الاستهلاكية بجميع أشكالها، وقد أورد لنا "**الادريسي**" نموذج عن ذلك يتعلق بتجار أغمات خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ولو أنّ هذا النموذج بعيد زمنيا عن تجار الشركة المقّرية، لكن من الممكن أن ينطبق عليهم، بحيث بيّن فيه كيف يتصرف هؤلاء التجار في الأموال الخاصة من التجارة فيقول: "**إنّ الرجل منهم إذا ملك أربعة آلاف دينار يمسكها مع نفسه، وأربعة آلاف دينار يصرفها في تجارته**"[4].

فلاشك أنّهم كانوا يعيشون في مستوى عال من الاستهلاك والتبذير، ومما يدل على ذلك اتساع منازلهم ووضع علامات خاصة على أبوابها وإحاطتها بالبساتين والتفنن في بنائها وهندستها[5]، إنّه نموذج عيش يقارب أو يضاهي عيش الأمراء والحكام، فقد كانوا يتمتعون بمستوى معيشي راق جدا نتيجة الأرباح التي يحققونها من وراء ترويج منتجاتهم التجارية، فنافسوا بذلك أصحاب المناصب العليا من ذوي الدخل الكبير[6]، وبالتالي انعكس ذلك سلبا على تجارتهم.

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص194، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص206.

[2] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص194، أحمد المقّري، المصدر نفسه، ج5، ص206.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص215، فؤاد طواهرة، المرجع السابق، ص71.

[4] الادريسي، المصدر السابق، ص232.

[5] الادريسي، المصدر نفسه، ص232.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص215.

ناهيك عن الفتن والحروب التي عرفتها المنطقة، فقد ارتبط النشاط التجاري بالأحوال السياسية[1]، فمتى توفر الاستقرار السياسي الداخلي والخارجي ازدهرت التجارة، ومتى انتشرت الفوضى والاضطرابات والتمردات تأثرت التجارة بذلك سلبا، بحيث نجد الحروب تؤثر على النشاط التجاري على ثلاث مراحل، قبل قيامها بسبب ما تكلفه من تعبئة للأقوات والأموال والناس، وخلال قيامها بسبب الأضرار والخسائر الناجمة عن الحرب، وبسبب خوف التجار الذين يلجؤون خلال الأزمات إلى إخفاء أموالهم ومقاطعة المناطق الخطرة، أما بعد قيامها فلأنّه لابد من مرور وقت طويل لتعويض الخسائر[2]

وبما أنّ تلمسان عاشت فترات من السلم والهدوء وفترات من الحرب والاضطراب فقد انعكس ذلك على النشاط التجاري بها، فقد عرفت الكثير من الهزّات نتيجة سعي المرينيين خاصة للاستيلاء على الدولة الزيانية، حيث احتدم الصراع بين الزيانيين والمرينيين بهدف السيطرة على سجلماسة باعتبارها أهم مركز لعبور التجارة الصحراوية[3]، ومن خلال الحصارات التي كانت تفرض عليها[4]، والتي خلّفت أضرارا اقتصادية وبشرية وخيمة على تلمسان، يمكن تصور حجم الخسائر التي تعرضت لها تجارة المغرب عامة وتلمسان على وجه الخصوص جراء تعطل الحياة التجارية بها خلال فترات الحصار، خاصة وأنّ تلمسان كانت مركزا تجاريا له مكانة خاصة في التجارة المغربية والصحراوية.

هذا، وقد أثّرت الصراعات في الأسرة الزيانية الحاكمة على التجارة، لما ينجر عن ذلك من قطع للطرق، حيث انعدم الأمن في الكثير من الأحيان وانتشرت ظاهرة اللصوصية وقطع الطريق في العديد من الطرق التجارية[5] والمناطق البعيدة عن مركز الدولة والمناطق التي تتحكم فيها القبائل

---

[1] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص144.

[2] عثمان المنصوري، **تأثير الحروب على النشاط التجاري بمغرب القرن السادس عشر**، ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج2، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، مطبعة فضالة، المغرب، 1995، ص175.

[3] أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي، ص26، أحمد عزاوي، قضايا تاريخية، ص ص151- 154، محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص34.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص100، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ص310- 311، ابن الأحمر، روضة النسرين، ص61، **ينظر**: الفصل الأول من الباب الأول من الدراسة، ص27، ص30.

[5] خالد بلعربي، تجارة القوافل عبر الصحراء، ص 39.

-Atallah dhina, op cit, p 358.

العربية، حتى أنّ "**حسن الوزان**" يسجل في بداية القرن السادس عشر الميلادي "أنّه من النادر إيجاد بعض الطرق المضمونة في هذا البلد" [1]، الأمر الذي أدى من دون شك إلى ضعف نشاط الطرق التجارية كطريق سجلماسة[2]، وكمثال على ذلك اغارة الأعراب من بادية السوس خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي على سبيلي الطريق الرابط بين سجلماسة وإيوالاتن واعتراض رفاقها، الأمر الذي جعلهم يتركوا ذلك الطريق وينتهجون الطريق إلى بلاد السودان من أعلى تمنطيت، فأخذت مدينة سجلماسة نتيجة ذلك تضمحل شيئا فشيئا عندما انتشر الأعراب في الطريق الرابط بينها وبين تلمسان، لأنّ التجار اضطروا إلى تحويل طريقهم إلى توات[3]،كما أنّ مدينة إيوالاتن هي الأخرى أخذت تضمحل منذ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، لأنّ التجار بمن فيهم المغاربة بدأوا يتخلون عنها ويتوجهون إلى تمبكتو وغاو[4]، فكان من الطبيعي أن يتراجع نشاط الشركة **المقّرية** بتراجع المراكز التجارية التي كانت مستقرا لتجارها كسجلماسة وإيولاتن.

وبإمكاني إضافة عامل آخر ألا وهو دور اليهود في الوساطة التجارية، فقد عرفت الدولة الزيانية في هذه المرحلة سيطرة العنصر اليهودي على الوضعية الاقتصادية أين كانوا يحتكرون التجارة الصحراوية ويتصرفون في عائداتها من الضريبة، فرغم أنّ التجار المسلمون كانوا يحتكرون القوافل التجارية نحو السودان الغربي، إلاّ أنّ تمركز اليهود في المراكز الصحراوية التي تقع في طريق القوافل التجارية المتجهة نحو بلاد السودان[5]، جعلهم يستأثرون بدور الوسطاء التجاريين، وبالتالي تراجع دور الوكالات والشركات التجارية ومنها الشركة **المقّرية**.

---

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص122-123.

[2] الحسين عماري، المرجع السابق، ص ص35- 36.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص330-333، بشاري لطيفة، المرجع السابق، ص ص59-75.

[4] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص62.

-Coudray, op.cit, p250 .

[5] بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص 214.

خاتمة

خاتمـة:

أقدِّمُ في ختام هذا العمل الذي تناولت فيه موضوع "**الأسرة المقّرية بتلمسان من القرن 7هـ-13م حتى 10هـ-16م – دورها وأثرها-** " أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث، متبوعة ببعض الملاحظات:

اقتضى البحث أن أتحدث عن الظروف العامة بتلمسان خلال الفترة الزمنية الممتدة من القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي حتى القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي، باعتباره العصر التاريخي والبيئة الفكرية التي عاش بها أفراد الأسرة المقّرية، وقد شهد هذا العصر بتلمسان عاصمة الدولة الزيانية تحولات عميقة في مختلف الجوانب، فقد تميزت الحياة السياسية للدولة الزيانية في أغلب الفترات التي عايشها أفراد الأسرة المقّرية بالاضطراب والفتن، حيث شهدت المنطقة فترات ضعف وهيمنة أجنبية بسبب ما أصابها من هجمات الدولة الحفصية من الشرق والدولة المرينية من الغرب، إضافة إلى الفتن الداخلية بسبب التنافس على العرش، الأمر الذي أدى إلى ضعفها ودخولها تحت يد العثمانيين، كما سجل البحث أهم مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتلمسان خلال العهد الزياني.

أما الحالة العلمية بالمنطقة فلم تأخذ نفس منحى الحياة السياسية، فعدم توفر الاستقرار السياسي لم يؤثر على الازدهار الثقافي، إذ تميزت الحياة الفكرية في الفترة الزمنية الممتدة من القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي حتى القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي بنشاط ثقافي مستمر بتلمسان، ويعود ذلك إلى منافسة سلاطين الدولة الزيانية لملوك حواضر المغرب الإسلامي في المجال العلمي، وحرصهم على توفير شروط النمو الثقافي كتشجيعهم للعلماء وطلبة العلم، فضلا عن الرحلة في طلب العلم والاحتكاك بالعلماء الوافدين، فكان من نتائج ذلك انتشار المؤسسات التعليمية بتلمسان كالمساجد والمدارس والزويا والمكتبات وغيرها، كما تطورت مختلف العلوم العقلية والنقلية، وتبعا لهذا تزايد عدد العلماء والطلاب بتلمسان، الذين كانوا يتنقلون بكامل الحرية بين الحواضر الإسلامية، مما أتاح فرصة التلاقح والحوار والمناظرة والتعمق في البحث والإقبال على دراسة مختلف المؤلفات، كل ذلك ساهم في جذب

العلماء والأسر للاستقرار بها من كافة الجهات، فقد أضحى المناخ بها مهيأ لنشوء الأسر العلمية، والتي منها الأسرة المقّرية.

وباعتبار النسب مطلب جليل حضّت الشريعة الإسلامية على معرفته وتعلمه، فقد أبرزت الدراسة نسب الأسرة المقّرية وأصلها، فهي تلتقي في نسبها بالنسب الشريف، إذ أنّها تعود في حقيقتها إلى أصول عربية، فهي من الأسر المهاجرة من شبه الجزيرة العربية والتي استقرت ببلاد المغرب، فكانت أن اتخذت من مدينة مقّرة مستقرا لها، ومنها أخذت الأسرة تسميتها بالمقّرية.

أوضحت الدراسة أنّ الأسرة المقّرية استقرت بتلمسان نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجريين، إذ كان الجد الأول "**عبد الرحمن بن أبي بكر المقّري**" أول من انتقل من مقرة إلى تلمسان، فهو يعتبر النواة الأولى لتشكل البيت المقّري بتلمسان.

إنّ بروز هذا البيت وظهوره بتلمسان كان نتيجة حتمية لتظافر جملة من العوامل، بحيث كوّن الاشعاع العلمي الذي عرفته مدينة تلمسان المناخ العلمي الذي استفاد منه أفراد الأسرة المقّرية، زيادة على كونهم ينحدرون من أسرة تميزت بالعلم والمجد والثراء، الأمر الذي مكّنهم من التفرغ لطلب العلم والحرص على نيل شرفه واستمراره في أبنائها، كما وفّرت لهم الرّحلة العلمية التي قاموا بها إلى مختلف حواضر المغرب الإسلامي خاصة والمشرق عامة، هي الأخرى فرصة ثمينة في الاتصال المباشر بأشهر الشيوخ والإكثار منهم والاحتكاك بهم ومحاورتهم في بعض المسائل الفقهية، فقد استقت الأسرة المقّرية معارفها من جوانب مختلفة، أين قصد علمائها في مرحلة الطلب مراكز ثقافية متعددة داخل المغرب الإسلامي وخارجه، فارتقى نتيجة ذلك مستواهم العلمي إلى مستوى غيرهم من علماء المغرب الإسلامي، فشكّل بذلك انتساب أفراد الأسرة المقّرية إلى العلم تعلّما وتعليماً والاشتغال به إقراء وتأليفا وارتحالا، أحد أهم الأسس والركائز التي قامت عليها نباهة بيت المقّري.

سجلت لنا المصادر التاريخية ما حققه كل فرد من أفراد الأسرة المقّرية في شتى المجالات، وإن كانت قد أجحفت في حقّ البعض منهم أو قد تكون سكتت عن البعض الآخر، فرغم طول مكث "**أبو عثمان سعيد المقّري**" في التدريس والفتوى والخطابة، إلا أنّ التراجم تغافلت عنه

وعن الجهد الكبير الذي قدّمه، وقد غلبت شهرة الجدّ نظرا لسعة اطلاعه وكثرة حفظه وعمق آراءه وآثاره.

وعلى العموم نسجل أنّ علماء الأسرة المقّرية على غرار علماء تلمسان شاركوا في بعث النهضة العلمية بها وساهموا في ذلك إسهاما كبيرا، ولم يقتصر أثرهم على تلمسان فحسب، بل تعداها ليشمل المغرب والأندلس وحتى المشرق الإسلامي في القرون اللاحقة، وتتضح هذه المشاركة فيما يلى:

- التدريس، هذه هي الوظيفة الأولى التي عرف بها علماء الأسرة المقّرية سواء في تلمسان أو في غيرها من الحواضر التي حلوا بها، بحيث اهتموا بالعلم تعلما وتحصيلا وإرشادا وتوجيها وتكوينا للأجيال، فلم يتلوا عن هذه الوظيفة رغم تقلدهم لمناصب أخرى مثل القضاء مثلا، ولم يبخلوا بنشر علمهم وثقافتهم والاجازات عنهم على طلاب العلم الذين ازدحمت بهم حلقات درسهم في الفترة التي انتصبوا بها مدرسين، فحصل لهم فضل "من ترك علما ينتفع به"، أين انتفع بعلمهم خلق كبير من العلماء الذين كان لهم الدور الكبير في خدمة الفكر والعلوم الإسلامية، وقد تخطى إشعاع الأسرة العلمي حاضرة تلمسان إلى حواضر متعددة، وتكفي هنا الإشارة إلى أنّ الجد "**أبا عبد الله محمد المقّري**" اشتغل بالتدريس بالمدرسة "**المتوكلية**" بفاس و"**الجامع الأعظم**" بغرناطة، فتخرج على يده العديد من الطلاب الذين استفادوا من علمه منهم الإمام "**الشاطبي**" صاحب "**الموافقات**"، وعمد هنا إلى توضيح أحسن طرق التعليم والتلقي منّوها بأهمية الرحلة العلمية التي تثري زاد الطالب، كما اتخذ "**أبو عثمان سعيد المقّري**" من المسجد الأعظم بتلمسان منبرا لنشر علمه، وبثّ ما أتقنه من معارف جمّة، فكان من أهمّ أقطاب حركتها العلمية.

- المؤلفات والكتب: لقد غطت اسهامات علماء الأسرة المقّرية ميادين معرفية شتى ولو انحصر ذلك في شخصين فقط من علمائها، بحيث أثروا المكتبة الإسلامية بمصنفات هامة في شتى أنواع العلوم، من لغة وآداب ومنطق وتصّوف وأصول وفقه، هذا الأخير الذي نبغ فيه من بين علمائها الجد "**أبو عبد الله محمد المقّري**"، الذي كان تأليفه فيه من أهم ما ألّف وضرب فيه بسهم وافر متجاوزا حدود مذهبه المالكي، ووصل بعلمه إلى مستوى تقعيد القواعد الفقهية والربط

بالمقاصد الشرعية، فكان بذلك جديرا بأن يطلق عليه "**إمام فن القواعد**"، وبهذه الملكة الفقهية كانت له مواقف اجتهادية أظهر فيها ميله إلى الترجيح والاحتجاج وإبداء الرأي المدّعم ومخالفة غيره من الفقهاء أحيانا، فضلا عن ذلك كان لعلماء الأسرة المقّرية حضور علمي أيضا بمشاركتهم في تلك المناقشات والمباحثات العلمية التي أثبتوا فيها رسوخاً في العلم، وسعة فكر.

- توّصل البحث إلى أنّ دور علماء الأسرة المقّرية لم ينحصر في الأمور العلمية والفقهية فحسب، وإنّما كان لهم دور فاعل في المجال السياسي، سواء أكان ذلك على مستوى التأييد أو المعارضة، حيث نجد أنّ مشاركتهم في الحياة السياسية قد أخذت عدّة مظاهر؛ منها تقديم البيعة وقيادة الوفود والسفارات، وقد برز ذلك بصفة خاصة في شخص "**أبي عبد الله محمد المقّري**"، فضلا عن توليهم لعدد من الوظائف التي كانت تشرف عليها الدولة، الأمر الذي أظهر لنا أنّهم تعاملوا مع السلطة السياسية القائمة على أساس الأمر الواقع وعلى أساس تحقيق مصالح المسلمين الحقيقية والحفاظ على المصلحة العامة والوحدة الإسلامية، وهذا ما يظهر من خلال تقعيد "**أبي عبد الله محمد المقّري**" لذلك في كتابه القواعد.

وفي سير العلاقة السياسية بين علماء الأسرة المقرية والسلطة السياسية الزمنية، فقد أبرز لنا البحث أنّ علماء الأسرة المقّرية لم تمنعهم مشاركتهم السياسية من معارضة السلطة، وهو ما تمثل في انتقاد "**أبي عبد الله محمد المقّري**" للعلاقة القائمة بين العلماء والسلاطين، والتنديد بالممارسات السياسية الظالمة أي بالمفهوم الحديث "الحكم المطلق".

وتجلت مساهمة علماء الأسرة المقّرية أيضا من خلال تقلدهم لبعض الوظائف الدينية، فقد نالت حظوة وشرف منصب القضاء، بحيث تولى أكثر واحد من علمائها هذا المنصب، فقد تولى الجد "**أبو عبد الله محمد المقري**" "قضاء الجماعة" بفاس و"قضاء العسكر" لـ "**أبي عنان**"، وقد أثر عنه في قضائه عدله ونزاهته وصبره، فحمدت سيرته وأثنى الناس على طريقته، وتولى أيضا من علماء الأسرة "**أبي الحسن المقري**" منصب قاضي الحضرة بتلمسان، فكانوا مضرب المثل في العدالة وإحقاق الحق وإبطال الباطل، ولا يخافون في الله لومة لائم.

- كما توصل البحث إلى أنّ الأسرة المقّرية قد وفرت لتلمسان الأطر الدينية الضرورية من أئمة وخطباء ومفتيين، فقد سمح إلمام علمائها بالفقه لهم بالتصدّر للفتوى شأنهم في ذلك شأن علماء تلمسان وشأن كل عصر ومكان، فحاولوا إيجاد الحلول الدينية المناسبة لكل ما يعرض لهم من قضايا ونوازل في المعاملات المختلفة أو الأحوال الشخصية أو العبادات وغيرها مما شغل بال مختلف شرائح المجتمع المغربي، والتي احتوت بعضها كتب النوازل.

- أبرز البحث الدور المتميز الذي قام به علماء الأسرة المقّرية في الحياة الاجتماعية، بحيث تفاعلوا بشكل إيجابي مع عامة الناس من خلال التزامهم العملي بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن خلال حرصهم الشديد على المصالح العامة لأبناء المجتمع، كما أسهموا في حل المشكلات التي واجهت أفراد المجتمع، وقد تجلى ذلك من خلال مساهمتهم في حركة الإصلاح ضد بعض التيارات المنحرفة التي ظهرت في مجتمع المغرب الإسلامي فعملوا على تجنيب المجتمع من الوقوع فيها، فضلا عن إسهامهم في بعض الأعمال الخيرية، وبالتالي كانوا عنصرا فاعلا في المجتمع خدموه بأنفسهم وأموالهم وعلمهم.

كل ذلك يؤكد عظمة شخصية علماء الأسرة المقّرية، ويشهد لهم بأنّهم من أبرز العلماء الذين أنجبتهم تلمسان، فكان لهم جليل الأثر في إرساء دعائم النهضة العلمية وإقرار المذهب المالكي بها وبحواضر المغرب الإسلامي، وعلى العموم ساهمت الأسرة المقّرية في البناء الحضاري لتلمسان ولكل الحواضر التي حطّ الرحال بها أفراد الأسرة، فلم يقتصر دور هذه الأسرة على مجال واحد من مجالات الحياة بل سجلوا حضورهم في مختلف مناحي الحياة الحضارية العلمية والسياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما يظهر من خلال المنجزات التي تبقى شاهدا على كل فرد من أفراد الأسرة والتي ما يزال إلى يومنا هذا ينتفع بها.

كانت هذه أهم النتائج المتوصّل إليها من خلال هذا العمل، وفي الأخير نأمل أن يكون قد ساهم ولو بقليل في إماطة اللثام عن دور وأثار الأسرة المقّرية بتلمسان وحتى حواضر المغرب الإسلامي، وأن يكون لبنة من لبنات تاريخ تلمسان خاصة والمغرب الإسلامي بصفة عامة، وتبقى

للدراسة آفاق كالوقوف على آثار علماء الأسرة المقّرية وتحقيقها ودراستها من ذلك تحقيق كتاب "**بلوغ الآراب في لطائف العتاب**"، فضلا عن الكشف والتنقيب عن مخطوطات أخرى مفقودة.

والحمد لله الّذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، هو المستعان والموفق –آمين– والحمد لله ربّ العالمين.

الملاحق

أولا : الخرائط.

ثانيا : النصوص.

ثالثا: الجداول.

رابعا : رسومات بيانية.

خامسا : نسخ من أوراق مخطوطات.

سادسا : الصور.

أولا: الخرائط:

الملحق رقم01:دول المغرب الإسلامي بعد الموحدين من القرن7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م[1].

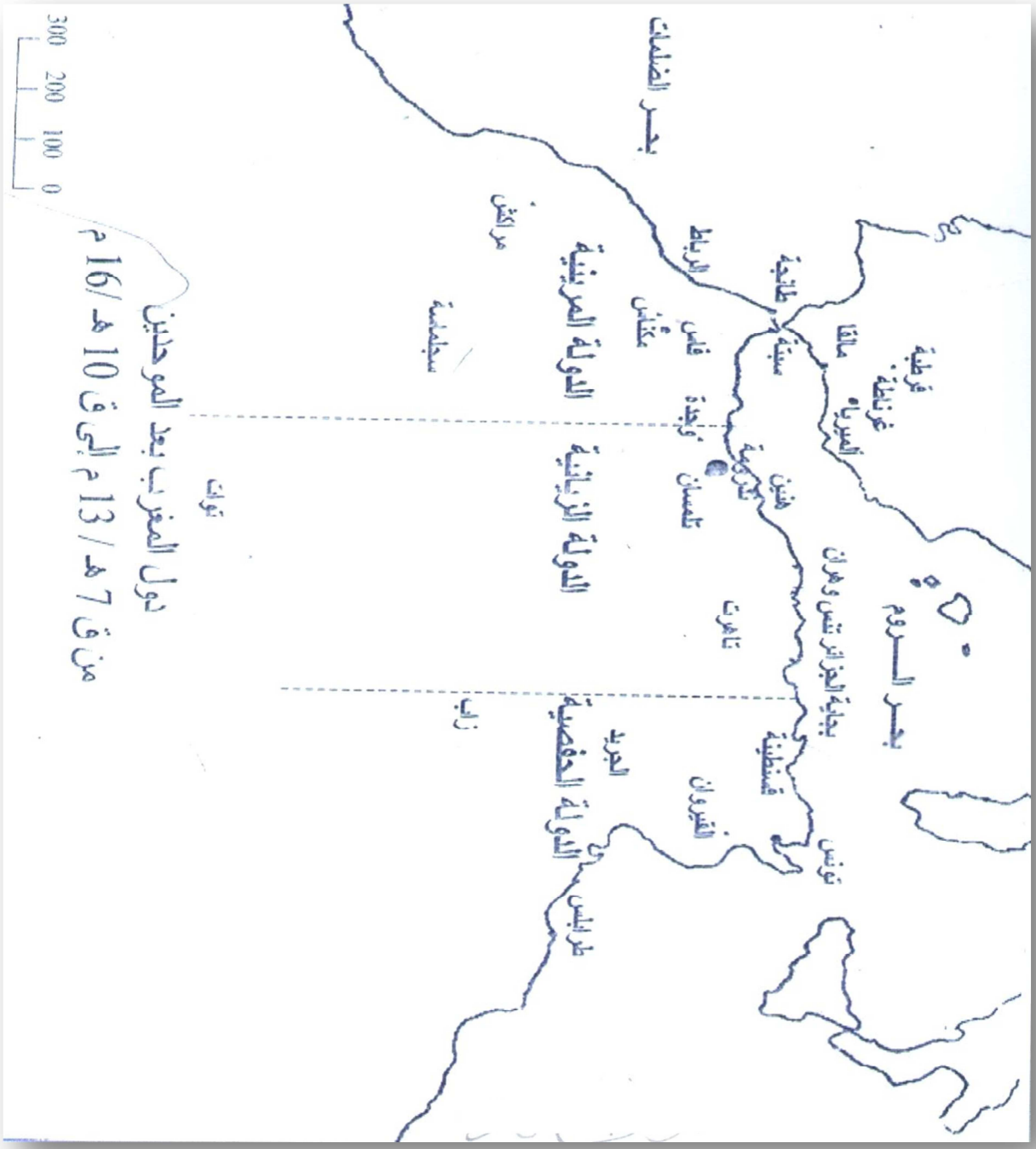

[1] نصر الدين بن داود، علماء أسرة المرازقة ودورهم الثقافي بتلمسان من ق7هـ-13م إلى ق10هـ16م ،ص150.

الملحق رقم 02: موقع مدينة مقّرة حسب الرحالة والجغرافيين[1].

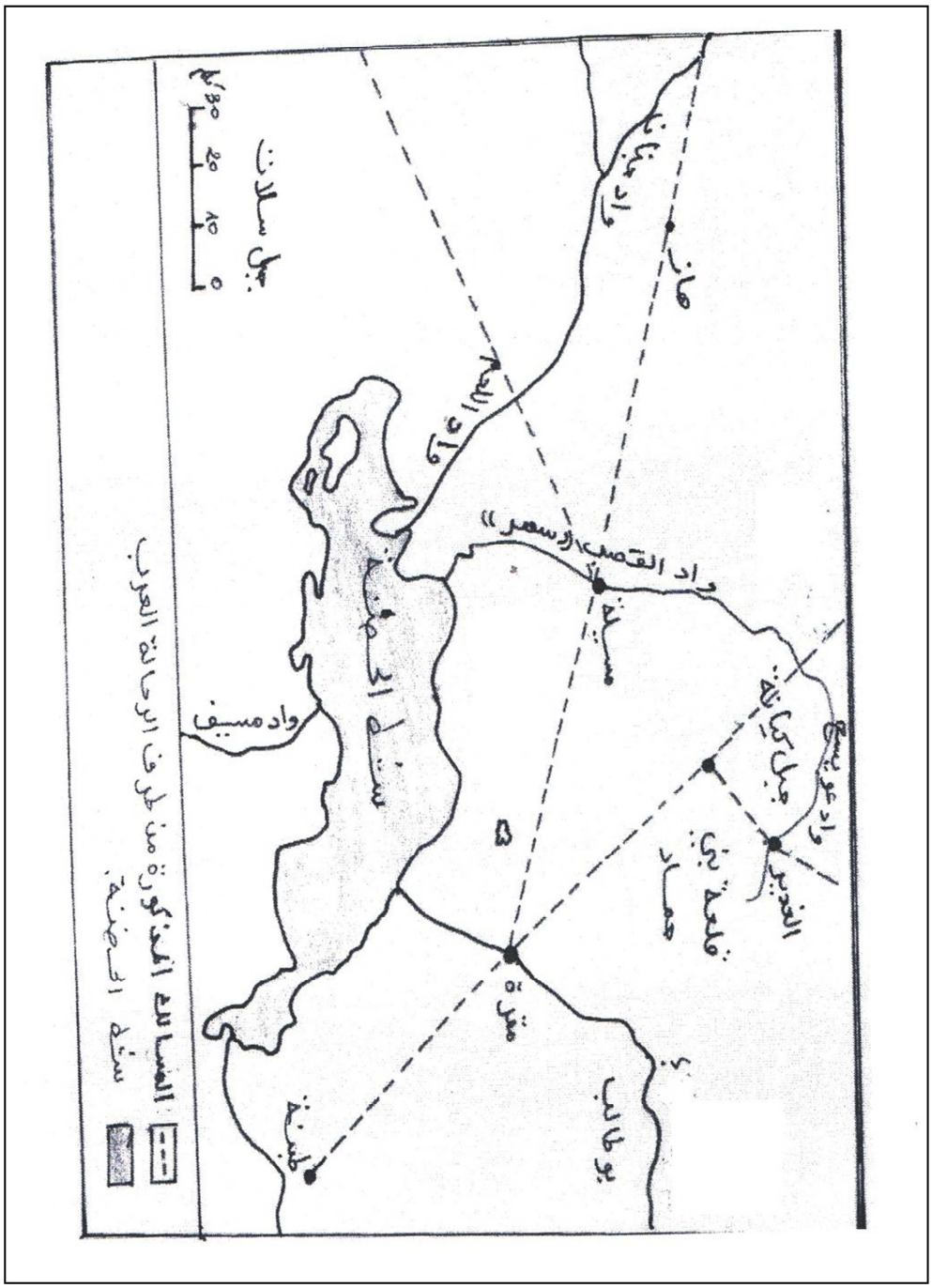

[1] انجاز الباحثة حسب ابن حوقل، المصدر السابق، ص85، الحميري، المصدر السابق، ص556.

الملحق رقم03: حركة الرحلات العلمية لعلماء الأسرة المقّرية إلى حواضر المغرب والمشرق الإسلاميين[1]

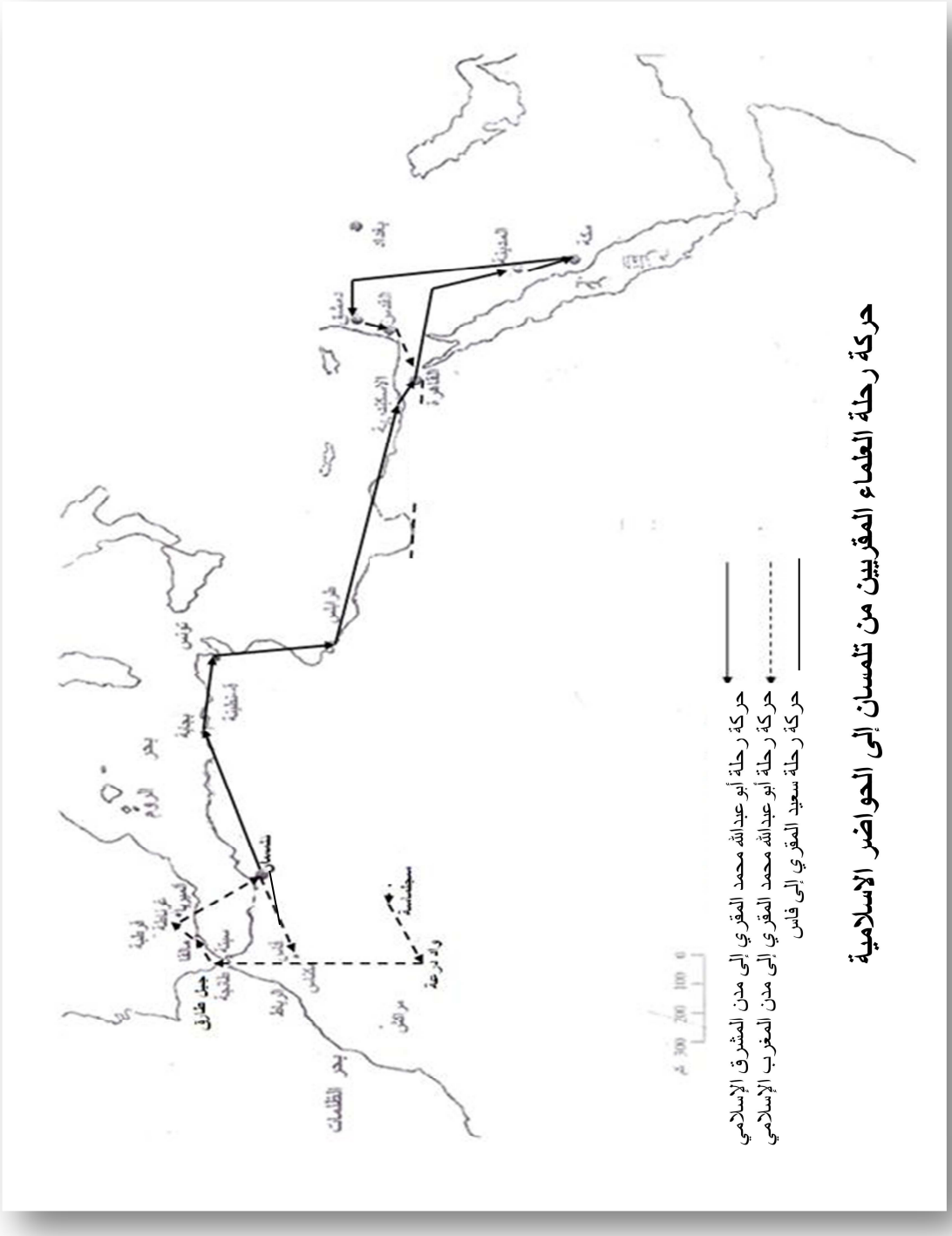

[1] انجاز الباحثة حسب أحمد المقّري، أزهار الرياض،ج5، ص ص73-75.

الملحق رقم 04: حركة الرحلة العلمية لأبي عبد الله محمد المقّري إلى حواضر المغرب الإسلامي[1]

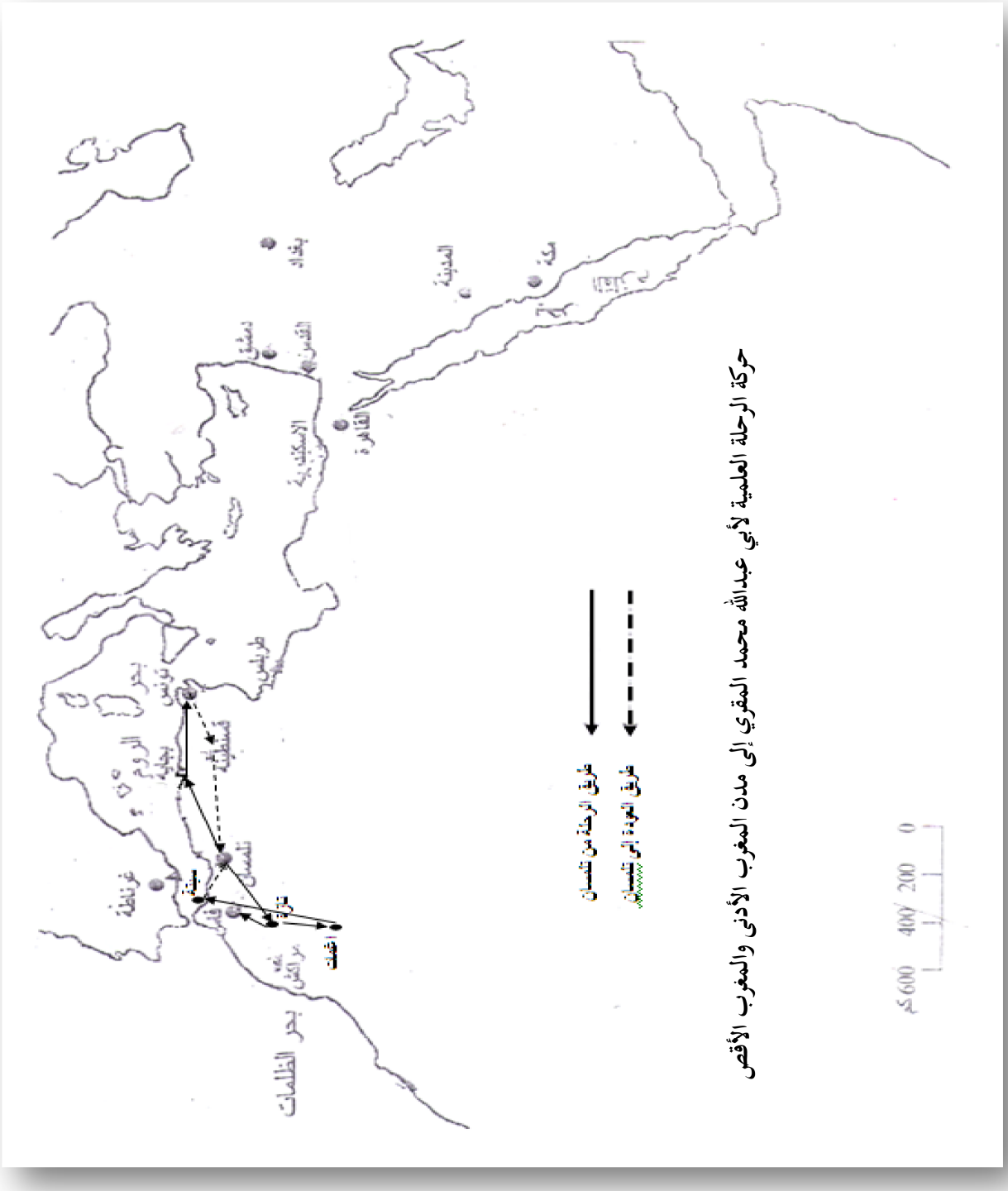

[1] انجاز الباحثة حسب أحمد المقّري، أزهار الرياض، ج5، ص ص69-72، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص ص 249-251.

الملحق رقم 05:حركة الرحلة التجارية للشركة المقّرية[1].

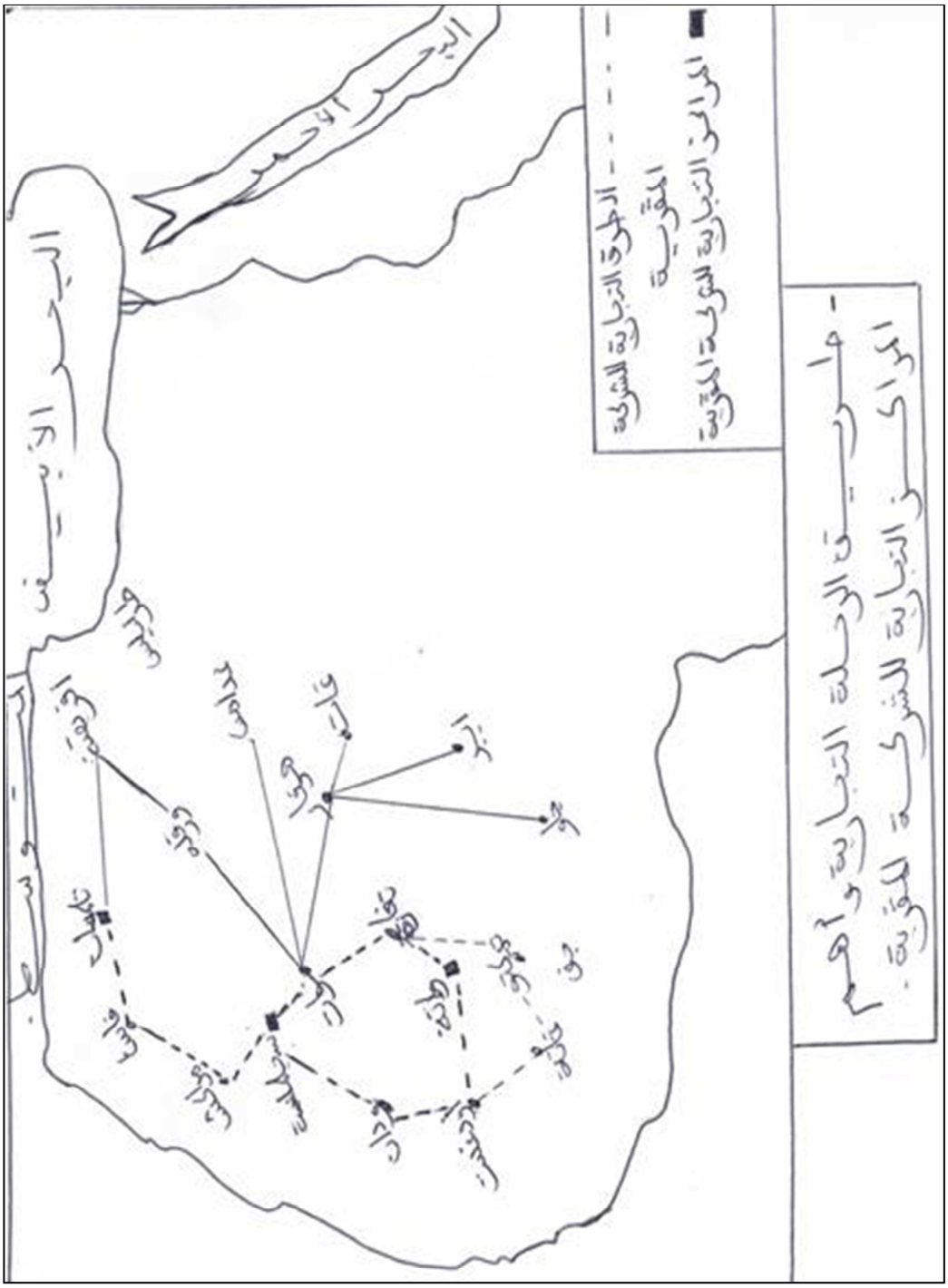

[1] انجاز الباحثة حسب أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، ص ص 204-205.

ثانيا: النصوص:

الملحق رقم 06: شفاعة سلطان غرناطة لدى السلطان أبو عنان لفائدة العالم أبي عبد الله محمد المقّري.

" وإلى هذا،- ((وصل الله سعدكم ،وحرس مجدكم،وضاعف نعمته لديكم))- ،فإنّنا وقفنا على كتابكم الكريم في شأن الشيخ الصّالح [الفقيه] الفاضل **أبي عبد الله المقّري**- وفّقنا الله وإيّاه لما يُزلف لديه،وهدانا لما يقّرب إليه-، وما بلغكم من تقاعده **بمالقة**، وما أشرتم ((به)) في أمره؛ فاستوفينا جميع ما قرّرتم،واستوعبْنا(جميع) ما أجملْتم في ذلك وفسّرتم.

واعلموا يا محلَّ والدنا- أمتعَنا الله ببقائكم الذي في ضمنه اتّصالُ السّعادة((المعادة))، وتعرُّف النّعم المعتادة-، أنّنا لما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه عن انشراح صدور وتكييفٍ جزلٍ بما تفضّلتم به وسرور، تعرّفنا أنّه تقاعدَ بمالقة عن صحبه ،وأظهر الاشتغالَ بما يخلّصه عند ربّه،وصرف الوجه إلى التّخلّي مشفقاً من ذنبه ،واحتجّ بأنّ قصْدَه ليس له سبب، ولا تَعيّن له في الّدنيا أرَب،وأنّه عرض عليكم أن تسمحوا له فيما ذهب إليه، وتُقرّوه عليه،فيعجّلا لبدار،ويمهّد تحت إيالتكم القرار؛ فلمّا بلغَنا هذا الخبر ،لم يخلق الله ((عندنا)) مبالاةً تُعبر، ولا أعددناه فيما يُذكر ،وقطعنا أنّ الأمر فيه هيّن، وأنّ/مثل/ذلك الغرض لا تَلتفت إليه عين، فإنّ بابكم غنيّ من طبقات أولي الكمال،مليٌّب توسيغ الآمال ،موفور الرّجال،معمورٌ بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام والحلال، والصلحاء أولي المقامات والأحوال، والأدباء فرسان الرّواية والارتجال، ولا يَنقص بفقدان الحصى أعدادُ الرّمال،ولا يستكثر بالقطرة جيش العارض المنثال، مع ما عُلم من إعانتكم على مثل هذه الأعمال،واستمساككم بإسعاف /غرض/ مَن صرف وجهه إلى الحلال ؛ ولو علمنا أنّ شيئاً يهجس في الخاطر ((من)) أمر مُقامه، لقابلناه بعلاج سقامه؛ثمّ لم ينشب أنْتَلاحقَ بحضرتنا بارزاً في طور التقالّ والتّخفيف، خالطاً نفسه باللّفيف، قد صار نكرة بعد العَلميّة والتعريف،وسكن بعض مواضع المدرسة منقبضاً عن النّاس، لا يظهر إلا لصلاة يشهد جماعتها،ودعوةٍ للعبادة يخاف إضاعتها.

ثم تلاحق أرسالكم الجلّة، الّذين تحق لمثلهم التّجلّة فحضروا لدينا، وأدّوا المخاطبة الكريمة كما ذُكر إلينا ،وتكلّمنا معهم في القضيّة، وتنخلّنا في الوجوه المرضية، فلم نجد وجهاٌ ((أخلصَ)) في هذا الغرض، ولا علاجاً يتكفّل ببرء المرض ،من أن كلّفناهم الإقامة التي يُتبرّك /بيُمن/جوارها،

ويُعمَلُ على إيثارها، بخلال ما نخاطب مَقامكم بهذا الكتاب الّذي مضمنّه **شفاعة** يَضمن حياؤكم احتسابَها، ويرعى انتماءَها إلى الخلوص وانتسابها،ويعيدُها قد أَعملت الحُظوةُ أثوابَها؛ ونقصدُكم ومثلكم من يُقصَد في المهمّة، فأنتم المثلُ الذّائع في عموم الحِلم وعلوّ الهمّة،بأن تصدروا له مكتوباً مكمَّل الفصول،مقرّر الأصول، يُذهب الوجل، ويرفع الخجل، ويسوّغ من مآربه لديكم الأمل، ويخلص النّيّة ويرتّب العمل،حتّى يَظهر ما لنا عند أبوّتكم من تكميل المقاصد،جرياً على ما بذلتم من جميل العوائد؛وإذا تحصّل ذلك كان بفضل الله إيابه، وأناخت بعقوة وعدكم الوفيّ ركابُه،ويحصل لمِقامكم عزُّه ومجده وثوابُه؛وأنتم ممّن يرعى أمور المجد حقّ الرّعاية، ويَجري في معاملة الله [تعالى]على ما أُسّس من فضل البداية،وتَحقّقِ الظّنون فيما لديه من المدافعة عن حوز الإسلام والحماية.

هذا ما عندنا أعجلْنا به الإعلام، وأعملْنا الأقلام، بعد أن أجهدْنا الاختيار وتنخلّنا الكلام؛وجوابكم بالخير كفيل،ونظركم لنا وللمسلمين جميل؛ والله تعالى يصل سعدكم، ويحرس مجدكم، والسلام ((الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته))[1].

[1] ابن الخطيب،كناسة الدكان، ص ص199-204، أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي(خلال القرنين 7و8هـ)، ص ص473-474.

الملحق رقم07: حصول المقّري على وعد بالأمان من أبي عنان بعد شفاعة سلطان غرناطة.

" **المقام الّذي يحسب الشفاعة ويرعى الوسيلة**، وينجز العدة ويتمّم الفضيلة ،((ويضفي مجده المنن الجزيلة))،ويعني حمده المادح العريضة الطّويلة ،مقام محلّ والدنا الذي كرم مجده،((ووضح سعده))،وصحّ في الله [تعالى]عقده ،وخلص في الأعمال الصّالحة قصده،وأعجز الألسنة حمده **السلطان ألكذا** ،{ابن السلطان ألكذا ابن السلطان ألكذا}،أبقاه الله لوسيلة ((يرعاها))، وشفاعة يكرم مسعاها ،وأخلاق جميلة تجيب دعوة طبعه الكريم إذا دعاها.

معظم سلطانه الكبير،وممجّد مقامه الشهير ،المتشيّع لأبوّته الرّفيعة قولا باللّسان واعتقادا بالضمير،المعتمد منه بعد الله على الملجأ لأحمى والوليّ النّصير،[[**الأمير**]] فلان،سلام كريم ،طيّب برّ عميم، يخصّ مقامكم الأعلى، و([وأبوّتكم الفضلى])،ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد حمد الله الذي جعل الخلق الحميدة دليلا على عنايته بمن حلاّه حلاها، وميّز بها النّفوس [[النّفيسة]]التي بكرامته وتولاّها،حمدا يكون كفؤا للنعم التي أولاها ؛**والصلاة** على سيّدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المترقي في درجات الاختصاص أرفعها وأعلاها،الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلاها، مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها؛ **والرضى** عن آله وصحبه الّذين خبر صدق ضمائرهم لمّ االبتلاها، وعسّل ذكرهم في الأفواه فما أعذب أوصافهم على الألسن وأحلاها؛و**الدّعاء** لمقام أبوّتكم –حرس الله[تعالى] علاها- بالسعادة التي يقول {الفتح} " أنا طلاّع الثّنايا وابن جلاها "،والصنائع التي تخترق المفاوز بركائبها المبشّرات فتفلي فلاها.

فإنا كتبناه إليكم-كتب الله [تعالى] ((لكم)) عزّة مشيدة البناء ، وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثّناء،وقلّدكم من قلائد مكارم الأخلاق ما يشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء-، **من حمراء غرناطة** حرسها الله ،والودّ باهر السّناء (ظاهرة الثّناء)، مجدّدّ (على) الأناء، والتشيّع رحب الدّسيعة والفناء.

وإلى هذا،- وصل الله سعدكم،وحرس مجدكم-، فإنّنا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الفقيه((الحافظ)) **الصّالح أبي عبد اللّه المقّ ّري** ،خار الله[تعالى] لنا وله ،وبلّغ الجميع من فضله العميم أمله، جوابا عمّا صدر عن مثابتكم فيه من الإشارة الممتثلة،والمآرب المعملة، والقضايا((غير))المهملة، نصادركم {في ذلك} بالشّفاعة التي مثلها بأبوابكم لا يرد وظمأها عن

مناهل قبولكم ولا يحدّ ولا يصدّ،حسبما سنّه الأب الكريم والجدّ، والقبيل الّذي وضح منه في مكارم الرّسم والحدّ، ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة، وتبلّج صبح الزّهادة و الفضيلة،وجود النّفس الشّحيحة بالعرض الأدنى البخيلة،وظهر تخيّله عن هذه الدّار،واختلاطه باللّفيف والغمار،وإقباله على ما يعني مثله صلة الأوراد ومداومة الاستغفار، وكنّا لما تعرّفنا إقامته بالمالقة لهذا الغرض الذي شهره، والقصد الذي أبرزه للعيان وأظهره، أمرنا أن يعتنى بأحواله، ويعان على فراغ باله، ويجرى عليه سيب من ديوان الأعشار الشّرعية وصريح ماله؛ وقلنا: ما أتاك من ((غير)) مسألة مستندٌ صحيح لاستدلاله؛ ففرّ من مالقة على ما تعرّفنا لهذا السبب، وقعد بحضرتنا مستور المنتمى والمنتسَب ،وسكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدّة لسكنى المتّسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطّلب، بحيث لم يُتعرَّف ورُودهُ ووصولُه الاّ منّن لا يُؤبَهُ بتعريفه،ولم تتحقق زوائدُه وأصوله لقلّة تصريفه.

ثم تلاحق إرسالكم الجلّة فوجبت حينئذ **الشّفاعةُ**، وعرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف البضاعةُ ،وقرّرنا ما تحقّقنا من أمره، وانقباضه عن زيد الخَلقْ وعَمْره واستقبالِه الوجهةَ التى مَن ولَّى وجهَه شطرَها فقد آثر أثيراً،ومن ابتاعها بمتاع الدّنيا فقد نال فضلاً كبيراً وخيراً كثيراً وسألْنا منكم أن تبيحوا ((له)) ذلك الغرض الذي رماه بعزمه ،وقصَر عليه أقصى همّه،فما أخلَقَ مَقامَكم أن يفوز منه طالبُ الدّنيا بسهمه،ويحصلَ منه طالبُ الآخرة على حظّه الباقي وقِسمه ،ويتوسّلَ الزّاهد بزهده والعلم بعلمه،ويعوّل البريئ على فضله ويثق المذنب بحمله.

فوصل الجواب الكريم بمجدَّد الأمان ،وهو أربٌ من آراب، وفائدةٌ من جراب،ووجهٌ من وجوه إعراب، فرأينا أنّ المِطْلَ بعد جفاء ،والإعادةَ ليس يثقلها إخفاء ،ولمجدكم بما ضمِنّا عنه وفاء ،وبادرنا {الآن} إلى العزم عليه في ارتحاله ،وأن يكون الانتقال {عن رضى منه} من صفة حاله ،وأن يقتضي {له} ثمرة المقصد، ويبلغ طيّه الإسعاف على الطّريق الأقصد، اذ كان([الأمان]) لمثله ممّن بجانب الله تعلّق من مثلكم حاصلا،والدّين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلاً وطالب كيمياء السعادة بإعانتكم واصلا؛ ولما مدّت اليد في تسويغ حالةٍ هديُكم عليها أبداً يحرّض، وعِلمُكم يصرّح بمزيّتها فلا يعرّض،فكمّلوا- أبقاكم الله- ما لا يسعنا فيه مساحةُ الكتاب وأَلحِقوا بالأصل حديث هذه الإباحة فهو أصحُّ حديث في الباب،((ووفّوا غرضَنا من مجدكم [[وجميل عهدكم]]وخَلُّوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب))،وقصدِ غافِرِ الذّنب وقابل التّوب بإخلاص المتاب، والتّشميرِ ليوم العرْض وموقف الحساب،وأظهِروا عليه عناية الجناب الذي تعلّقَ به –أعلق اللهُ به

يدكم-من جناب ،ومعاذَ الله أن تعود شفاعتُنا من لدنكم غير مكملة الآراب وقد بعثنا من ينوب عنّا في مشافهتكم فيها أحمدَ مناب ،ويقتضيَ خلاصها بالرغبة لا بالغلاب،وهما فلان وفلان؛ولولا الأعذار لكان في هذا الغرض إعمالُ الرّكاب،يسبق إعلام الكتاب؛وأنتم((تُولُون))هذا القصد من مكارمكم ما يوفّر الثّناء الجميل،ويُربي على التأميل، ويكتب على الودّ الصريحِ ((العقدِ)) وثيقةَ التسجيل، ([وهو سبحانه يبقيكم لتأييد المجد الأثيل])،وإنالة الرّفد الجزيل،والسلام الكريم [يخصّ مقامكم الأعلى /ومثابتكم الفضلى/ورحمة الله [تعالى] وبركاته.

{في الحادي والعشرين لجمادى الآخرة من عام [سبعة]وخمسين وسبعمائة}[1].

[1] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص ص205-208، أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص ص475-478.

الملحق رقم 08: نص طلب "ابن القاضي أحمد المكناسي " الإجازة من أبو عثمان سعيد المقري".

"الحمد لله الذي نزل أحسن الحديث، ورفع أهله العالمين في القديم والحديث، وقيض له نقاداً جهاذبة يذبون عن حوزته تحريف الجاهلين ويميزون بنقدهم الصحيح والحسن والضعيف والطيب من الخبيث، وبان لهم بذلك المرفوع من الموضوع، والمتصل من المقطوع، وقامت بهم ملكة يتحققون بها النبوءة فعلت بذلك درجات حملة السنّة ورواة الحديث، فلولاهم لامحت منه الرسوم، والتحق الموجودة بالمفقود والمعلوم بالمعدوم، وادلهمت وجوهه المشرقة ولا ميزت العروة الوثقا من السبب الواهي الرثيث، والصلاة والسلام على من ارتدا بالمجد وانتعل بالفضل الأثيل الأثيث، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الذين ورثوا عنه العلم فشرفوا بذلك التوريث"، "وبعد فيطلب العبد الضعيف الوجل من ذنبه المختشى، من السيد الكامل أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري القرشي، الذي ملك أزمة العلوم، وحاز قصب السبق في المنثور والمنظوم، أن يتفضل عليه بالإجازة العامة، الجامعة التامة، فيما لسيدنا من مروى ومقروء ومجاز ومسموع، وأن يتفضل بذكر مشيخته الأعلام من حماة الدين لأهل الإسلام، وأن يبتدئ بالمسلسل بالأولية حديث الرحمة ليكون أول مروى العبد عنه وله الفضل العميم والثواب الجسيم..."[1].

[1] أحمد المقّري، روضة الآس العاطرة الأنفاس، ص ص167-168.

الملحق رقم 09: نص إجازة "أبو عثمان سعيد المقري" لـ "أحمد ابن القاضي المكناسي".

إلاّ مرحبًا مثلما المسك نم وأهلاً وسهلاً كقطر الديـــــــم
وبشرا كنيل الغنا للعديم وكـــــالبرء بعد الضنا والسقـــــم
وكالوصل من بعد طول الصدود وكـــالنوم في عين من لم ينـــــم
بمن قد أتانا برجل الرسول وخاطبنا بـــلسان الـــقلـــــم
سليـــل ابن عافية أحمـــــد رئيس العلـوم ومبـدي الحكـــم
وقطب الثنـاء وشمس السماح وغيث النـوال وبـــحر الكـــــرم
سلام كأساس عليـاكـــــم كريم مـديد نـميم يعـــــــم
يروقكم حبره مـــــــقلة وقـرطاسه مبسما يتســـــــم
يخصكم ثم أحبابـــــــكم وكـل الذي حاز فضل القلـــــم
ومن بـعد ذا انني قاصر مقـر جهلي بين الأمـــــــم
واست بأهل لما قد طلبتم وما قـد ظننتم بنا من هـمـــــم
وطلب الاجازة من مثلنا أدل دليـل وأقـــــوا علـــــم
على أن أهل العلوم مضوا ولـم يبق منهم على الأرض فهـــم
ولكن أجزتكم مكرها ولا بطل بـــل لأمر مهـــــــم
بما صح عنا وجاز لنا رواية كل بـــشرط متـــــــم
فسوف يجيئك رسم بذاك إلى أرض فاس وقيت الألـــــم
وعشت سعيدا ومت شهيدا وساعـدك السعد بين الأمـــــم
ويطلب منكم سعيد دعاء بحسن خواتـمنا يختتـــــــم
كتبت بتاريخ تسع وألف مضت بعد هـــــجرة مجلى الظلم
عليه من الله أعلا صلاة وأزكا ســـــــلام وأنما كـــرم[1].

[1] أحمد المقّري، روضة الآس، ص ص268- 269.

الملحق رقم 10: نص موقف "أبو عبد الله محمد المقري من بدعة نداء الملوك بيا مولاي".

<<ومنها نداء الملوك بيا مولاي قال المقري:وهو لفظ لا يجد منادي ربه ما يكون منه بذلك أولى.ألا ترى أن الشيطان كيف لم يستطع حمل الإنسان عليه هجمه حتى استدرجه إليه ترتيبا ،فسول لبني العباس وأصحاب المهدي أن حملوا الناس على أن ينادوهم بالسيد ،لان العرب كانت فيهم سادات اقرهم الرع على ذلك حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : قوموا لسيدكم وقال: إن سيدكم لغيورواليس ذلك من الأسماء الحسنى ،لأن مالكا كره في رسوله،ولم يعرف ما روي من قوله عليه السلام السيد الله ،أو حمله على الإنكار على من ادعى السؤدد بالمقابلة كما قال عز وجل الله يستهزئ بهم.فهذا وما يشبه خفف العدو عليهم مخالفة السلف في طاعة كبرهم . فلما أطاعوه في إحدى الكبر،رماهم بأدهى منها أمر .

فإن قلت: في الصحيح: لا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي ومولاي، قلت: وفي الصحيح: لا يقل العبد لسيده مولاي فإن مولاكم الله. والجمع بينهما باختلاف معنى المولى فيهما .وقال أيضا في قواعده : وقد حسن الشيطان لكثير من العلماء تعليم أبناءهم ان ينادوهم بسيدي و مولاي كالعبيد ، وذلك استكبار عن الولد وتنزيل له منزلة العبد ، حتى سمعت بعض المغرورين منهم يقول: من قال في غيبة من لا يواجه الا بالتسويد أو التكنية قال فلان فقد اغتابه ،فحكم على السلف والخلف بالغيبة ليعظم شاهدا وغائبا سمح الله تعالى له ، وإنما حسن لهم ما يستدرجهم به الى رتبة وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ، كما فعل بالقسيسين والرهبان ، الا ترى أن بعض العلماء انتزع من هذه الآية وما بعدها أن الولد لا يكون عبدا ، فمن ملكه عتق عليه . كما انتزعت مثله في الزوجة من قوله تعالى جده لو أردنا أن نتخذ لهوا ، اي زوجا ، حتى قوله وله من في السموات و الأرض ،لإنه نافى به الزوجة والملك ، وقد حسن لهم فيها مثلها زين في الولد ، فأزواجهم ينادوهم بلفظ السيد والمولى كما أبناؤهم ، وقد كان لهم في إهلاك الملوك بذلك أكبر زاجر عن مثله ، لكنهم عموا عنه في غيرهم فأوقعه بهم .وقد اختلفت الأحاديث في قول العبد مولاي لسيده ، والواجب توقير أسماء الرب بالتفرد حتى يرد الاذن البين والوقوف عند موجب العلم والعمل >>[1].

[1] الونشريسي، المعيار، ج2، ص506.

الملحق رقم 11: نص فتوى أبو عبد الله محمد المقري" من لزمته يمين على نفي العلم فحلف على البت وجب عليه إعادتها".

"**وسئل** القاضي أبو عبد الله المقري رحمه الله من قبل السلطان أبي عنان رحمه الله فقال ما نصه: سألني السلطان نصره الله عمن لزمته يمين على نفي العلم فحلف جهلاً على البت هل يعيد اليمين أم لا؟

فأجبته: بإعادتها، وذكر أن من حضره من الفقهاء أفتوه بأن لا تعاد لأنه أتى بأكثر مما أمر به على وجه يتضمنه، **فقلت**: اليمين على وجه الشك غموس، قال ابن يونس الغموس حلف على تعمد الكذب أو على غير يقين، ولاشك أن الغموس محرمة منهي عنها، والنهي ، ويدل على الفساد، ومعناه في العقود عدم ترتب أثره عليه، فلا أثر لهذه اليمين ، ويجب أن تعاد، وقد يكون من هذا اختلافهم فيمن إذنها السكوت فتكلمت، هل يجتزئ بذلك والإجزاء هنا أقرب لأنه الأصل والصمات رخصة لغلبة الحياء.

فإن قلت: البت أصل ونفي العلم إنما يعتبر عند تعذره.

قلت: ليس رخصة كالصمات، وليس المحل بالذي يحرم فيه الكلام.

ألا ترى التثيب ولو تمسك بالأصل وجعل كلام الشيب للضرورة قلنا ليس التحريم كالتحريم والله أعلم[1].

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص60-61.

ثالثا: المخططات:

الملحق رقم12: مخطط يوضح شجرة نسب الأسرة المقرية[1].

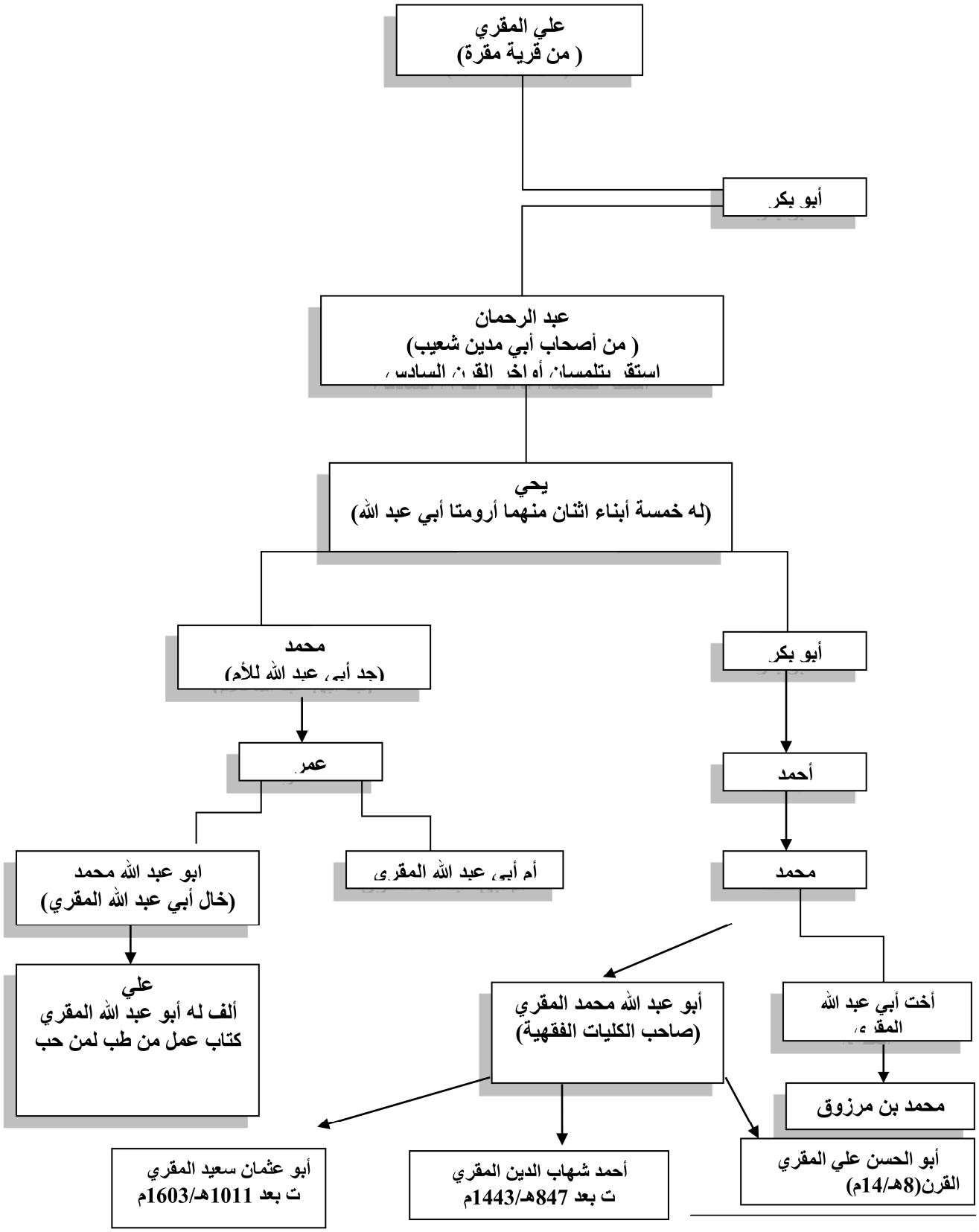

[1] أحمد المقّري، نفح الطيب،ج5، ص203، أبو الأجفان، المرجع السابق، ص27.

رابعا: الجداول:

الملحق رقم13: جدول يبين علماء الأسرة المقّرية المترجم لهم في الدراسة:

العالم	تاريخ ولادته	تاريخ وفاته	العلم الذي اشتهر به	وظيفته	المصدر
أبو عبد الله محمد المقّري	(710هـ/1310م)	(759هـ/1358م)	الفقه	قاضي الجماعة بفاس. التدريس الإفتاء	أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5، 25، ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، 136، ابن خلدون، التعريف، ص59.
أبو الحسن علي المقّري	/	كان حيا سنة (777هـ/1375م)	الراجح الفقه	قاضي بتلمسان	يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص120.
أحمد شهاب الدين المقّري	/	كان حيا سنة (847هـ/1443م)	النحو	/	عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص309، نصر الدين بن داود، أسر العلماء، ص101.
أبو عثمان سعيد المقّري	حوالي سنة(928هـ/ 1522م).	الراجح سنة(1123هـ/ 1615م).		الخطابة. الإفتاء. التدريس.	ابن مريم، البستان، ص104، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص204، مخلوف، شجرة النور الزكية، ص295.

الملحق رقم14: جدول يمثل رحلات علماء الأسرة المقّرية إلى الحواضر الإسلامية:

الحاضرة	أهم مدنها	علماء الأسرة المقّرية الذين زاروها.
بلاد الحجاز	مكة- المدينة	أبو عبد الله محمد المقّري
بلاد الشام	دمشق- فلسطين	أبو عبد الله محمد المقّري
مصر		أبو عبد الله محمد المقّري
تونس		أبو عبد الله محمد المقّري
بجاية		أبو عبد الله محمد المقّري
فاس		أبو عبد الله محمد المقّري- أبو عثمان سعيد المقّري.
غرناطة		أبو عبد الله محمد المقّري

الملحق رقم 15: جدول يبين المكانة العلمية لعلماء الأسرة المقّرية:

اسم العالم	مكانته العلمية	المصدر
عبد الرحمن المقّري (أواخر القرن 6هـ/12م وبداية القرن7هـ/13م).	«كان هذا الشيخ عروى الصلاة»، «كان رجل صلاح وفضل وعبادة».	أحمد المقري، نفح الطيب، ج5، ص 204.
أبو عبد الله محمد المقّري(ت759هـ/1358م)	«كان صاحباً المقّري معلوم القدر، مشهور الذكر، ممن وصل إلى درجة الاجتهاد المذهبي، ودرجة التخير والتزييف بين الأقوال، وتبعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ما يرجى النفع به يوم اللقاء»، «كبير العلماء بالمغرب»،«استجر في العلوم وتفنن»،«هذا الرجل مشارا إليه بالعدوة المغربية اجتهادا ودؤوبا وحفظا وعناية وإطلاعا، ونقلا ونزاهة»،«يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير، ويحفظ الحديث ويتهجر بحفظ الأخبار والتاريخ والآداب ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل و المنطق ويكتب ويشعر مصيبا في ذلك غرض الإجادة »، «كان هذا الفقيه-رحمه الله- في غزارة الحفظ وكثرة مادة العلم،	ابن مريم، المصدر السابق، ص155، أحمد المقّري، نفح الطيب، ج5،ص279، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص60، ص247، ابن الخطيب،الإحاطة،ج2، ص 194-195، السيوطي، بغية الوعاة، مج2، ص24، النباهي،المصدر السابق، ص169، الونشريسى، المصر السابق،ص202. الشاطبي، الإفادات والانشادات، ص81، أحمد بابا التنبكتى، نيل الابتهاج، ص420.

	عبرة من العبر، وآية من آيات الله الكبر، قلما تقع مسألة إلا ويأتي بجميع ما للناس فيها من الأقوال، ويرجح ويعلل ويستدرك ويكمل»،«أعلم أهل المغرب في زمانه»، «الشيخ الفقيه القاضي الجليل الشهير»، «الفقيه القاضي المتفنن»، «الفقيه الإمام المفتي ،المدرس ،قاضي الجماعة بفاس»،«الإمام، العلامة، النظار، المحقق، القدوة، الحجة، الجليل... ».	
أبو الحسن علي المقّري(القرن 8هـ/14م)	«من أهل العلم والدين»، «خيّر فاضل، على هدي السلف الصالح متحر الصواب في أحكامه».	يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص121.
أبو عثمان سعيد المقّري	«انتهت إليه رياسة بلده تلمسان»،«له باع في فن حديث البخاري وغيره»،«كان علامة في التوحيد والفقه..»، "أتقن كل علم، حافظا للغة العربية والشعر والأمثال" "إماما في العلوم العقلية كلّها"، "الإمام، الفقيه، الراوية العالم العامل العمدة القدوة الفاضل"، "شيخ أولئك الأعلام الذين ورثوا العلم عن غير كلالة".	أحمد بن القاضي، جدوة الاقتباس، ج1، ص 323، ج2، ص520، ابن مريم، المصدر السابق، ص 196،ابن مخلوف، المصدر السابق، ص 295، أحمد المقري، أزهار الرياض، ج1، ص10.

الملحق رقم 16: جدول يبين مؤلفات علماء الأسرة المقّرية:

المؤلف	عنـــــــوان الـــــــمؤّلف	
أبـــو عبـــد الله محمد المقّري	1. القواعد 2. الكليات الفقهية 3. النظائر الفقهية. 4. مقالة في الطلعة المملكة. 5. تكميل التعقيب على صاحب التمهيد. 6. كتاب به أكثر من 100 مسألة فقهية. 7. حاشـــية علـــى مختصـــر ابـــن الحاجب. 8. عمل من طب لمن حب. 9. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضـمنه مـن معـاني السـنة وآي القرآن. 10. اختصار المحصل. 11. المحاضرات. 12. شـرح لغـة قصـائد المغـربي الخطيب.	13. شرح التسهيل. 14. المحرك لـدعاوي الشـر مـن أبي عنان. 15. نظـــم الآلي في ســـلوك الآمالي. 16. الحقائق والرقائق. 17. رحلة المتبتل. 18. اقامة المريد. 19. لمحة العرض لتكملة ألفية ابن الفارض. 20. شرح جمل الخونجي. 21. التحف والطرف 22. بلوغ الآراب في لطائف العتاب.
أحمد شهاب الدين المقّري	**1**. التحفة المكية.	

الملحق رقم 17: جدول يبين فنون العلم التي ألف فيها علماء الأسرة المقّرية:

فنون العلم		عدد المؤلفات	النسبة المئوية
العلوم الدينية	الفقه	7	%30,43
	أصول الفقه	1	%04,34
	التفسير	1	%04,34
	أصول الدين	2	%08,69
العلوم اللغوية	اللغة	1	%04,34
	النحو	2	%08,69
العلوم الاجتماعية	التاريخ	2	%08,69
	التصوف	4	%17,39
العلوم العقلية	المنطق	1	%04,34
فنون متنوعة		2	%08,69
المجموع	10	23	%100

الملحق رقم18: المؤلفات الإبداعية والشروح والمختصرات لعلماء الأسرة المقّرية:

المؤلفات	الإبداعية	المختصرات	الشروح	المجموع
عددها	18	01	04	23
نسبتها المئوية	78,26	%04,34	17,39%	%100

الملحق رقم19: عدد المؤلفات علماء الأسرة المقّرية حسب العلوم العقلية والنقلية:

المؤلفات	علوم عقلية	علوم نقلية	المجموع
عددها	22	01	23
النسبة	%95,65	04,34%	%100

خامسا: الرسومات البيانية:

الملحق رقم 20: دائرة نسبية توضح مشاركة علماء الأسرة المقرية في التأليف حسب فنون العلم (الدينية، الاجتماعية، اللغوية، العقلية، متنوعة).

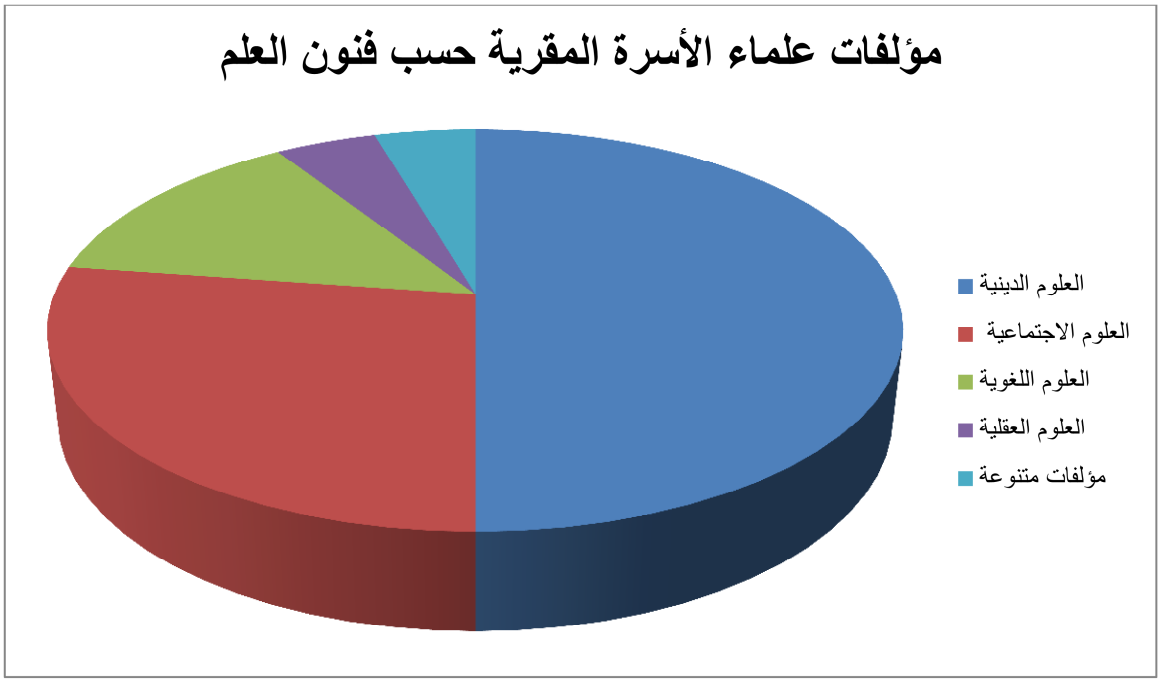

الملحق رقم 21: أعمدة بيانية توضح تباين مساهمة علماء الأسرة المقرية في التأليف حسب فنون العلم.

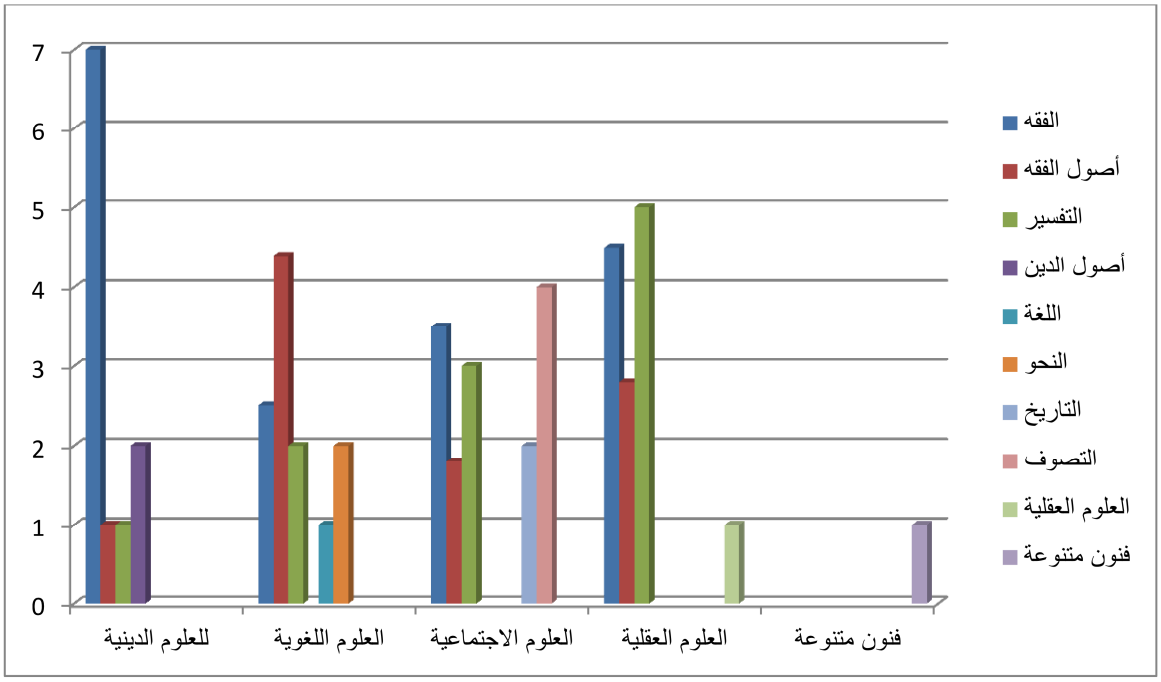

سادسا: نسخ من المخطوطات:

الملحق رقم 22: الصفحة الأولى من كتاب **عمل من طبَّ لمن حبَّ**[1].

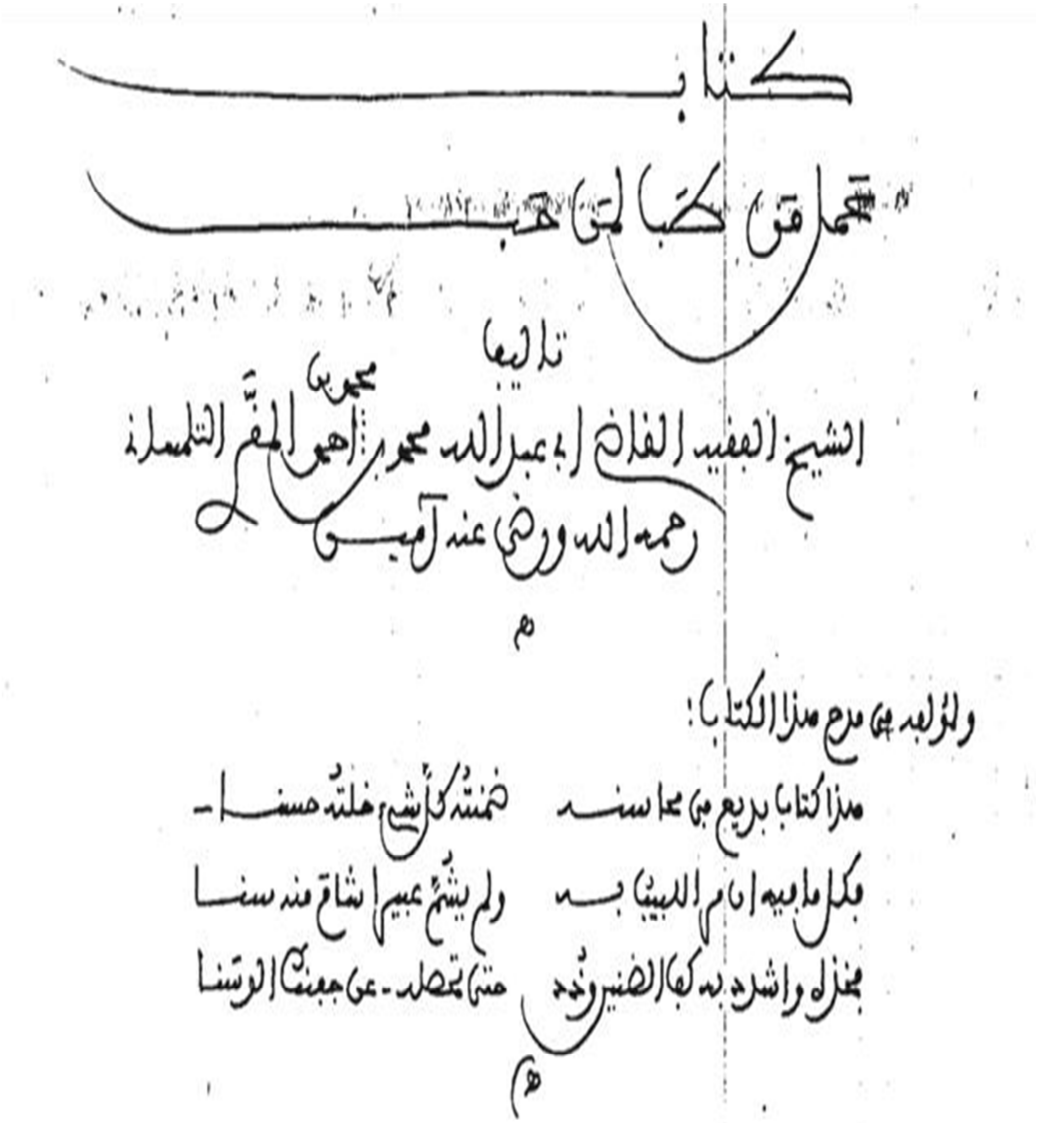

كتاب

عمل من طب لمن حب

تأليف

الشيخ الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني

رحمه الله ورضي عنه آمين

هـ

ولمؤلفه في مدح هذا الكتاب:

هذا كتاب بديع في محاسنه ... ضمنته كل شيء خلته حسنا

فكل ما فيه إن مر اللبيب به ... ولم يشم عبيرا شاق منه سنا

فخذه واشدد به كف الضنين وذد ... حتى تحصله عن جفنك الوسنا

هـ

[1] أبو عبد الله المقّري، **عمل من طبَّ لمن حبَّ**، ص07.

الملحق رقم 23: الصفحة الأخيرة من مخطوط عمل من طبَّ لمن حبَّ[1].

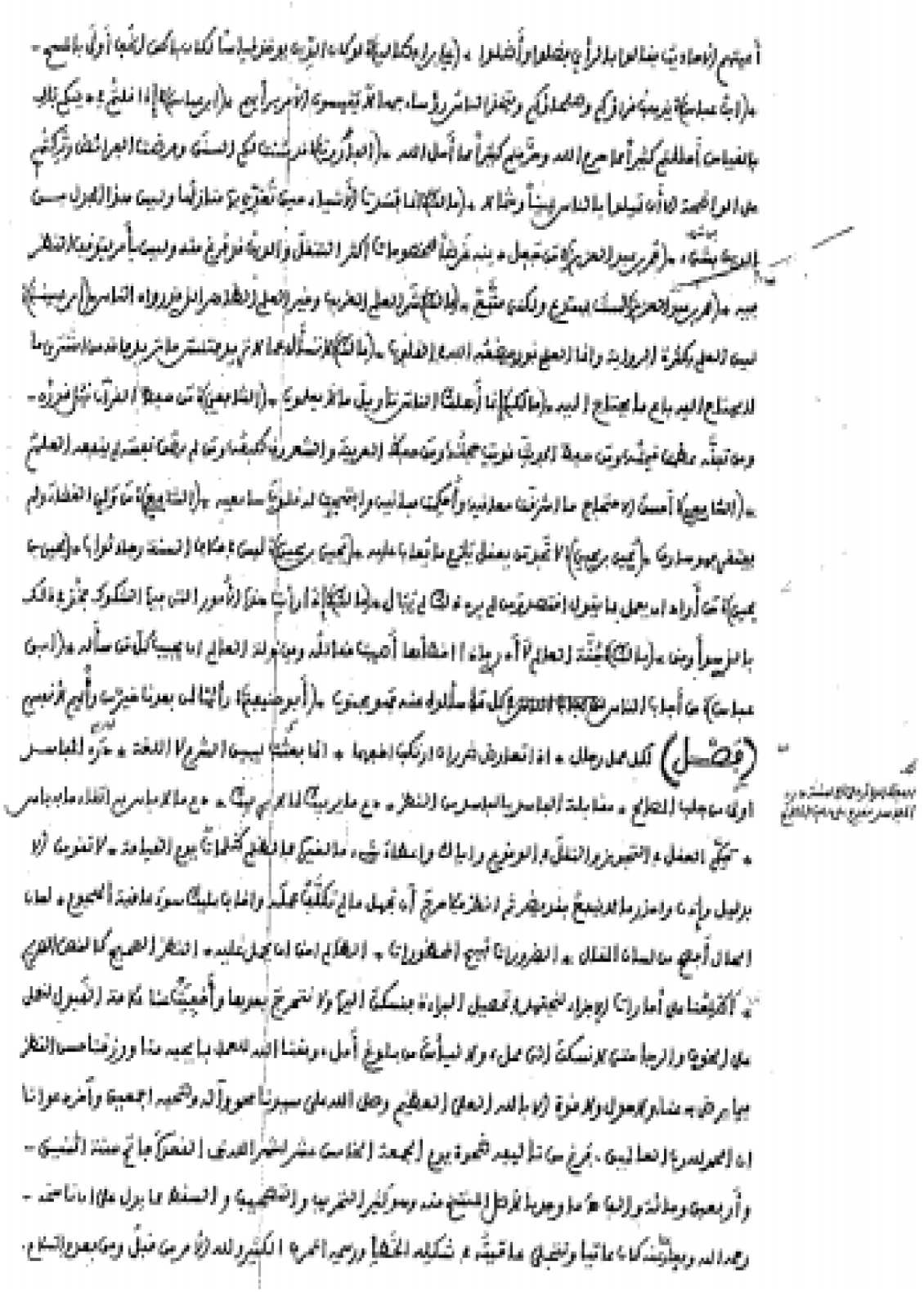

[1] أبو عبد الله المقّري، المصدر السابق، ص08.

الملحق رقم 24: الورقة الأولى من عمل من طب لمن حب[1].

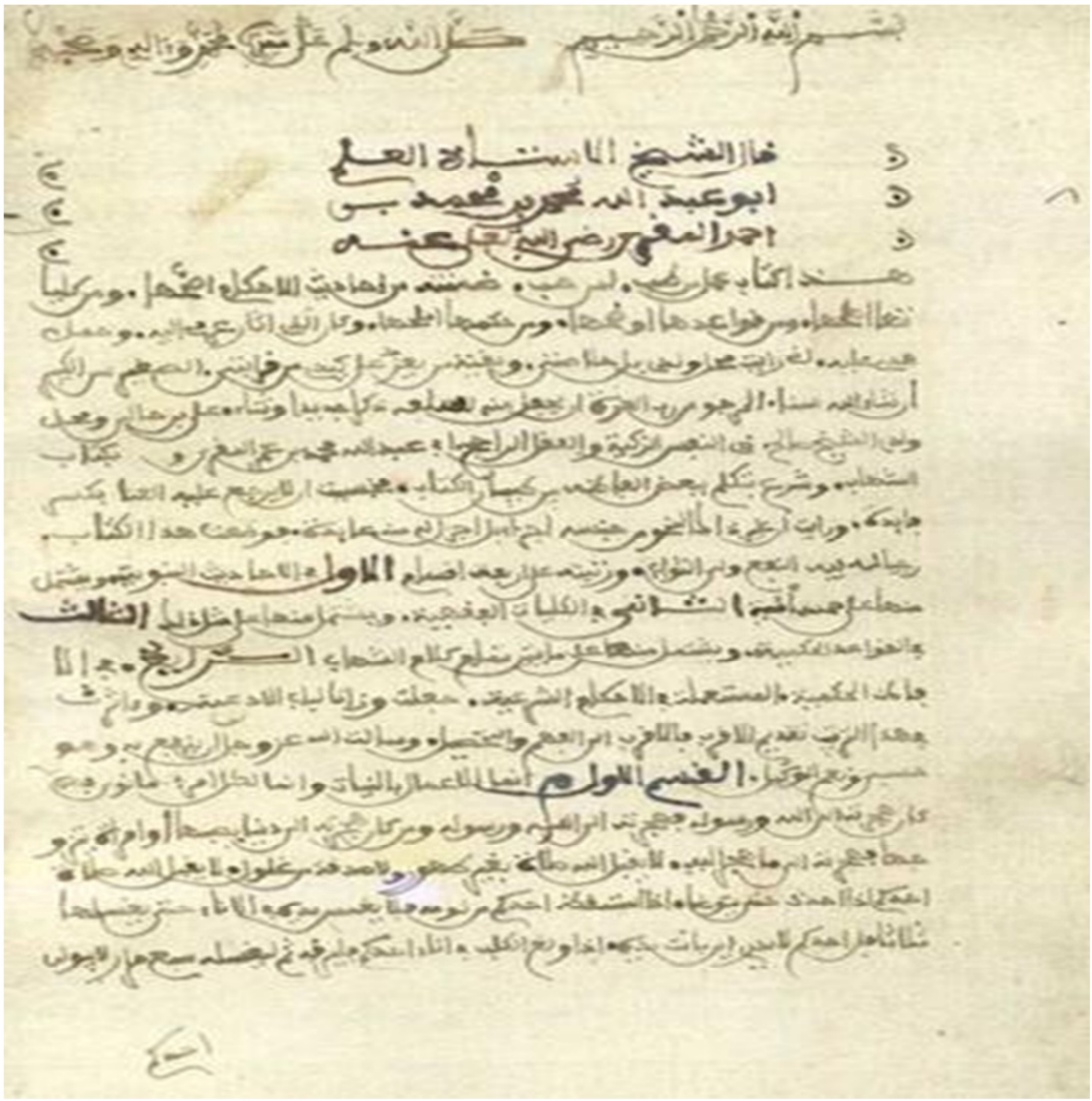

[1] أبو عبد الله المقّري، المصدر السابق، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، تحت رقم 3/91.

الملحق رقم 25: القسم الرابع من كتاب "**عمل من طب لمن حب**"[1].



[1] أبو عبد الله المقّري، المصدر السابق، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، تحت رقم 3/91.

الملحق رقم 26: الصفحة الأخيرة من مخطوط عمل من طبّ لمن حبَّ[1].



[1] أبو عبد الله المقّري، المصدر السابق، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، تحت رقم 3/91.

الملحق رقم27: الفصل الحادي عشر من كتاب بلوغ الآراب في لطائف العتاب[1].

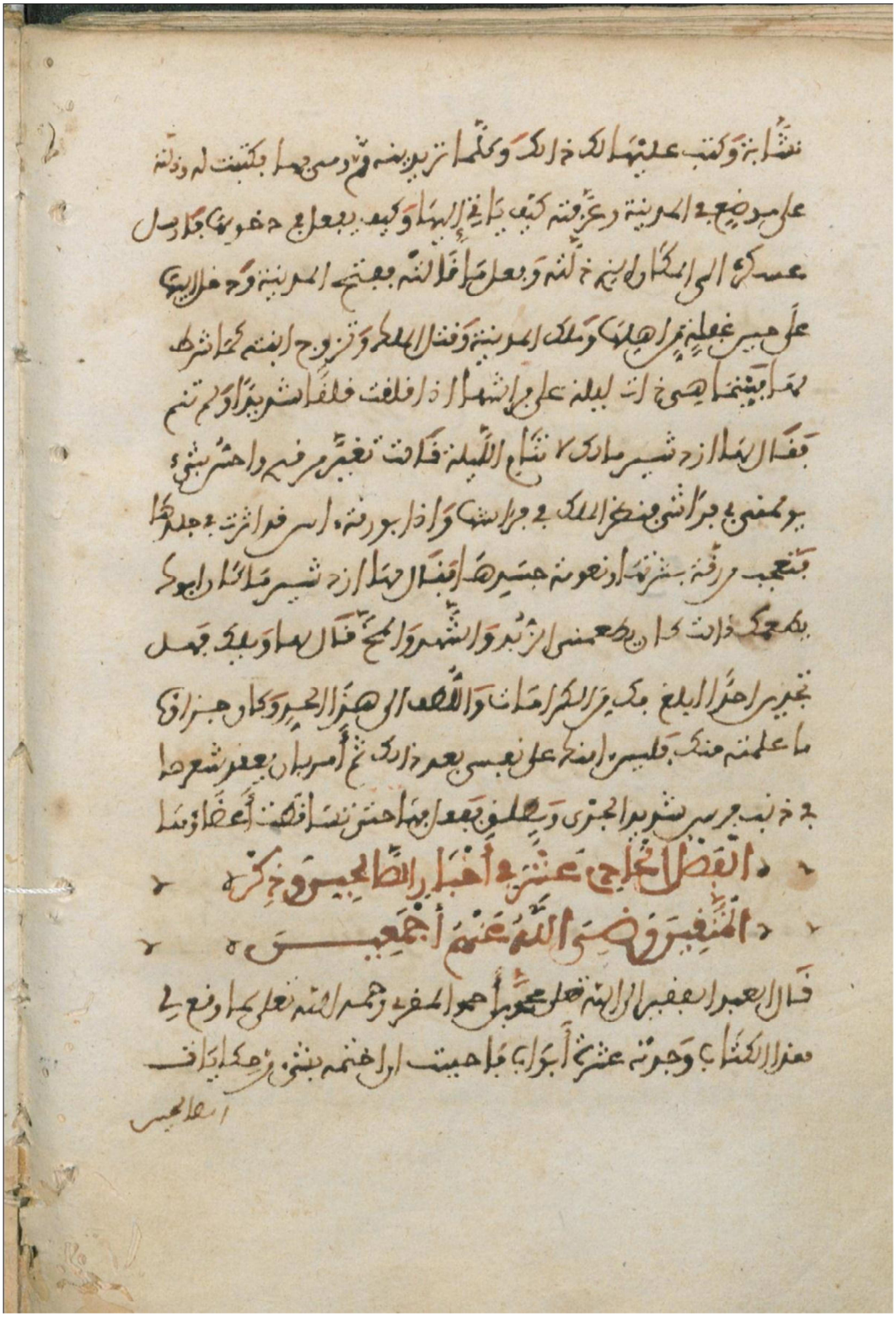

[1] أبو عبد الله محمد المقّري، بلوغ الآراب في لطائف العتاب، مخطوط بالمكتبة الحسنية، تحت رقم13820.

الملحق رقم 28: الورقة الأخيرة من كتاب بلوغ الآراب في لطائف العتاب[1].

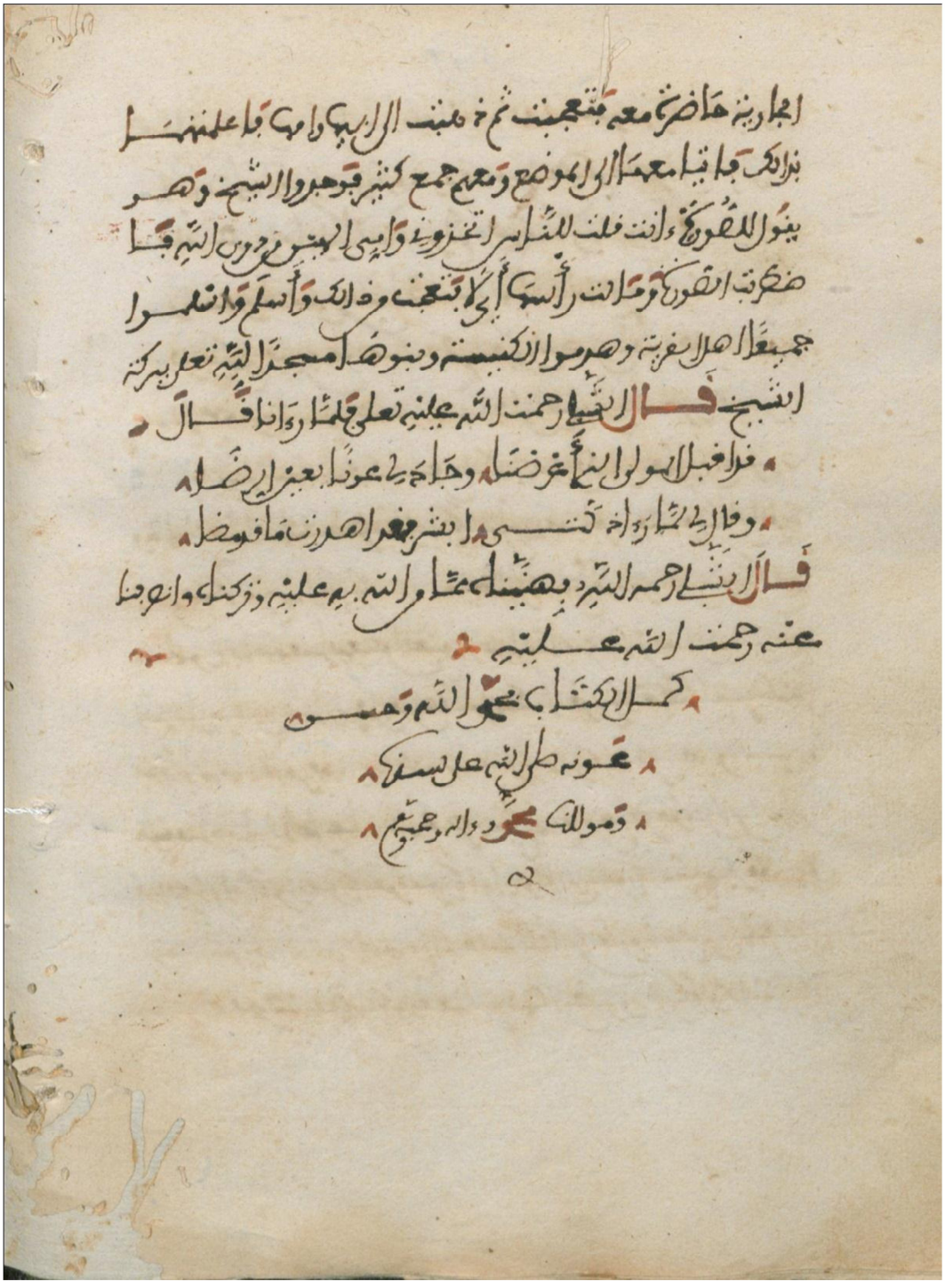

[1] أبو عبد الله محمد المقّري، بلوغ الآراب في لطائف العتاب، مخطوط بالمكتبة الحسنية، تحت رقم13820.

الملحق رقم 29: الفصل السادس من كتاب بلوغ الآراب في لطائف العتاب[1].

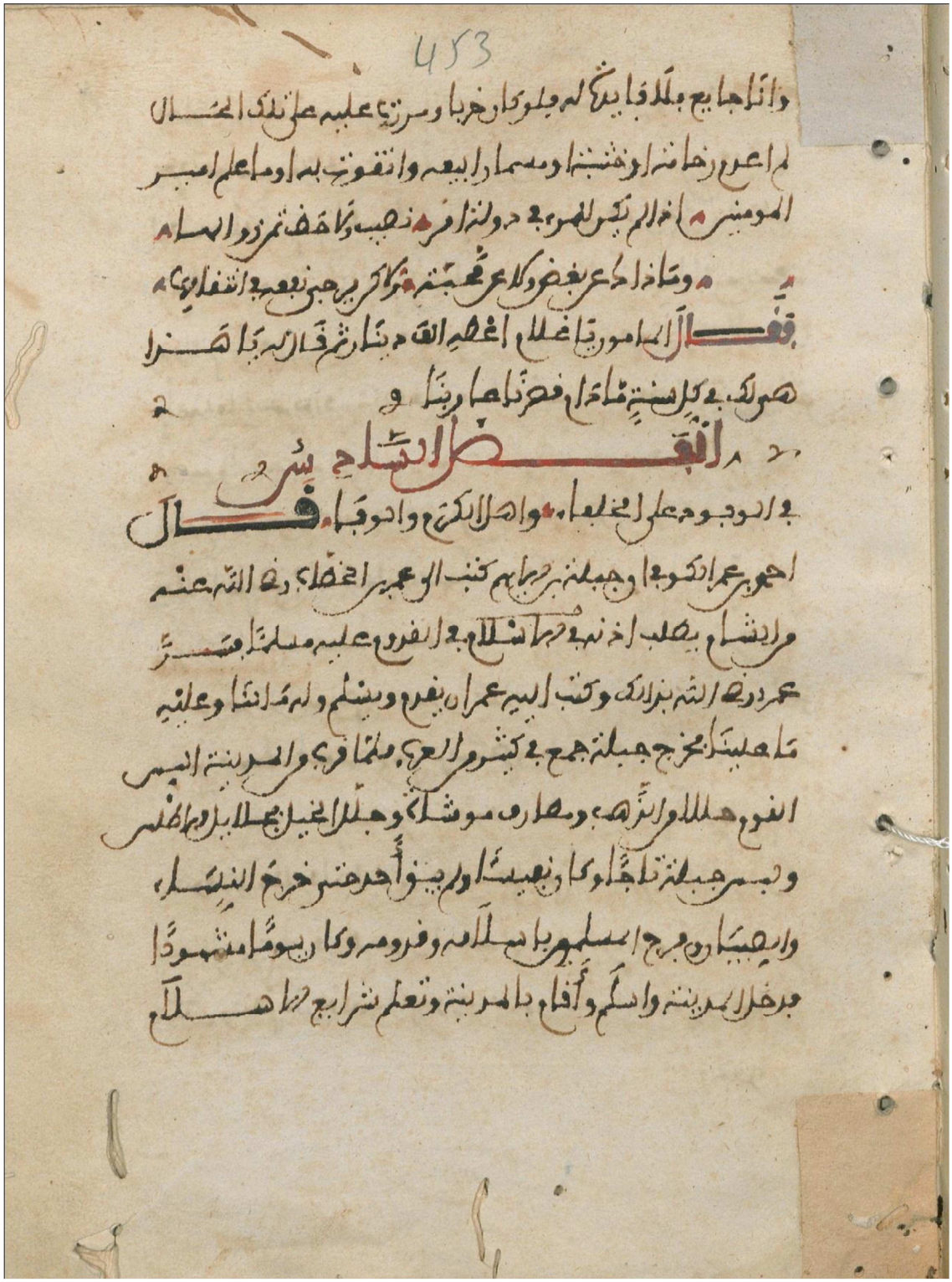

[1] أبو عبد الله محمد المقّري، بلوغ الآراب في لطائف العتاب، مخطوط بالمكتبة الحسنية، تحت رقم13820.

سابعا: الصور:

الملحق رقم30: صور للمدخل الرئيسي(السقيفة) لمسكن الأسرة المقّرية بدرب السلسلة بتلمسان وهو حاليا ملك لحفيدة السيد سقال حمادي[1].



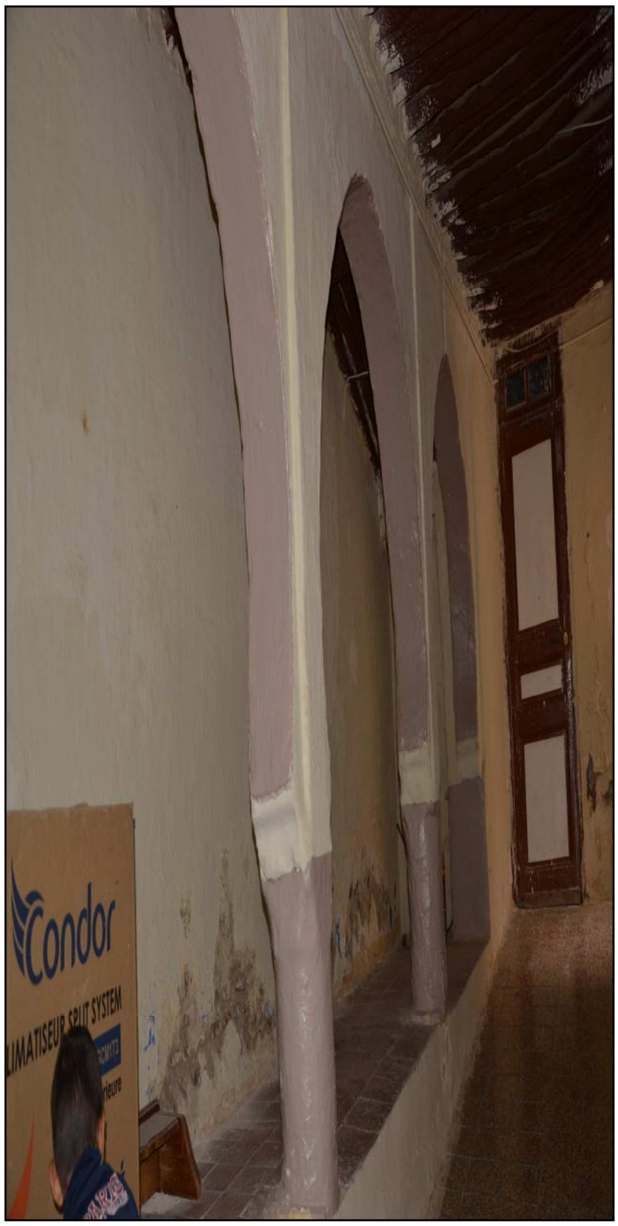

[1] صورة أخذت يوم 27 /2017/09، على الساعة الثالثة مساءً.

الملحق رقم31: صور لصحن مسكن الأسرة المقّرية بتلمسان[1].

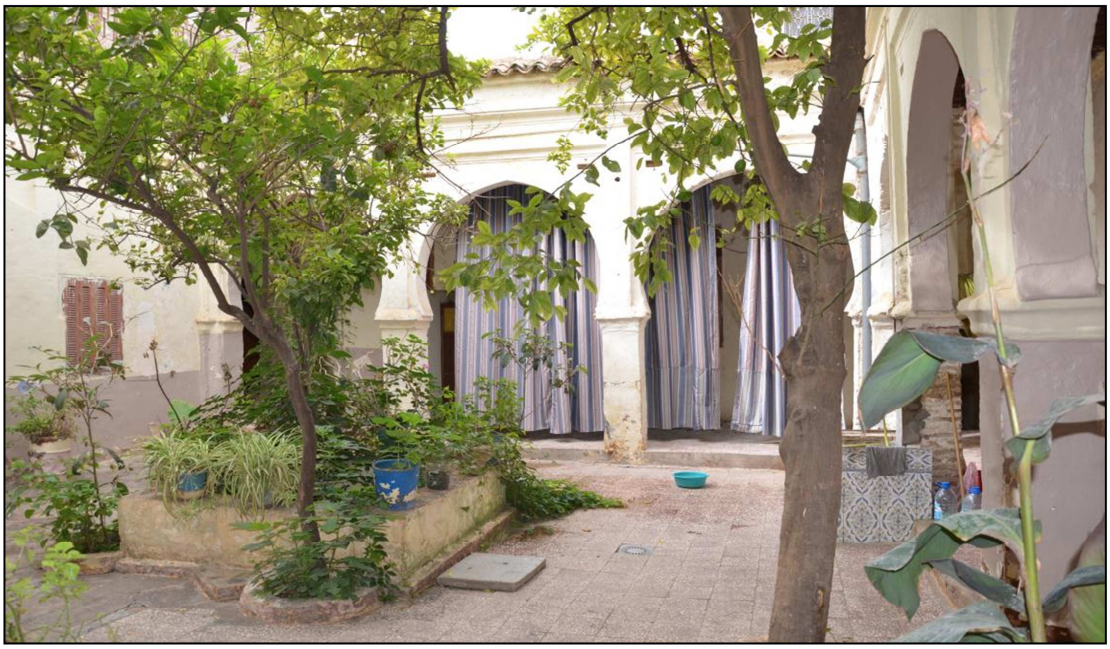



[1] صور أخذت يوم 27 /2017/09، على الساعة الثالثة مساءً.

الملحق رقم 32: صور جانبية لرواق مسكن الأسرة المقرية بتلمسان[1].

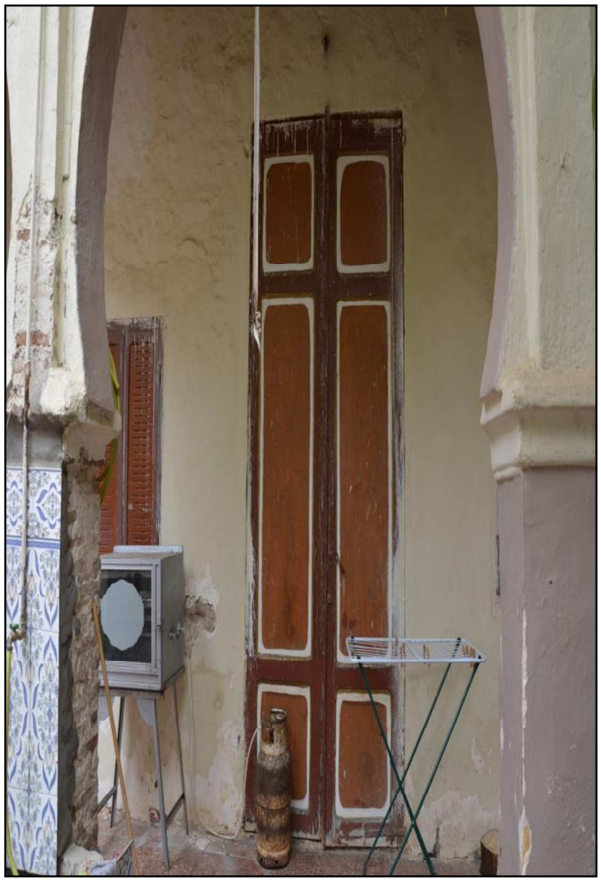

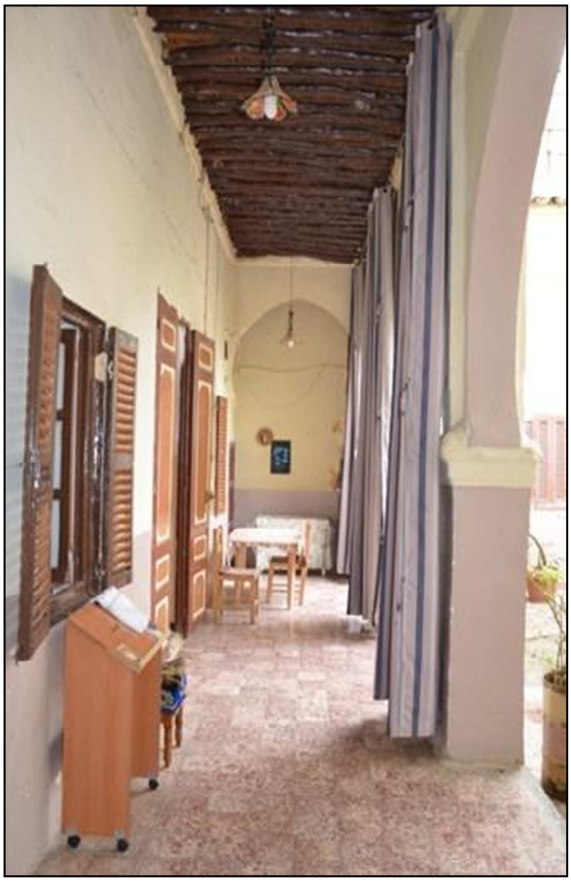

[1] صورة أخذت يوم 27 /2017/09، على الساعة الثالثة مساءً.

الملحق رقم 33: صور لمطبخ مسكن الأسرة المقّرية بتلمسان[1]:



سقــف الــمطبـخ



فــرن الـــمطبـــخ

[1] صورة أخذت يوم 27 /2017/09، على الساعة الثالثة مساءً.

الملحق رقم34: صور لصهريج الماء بمسكن الأسرة المقّرية بتلمسان[1]:





[1] صورة أخذت يوم 27 /2017/09، على الساعة الثالثة مساءً.

الملحق رقم35: صور الطريق المؤدي إلى الدرج الصاعد لسطح مسكن الأسرة المقّرية بتلمسان[1].



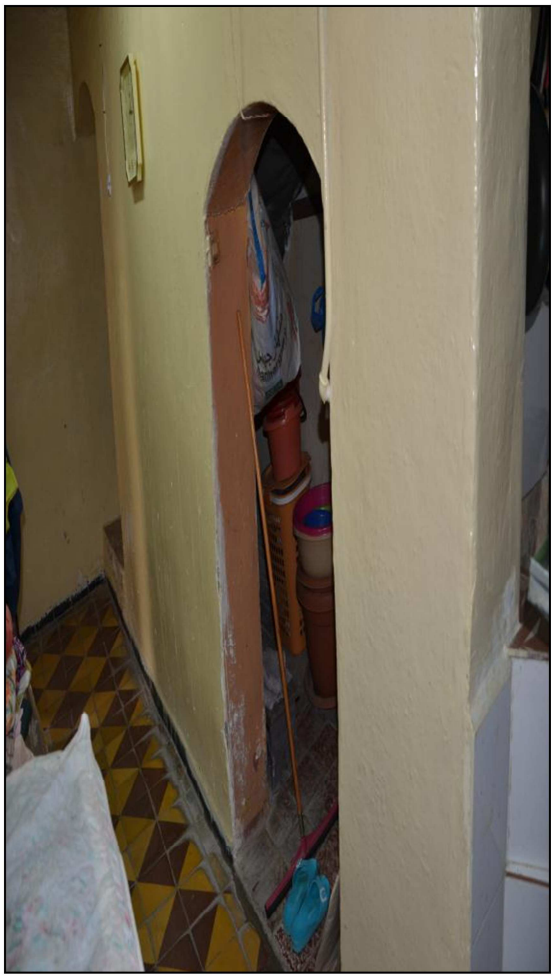

[1] صورة أخذت يوم 27 /2017/09، على الساعة الثالثة مساءً.

الملحق رقم36: صور للدرج الصاعد إلى الطابق العلوي من مسكن الأسرة المقّرية بتلمسان[1].



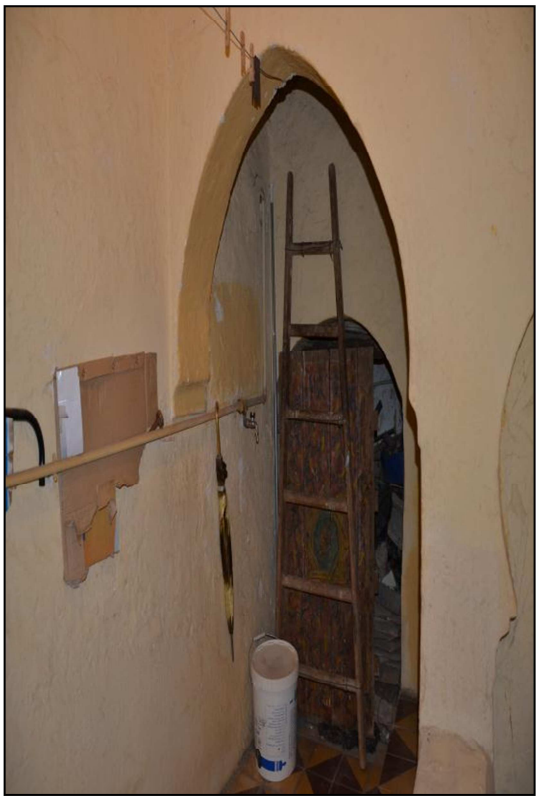

[1] صورة أخذت يوم 27 /2017/09، على الساعة الثالثة مساءً.

الملحق رقم37: صور للطابق العلوي من مسكن الأسرة المقّرية بتلمسان[1].

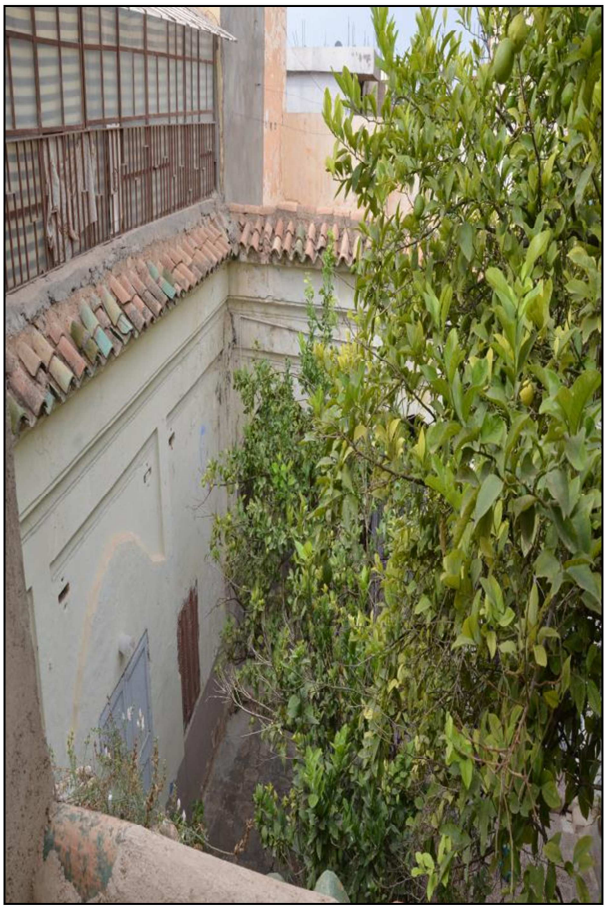

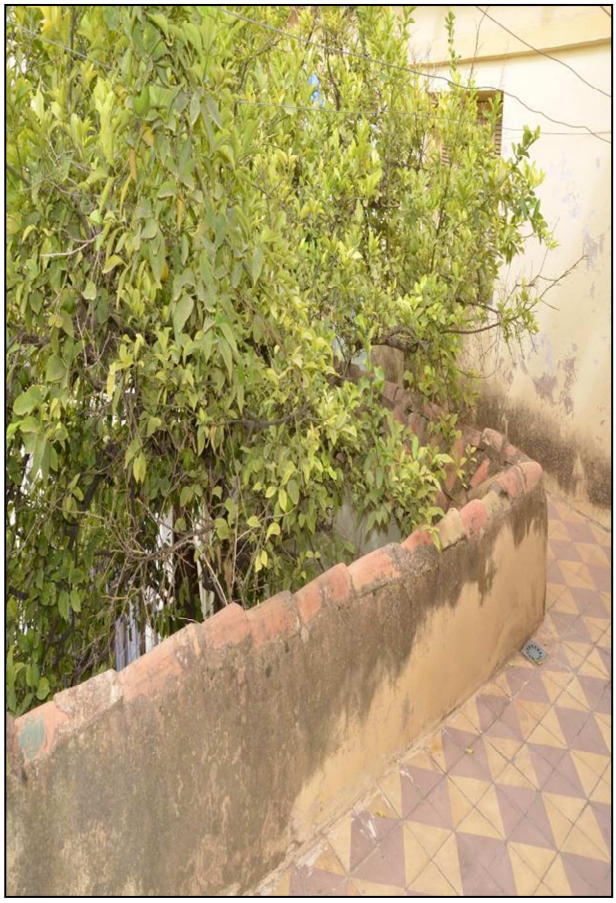

[1] صورة أخذت يوم 27 /2017/09، على الساعة الثالثة مساءً.

الملحق رقم 38: صورة لغرفة من مسكن الأسرة المقّرية بتلمسان[1].

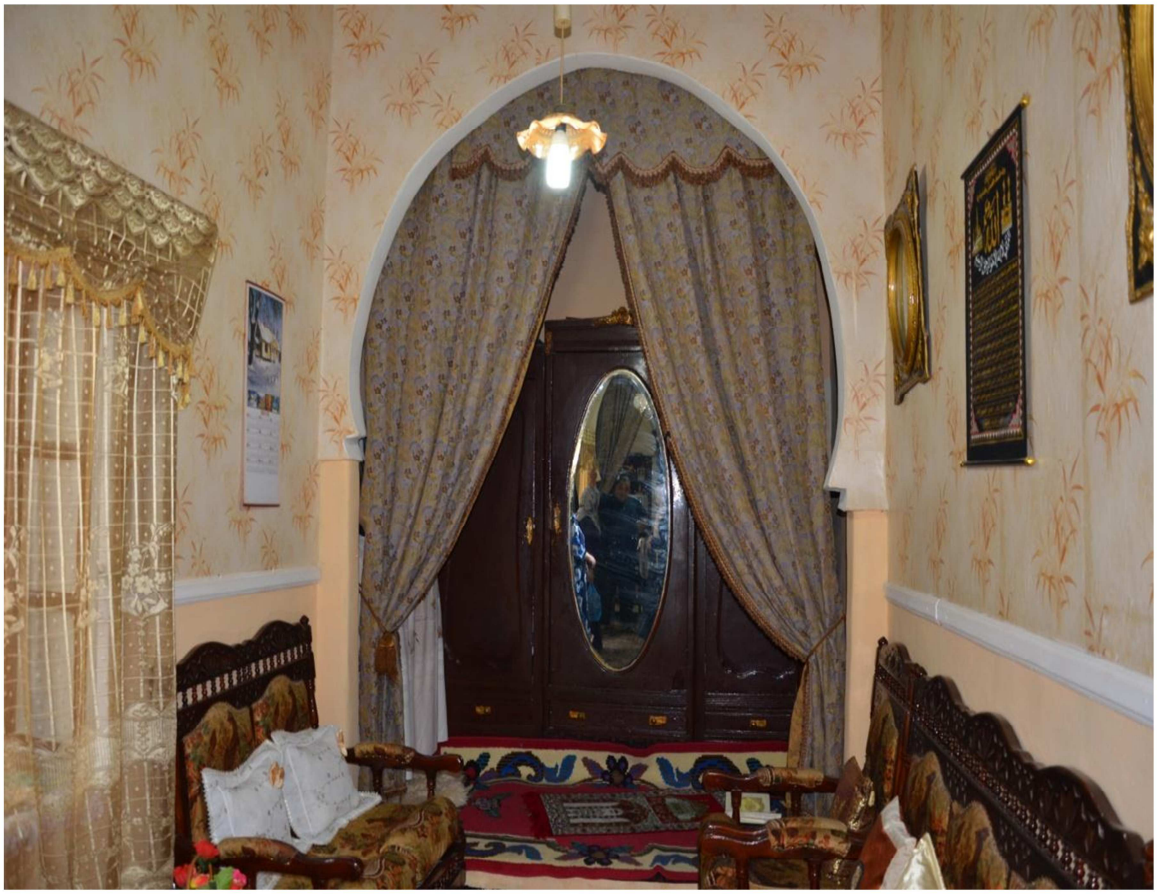

[1] صورة أخذت يوم 27 /2017/09، على الساعة الثالثة مساءً.

الملحق رقم39: صورة جانبية لغرفة من مسكن الأسرة المقّرية بتلمسان[1].



[1] صورة أخذت يوم 27 /2017/09، على الساعة الثالثة مساءً.

فهرس الأعلام والأماكن

فهرس أسماء الأعلام والقبائل

أسماء الأعلام	الصفحة
أ	
الآبلي	09-69-70-72-120-126-162-163-177.
الادريسي	04-77-85-283-289
أبو العباس أحمد ابن مرزوق	72-260
أبو العباس أحمد المقري	09-75-88-89-91-93-94-99-100-102-116-121-123-147-149-168-172-180-189-193-257-262-269
أحمد المعتصم أبو العباس	35-36
أحمد زروق البرنسي	85-93-191
ابن القاضي	130
أحمد الونشريسي	
ابراهيم ابن الحكم السلوي	124-127
ابراهيم بن يخلف التنسي	279
إبراهيم بن موسى الشاطبي	167-174
أبو مهاجر الدينار	10-13
ابن بطوطة	8-281-283-285-288-289-290
ابن فرحون	93-141-163-214

الأجمي	133
أبو بكر المقّري	
اسماعيل ابن الأحمر	87
أحمد شهاب الدين المقري	336-332-189-143
أثير الدين أبو حيان الغرناطي	138
ابن حوقل	297-289-287-79-52-10-04
ابن خردادبة	10
أبو الفداء	06
ابن منظور	17
ابني الإمام	165-127-112-74-72-71-95
ابن صاحب الصلاة	47
ابن غازي المكناسي	96
ابن الحباب	133
ابن حمادوش	260-151
أبو الفضل التلمساني	96
أبو عنان المريني	252-235-191-160-84-32
أبو عمران المشذالي	111-71-
ابن مرزوق الخطيب	354-267-232-160
أبو الحسن القيجاطي	166
أبو الحسن المريني	61-31

أبو الحسن النباهي المالقي	152
أبو الحسن علي بن مزاحم المكناسي (الصباغ)	129
أبو حمو موسى الأول	63-39-30
أبو حمو موسى الثاني	257-256-215-70-66-55-33-32
أبو الحسن علي المقري	-214-179-159-154-143-123 -313-256
أبو الحسن الجبار	135
أبو مدين شعيب	103-102-74
أبو موسى عمران المشذالي	65-71
أبو مالك عبد الواحد	35-34
أبو العباس بن رضى الدين	136
أبو عبد الله بن عطية	134
ابن عماد الحنبلي	142
ابن مريم	153-149-142-97-90-13
أبو عبد الله الشريف التلمساني	72-66
أبو عبد الله بن زمرك	167
أبو عبد الله بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي	166
أبو عبد الله محمد بن سعيد بن لب بن بقي	168
أبو عبد الله بن شاطر الجمحي	192-128
أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي	283-252-130
أبو عبد الله محمد بن علي بن علاق	168

أبو عبد الله محمد بن يحي بن الحباب	133
أبو علي ناصر الدين المشذالي	165
أحمد بابا التمبكتي	149-90
ب	
البكري	302-88-80-06-05-04
بني يفرن	41-12-08-05
بابا عروج	37
بني هلال	100-83-82-42
بني سليم	100-42
البغدادي	86
بني ضبة	100-99-81-80
بني مزني	83
بنو توجين	83
بني أمية	99
البلفيقي	230-125
الباهلي أبو عبد المسفر	131
بن عبد الستار أبو عبد الله	133
ج	
الجمحي أبو عبد الله محمد ابن شاطر	192-128
الجزولي أبو زيد عبد الرحمن بن عفان	283-252-130
الجبار أبو الحسن	135

الجبروتي أبو محمد عبد الوهاب	137
الجاناتي أبو محمد عبد المؤمن	135
ابن قيم الجوزية	251-139
هـ	
هشام بن عب الملك بن مروان	19
الهواري ابن عبد السلام التونسي	133
و	
الونشريسي	141-96-90-89-73-52
الوزان حسن	-293-288-284-81-66-07
ز	
الزواوي أبو عبد الله محمد ابن يعقوب	133
الزبيدي محمد أبو عبد الله	130
الزهري	356-05
الزقاق عبد الوهاب التجيبي	145
ح	
الحنبلي ابن عماد	142
الحميري	99-81-80-07
الحموي ياقوت	86-81
الحجوي	19
الحفناوي	19
حسن باشا قورصو	38
الحسن بن عبد الله	38

حسين بن حسين أبو علي	132
حاجي وهراني	145
ط	
طارق بن زياد	12
ي	
اليزناسي أبو إسحاق بن عبد الله	173-135
اليعقوبي	99-81-80-09-04
اليالصوتي أبو ضياء مصباح بن عبد الله	135
يوسف عليه السلام	21
يوسف ابن يعقوب	63-30-29
يحي أبو زكريا الأول	27
يحي ابن خلدون	255-153-143-20-19-17-10
يغمراسن	-36-31-30-29-28-27-26-14--39
يعقوب بن عبد الحق المريني	281
يحي السلكسيني	145
ك	
الكناني أبو إسحاق إبراهيم بن حكم	129-126
الكتاني عبد الحي	192-18
ل	
لسان الدين ابن الخطيب	269-264-167-97-77
م	
موسى عليه السلام	08

موسى ابن نصير	11
المرازقة	115-77-70-61-46-70-22
مغراوة	05
المغربي ابن سعيد	06
المغراوي ابن خرز	12
المغيلي أبو قرة التلمساني	12
محمد المتوكل أبو ثابت	36-33
مولاي الحسن	36
محمد المستنصر أبو عبد الله	82
محمد بن عبد القوي	82
محمد المنتوري	87
محمد الفاضل ابن عاشور	207-196-125
محمد ابن شقرون المقري	150-149-123
محمد أبو بكر ابن الفخار	169-167-166
محمد أبو عبد الله القرموني	126
محمد ابن هدية القرشي	128
محمد أبو عبد الله التميمي	128-19
محمد بن عبد النور	128
محمد أبو عبد الله النجار	129
محمد بن يعقوب الزواوي	132
محمد بن عبد السلام الهواري	133
محمد أبو عبد الله المقّري	-99-97-90-86-84-83-75-72

	-120-114-111-109-105-100 -149-129-127-126-124-122 -177-175-173-160-156-155 -185-184-183-182-180-179 -193-192-191-190-189-186 -203-202-200-198-196-194 -219-216-211-210-207-206 -231-230-229-224-222-220 -250-240-239-236-234-233 -262-260-259-258-255-251 -270-269-268-267-265-263 284-282-279-278-274
محمد ابن مرزوق الكفيف	265
منصور الحلبي	134
منسى موسى	300-282
المطغري أبو يحي	262
المنصور المزني	83
المقديسي	80
موسى المصمودي أبو عمران	129
محمد المنوفي التوزري	139-136
محمد بن عبد الرحمن الوعزاني	145
محمد أبو السادات المديوني	146
المطماطي	172-149
محمد بن علي بن علاق	168
محمد بن سعيد بن لب بن بقي	168
المكناسي أبو العباس أحمد	174-89

المضرية	99
ن	
النباهي أبو الحسن	255-252-245-231-228-152
النجار	283-282-60
النميري	84-81
س	
السلوى أبو إسحاق إبراهيم بن حكم الكناني	210-129
السطي أبو عبد الله محمد بن سليمان	130
السوسي محمد مختار	21
السنوسي	146-145-88-71
سعيد العقباني	73
سعيد المقري أبو عثمان	-144-125-123-122-118-90 148-147-145
سعيد قدورة	165-149
السلمي أبو البركات البلفيقي	230-125
ع	
عقبة بن نافع الفهري	98
العبدري	50
عبد القادر زمامة	136-92-88
عبد الرحمن الثعالبي	89
عبد الرحمن بن أبي بكر المقري	311-102
عمران المشدالي أبو موسى	209-127-112
علي بن مزاحم المكناسي	129

عبد المهيمن الحضرمي	130
علاء الدين القونوي	132
عبد الواحد المقري	-296-280-274-273
عبد الرحمن ابن خلدون	-43-38-20-18-14-09-07-06 -150-117-115-111-101-83-49 -265-264-263-228
عيسى البطيوي التلمساني	173
ف	
فاطمة بنت أبي زيد	47
فاطمة بنت أبي عبد الله بن عبد العزيز	47
الفيروز آبادي	18
ص	
صدر الدين الغماري المالكي	140
صالح رايس	38
ق	
القلصادي	117-62
القزويني جلال الدين	65
قريش	100-99-98-97-94-93
القحطانية	99
ر	
الرندي أبو الحسن	192-168-130-121
ش	
الشاطبي إبراهيم بن موسى	190-167
الشريف أبو عبد الله التلمساني	73-72-71-66-45-19

الشافعي أبو القاسم محمد بن السلماني	184-140-137-124
شمس الدّين بن القيم الجوزية	139
شمس الدين الأصبهاني	138
شمس الدين محمد بن أحمد بن اللبان	139
شقرون بن هبة الوجديجي	146
شبل بن موسى	82
شهاب الدين الخفاجي	117
شهاب الدين المقري	160-143
ت	
تاج الدّين علي التبريزي	139
التنسي	63-62
التجاني	291
غ	
الغماري المالكي صدر الدّين	140
الغبريني	102

فهرس الأماكن

أسماء الأماكن	الصفحة
أ	
اصطبونه	140
أغمات	306-296-135
أراغونة	303-227-59
الأندلس	229-226-226-223-54-42-37-36-08-06
الإسكندرية	137-121
إشبلية	225
افريقية	57-30-29-15-13-09-05-03-02
ايولاتن	308-299-296-292-290-289-282-277
أروبا	299-59-43
اسبانيا	38-37
أغادير	66-26-11-10-09-08
ب	
بجاية	103-100-84-81-72-37-27
بوماريا	11-10-09-08
بريكة	-79-85
بلش	140
بلنسية	227

بغداد	121-86-12
بلاد الشام	139-121
بسكرة	83-80-79
البرتغال	37-34
بني سنوس	42
بني وارسوس	42
البحر الأبيض المتوسط	297-85-25-03
ج	
جبل ورنيد	07
جامع الأزهر	137-132
الجامع الأعظم بتلمسان	250-160-70-27
الجامع الأعظم بغرناطة	164-159
جامع الزيتونة	134-132-89
جبل طارق	140
جامع القرويين	149-168-134-122
جزيرة جربة	35
د	
دمشق	140
هـ	
هنين	253-228-215-06
و	
واد درعة	140

واد زا	02
واد ملوية	27-03
واد الصومام	03
واد تافنة	03
واد شلف	07
وهران	145-37-34
ورقلة	286-100
الوريط	53
ز	
الزاب	83-80-79-08
زناتة	41-26-10-07-05-04
ح	
الحامة	140
حصن العقاب	25
الحجاز	-260-136-121-100-
الحناية	03
ط	
طليطلية	227
طرابلس	298-05
طبنة	99-81-80-79
ل	
لوشة	166

لالة مغنية	03
م	
مالقة	322-229-228-140
المدينة المنورة	148-136
مراكش	146-128-98-27-06
مربلة	140
المسيلة	85-82-80-79
المنصورة	30
مقرة	92-91-89-86-85-84-83-82-81-80-79
المقدس	140-121-111-68
مكة	136-121-92-86
مصر	137-132-100-99
المشور	63-57-45-39-28
المرسى الكبير	37
مسيرنة	42
س	
سجلماسة	298-297-296-295-293-286-281-277-140-12
سطيف	85
السطفصيف	53
سنغاي	300-298-280
سبتة	136
ف	

فاس	-227-227-224-223-119-109-34-24-14-13-07-06-02 294-213-211-161-156-133-132-233
فلاوسن	42
فلسطين	140
ق	
القاهرة	169-138-121-66
القيروان	219-89-14-02
قسنطينة	141-134-100-84
قرطبة	227-203-202-14
ت	
تازة	206-134-131
تونس	111-72-66-34-25-15-09
تلمسان	-33-32-25-24-12-11-10-09-08-07-06-05-04-03-02 292-291-283-281-274-271-260-39-37-36-34
التكرور	304-300
تمبكتو	303-300-299-293
تغازي	296-293-290
توات	308-298-295-286
تاجرارت	13-08
ترارة	42-04
غ	

غرناطة	-166-165-164-160-141-121-111-42-37-35-26-15 .230-229-228-226-223-167
غاو	308-302-300

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**، "رواية ورش عن نافع"، الطبعة الثالثة، بيت القرآن للطباعة والنشر، سوريا، 2008م.

❖ قائمة المصادر والمراجع:

- **أوّلاً : المصار المخطوطة:**

- المقّري (أبي عبد الله محمد بن محمد ت 759هـ/1358م)، **بلوغ الآراب في لطائف العتاب**، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، تحت رقم 13820.

- **المصادر المطبوعة:**

1. الآمدي (سيف الدين محمد بن سالم ت631هـ/1233م)، **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، ج1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 2003.

2. الاصطخري (أبو اسحاق ابراهيم ت339هـ/950م)، **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبد العالي ومحمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، 1961.

3. الإدريسي (أبو عبد الله الشريف ت 548هـ/1154م)، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1422هـ/ 2002م.

4. أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل ت732هـ/1332م)، **تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840.

5. أبو الفضل (زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت806هـ/1403م)، **المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**، اعتنى به أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ج1، مكتبة دار طبرية، ط1، الرياض، 1415هـ/1995.

6. أبي داود (سليمان بن الأشعث السجستاني ت675هـ/1276م)، **سنن أبي داود**، حكم على أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة دار المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (ب ت).

7. ابن أبي دينار(أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ت1110هـ/1699م)، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، دار المسيرة، لبنان، 1993.

8. ابن أبي زرع علي الفاسي(ت 726هـ/1325م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972م.

9. ابن الأحمر(أبو الوليد اسماعيل بن يوسف الغرناطي ت807هـ/1404م)، **روضة النسرين في روضة دولة بني مرين**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور ط2، المطبعة الملكية، الرباط،1411هـ/1991م.

10. (-)، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور، الرباط، 1972.

11. (-)، **أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن**، وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمي وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1987م.

12. (-)، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تحقيق هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2001 .

13. ابن الأزرق (أبو عبد الله محمد قاسم الأصبحي الغرناطي تـ 896هـ/1490م)، **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ج1، الدر العربية للكتاب، ليبيا- تونس، (ب ت).

14. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللّواتي الطنجي ت776هـ/1373م)، **رحلة ابن بطوطة**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992م.

15. ابن بكار (أبو عبد الله الزبير بن عبد الله بن مصعي ت256هـ/839م)، **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، تحقيق محمود شاكر، مكتبة خياط ، بيروت، (ب ت).

16. ابن الحجاج مسلم (أبو الحسين القشيري النيسابوري ت261هـ/777م)، **الجامع الصحيح**، مراجعة فؤاد عبد الباقي، ج1، دار إحياء الكتب العربية، توزيع دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1991.

17. ابن حجر(أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي العسقلاني ت852هـ/1442م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج3، دار الجيل، بيروت، 1993.

18. ابن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني الذهلي ت241هـ/780م)، **المسند**، دار الفكر، بيروت، (ب ت).

19. ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي الموصلي ت367هـ/977م)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992.

20. ابن حمادوش عبد الرزاق، **رحلة ابن حمادوش المسماة "لسان ال**

21. مقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تحقيق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

22. ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلس ت456هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، ج7، دار الجبل، بيروت، 1985.

23. ابن عبد الحكم(أبو القاسم عبد الرحمن ت257هـ/840م)، **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق محمد الحجيري، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996.

24. (ـ)، **فتوح افريقية والأندلس**، تحقيق وتق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.

25. ابن منظور (محمد بن مكرم ت 711هـ/1311م)، **لسان العرب**، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون، ج1، دار المعارف، القاهرة.

26. ابن مرزوق الخطيب (أبو عبد الله محمد التلمساني ت 781هـ/1379م)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوس، تقديم محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

27. (ـ)، **المناقب المرزوقية**، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2008.

28. ابن مريم(أبو عبد الله بن أحمد المليتي التلمساني كان حيا سنة 1014هـ/1605م)، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، اعتنى به عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

29. ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى المغربي ت685هـ/1286م)، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، ج1، دار المعرف، مصر، 1964.

30. ابن العماد الحنبلي(عبد الحي بن أحمد بن محمد ت1089هـ/1678م ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، إشراف عبد القادر الأرناؤوط، تحقيق محمود الأرناؤوط، ج8، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1408هـ/1988م.

31. ابن عذارى المراكشي(أبو الحسن أحمد كان حيا سنة 712هـ/1312م) ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج. كولان وليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983م.

32. ابن فرحون اليعمري (برهان الدّين إبراهيم بن علي بن محمد ت799هـ/1397م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان،ط1،دار الكتب العلمية ، لبنان1417هـ/1996م.

33. ابن الصلاح (أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ت643هـ/1245م)، **أدب المفتي والمستفتي**، دراسة وتحقيق الموفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب، ط1، (ب م)، 1986.

34. ابن القاضي(أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المكناسي ت1025هـ/1615م)، ابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ج2، ط1، المكتبة العتيقة، دار التراث ، تونس –القاهرة، 1971.

35. (–)، **جذوة الاقتباس فيمن حلّ من الأعلام مدينة فاس**، ج2، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.

36. ابن قنفذ (أبو العباس أحمد القسنطيني ت 810هـ/1407م) ، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس(ب ت).

37. (–)، **أنس الفقير وعز الحقير**، صححه محمد الفاسي، أودلف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط،1965م.

38. (–)، **كتاب الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1982.

39. ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ت751هـ/1350م)، **أعلام الموقعين عن ربّ العالمين**، تحقيق المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 2004.

40. ابن رضوان (عبد الله بن يوسف المالقي ت783هـ/1381)، **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، تحقيق على سامي النشار، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1984.

41. ابن ثغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي ت 774هـ/1470م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج6، تحقيق إبراهيم على طرخان، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1972.

42. ابن الخطيب لسان الدين (أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني ت 776هـ/1374م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج2، ط1، مكتبة خانجي، القاهرة، 1974.

43. (ـ)، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

44. (ـ)، **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تحقيق محمد كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003.

45. (ـ)، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط3، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1980.

46. (ـ)، **أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، قسم 3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.

47. ابن خلدون(أبو زيد عبد الرحمن ت808هـ/1406م)، **مقدمة ابن خلدون**، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2005.

48. (ـ)، **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**، تحقيق وتعليق محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

49. (ـ)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق عادل بن سعد، ج6-7، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت- لبنان، 2016.

50. ابن خلدون(أبو زكرياء يحي ت 780هـ/1378م) ، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج1، الجزائر، 2007.

51. ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت280هـ/893م)، **المسالك والممالك**، مطبعة بريل، ليدن، 1889.

52. ابن خلكان شمس الدين (أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ت681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج5، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (ب ت).

53. البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت487هـ/1094م) ، **كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، نشره البارون دوس لان، المكتبة الأمريكية والشرقية، باريس، 1965.

54. (ـ)، **المسالك والممالك**، دراسة وتحقيق زينب الهكاري، تقديم أحمد عزاوي، مطبعة RABAT NET MAROC, الرباط، 2012.

55. البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ت256هـ/839م)، **صحيح البخاري**، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم أحمد محمد شاكر، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2004.

56. (ـ)، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق مصطفى البغا، ج3، دار ابن كثير، بيروت، 1987.

57. البرزلي (أبو القاسم محمد البلوي القيرواني ت841هـ/1438م)، **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتي والحكام**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ج4، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2002.

58. البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق ت739هـ/1338م)، **مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع** (مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي)، تحقيق علي محمد البجاوي، مج 1، دار الجبل، ط 1، بيروت، 1992م.

59. البغدادي اسماعيل باشا، **هدية العارفين وأسماء المؤلفين وأثار المصنفين**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

60. الجزنائي أبو الحسن علي، **جنى زهرة ألآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991.

61. الواد أشي (محمد ابن جابر بن محمد بن قاسم القيسي ت749هـ/1348م)، **برنامج الوادي آشي**، تحقيق محمد محفوظ، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

62. الوزان (الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت 957هـ/1552م) ، **وصف إفريقيا**، تحقيق محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

63. الوزير السراج (محمد بن محمد الأندلسي ت1149هـ/1736م)، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1985.

64. الونشريسى(أبو العباس أحمد بن يحي ت914هـ/1511م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب**، إشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.

65. (ـ)، **درر القلائد وغرر الطرر الفوائد**، تحقيق أبي الفضل بدر العمراني الطنجي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان، 2004.

66. (ـ)، **كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية**، تح محمد الأمين بلغيث، لاقوميك، (ب م)، (ب ت).

67. الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني ت1205هـ/1790م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق عبد السلام هارون، ج7، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء، ط2، الكويت، 1994.

68. الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبو بكر ت556هـ/1160م)، **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، (ب ت).

69. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد ت538هـ/1142م)، **أساس البلاغة**، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

70. الزركشي(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم كان حيا سنة 894هـ/1488م)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمد ماضور،المكتبة العتيقة، تونس، 1966. 1963.

71. حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله ت1067هـ/1656م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1992.

72. الحموي ياقوت (شهاب الدين ت 626هـ/1228م)، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق احسان عباس،ج5-6، دار الغرب الإسلامي، ط1،بيروت، 1993.

73. (-)، **معجم البلدان**، ج2، دار صادر للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1995.

74. الحميري (محمد عبد المنعم ت900/1495م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، ط1-ط2، مكتبة لبنان ، بيروت، 1975-1984م.

75. اليعقوبي(أبو العباس أحمد بن واضح ت284هـ/897م)، **البلدان**، وضع حواشيه محمد أمين ضناوى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

76. اليوسي الحسن (ت1102هـ)، **المحاضرات في الأدب واللغة**، تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت،2006.

77. كربخال مرمول، **إفريقيا**، ج2، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعارف، الرباط، المغرب، 1988- 1989.

78. المازوني (أبو زكرياء يحي بن موسى المغيلي ت883هـ/1478م)، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق حساني مختار، مج1، نشر مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2004.

79. المجاري (أبي عبد الله محمد الأندلسي ت 862هـ/1458م)، **برنامج المجاري**، تحقيق محمد أبو الأجفان،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.

80. مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق عبد الحميد سعد زغلول، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

81. مؤلف مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، ضبطه وعلق عليه ألفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، القاهرة، 2002.

82. مؤلف مجهول، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تحقيق عبد الوهاب منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

83. مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط 1، الدار البيضاء، 1979.

84. مؤلف مجهول، **زهر البستان في دولة بني زيان**، عناية وتقديم محمد بن أحمد باغلي، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

85. المطرزي (ناصر الدين أبو الفتح ت610هـ)، **المغرب في ترتيب المعرب**، تحقيق محمود ماخور وعبد الحميد مختار، ج1، مكتبة أسامة بن زيد، ط1، حلب، 1979.

86. المنتوري (أبو عبد الله محمد بن عبد الملد بن علي القيسي ت834هـ)، **فهرسة المنتوري**، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة، مركز الراسات والأبحاث وحياء التراث، الرابطة المحمية للعلماء، ط1، المملكة المغربية، 2011.

87. المقّري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ت1041هـ/1631م)، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق سعيد أحمد أعراب- عبد السلام الهراس،ج5، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة،المحمدية،1400هـ/1980م.

88. (ـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق إحسان عباس، ج5، دار صادر، بيروت، 1968.

89. (ـ)، **روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضريتين مراكش و فاس**، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983.

90. (ـــــ)، **رسائل المقري**، دراسة وتحقيق أسماء القاسمي الحسني، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، ط1، المسيلة– الجزائر، 2008.

91. (ـــ)، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، 2004م.

92. المقّري (أبي عبد الله محمد بن محمد ت 759هـ/1358م)، **الحقائق والرقائق**، اعتنى به عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، لبنان، (د ت).

93. (ـ)، **عمل من طب لمن حب**، تحقيق أبي الفضل العمراني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

94. (ـ)، **القواعد**، تحقيق احمد بن عبد الله بن حميد، ج1، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (ب ت).

95. (ـ)، قواعد الفقه، تحقيق محمد الدردابي، مكتبة دار الأمان، الرباط، 1435هـ/2014م.

96. (ـ)، **الكليات الفقهية**، تحقيق أبو الأجفان، الدار العربية للكتاب، تونس، 1997.

97. (ـ)، **كتاب المحاضرات**، تقديم وتحقيق إكرام بولعيش، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، ط1، الرباط- تطوان، 2017.

98. المقديسي (محمد بن أحمد بن أبي بكر ت830هـ/990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر، ط2، بيروت، 1906.

99. المراكشي (عبد الواحد بن علي ت647هـ/1250م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.

100. المنجور أحمد(ت995هـ/1587م)، **فهرس أحمد المنجور**، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976.

101. المغربي ابن سعيد (نور الدين أبو الحسن علي بن موسى ت685هـ/1286م)، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1982.

102. المغراوي (أحمد بن أبي جمعة ت920هـ)، **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآداب الصبيان**، تحقيق أحمد جلول بدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (ب ت).

103. النباهي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي كان حيا سنة 793هـ/1390م)، **تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتابة المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1948م.

104. النميري (أبو القاسم برهان الدين بن عبد الله بن الحاج ت774هـ/1372م)، **فيض العباب وإفاضة القداح في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990.

105. السيوطي (جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر ت911هـ/1505م)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت 2004.

106. (-)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل، ط1، ج1، المكتبة المصرية، بيروت، 2004.

107. (-)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع عبد السند حسين يمامة، ج15، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، 1424هـ/2003.

108. السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت 902هـ/1497م)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج6، منشورات مكتبة دار الحياة، (ب ت).

109. العبدري (أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الحيحي ت بعد سنة 700هـ/1300م)، **رحلة العبدري**، تح علي إبراهيم كردي، تق شاكر الفحام، دار سعد الدين للنشر والتوزيع، ط2، دمشق، 2005.

110. العقباني (أبو عبد الله محمد بن قاسم بن سعيد ت871هـ/1467م)، **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تحقيق على الشنوفي، مجلة الدراسات الشرقية، المعهد الفرنسي داماس، العدد19، 1967.

111. القادري (محمد بن الطيب ت1187هـ/1773م)، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي، أحمد التوفيق،ج1، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977.

112. الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت817هـ/1414م)، **القاموس المحيط**، ضبط وتوثيق يوسف محمد البقاعي، دار الفكر ، بيروت، 2005.

113. القزويني (زكرياء بن محمد محمود ت682هـ/1283م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، 1969.

114. القزويني (معز الدين المهدي الحسني ت1300هـ/1879م)، **أسماء القبائل وأنسابها**، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010.

115. القيرواني (أبو العرب محمد بن محمد بن أحمد بن تميم التميمي ت333هـ/943م)، **طبقات علماء افريقية وتونس**، تحقيق وتقديم علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، الجزائر، 1985م.

116. القلصادي (أبو الحسن علي بن محمد القرشي الأندلسي ت891هـ/1486م)، **رحلة القلصادي**، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978.

117. القلقشندى(أبو العباس أحمد بن عبد الله ت 821هـ/، **نهاية الأرب في معرفة انساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب اللبناني والمصري، بيروت، القاهرة،1991.

118. (-)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج5، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، (ب ت).

119. شهاب الدين القرافي (أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس ت684هـ/1285م)، **الفروق المسمى بـ أنوار البروق في أنواء الفروق**، ج2، نشر وزارة الأوقاف السعودية، المملكة العربية السعودية، 2010.

120. الشاطبي(أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي ت790هـ/1388م)، **الإفادات والإنشادات**، تحقيق أبو الأجفان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.

121. (-)، **الفتاوى**، تحقيق أبو الأجفان، تونس، 1981.

122. (-)، **الموافقات**، شرح عبد الله دراز، ج4، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 2003.

123. الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ت1255هـ/1834م)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، مج 3، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، (ب ت).

124. (-)، **رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين**، تح محمد الصغير العبادلي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2004.

125. الشمّاع أبو عبد الله (محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد الهنتاتي ت850هـ/1491م)، **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية الكتاب، تونس، 1984.

126. الشريف التلمساني (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحي ت771هـ/1369م)، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**، دراسة وتحقيق محمد علي فركوس، ط1، مؤسسة الريان للطباعة و النشر، الجزائر، 1998م.

127. الشربيني (شمس الدين محمد الخطيب)، **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج**، تحقيق محمد خليل عيتاني، ج4، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1418هـ/1997م.

128. التادلي (يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمن بن الزيات ت627هـ/1230م)، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق احمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1984.

129. تاج الدين (عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ت771هـ)، **الأشباه والنظائر**، تح عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض،ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1991.

130. التنبكتي (أبو العباس أحمد بن أحمد بابا ت 1032هـ/1624م)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج تراجم المالكية**، تعليق أبو يحي عبد الله الكندي، دار ابن حزم، لبنان، 2002.

131. (-)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد المجيد الهرامة،جزءان(1-2)، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، (ب ت).

132. التنسي(محمد بن عبد الجليل ت 899هـ/1493م)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، تحقيق تح محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م.

133. الغبرينى(أبو العباس أحمد بن أحمد ت704هـ/1304م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق محمد بن أبي شنب، دار البصائر للتوزيع والنشر، ط1، الجزائر، 2007.

134. الخفاجي(شهاب الدين أحمد بن محم بن عمر ت977هـ/1069م)، **ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ج2، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (ب ت).

- **ثانياً: المراجع:**

1. أسعد طلس محمد، **التربية و التعليم في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت،1957.

2. الأشقر محمد سليمان عبد الله، **الفتيا ومناهج الإفتاء**، مكتبة المنار الإسلامية، ط1، الكويت، 1976.

3. الأشقر عمر سليمان، **تاريخ الفقه الإسلامي**، دار النفائس، مكتبة الفلاح، ط3، الأردن – الكويت، 1990.

4. أبو الأجفان محمد، **الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1988م.

5. أبو عمران وفريق من الأساتذة، **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2007.

6. أبو زهرة محمد، **الخطابة أصولها التاريخية في أزهى عصورها عند العرب**، دار الفكر العربي، (ب م)، (ب ت).

7. أبو أسامة شفيق محمد لامة، **مجالس العلم والمناظرة بالمغرب والأندلس على عهد المرابطين والموحدين**، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، ط1، الدار البيضاء، بيروت، 2014م.

8. أبو ضيف مصطفى، **أثر القبائل العربية في الحياة الاجتماعية المغربية (خلال عصري الموحدين وبني مرين)**، مطبعة دار النشر المغربية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1982.

9. ابن سودة عبد السلام، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، دار الكتاب، ط2، الدار البيضاء، 1960.

10. بوداود عبيد، **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(13–15م)**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر،2003.

11. بوعزيز يحي، **أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

12. (-)، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.

13. بوعياد محمود، **جوانب من الحياة الاجتماعية بالمغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1982.

14. بونابي الطاهر، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7الهجريين/12 و13الميلاديين**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004.

15. بوعمامة فاطمة، **اليهود في المغرب الإسلامي (خلال القرنين 7-13/9-15م)**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.

16. بوتشيش إبراهيم القادري، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1998.

17. بل ألفرد، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة عبد الرحمان بدوي، (ب ط)، دار الغرب الإسلامي، (ب ت).

18. بلعربي خالد، **الدولة الزيانية في عهد يغمرا سن**، دراسة تاريخية وحضارية (633-681هـ/1235-1282م)،ط1، المكتبة الوطنية، تلمسان، 2005.

19. (-)، **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55هـ-633هـ/675هـ-1253م)**، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر،2011.

20. (-)، **ورقات زيانية، دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني**، دار هومة، الجزائر، 2014.

21. بلهواري فاطمة، **التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط**، منشورات الزمن، الرباط، 2010.

22. بلوط عمر، **فنادق مدينة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية**، مؤسسة الضحى، ط1، الجزائر، 2001.

23. بن أشنهو عبد الحميد، **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، مطبعة الجيش الوطني الشعبي، الجزائر، 1972.

24. بن داود نصر الدين، **أسر العلماء بتلمسان ومساهمتها في حضارة بني زيان**، النشر الجديد الجامعي، تلمسان، 2016م.

25. بن حمو محمد، **مفاهيم حول المدينة الإسلامية ودراسة منزلين منزلين بندرومة**، ندرومة مدينة عبد المؤمن، مجتمع، أنترو بولوجيا وذاكرة، جمع وإعداد عز الدين زيدون، ج2، سلسلة واصدارات الجمعية الموحدية، دار السبيل للنشر والتوزيع، تلمسان، 2011.

26. بن موسى جميلة، **تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن (9م إلى 11م)**، منشورات بلوتو، ط1، جسر قسنطينة، الجزائر، 2011م.

27. بن عامر أحمد، **الدولة الحفصية**، دار الكتب الشرقية، مطبعة الاتحاد العام للشغل، تونس، 1974.

28. بن عبد الكريم محمد، **المقري وكتابه نفح الطيب**، دار مكتبة الحياة، بيروت،(ب ت).

29. بن الذيب عيسى، مسعود مزهودي، مبارك بوطارن، **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1984م.

30. بن قربة صالح يوسف، **أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، 2011.

31. برو نشفيك روبار، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، تعريب حمادي الساحلي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988.

32. بشاري لطيفة، **العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16م)**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م.

33. جودت عبد الكريم يوسف، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (3 و4) الهجريين (9- 10م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

34. الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2009.

35. الجيدي عمر، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط، 1993.

36. (-)، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات عكاظ، (ب م)، (ب ت).

37. هلال عمار، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(3/14هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

38. زين العابدين محمد، **بيوتات العلم والحديث في الأندلس**، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2009.

39. زمري محمد، **الأعلام المغاربة في مصنفات المشارقة**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004.

40. الزركلي خير الدين، **قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء عند العرب والمتعربين والمستشرقين**، ط5، دار الملايين، بيروت، 1970م.

135. زنبير محمد، **المغرب في العصر الوسيط**، الدولة، المدينة، الاقتصاد، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الرباط، 1420هـ/1999م.

136. الحجوي محمد بن الحسن الثعالبي، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، مطبعة إدارة المعارف، الرباط، 1340هـ/1345.

41. حاجيات عبد الحميد، دهينة عطا الله، رشيد بورويبة، موسى لقبال وآخرون، **الجزائر في التاريخ**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

42. حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي**، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

43. (-)، حاجيات عبد الحميد، **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

44. حاجيات عبد الحميد، بودواية مبخوت، معروف بلحاج، **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر1954، وزارة المجاهدين، 2007.

45. حجي محمد، **موسوعة أعلام المغرب**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.

137. الحنفي عبد المنعم، **الموسوعة الصوفية**، ط5،مكتبة مديوني ،القاهرة، 2006.

138. الحفناوي (أبو القاسم محمد بن أبي القاسم ت1936م)، **تعريف الخلف برجال السلف**، تقديم محمد رءوف الفاسي الحسني، ج2، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

46. حساني مختار، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، ج3، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

47. (-)، **الحواضر والأمصار**، ج4، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، 2011.

48. (-)، **تاريخ الجزائر الوسيط**، ج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013.

49. الحريري محمد عيسى، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.

50. حدادي أحمد، **معجم الألفاظ الحضارية في عصر بني مرين**، مكتبة الطالب، ط1، وجدة، 2011م.

51. حركات إبراهيم، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9-15م**، ج1، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 2000م.

52. الطمار محمد، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

53. (-)، **تاريخ الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973.

54. (-)، **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2007م.

55. الكبسي خليل إبراهيم، **دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة**، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، (ب م)، 2004.

56. كحالة رضا، **معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)**، ج 10، دار إحياء التراث الإسلامي، لبنان، (ب ت).

57. (-)، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، 1968.

58. كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الإجتماعية والاقتصادية والدينية من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996.

59. الكعاك عثمان، **موجز التاريخ العام للجزائر**، تق ومراجعة أبو القاسم سعد الله، محمد البشير شنيتي، ناصر الدين سعيدوني، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي،ط1، ص2003.

60. الكتاني (عبد الكبير بن هاشم ت1350هـ)، **زهرة الآس في بيوتات أهل فاس**، تحقيق علي بن المنتصر الكتاني، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، المغرب، 2002.

61. الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتناء إحسان عباس، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1982.

62. (-)، **وقفات في حياة الحافظ أحمد بن محمد المقّري (ت1041هـ)**، تحقيق عبد القادر سعود، تقديم أحمد عبادي، الرابطة المحمدية للعلماء، ط1، المملكة المغربية، الرباط، 2017.

63. الكتاني (أبو عبد الله محمد بن جعفر بن ادريس ت1345هـ)، **سلوة الأنفاس ومحاثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني، محمد حمزة بن علي الكتاني،ج3، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2004.

64. لزغم فوزية، **الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، 1518-1830**، دار سنجاق الدين للكتاب، (ب م)، 2009.

65. **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، ترجمة زكي محمد حسن وآخرين، دار الرائد العربي، بيروت، 1980.

66. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق العربية، ط4، مصر، 2004.

67. المدني أحمد توفيق، **حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا(1492– 1792) وثائق ودراسات**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1984م.

68. المحبي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ج1، دار صادر، بيروت.

69. محفوظ محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**،ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982.

70. محمود آل محمود أحمد، **البيعة في الإسلام تاريخها وأقسامها بين النظرية والتطبيق**، دار الرازي، (ب م)، (ب ت).

71. محمود اسماعيل، **الخوارج في المغرب الإسلامي**، دار العودة – مكتبة مدبولي، بيروت – القاهرة، 1976.

72. المطوي محمد العروسي، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان.

73. مخلوف محمد بن محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الفكر للطباعة والنشر(ب ت).

74. الميلي مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم محمد الميلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (ب ت).

75. المنوني محمد، **ورقات عن حضارة المرينيين**، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط، 1996.

76. منصور عبد الوهاب، **أعلام المغرب العربي**، ج3، المطبعة الملكية، الرباط، 1989.

77. المنصوري عثمان، **تأثير الحروب على النشاط التجاري بمغرب القرن السادس عشر**، ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج2، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، مطبعة فضالة، المغرب، 1995.

78. المرابط الترغي عبد الله، **فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها– تطورها – قيمتها العلمية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، تطوان، 1999.

79. مصمودي فوزي، **تلمسان بعيون عربية**، ط1، دار سبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

80. المريني الجيلالي، **الاجتهاد ومسائل الخلاف**، ضمن كتاب الاجتهاد الفقهي أي دور وأي جديد، تنسيق محمد الروكي، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1996.

81. النجمي عبد الله، **الوشي العبقري في مساورة الإمام المقري لمحمد الصغير الافراني تقديم وتحقيق**، ضمن كتاب وقفات في تاريخ المغرب، تنسيق عبد المجيد القدّوري، سلسلة منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية.

82. نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980.

83. الناصري السّلاوي (أبو العباس أحمد ت1315هـ/1897م)، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح جعفر الناصري، ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدّار البيضاء، 1997.

84. نشاط مصطفى، **الحملات المرينية على بلاد المغرب بين السلطتين السياسية والعلمية**، ضمن كتاب السلطة العلمية والسلطة السياسية بالمغارب، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 2012.

85. السوسي محمد المختار، **سوس العالمة**، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1984.

86. (-)، **رجالات العلم العربي في سوس من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر**، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع، ط1، طنجة، 1989.

87. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

88. سعيدان عمر، **علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان خلال الثلثين الأول والثاني من القرن 14م**، منشورات تالة، الجزائر، 2011.

89. السعدي عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، بيروت، 1998.

90. العزيز محمد عادل، **التربية الإسلامية في المغرب، أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية**، الهيئة المصرية الماسة للكتاب،1987م.

91. عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية وهران، 2008.

92. عبد الغني محمد، **المقّري صاحب نفح الطيب**، الدار القومية للطباعة والنشر (ب.ت.).

93. العودي عدوني رجاء، **دلالات البعد الإفريقي في الهوية المغاربية**، ضمن كتاب التواصل العلمي بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، تنسيق ماء العينين النعمة علي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس بالرباط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2016.

94. العربي إسماعيل، **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

95. العفاقي رشيد، **تاريخ المدرسة النصرية بغرناطة**، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، بيروت- لبنان، 2015.

96. عزاوي أحمد، **الغرب الإسلامي خلال القرنين (7-8هـ)، دراسة تحليلية لرسائله**، مطبعة ربانيت، الرباط، 2007.

97. (-)، **محطات في تاريخ المغرب الوسيط (أعلام وأحداث)**، مطبعة الرباط نت، الرباط،1438هـ/2017.

98. (-)، **قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدي والمريني**، دار ربانيت، ط1، الرباط، المغرب، 2010.

99. عنان عبد الله، **الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.

100. (-)، **لسان الدين بن الخطيب**، حياته وتراثه الفكري، القاهرة، مكتبة خانجي، 1968.

101. (-)، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الرابع، مكتبة خانجي، ط1، القاهرة، 1997.

102. عبد الشكور نبيلة، **القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية**، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2011.

103. فارسي حسين، **أبو مدين شعيب حياته وأدبه**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005.

104. فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002.

105. (-)، **دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2012م.

106. فتحة محمد، **النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ/12–15م)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1999م.

107. الصعيدي عبد الحكم، **الرحلة في الإسلام أنواعها و آدابها**، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب (ب م)، 1996.

108. القاسمي عبد المنعم، **أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، ط1، المسيلة –الجزائر، 1427هـ/2007م.

109. القبلي محمد، **مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الأوسط**، منشورات مؤسسة مسجد الحسن الثاني، ط2، الدار البيضاء، 2016م.

110. قريان عبد الجليل، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011.

111. الراشدي ابن سحنون، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973.

112. الشاهدي الحسن، **أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني**، ج1، منشورات عكاظ، الرباط، 1990م.

113. شاوش محمد بن رمضان، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

114. الشيخ الأمين عوض الله، **تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي**، ضمن كتاب "تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر"، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد 1984.

115. شعبان عبد الله علي، **القواعد والضوابط الفقهية وتطبيقاتها من خلال كتاب "التوصيح" لخليل بن إسحاق المالكي**، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2014.

116. شريط عبد الله، **مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

117. الشريف محمد، **محاضرات ومباحث في تاريخ المغرب المريني وحضارته**، مطبعة الهداية، تطوان، (ب ت).

118. التازي ابراهيم، **جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري**، ج2، دار نشر المعرفة، ط2، الرباط، 2000.

119. توات محمد الطاهر، **أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنيين السابع والثامن**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

120. خطيف صابرة، **فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية**، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011م.

121. خيط محمد، المقّري **أحمد بن محمد (986هـ-1041/1578م- 1631م)**، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، (ب م)، 2011م.

122. خليل عبد الكريم، **قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية**، دار الانتشار العربي – سيناء للنشر، ط2، بيروت – القاهرة، 1997.

- **ثالثاً: الدوريات:**

1. الإدريسي علي، **جوانب من المشهد الفكري والعلمي في المغرب زمن ابن خلدون**، ضمن كتاب الأبنية الفكرية في الغرب الإسلامي زمن ابن خلدون، تنسيق بناصر البعزاتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدر البيضاء، 2007.

2. بومهرة عبد العزيز، **التعليم في المغرب والأندلس في القرن الثامن من الهجرة**، مجلة التواصل العدد 11،جامعة باجي مختار، عنابة، ديسمبر 2003.

3. البوسكلاوي سعيد، **الجدل الكلامي في عصر ابن خلدون**، ضمن كتاب الأبنية الفكرية في الغرب الإسلامي زمن ابن خلدون، تنسيق بناصر البعزاتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2007.

4. بزاوي الكبير، **التجارة من خلال كتابات ابن خلدون**، ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، مطبعة فضالة، المغرب، 1995.

5. بوعبدلي المهدي، **أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ**، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر،1975م.

6. (-)، **البيعة والشورى في الإسلام وتطورها عبر التاريخ**، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 28، الجزائر، 1975.

7. بوشقيف محمد، **المؤسسات التعليمية بتلمسان**، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، العدد التجريبي، ديسمبر 2008.

8. بورويبة شيد، **جولة عبر مساجد تلمسان**، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 26، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، جويلية –أوت، 1975.

9. بوعزيز يحي، **الأوضاع السياسية والثقافية في عصر الشيخين محمد بن مرزوق الخطيب، وأحمد بن قنفذ الخطيب**، مجلة دراسات جزائرية ، العدد 01، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 1997.

10. (-)، **المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية** (1236-1554م)، مجلة الأصالة، العدد 26 السنة1975.

11. بوحمزة نور الدين، **جهود المالكية في القواعد الفقهية (كتاب القواعد للمقري أنموذجا)**، أعمال الملتقى الخامس للمذهب المالكي "فقه النوازل في الغرب الإسلامي، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الثقافة، عين الدفلى، 18-19-20 ربيع الثاني 1430/14-15-16 أفريل 2009.

12. بحاز إبراهيم، **مدخل إلى القضاء عند الزيانيين**، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3-4)، أفريل – ماي 2011.

13. بكاي عبد المالك، **الأسرة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7. 10هـ/13. 16م**، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 17، جامعة سطيف، سبتمبر 2013.

14. بلبشير عمر، **خطاب الشرف في المغرب الأوسط من خلال فتوى ابن مرزوق "قراءة في الأنساق الفكرية والسياسية"**، ضمن الملتقى الوطني حول البيوتات العلمية بتلمسان الزيانية "بيت المرازقة وإسهاماته الحضارية"، المتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ لمدينة تلمسان، ماي 1915.

15. بلميهوب حفيظة ، **الفقه المالكي في مدرسة بجاية خلال القرن السابع و الثامن الهجريين، (القسم الأول)**، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 09، يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر، جوان 2006.

16. بلغيث الأمين، **أبو حمو موسى وكتابه**، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3- 4)، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

17. بلعربي خالد، **بنية الجهاز القضائي بالمغرب الأوسط في العهد الزياني**، دورية كان التاريخية، العدد 12، 2011.

18. بلغراد محمد، **تلمسان**، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 26، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1975.

19. (-)، **تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،جامعة غرداية، العدد15، 2011.

20. بنعلي محمد بوزيان، **من نوادر المخطوطات التعريف بالمقري لأبي العباس الونشريسي**، مجلة دعوة الحق، العدد 331، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، 1997.

21. بن النية رضا ، **الشرف والسلطة في المغرب الأوسط الزياني**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، العدد 18، جوان 2014.

22. بن اصغير حاضري يمينة، **الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري من القرن 4هـ/10م إلى القرن 11هـ/17م**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، قسم العلوم الإنسانية المركز الجامعي غرداية، العدد 16، 2012.

23. بشاري لطيفة، **الرحلة التجارية بين تلمسان وممالك بلاد السودان الغربي**، مجلة المؤرخ، العدد5، 2010.

24. بشاري لطيفة، **الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية**، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد08، سنة 1993- 1994.

25. بختاوي قاسمي، **المدارس بتلمسان في عهد بني زيان**، مجلة الفكر الجزائري، العدد 4، مخبر المرجعيات الفلسفية، تلمسان، ديسمبر 2009م.

26. بختاوي قاسمي، **واقع التعليم بالمغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي**، دورية كان التاريخية، العدد 29، سبتمبر، 2015.

27. بخليلي بختة، **دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط**، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، قسم العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة ،العدد15، جانفي 2016.

28. دادة محمد، **تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن 16م**، مجلة عصور الجديدة، مختبر تاريخ الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد2، 2011.

29. الزاوي رشيد، **التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي**، مجلة الحضارة، العدد1، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، 1414هـ/1993م.

30. زمامه عبد القادر، **المقري الجد**، مجلة دعوة الحق، العدد 2، السنة التاسعة، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ديسمبر 1965.

31. (-)، **الحقائق والرقائق**، مجلة دعوة الحق، العدد 8، السنة التاسعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ديسمبر 1965.

32. (-)، **المقَّري أو المقْري**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج1، مج 46.

33. حاجيات عبد الحميد، **تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**، مجلة الحضارة، العدد1، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، 1414هـ/1993م.

34. الطاهري عبد الحق، **النخبة المغربية من خلال كتب التراجم المشرقية نموذج مغاربة (ق6و7هـ) وكتاب "فوات الوفيات لابن شاكر**، ضمن كتاب النخبة في تاريخ الغرب الإسلامي ضوابط المفهوم وتجليات الأدوار، تنسيق وتقديم محمد البركة، مطبعة آنفو-برانت، ط1، فاس، 2015.

35. طموح زهرة، **تنظيم القافلة خلال القرن 19**، ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج2، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، مطبعة فضالة، المغرب، 1995.

36. اليزيد الراضي، **السمات العلمية للأسر العلمية السوسية**، ضمن ندوة الأسر العلمية في سوس، إنجاز مجموعة البحث في الأدب العربي السوسي، تنسيق المهدي السعيدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2003.

37. مبخوث بودواية، **الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني**، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، العدد التجريبي، ديسمبر 2008.

38. مجموعة البحث في الأدب العربي السوسي، **الأسر العلمية في سوس**، تنسيق المهدي السعيدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2003.

39. مهتاري المولودة زرقة فائزة، **المسكن التقليدي في تلمسان خلال العهد الزياني دراسة تاريخية وأثرية**، دورية كان التاريخية، العدد 28، يونيو، 2015.

40. مشنان محمد، **المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية**، مجلة رسالة المسجد، العدد 87، جويلية، 2003م.

41. مفدي زكريا، **النشاط العقلي والتقدم الحضاري في عهد الزيانيين**، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 26، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، جويلية -أوت، 1975.

42. مرهون ابتسام، **المقّري التلمساني والتواصل بين المغرب والمشرق**، مجلة الذخائر، العددان 11و12، صيف – خريف 2002.

43. كريب عبد الرحمن، **النزعة الاجتهادية في المدرسة المالكية التلمسانية خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي**: أبو عبد الله محمد المقري وكتابه القواعد، مجلة كان، العدد14، ديسمبر 2011.

44. كريم عباس، **الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي**، مجلة كلية التربية الإسلامية، جامعة بابل، العدد 4، أيلول 2010.

45. حسين عبد الرزاق، **المختار من نوادر الأخيار المنسوب خطأ لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن اسماعيل بن شريف بن نجاة المقّري الأبياري وتحقيق الجزء من بلوغ الآراب في لطائف العتاب لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقّري**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 50، السنة العشرون، كانون الثاني- حزيران 1996.

46. حساين عبد الكريم، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط بين القرنيين (7_9هـ/13-15م)**، دورية كان التاريخية، العدد17،سبتمبر 2012.

47. حميش عبد الحق، **جهود المدرسة المالكية في علم القواعد الفقهية**، أشغال الملتقى الدولي التاسع للمذهب المالكي، تقعيد الفقه المالكي وتقنينه، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الثقافة، ولاية عين الدفلى، 27-28 جمادى الثانية 1434هـ/07-08 ماي2013.

48. طواهرة فؤاد، **المجتمع والاقتصاد في تلمسان خلال العصر الزياني (ق7-9هـ/ق13-15م)**، مجلة دراسات تاريخية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، العدد16، جوان 2014.

49. سيدي موسى محمد شريف، **التربية والتعليم بالجزائر في العصر الوسيط**، حولية المؤرخ، العدد 02، 2002م.

50. سيدي محمد نقادي، **محمد بن إبراهيم الآبلي ودوره العلمي والتربوي**، مجلة الإنسان والمجتمع، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان،العدد1، جوان 2011.

51. لعرج عبد العزيز، **تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية**، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3- 4)، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، أفريل – ماي 2011.

52. صديقي أحمد، **النخبة العالمة بين الدولة والمجتمع بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط**، ضمن كتاب النخبة في تاريخ الغرب الإسلامي ضوابط المفهوم وتجليات الأدوار، تنسيق وتقديم محمد البركة، مطبعة آنفو-برانت، ط1، فاس، 2015.

53. العماري حسن، **العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا**، دورية كان التاريخية، العدد 9، سبتمبر 2010.

54. علاوي مزاحم، **حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد 15، 2011.

55. علوي مصطفى، **الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين**، مجلة كان التاريخية، العدد 14، ديسمبر 2011.

56. فيلالي عبد العزيز، **تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية**، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3-4)، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، أفريل – ماي 2011.

57. قدور وهراني، **الأبعاد الفكرية والسياسية لموقف الآبلي من اتخاذ المدارس بتلمسان**، مجلة الفكر الجزائري، العدد 4، مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية،تلمسان، ديسمبر 2009م.

123. شقور عبد السلام، **من بيوتات سبتة في القرن 8**، مجلة دعوة الحق، العدد 286، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، 1991.

124. شقور عبد السلام بن المختار، **البيوتات الأندلسية: بحث في المكونات والضوابط والنتائج**، ضمن أعمال: الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط1، الرياض، 1996.

58. شريخي نبيل، **المناظرات والمناقشات العلمية لعلماء تلمسان في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين- الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين**، مجلة كان التاريخية، العدد 13، سبتمبر 2011.

59. خياطي مصطفى، **الطب والأطباء في تلمسان**، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3-4)، أفريل – ماي، 2011.

- **رابعا: الرسائل الجامعية:**

1. بودواية مبخوث، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد الزيانين**، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة تلمسان، 2006.

2. بوشريط أحمد، **ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي (300هـ 460هـ/919م 1067م)**، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2011- 2012.

3. بكوش فافة، **أبو عبد الله محمد المقّري(ت759هـ) ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي**، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2011 — 2012م.

4. بلعرج عبد الرحمن، **العلاقات الثقافية بين الدولة الزيانية ودولة المماليك**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان،2007.

5. بن داود نصر الدين ، **علماء أسرة المرازقة ودورهم الثقافي بتلمسان من ق7هـ-13م إلى ق10هـ 16م**، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2003.

6. (-)، **بيوتات العلماء بتلمسان، من القرن 7هـ/13م إلى القرن10هـ/16م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ،قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان،2011م.

7. بن مصطفى دريس، **العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوربا في الفترة (ق 7- 10هـ/13- 16م)**، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2013- 2014م.

8. بن ساعو محمد، **التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن 07- 10هـ/13- 15م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة باتنة، 2013- 2014م.

9. بريشي درويش، **تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان دراسة فنية أثرية**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2011-2012.

10. بشاري لطيفة ، **التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987.

11. ولد خسال سليمان، **جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633هـ/922هـ**، أطروحة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، قسم الشريعة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2008م.

12. حساني مختار ، **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية**، رسالة الدكتوراه، الحلقة الثالثة، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1986.

13. لزغم فوزية، **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925- 1246هـ/ 1520- 1830م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014.

14. مزدور سمية، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588 – 927هـ/1192 – 1520م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008- 2009م.

15. سيدي موسى محمد الشريف ، **الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري (13–16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001.

16. عبدلي لخضر، **الحياة في الثقافة في المغرب الأوسط خلال عهد بني زيان**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة تلمسان 2005.

17. رياح سعاد، **منهج الإمام المقّري في الفتوى من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي**، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة ،2007.

18. رفاف شهرزاد، **أبو عثمان سعيد العقباني حياته وأثاره (ت811هـ/1408م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، المركز الجامعي بشار، 2007م.

19. رزيوي زينب، **مؤسسات التوجيه الثقافي في مجتمع المغرب الأوسط ما بين القرنين 7و9هـ/13و15م**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2009– 2010.

20. رحلي صليحة، **المسيلة وجهتها في العصر الوسيط "دراسة منوغرافية"**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013- 2014م.

21. شعباني نور الدين، **علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي**، رسالة ماجستير في تاريخ العلاقات بين السودان الغربي والمغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005- 2006.

22. شريخي نبيل، **دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14– 15م)**، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2009– 2010م.

23. خليفة، محمد علي ياسين حامد، **ذهب افريقيا جنوب الصحراء ودوره في التجارة العربية الاسلامية منذ القرن الرابع حتى القرن التاسع الهجري**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1987.

24. خليفي رفيق، **البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن 9هـ**، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2008.

- **خامساً: المراجع باللغة الأجنبية:**

1. Barges (Ij), **complément de l'histoire de Beni Zeyan-rois de Tlemcen**, Ernest Lanoux librairie, Paris, 1887.
2. Barges(L.I), **Tlemcen ancienne capital de royaume de ce nom**, sa topographie, son histoire Ernest Laroux, paris, 1859.
3. Bourouiba Rachid, **l'art religieux musulman en algèrie**,send ,1973.
4. -Bouali (S.A), **Les deux grandes siéges de Tlemcen**, E.N.A.L, Alger, 1984.
5. Bel Alfred, **La Fête des Sacrifices en Berbérie**, Imprimerie Julie Carbonel, Alger, 1932.
6. Bel Alfred, **La population Musulmane de Tlemcen**, laibrairie paul Geuthner, paris, 1908.
7. Broseelard (Ch), « **tombeaux des familles el makkâri et el okbani** », revue africaine, tom volume 5 année, N°30,paris, 1961.
8. Brosselard –(ch**), Les inscriptions arabe de tlemcen**, in revue africaine, N° 17, Juin 1885.
9. Brosselard (ch): **Les inscriptions Arabes de Tlemcen**, revue Africaine, 3éme année n°14, December 1858.
10. Dhina (A), **le royaume abd elouadide à l'époque d'Abou hamou moussa 1er ET d'Abou tachfin 1er**, o.p.u/ENAL, Alger, 1985.
11. Dhina Atallah, **Les états de l'occident musulman aux XIII, XIV, XV ème siècle**, OPU, Alger, ENAL, sans date.
12. Dufourcq (Charles-Emmanuel), **l'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV siécles**, Paris, 1969.
13. Dozy (R), **histoire de Beni Zeiyan trad de Rawdat el nisrin de ibn Ammor**, 2éme partie dans le journal asiatique, Mai 1944.
14. Goudray, **relations commerciales de Tlemcen avec le Sahara et le Soudan**, dans bulltetin de la Société de géographie d'Alger, 2éme année, 1887.
15. Godinho (V. Mgalhae), **L'économie de L'Empire Portugais aux XVet XVI siécles**, Paris, 1969, p100.
16. Lombard (M),**Les métaux dans bancien mond du Ve au XIe siècle**, Paris etudes économiques médiévales Mouton et Cie 1974.

17.Marçais (G) et William, les **monuments arabes de Tlemcen,** fonte oing, paris, 1905.

18. Marçais, **Tlemcen d'hier et d'aujourd'hui** : bulletin de sociéte des amis du vieux de Tlemcen, Alger.

19.Marcais(G), **Tlemcen.ville d'art et histoire**, 2éme congrés de la foundation des sociétés savants de l'Afrique du nord, publié par soin de la société historique Algérienne,tom 1, Alger, 1936

20. Marçais(G), **l'architecture musulmane d'occident**, Editeurs Arts et Métiers Graphiques, paris VI, 1954.

21.Robert (M), **Les grandes dates de l'islam**, entreprise national de livre, Larousse paris.

الفهرس

الفهرس

دعـاء .....

إهداء .....

شكر وتقدير .....

مقدمـة ..... **أ–ي**

تمهيد: المفاهيم الأساسية للدراسة **1– 21**

الباب الأول : التعريف بالأسرة المقّرية وأعلامها بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن10هـ/16م.

الفصـل الأول: الظـروف العامـة بتلمسـان وأثرهـا علـى بيـت المقّـري مـن القـرن 7هـ/13م إلـى القرن10هـ/16م.

أولا: الأوضاع السياسية بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن10هـ/16م. **25**

1. قيام الدولة الزيانية (التأسيس والتطور). **26**

2. انبعاث الولة الزيانية من جديد..... 32

3. التبعية للمرينيين والحفصيين..... 33

4. الهيمنة الأجنبية وسقوط الدولة الزيانية. **36**

ثانيًا: الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن10هـ/16م..... **41**

1. الحياة الاجتماعية. 41

أ. التركيبة البشرية لسكان تلمسان..... 41

ب. فئات المجتمع..... 44

ج. مظاهر الحياة الاجتماعية بتلمسان. 48

2. الأوضاع الاقتصادية بتلمسان..... 51

أ. الفلاحة. 25

ب. الصناعة. 55

ج. النشاط التجاري. **57**

ثالثا: جوانب من الحركة الفكرية والعلمية بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م **62**

1. عوامل ازدهار الحركة العلمية بتلمسان. 62

2. المؤسسات الفكرية والعلمية بتلمسان. 64

3. نتائج النهضة العلمية بتلمسان..... **71**

الفصل الثاني: التعريف بالأسرة المقّرية وظروف استقرارها بتلمسان.

أولا: أصل ببيت المقّري **77**

ثانياً: ضبط التسمية المقّرية 86
ثالثا: الأسرة المقّرية والنسب القرشي 93
رابعا: ظروف استقرار الأسرة المقّرية بتلمسان 102
الفصل الثالث: عوامل بروز الأسرة المقّرية وأبرز أعلامها
أولا: عوامل بروز الأسرة المقّرية 111
1. البيئة العلمية..... 111
2. النسب الشريف..... 113
3. الرخاء الاقتصادي..... 115
4. البيئة الاجتماعية والاشتغال العلم والانتساب إليه..... 116
5. المطالب الدينية والعلمية. **118**
ثانيا: علماء الأسرة المقّرية 124
1. أبو عبد الله محمد المقّري (ت 759هـ/1358م) 123
2. أبو الحسن علي المقّري (القرن 08هـ/14م).. 143
3. أحمد شهاب الدين المقّري (ت بعد 847هـ/1443م)..... 143
4. أبو عثمان سعيد المقّري (ت1023هـ/1615م) **144**
ثالثا: المكانة العلمية لعلماء الأسرة المقّرية 151
الباب الثاني: علماء الأسرة المقّرية وإسهاماتهم بتلمسان والحواضر الإسلامية من القرن 7هـ/13م إلى القرن10هـ/16م.
الفصل الأول: أعلام بيت المقّري وإسهامهم في إنتاج المعرفة وانتقالها
أولا: دور علماء الأسرة المقّرية في العملية التعليمية 159
1. أعلام بيت المقّري وإفادتهم للعلم 158
2. الاجازات العلمية لعلماء الأسرة المقرية..... 173
3. خزانة الأسرة المقّرية..... 176
ثانيا: علماء الأسرة المقّرية ونتاجهم الفكري 178
1. العلوم الدينية 181
2. العلوم اللغوية 189
3. العلوم الاجتماعية 191
4. العلوم العقلية 194
5. مواضيع مختلفة 194

ثالثا: جهود علماء الأسرة المقّرية في خدمة المذهب المالكي. 198
1. النزعة الاجتهادية 198
2. التقعيد الفقهي 203
3. دورهم في المناظرات والمناقشات العلمية 208
الفصل الثاني: علماء الأسرة المقّرية ودورهم في الوظائف السياسية والخطط الدينية.
أولا: المشاركة السياسية لأعلام بيت المقّري..... 213
1. علاقة علماء الأسرة المقّرية بالسلطة السياسية الزمنية 213
2. دور علماء الأسرة المقّرية في الوظائف السياسية.....218
أ. أبو عبد الله محمد المقّري وأداء البيعة..... 218
ب. أبو عبد الله محمد المقّري ومنصب السفارة..... 224
ج.أبو عبد الله محمد المقّري بين الوصل والقطيعة السياسية.....227
3. المواقف السياسية لعلماء الأسرة المقّرية.....233
ثانيا. دورهم في الخطط الدينية: 242
1. دورهم في الفتوى والخطابة..... 241
أ. دور أبو عبد الله محمد المقّري في الفتوى.....243
ب.دور أبو عثمان سعيد المقّري ي الفتوى والخطابة.....248
2.دورهم في القضاء.....250
أ. أبو عبد الله محمد المقّري ودوره في القضاء.....252
ب.أبو الحسن المقّري ومكانته في القضاء.....**256**
الفصل الثالث: دور أعلام الأسرة المقّرية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية
أولا: دورهم في الحياة الاجتماعية..... 260
1. المكانة الاجتماعية لعلماء الأسرة المقّرية.....260
2. خدماتهم الاجتماعية.....269
3. جهود علماء الأسرة المقّرية في إصلاح أوضاع المجتمع.....270
ثانيا: دورهم الاقتصادي من خلال الشركة التجارية 276
1.الشركة التجارية المقّرية وعوامل قيامها.....275
2.الرحلة التجارية للشركة المقّرية.....285
3.أثر الشركة المقّرية على الحياة العامة بتلمسان والمناطق الحراوية.....300

خاتمة: 309
ملاحق 316
فهرس الأعلام والقبائل 359
قائمة المصادر والمراجع..... 377
الفهرس العام..... 414

الملخّص:

تهدف هذه الدّراسة إلى التّعريف بالأسرة المقّرية بتلمسان من القرن07هـ/13م إلى القرن10هـ/16م ، حيث تسعى للكشف عن دورها وآثارها بها، وذلك من خلال إبراز جهود علمائها الذين توارثوا العلم والمعارف، وارتقوا أرفع المناصب الدينية، فساهموا في دفع الحركة الفكريّة وتنميتها بتلمسان وحتى بحواضر المغرب الإسلامي، بفضل اهتمامهم بنشر العلم والمعرفة من خلال توليهم التدريس الذي كوّنوا بفضله تلامذةً أعلاماً، وبفضل مشاركتهم في حركة التأليف في عدد من العلوم والمعارف، كما اهتموا بشؤون مجتمعهم فقاموا بأدوار الإفتاء والقضاء وفض النوازل انطلاقا من مبادئ الشريعة الإسلامية.

ولم يكن دورهم خاص بالجانب العلمي والديني فحسب، بل شملت الجانب الاقتصادي حيث اشتغل بعض أفراده بالتجارة التي مالت إليها بعض الأسر العلمية بتلمسان، كما أبرزت الدراسة مشاركتهم السياسية من خلال أداء البيعة والسفارة، فضلا عن آرائهم الفقهيّة الإصلاحيّة، فبذلك يمكن القول أنّه كان لهم عظيم الأثر في إرساء دعائم النّهضة الفكرية وإقرار المذهب المالكي بتلمسان وبحواضر المغرب الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الأسر العلمية، أبو عبد الله محمد المقّري، تلمسان، سعيد المقّري، الحركة العلميّة.

Résumé :

Cette étude vise la définition de la famille Makkari à Tlemcen depuis 7ème siècle AH/ 13 AD jusqu'au 10ème siècle AH /16 AD en dévoilant sont rôle primordial et surtout ses traces, et cela à travers les efforts de ses savants qui ont hérité la science et les connaissances et ont été grand aux postes religieux supérieurs.

Les hommes ont poussé le mouvement de la pensée et son développement à Tlemcen et même dans les capitales du Maghreb islamique et ceci grâce a leurs attention et leurs mobilisations à partir de leurs travaux d'enseignement qui ont participé à former des hommes brillants dans ce domaine.

Les derniers ont participé à l'édition des ouvrages traitant la science et le savoir et ils se sont intéressé aux besoins de leur société en faisant part dans tous les domaines (la religion, la justice …) en basant sur les principes de l'islam.

Leur rôle n'était pas spécialisé dans le coté scientifiques on religieux seulement, mais a aussi touché le coté économique, quelques une parmi cette famille ont travaillé dans le commerce à Tlemcen, le cas de plusieurs famille durant cette époque.

Cette époque cible aussi la participation de la famille Makkari dans la vie politique à travers l'application de plusieurs éléments islamiques comme l'allégeance et l'ambassade …aussi leurs avis jurisprudentiels et réformables nous permet de dire qu'ils avaient une grande influence grâce à ces hommes qui ont imposé la base et la révolution de la pensée et la doctrine de l'imam Maliki à Tlemcen et même dans les capitales du Maghreb islamique.

Mots clés: Les Familles Savantes - Abu Abdellah Mohamed El Makkari –Tlemcen- Saïd EL Makkari -Le Mouvement Scientifiqu.

Abstract:

This study aims to introduce the Makria-Family in Tlemcen from the 7th century AHM 3AD to the 10th A16 AD. Where it tries to deal with their role and effects, by showing the efforts of their scientists who inherited knowledge and science and raised the highest religious positions, and participated in the advancement of the intellectual movement and development in Tlemcen and even in the cities of the Islamic Maghreb.

Thanks to their interest in spreading science and knowledge through their teaching.

The study also highlighted their political participation through the performance of the allegiance and the embassy.

We can say that they had a great impact in laying the foundactions of intellectual renaissance and the adoption of the Maliki School in Tlemcen and the cities of the Maghreb.

Key Word:

the Makria- Scienific Family- Abu Abdellah Mohamed El Makkari –Tlemcen- Saïd EL Makkari - the scientific movement